

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

رسالة دكتوراه

بعنوان

منهج علي بن إبراهيم القمي في تفسيره

" عرض ونقد "

إعداد الطالبة /

أمل بنت إبراهيم الشيخ

ذات الرقم الجامعي

٤٢٩٧٠١٤٩

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور /

أمين محمد عطية باشا

للعام الدراسي

١٤٣١ - ١٤٣٣هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم

بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿ الأنعام: ١٥٩

﴿ وَالَّذِينَ يُجَاجِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، مَجْهُومٌ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ

وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿ الشورى: ١٦

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمدده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأصلي وأسلم على المبعوث
رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين، والتابعين لهم
ولسنتهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد .

فقد أرسل الله ﷺ رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين، وبشيراً للمؤمنين، ونذيراً
للمخالفين، أكمل به النبوة، وختم به الرسالة، وأنزل بين يديه أفضل الكتب، فأدى الأمانة
وبلغ الأمة، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وتابع
صحابته ﷺ من بعده نشر دينه، وكثرت الفتوحات في عهد الخلفاء ﷺ حتى ضربت الأرض
شرقاً وغرباً، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، منهم من أخلص الإيمان لله وصلحت سيرته
وعلانيته، ومنهم من انكب على وجهه فتستر باسم الدين فاتسم به ظاهراً وأبطن الكفر
والبغض للإسلام وأهله، وإن من هؤلاء من أخذوا في إثارة الفتن وزرع الفرقة بين صفوف
المسلمين، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي نشر فتنة التشيع تحت
ستار حب آل البيت والتشيع لهم، وتبعه من كان على شاكلته، حتى صار التشيع وسيلة
لكل من أراد هدم الإسلام والنيل منه، وأدخل في الإسلام أفكاراً ومعتقدات من ديانات
شتى اكتست بثوب التشيع، ثم ما لبث أن انتشر هذا المذهب وهذه الأفكار انتشار النار
في الهشيم .

وسبب ذلك يعود - فيما يبدو لي - إلى أمور من أهمها:

١- جهل كثير من المسلمين بحقيقة الإسلام، ورونقه وأصالة جوهره .

- ٢- جهل الكثير بحقيقة مذهب الشيعة الرافضة ، وثقتهم بأن هؤلاء حماة أهل البيت وشيعتهم المخلصين .
- ٣- نشاط هؤلاء الروافض في نشر مذهبهم بشتى الوسائل والطرق .
- ٤- وقوف جهات خارجية وراءهم تدعمهم وتشد من أزرهم بحجة المصالحة بين المسلمين، وهي لا تريد إلا النيل من الإسلام والمسلمين .
- ٥- اغترار كثير من المسلمين بهم متناسين أو جاهلين أنه لا فائدة للإسلام أو للمسلمين من وراء من يلعن الصحابة ويكفرهم ويحكم عليهم بالردة، ويرى أن في القرآن تحريفاً ونقصاً، ثم بعد ذلك ينتظر خروج المهدي من غياهب الجب ليسفك دماء أهل السنة بدون رحمة أو هوادة، كما قرروا ذلك في كتبهم، تنفيساً عن أحقادهم الدفينة على أهل السنة والجماعة.
- وكان موضوع الولاية والإمامة أساساً لهذا المعتقد، فقالوا إن الله اختار محمداً ﷺ نبياً ورسولاً، وزعموا أنه اختار علياً ﷺ ولياً وخليفة من بعد رسوله ﷺ، وأمره أن يبلغ المسلمين بذلك، فبلغ ما أمر الله به، ولكن الصحابة ﷺ - بزعمهم - خالفوا أمره، وانتزعوا الخلافة من علي ﷺ، وارتدوا عن الإسلام، وحرفوا القرآن وكان ذلك موجباً للطعن فيهم وتكفيرهم، ثم كان أساس معتقدتهم في القرآن أن القرآن نقص وحُرف وأنه ليس بالقرآن الذي نزل بين يدي النبي ﷺ حال حياته.
- ولقد كانت بداية هذه الفرية منذ بداية الفتنة، ولكن قائلها لم يرفع بها صوتاً في زمن الصحابة والتابعين، فقد تدثر بثوب التقية، فقد كان الزمان زمان فضلاء وعلماء ومعرفة بفضل القرآن وأهله، يقول أبو بكر بن الأنباري فيما نقله عنه القرطبي رحمه الله: " لم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون شرف القرآن وعلو منزلته... حتى نبغ في زماننا هذا زائع عن الملة وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة... فزعم أن المصحف الذي جمعه عثمان ﷺ - باتفاق أصحاب رسول الله ﷺ على تصويبه فيما فعل - لا يشتمل على جميع القرآن، إذ كان قد سقط منه خمسمائة حرف... - ثم ذكر- أن هذا الزنديق أخذ يقرأ آيات من

القرآن على غير وجهها زندقة وإلحاداً، فكان يقرأ: (ولقد نصركم الله بيدري - بسيف علي - وأنتم أذلة)^١.

هذا النص قاله ابن الأنباري - رحمه الله - وهو يشير إلى أن هذا الافتراء بدأ في زمنه أي في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع، ويدل النص المذكور أيضاً على: أن مصدر هذا الافتراء من الطائفة الشيعية كما تفيدته تلك الزيادة المفتراة (سيف علي) كما يدل على أنه لم يكن للأمة المسلمة في ماضيها عهد بهذه المفتريات حتى ظهر هذا الزائغ عن الملة. ولكن المتتبع للأمر يجد أن هذا الافتراء أقدم مما يذكره ابن الأنباري، وإذا لاحظنا أن هذه الفرية مرتبطة أشد الارتباط بمسألة الإمامة والأئمة عند الشيعة، وذلك حينما بدأ شيوخ الشيعة في الاستدلال عليها فلم يجدوا في كتاب الله ما يثبت مزاعمهم في ذلك فأدى بهم هذا إلى القول بهذه الفرية وغيرها، وإذا علمنا ذلك بدا لنا واضحاً أن هذه الفرية بدأت مبكراً يقول ابن النديم: "إن هشام بن الحكم ممن فتق الكلام في الإمامة، وله من الكتب كتاب الإمامة"^٢، وقال ابن المطهر الحلي: "وكان - أي هشام - ممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب بالنظر"^٣ فإنه لا يبعد أن هشاماً هذا هو الذي تولى كبر هذا الافتراء.

ثم جاء شيخهم علي بن إبراهيم القمي، - صاحب هذا التفسير - وحشا تفسيره بهذا الافتراء الباطل، قال عنه ابن حجر في اللسان "علي بن إبراهيم أبو الحسن الحمدي رافضي جلد له تفسير فيه مصائب"^٤.

وهو عندهم ثقة قال النجاشي: "إنه ثقة في الحديث، ثبت معتمد صحيح المذهب، سمع فأكثر" وأبوه كان أصله من الكوفة وهو أول من نشر حديث الكوفيين بقم،

١ - الجامع لآيات الأحكام: ج ١/٨٢-٨٣، والآية في المصحف: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آل عمران: ١٢٣ .

٢ - الفهرست لابن النديم: ١٧٥.

٣ - رجال الحلي: ١٧٨.

٤ - لسان الميزان: ج ٤/١٩١ .

وجاء وصف هذا التفسير بأنه أصل أصول التفاسير عندهم^١ ووثق رواياته شيخ مشايخهم في هذا العصر الذي يلقبونه "بالإمام الأكبر" وهو أبو القاسم الخوئي، فقال: "ولذا نحكم بوثاقة جميع مشايخ علي بن إبراهيم القمي اللذي روى عنهم في تفسيره مع انتهاء السند إلى أحد المعصومين"^٢.

وهو - أي صاحب التفسير - شيخ الكليني صاحب كتاب الكافي المتوفى سنة (٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ) الملقب عند الشيعة بـ"ثقة الإسلام" ومؤلف ما يزعمون أنه أصح كتاب من كتبهم الأربعة المعتمدة في الرواية عندهم، ولقد ملأ كتابه بهذا الافتراء الذي نقله عن صاحب هذا التفسير.

ومما سبق نرى أنهم يعتقدون بتحريف القرآن، وأن ما بين أيدينا الآن من القرآن ليس هو ما أنزل على النبي ﷺ في زمن حياته، والسبب الرئيس لهذا الاعتقاد هو محاولتهم إثبات الولاية والإمامة، لعلي عليه السلام وذريته من بعده فلما لم يتحصل لهم ذلك في القرآن ادعوا تحريفه ونقصه عما كان، وقاموا بتأويل كثير من الآيات لتتلاءم مع هذا المعتقد، وهذا التفسير مليء بهذه الانحرافات، وهذه التأويلات الباطلة؛

لذا وبعد أن استخرت الله وشاورت أستاذي وشيخي الفاضل العلامة / الأستاذ الدكتور أمين محمد باشا، في أن أقوم بعرض هذه الافتراءات وهذه التأويلات من خلال عرض هذا التفسير، ثم أجتهد في الرد عليه ونقده ومناقشة آراءه بقدر الجهد والاستطاعة، في أطروحة أتقدم بها لقسم الكتاب والسنة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن بعنوان "منهج علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، عرض ونقد".

وكان سبب اختياري للموضوع مع ما سبق عرضه:

١. محبة النبي ﷺ ومحاوله الذب عن جنابه وعن دينه وكتابه، رغبة في المثوبة من الله ﷻ، والشفاعة منه ﷻ .

١ - مقدمة تفسير القمي: ١٠.

٢ - معجم رجال الحديث لأبي القاسم الخوئي: ج ١/٦٣.

- ٢ . منزلة هذا الكتاب عند الشيعة ومنزلة مصنفه عندهم، فالكتاب يعتبر أصلاً من أصولهم في التفسير، وصاحبه شيخ من شيوخهم المعترين.
- ٣ . إن هذه الفرقة تكثر من القول بأن مذهبها لا يختلف كثيراً عن مذهب أهل السنة، وإن اختلف ففي الفروع لا في الأصول، وأنها مظلومة ومفتري عليها - بزعمهم - ولكن الحقيقة أنه لا تلاقي بيننا وبينهم، لا تلاقي بين من يدعي كفر ونفاق الصحابة - حاشاهم - وبين من يجهم ويترضى عنهم.
- ٤ . إن هذه الطائفة لها اهتمام كبير بالدفاع عن مذهبها، ونشر الكتب الكثيرة للدعاية له، وتتبع كتب أهل السنة التي تكشف مذهبها ومحاوله الرد عليها والثأر لنفسها .
- ٥ . مهاجمتها بعنف لكل من يكتب عنها أو يتعرض لمذهبها، تحت ستار أن هذه الكتابات تعطل وتعيق مساعي التقريب والوحدة والمصالحة الإسلامية.
- ٦ . ملاحظة أن هناك من يغذي هذه الفرقة ويهيئ لها الوسائل من أعداء الإسلام للوصول بها لدفة الحكم والتوجيه السياسي وهذا هو الحادث في بعض الدول الإسلامية والعربية.
- ٧ . محاولة لكشف عوار هذا المذهب وتسييل الضوء على افتراءاتهم وأباطيلهم التي حشو بها كتبهم، ومحاوله الرد عليهم .

الدراسات السابقة:

لا أعلم أحداً صنّف عن هذا التفسير مستقلاً - فيما وصل لي من علم - غير بحث بعنوان "منهج القمي في تفسيره دراسة وتقييم" لسعادة الأستاذ الدكتور/ زيد عمر عبد الله، وذلك منشور في كلية التربية، جامعة الملك سعود بالرياض، سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ولم يتناول فضيلته في بحثه عرضاً أو نقداً لما في التفسير من آيات محرفة أو قضايا مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وكان تقويمه لمنهج المفسر جملة لا تفصيلاً.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وبابين وخاتمة وذيلته بفهارس وهي على النحو التالي:
المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجي فيه.

الباب الأول: القمي وكتابه، وقسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

تمهيد: عصر المؤلف .

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونشأته ووفاته .

المبحث الثاني: حياته العلمية.

المبحث الثالث: مذهبه وعقيدته.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الكتاب عند الشيعة ونسبته إلى مؤلفه.

المبحث الثاني: مصادره في تفسيره.

المبحث الثالث: أثر تفسير القمي على من بعده .

الباب الثاني: عرض ونقد منهج القمي في تفسيره وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: المآخذ المنهجية على تفسير القمي، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أصول التفسير عند السنة والشيعة.

المبحث الثاني: منشأ الخلاف بين السنة والشيعة.

المبحث الثالث: نقد روايات القمي.

المبحث الرابع: التفسير بالمأثور عند القمي، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن .

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: التفسير بأقوال الصحابة .

المطلب الرابع: أسباب النزول .

المطلب الخامس: القراءات.

المطلب السادس: الإسرائيليات والموضوعات .

المبحث الخامس: التفسير بالرأي عند القمي، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالباطن.

المطلب الثاني: اللغة والبلاغة .

المطلب الثالث: تفسير المبهمات .

المطلب الرابع: أسلوب الجري .

الفصل الثاني: المآخذ العقديّة في تفسير القمي وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: فرية تحريف القرآن.

المبحث الثاني: عقيدة الإمامة والولاية.

المبحث الثالث: عقيدة عصمة الأئمة .

المبحث الرابع: عقيدة تجريح الصحابة .

المبحث الخامس: عقيدة التقية.

المبحث السادس: عقيدة البداء .

المبحث السابع: عقيدة المهدي المنتظر والغيبة والرجعة.

الفصل الثالث: المآخذ الفقهيّة في تفسير القمي، وفيه ثمانية مباحث

المبحث الأول: كتاب الطهارة.

المبحث الثاني: كتاب الصلاة.

المبحث الثالث: كتاب الزكاة.

المبحث الرابع: كتاب الصيام.

المبحث الخامس: كتاب المناسك.

المبحث السادس: كتاب النكاح.

المبحث السابع: كتاب الطلاق.

المبحث الثامن: كتاب الفرائض.

الفصل الرابع: تفسير القمي في الميزان.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وذيلت الرسالة بعدد من الفهارس منها:

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس الغريب من الكلمات.

٥- فهرس البلدان والأماكن .

٦- فهرس أسماء الفرق والمذاهب.

٧- ثبت الكتب والمراجع.

٨- فهرس الموضوعات .

منهجي في البحث :

دراسة الآيات التي انحرف فيها المفسر عن جادة الصواب، وإظهار عقيدة الشيعة الفاسدة والرد عليها من كتب القوم، ومن ثم إظهار العقيدة الصحيحة أو الرأي الصحيح عند أهل السنة.

- ١- استخراج ما تضمنته الآيات من دلالات وهدايات.
- ٢- عزو الآيات إلى سورها.
- ٣- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مظانها ونقل الحكم عليها إن لم تكن في الصحيحين.
- ٤- تفسير الكلمات الغريبة في البحث إن وجدت.
- ٥- ترجمة الأعلام الواردين في البحث من أهل السنة، أما أعلام الشيعة فستكون الترجمة من كتبهم وسأكتفي بمن أجد له ترجمة عندهم، ولن أشير إلى من سبقت ترجمته من الطرفين، ولن أترجم للخلفاء الأربعة ولا لأمهات المؤمنين ولا لأصحاب المذاهب الأربعة ، لمعرفة الأمة بهم .
- ٦- التعريف بالبلدان والأماكن الواردة في البحث.
- ٧- في حالة النقل الحرفي أجعله بين علامتي تنصيص هكذا « »، مع ذكر اسم المرجع، وفي حالة التصرف أكتفي بذكر اسم المرجع.
- ٨- جعلت بيانات الكتاب في ثبت المصادر والمراجع، ولم أثبتها في الحواشي أثناء البحث.

وفي الختام أحمد الله تعالى أولاً وآخرأ ، حمداً يوافي نعمه وفضله على التوفيق والتيسير لهذا العمل، اللهم لك الحمد لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

ثم أثنى بالشكر بعد شكر الله تعالى بأحق الناس للشكر والذقي الكريمة التي اقترن دعاؤها لي خلال مدة الرسالة بالسؤال والمتابعة عن البحث والعمل في الرسالة فأسأل الله أن يديم عليها الصحة والعافية وأن يجزيها عني خير ما جزى والد عن ولده. ثم فإني أضيف الفضل لأهله الذي كان له فضل عليّ في هذه الرسالة، اقتراحاً وتوجيهاً وتقويماً ودعاءً وهو صاحب الفضيلة سعادة الأستاذ الدكتور / أمين محمد عطية باشا، المشرف على هذه الرسالة، الذي أحجني بعظيم أدبه وكرمه تواضعه وحسن تقويمه وآرائه السديدة ونظره الثاقب في هذا التخصص الدقيق وقد منحني الثقة بحسن توجيهه وعنايته ومتابعته وظنه الحسن بي وبكتابتي وبرأيي، وبتشجيعي على الكتابة رغم ما مررت به من صعوبات في هذا البحث، أسأل الله تعالى أن يرفع شأنه في العلم وبين العلماء وان يبارك له في علمه وعمله وعمره.

ثم أتوجه بالشكر لفضيلة الأستاذين العالمين الكريمين المناقشين لهذه الرسالة سعادة الاستاذ الدكتور: زيد بن علي مهارش وسعادة الاستاذ الدكتور: عثمان المهدي صديق على تفضلهما بقبول الرسالة لمناقشتها وتقييمها، سدد الله خطاهما وبارك لهما في علمهما وعملهما .

وأختتم بالشكر لهذه الجامعة المباركة في هذه البقعة المقدسة جامعة أم القرى التي أشرف بالانتساب إليها، و أتوجه بالشكر إلى كلية الدعوة وأصول الدين فقد نهلنا من علم أساتذتها الفضلاء ما لا يسعنا ذكره، وأخص بالشكر قسمي العزيز قسم الكتاب والسنة، ممثلاً في رئيسه سعادة الاستاذ الدكتور: غالب محمد الحامضي ووكيلته سعادة الدكتورة: أميرة محمد أمين كتي، وأيضاً سعادة الدكتورة: ابتسام بدر الجابري المشرفة على مكتب الدراسات العليا بالكلية.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من أعان على إنجاز هذا العمل أو شجع عليه ببعث روح الأمل أو بصدق الدعاء أو توجيه رأي أو إعارة كتاب، أو مراجعة أو غير ذلك.
 كما أتوجه بالشكر لأبنائي الأعزاء إبراهيم ومریم اللذين كانا عوناً لي بعد الله تعالى بالتحمل والصبر والمساعدة رغم انشغالي عنهما وتقصيري في حقهما أسأل الله أن يحفظهما ويدعم عليهما نعمة التوفيق والسداد دائماً.

وبعد فقد بذلت ما وسعني من جهد وأنا اعترف أنه جهد المقل المقصر والقصور والخطأ من طبع البشر لازم لا محالة فيه ، وما منا إلا راد ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ ، فإن أصبت فمن الله وحده وتوفيقه وفتحته وواسع فضله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان واستغفر الله وأتوب إليه من كل ذنب وخطيئة.

والحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

الباب الأول :
القمي وكتابه:
وفيه فصلان

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب

الفصل الأول:

التعريف بالمؤلف

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونشأته ووفاته

المبحث الثاني: حياته العلمية

المبحث الثالث: مذهبه وعقيدته

تمهيد:

عصر المؤلف.

كان المسلمون في عهد رسول الله ﷺ في وحدة وعزة ومنعة، فلما توفي النبي ﷺ واختلف المسلمون لا سيما الأنصار والمهاجرون في الخلافة خاصة أنه لم يؤثر عن النبي ﷺ نص صريح في مسألة الخلافة من بعده، بل ترك هذه المسألة من غير أن يبت فيها، ورأي أن يترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا ما أحبوا، فتدارك الأمر أبو بكر ﷺ بحكمته وسرعة بديهته وتمت له البيعة بالإجماع، وقد برهن ﷺ أنه أكفأ رجل وأنه رجل الساعة وقتئذ لأن العرب عندما سمعوا بوفاة رسول الله ﷺ ارتد كثير منهم ، ولولا شدة تمسك أبي بكر بسنة رسول الله ﷺ وقوة عزيمته وشجاعته لتغلب المرتدون وقضوا على الإسلام قضاء مبرماً، ثم إنه أوصى بالخلافة من بعده إلى عمر ﷺ، وأما عمر ﷺ فقد أوصى بالخلافة في ستة من قریش ذكر أن النبي ﷺ مات وهو عنهم راض، وهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، و الزبير بن العوام^١، وطلحة بن عبيدالله^٢،

١ - هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبدالله حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى كانت أمه تكتبه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبدالمطلب، وأكنى هو بابنه عبدالله فغلبت عليه وأسلم وله اثنتا عشرة سنة وقيل ثمان سنين. وقال النبي ﷺ: "إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير" وروى ابن سعد بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال للزبير يوم الجمل: أجمت تقاتل ابن عبد المطلب قال: فرجع الزبير فلقية ابن جرموز فقتله قال: فجاء ابن عباس إلى علي فقال: أين يدخل قاتل ابن صفية قال: النار ، وكان قتله في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وله ست أو سبع وستون سنة، وكان الذي قتله رجل من بني تميم يقال له عمرو بن جرموز قتله غدرًا بمكان يقال له وادي السباع . الإصابة في معرفة الصحابة: ج ١/٣٧٩ - ٣٨٠ .

٢ - هو: طلحة بن عبيدالله: بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي أبو محمد أحد العشرة وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذي أسلموا على يد أبي بكر وأحد الستة أصحاب الشورى، وأمها الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن الحضرمي، شهد أحدا وأبلى فيها بلأء حسناً ووقى النبي ﷺ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصبعه، رماه مروان بن الحكم بسهم فوقع في عين ركبته فما زال الدم يسبح إلى أن مات وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة وقيل جمادى الآخرة وله أربع وستون سنة. الإصابة في معرفة الصحابة: ج ٢/٦٩ - ٧٠ .

وسعد بن أبي وقاص^١، وعبدالرحمن بن عوف^٢، واختاروا من بينهم عثمان^٣.

نشأة الشيعة :

وبعد مقتل عثمان^{رضي الله عنه}، انقسمت الأمة إلى فريقين، فانضم عدد من العرب إلى علي^{رضي الله عنه}، وانضم الفريق الآخر إلى معاوية فلما استقر الأمر لبني أمية دخلوا في طاعتهم، ولم تستقر الفتن حتى انقسمت الأمة إلى جماعة وشيعة، فالجماعة هم الذين رضوا بخلافة الخلفاء الثلاثة، وأما الشيعة فهم الذين يرون أن الخلافة يجب أن تكون لعلي^{رضي الله عنه} دون الخلفاء الثلاثة وتستمر في ذريته من بعده.

وقد تسبب هذا الوضع في ظهور فتن كثيرة بين المسلمين في أواخر عهد الخلفاء الراشدين وبداية عصر بني أمية، فقد ظهرت فرقة الخوارج الذين وقفوا مع حزب الشيعة في وجه بني أمية، واستمر النزاع بين الجماعة والخوارج والشيعة طوال العصر الأموي، كما ظهر في هذا العصر الزبيريين الذين تعاضم شأنهم في الحجاز والعراق ومصر وكاد يقضي على نفوذ الأمويين في بلاد الشام، ولا يقل أثر المرجئة والمعتزلة في توجيه السياسة الإسلامية في

١ - سعد بن مالك: بن أهيب ويقال له ابن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو إسحاق بن أبي وقاص، أحد العشرة وآخرهم موتاً وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية، وكان أحد الفرسان وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وهو أحد الستة أهل الشورى. وقال عمر: إن أصابته الإمرة فذاك وإلا فليستعن به الوالي، وكان رأس من فتح العراق، وولي الكوفة لعمر وهو الذي بناها ثم عزل ووليها لعثمان. وكان بحباب الدعوة مشهوراً بذلك. مات سنة إحدى وخمسين. وقيل ست. وقيل سبع. وقيل ثمان. والثاني أشهر. وقد قيل: إنه مات سنة خمس. وقيل سنة أربع. الإصابة في معرفة الصحابة: ج ١ / ٤٣٢ .

٢ - هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو محمد. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى، واسم أمه صفية ويقال الصفاء ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم قديماً قبل دخول دار الأرقم وهاجر المحرتين وشهد بدرًا وسائر المشاهد، تصدق على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله ثم تصدق بعد بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة وكان أكثر ماله من التجارة وقيل: إنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً. مات سنة إحدى وثلاثين وقيل سنة اثنتين وهو الأشهر وعاش اثنتين وسبعين سنة وقيل ثمانياً وسبعين والأول أثبت، ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان ويقال الزبير بن العوام. الإصابة في معرفة الصحابة:

ج ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .

٣ - أسد الغابة: ج ١ / ٧٥٣ .

ذلك العصر عن هذه الفرق^١، ومن ثم ضعف نفوذ الأمويين، وكان من العوامل الهامة التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية في عصر مروان^٢، ما كان من انقسام المسلمين إلى عرب وموال - وهم المسلمون من غير العرب - وعداء الموالى لتلك الدولة وقيامهم ضدها لحمايتهم من الحقوق التي تمتع بها العرب.

بين العباسيين والعلويين:

وبينما الحرب بين العرب والموالي على أشدها إذ انتهز دعاة العباسيين هذا الظرف ونصروا الموالى، ثم بدأت طلائع الدولة العباسية بالظهور منذ أن بدأ أبو مسلم الخراساني^٣ بنشر الدعوة للعباسيين في خراسان^٤.

وتداعت الدولة الأموية حين عقد في الحجاز في أواخر العصر الأموي مؤتمر ضم أقطاب آل هاشم من العلويين^٥ والعباسيين وتناقشوا في الوسائل التي تؤدي إلى القضاء على الخلافة الأموية بعد أن اشتد البلاء بالمسلمين، ونظروا فيمن يرشح للخلافة إذا نجحت مساعيهم، فوقع اختيارهم على أحد الحاضرين وهو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية^٦.

١ - تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن: ج ١/٣٤٣ .

٢ - هو: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، بويح له بعد وفاة يزيد بن الوليد سنة سبع وعشرين ومائة، وهو رابع عشر خلفاء بني أمية وآخرهم

٣ - هو: أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عثمان، الخراساني القائم بالدعوة العباسية، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن شدوس بن جودرن من ولد بزرجمهر بن البختكان الفارسي، ولد سنة مائة من الهجرة، وقتل سنة سبع وثلاثين ومائة، وأول ظهوره بمرو، وكان في سنة تسع وعشرين ظهر في خمسين رجلاً. وفيات الأعيان: ج ٣/١٤٥، الوافي بالوفيات: ج ٦/١٠٦ .

٤ - انظر التاريخ الإسلامي العام، علي إبراهيم حسن: ٣٣٢ .

٥ - العلويون: بفتح العين، المنتسبون إلى علي بن أبي طالب الخليفة الراشد ﷺ . معجم لغة الفقهاء: ج ١/٣٢٠ .

٦ - هو: محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي الهاشمي المدني يلقب بالنفس الزكية، أحد الأمراء الأشراف من الطالبيين، ولد ونشأ بالمدينة، وسماه أهل بيته بالمهدي، وكان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء، قتل سنة خمس وأربعين وله ثلاث وخمسون وكان خرج على المنصور وغلب على المدينة وتسمى بالخلافة فقتل . تقريب التهذيب: ج ٢/٤٨٧ (٦٠١٠) .

ولكن الخلافة لم تسند إليه فيما بعد، بل أسندت إلى رجل من العباسيين هو أبو العباس^١.

ولم يعدل العلويون بعد وصول العباسيين إلى الخلافة عن المطالبة بدعواهم وظلوا يناضلون ويكافحون ابتغاء الوصول إلى الخلافة في غير طائل ، واضطهدهم العباسيون كما اضطهدهم الأمويون من قبل .

العلويون في العصر العباسي :

ولم تكن استكانة العلويين في بدء الخلافة العباسية معناها التسليم بالأمر الواقع لأنهم انتظروا حتى تنهياً لهم الأحوال فيبدأوا دور الكفاح والنضال ضد العباسيين كما فعلوا ضد الأمويين من قبل؛ ابتغاء الوصول إلى حقهم في الخلافة ، واستند العلويون في دعواهم إلى أنهم أحق بالخلافة من العباسيين لأن الحسن تنازل عن حقه في الخلافة لمعاوية وهذا التنازل كان للبيت الأموي لا العباسي^٢ .

وأيضاً من ناحية أخرى اعتقد العباسيون أن الخلافة حق شرعي لهم، ورثوه عن النبي ﷺ وكان هذا من العوامل التي ساعدت على إطالة عمر دولتهم فظلت في الحكم أكثر من خمسمائة سنة، وقد خطب أبو العباس السفاح بعد أن أخذت له البيعة في مسجد الخلافة، خطبة أشار فيها إلى أن الخلافة حق شرعي لأسرته، كما نوه بفضل آل محمد، وحمل على الأمويين لاغتصابهم الخلافة منهم.

ولقد اختلف نظام الخلافة بعد انتقاله إلى الدولة العباسية لأن تلك الدولة قامت على أكتاف الفرس الذين سخطوا على الدولة الأموية لعدم مساواتهم بالعرب في الحقوق، مع منافاة ذلك لمبدأ المساواة الذي أقره الإسلام .

١ - هو: عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس. ولد بالحميمة وأمّه ربيعة الحارثية، حدث عن إبراهيم بن محمد الإمام وهو أخوه ، مولده سنة ثمانٍ ومائة وتوفي سنة ستٍ وثلاثين ومائة بالجدري وعاش ثلاثاً وثلاثين سنة، وقال خليفة: مات ابن ثمانٍ وعشرين سنة، وبويع بالكوفة في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين ومائة؛ وهو ابن أربع وعشرين سنة وقيل ابن ثمانٍ وعشرين سنة. الوافي في الوفيات: ج ١ / ٢٤٥٩.

٢ - التاريخ الإسلامي العام: ٣٥١.

وكان من أثر ميل العباسيين للفرس أن أصبح نظام الخلافة مماثلاً لما كان عليه في بلاد الفرس أيام آل ساسان، وكما اتخذ أكاسرة الفرس الوزراء والسيافين واحتجوا عن رعيتهم مبالغة في العظمة والجبروت كذلك صار الشأن في الدولة العباسية، فأصبح الخليفة لا يخاطب الناس إلا من وراء ستور، واتخذ وزيراً وسيافاً، وأحاط شخصيته بالقداسة والرهبة وعاش عيشة الأكاسرة، وظهرت الأزياء الفارسية واحتفل بالأعياد الفارسية القديمة .

حركة العلويين في المدينة والعراق :

وكانت حركات العلويين تجري في المدينة يقودها رجلان أحدهما يعرف بمحمد النفس الزكية، ويرون فيه محمداً المهدي الذي سيخلص العالم الإسلامي مما لحقه من ظلم وجور، والثاني شقيقه إبراهيم بن عبدالله^١، وهذان الأخوان من نسل فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعرفا بالعلم والزهد والورع، ولكنهما رفضا البيعة للمنصور بالخلافة، وتبعهما في ذلك أولاد علي وجعفر وعقيل وأولاد عمر بن الخطاب والزيبر وسائر قریش والأنصار، ولذلك شعر المنصور بالقلق منهما وجد في طلبهما من غير فائدة حيث إنهما اختفيا منذ قيام الدولة العباسية، فتبع ذلك من أحداث أليمة بلغ منها تعذيب أقارب محمد وأنصاره^٢.

ولما استوثق محمد النفس الزكية من أمر أتباعه ونجاح دعوته أعلن نفسه، ويظهر أن محمداً هذا لم يحسن اختيار الوقت الذي يخرج فيه من مكمنه، فقد طار خير ظهوره إلى المنصور فأخذ عدته للأمر لأنه موقن من النتائج الخطيرة التي تترتب على التهاون مع مثل هذا الرجل، فقد خرج محمد في نحو مئتين وخمسين رجلاً، وتوجه إلى السجن وأخرج من فيه وأمر بحبس عامل المنصور على المدينة المنورة، وخطب أهلها خطبة كلها طعن في المنصور والدولة العباسية، وسرعان ما سير المنصور إليه جيشاً ضخماً بقيادة عيسى بن

١ - هو: إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب: أحد الأمراء الأشراف الشجعان، خرج بالبصرة على المنصور العباسي، فبايعه أربعة آلاف مقاتل، وخافه المنصور فتحول إلى الكوفة، وكثرت شيعه إبراهيم فاستولى على البصرة وسير الجموع إلى الأهواز و فارس وواسط وهاجم الكوفة فكانت بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة، إلى أن قتله حميد بن قحطبة. عام ١٤٥ هـ . سير أعلام النبلاء: ج ٨ / ٣٠٢ .

٢ - انظر: الكامل في التاريخ: ج ٣ / ٢٣-٢٥ .

موسى^١، ولكنه أحب أن يتقدم إلى محمد قبل القتال بالدعوة السلمية، ولكن هذه الدعوة لم تؤت أكلها إذ ما لبث أن انتهى الأمر بقتل محمد وأرسل رأسه إلى المنصور، وعاقب الخليفة المدينة عقاباً شديداً وقطع المؤمن عنها وصادر أموال بني الحسن، وبقي بعد ذلك أخوه إبراهيم الذي استقر في البصرة، وكان المنصور يخشى أمره لأن معظم أهل العراق كانوا من شيعة علي، ثم إن إبراهيم أخذ البيعة سراً من الناس وأعلن الثورة واستولى على البصرة والأقاليم المجاورة لها في فارس والعراق فاستولى الهلع على المنصور، وبعث إليه بالجيش الذي قاتل به أخاه محمداً من قبل، فرأى إبراهيم أن يهاجم الكوفة حتى تنضم إليه لأن أهلها شيعة ولكنه عندما بدأ بالهجوم دارت الواقعة بينه وبين جيش المنصور وهزم إبراهيم وقتل، وهكذا قضى المنصور على العلويين _ في زمانه _^٢.

وتولى بعد المنصور ابنه المهدي^٣ وكان عهده عهد لين وترف على الناس بعد الشدة التي أصابتهم في عصر أبيه فقد كان المنصور يؤسس ملكاً له خصوم، فكان يكتفي بالريبة والمظنة فيعاقب بهما، أما في عهد المهدي فقدت توطدت الخلافة وكسرت أنياب العلويين، وإن كانت قد بقيت لهم بقايا يتطلعون للخلافة، فهم لا يحتاجون في الاحتراس منهم إلى مثل ما كان المنصور يحتاج إليه من الشدة فإن كبارهم قد وضعوا تحت نظر الخليفة ببغداد

١ - هو: عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، ولي العهد، أبو موسى الهاشمي، عاش خمسة وستين سنة، وكان فارس بني العباس، وسيفهم المسلول، جعله السفاح ولي عهد المؤمنين بعد المنصور، وهو الذي انتدب لحرب ابني عبدالله بن حسن، فظفر بهما، وقتلا، وتوطدت الدولة العباسية به، وقد تحيل عليه المنصور بكل ممكن، حتى أخره، وقدم في العهد عليه المهدي، فيقال: بذل له بعد الرغبة والرغبة عشرة آلاف درهم، توفي سنة ثمان وستين ومئة بالكوفة. سير أعلام النبلاء: ج ٧ / ٤٣٤ - ٤٣٥ .

٢ - انظر: التاريخ الإسلامي العام: ٣٥٤ - ٣٥٧ .

٣ - هو: المهدي الخليفة، أبو عبدالله محمد بن المنصور أبي جعفر عبدالله بن محمد بن علي، الهاشمي العباسي، مولده بإبذج - إبذج: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان، وهي أجل مدن الكورة - من أرض فارس، سنة سبع وعشرين، وقيل: في سنة ست، وأمّه أم موسى الحميرية، كان جواداً ممدحاً معطاءً، محبباً إلى الرعية، قصاباً في الزنادقة، باحثاً عنهم، مليح الشكل ولما اشتد، ولأه أبوه مملكة طبرستان، وقد قرأ العلم، وتأدب وتميز، غرم أبوه أموالاً حتى استنزل ولي العهد ابن أخيه عيسى بن موسى من العهد للمهدي، ولما مات المنصور، قام بأخذ البيعة للمهدي . سير أعلام النبلاء: ج ٧ / ٤٠٠ - ٤٠١ .

والذين بالمدينة اكتفى بمراقبة الأمير لهم، ولذلك كانت حياة المهدي سعيدة له ولأمتة، وكان حريصاً على اتباع سنة رسول الله ﷺ^١.

أما في عصر موسى الهادي بن المهدي^٢ فقد ثار بالمدينة الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب^٣، مع كثير من العلويين، اعتراضاً على التضييق على أهل البيت والخط من كرامتهم، فقد قصد أتباعه دار الإمارة ولكن عاملها تحصن بها ثم كسروا السجون وأخرجوا من فيها، وبويع الحسين، على أن هذه الثورة لم تؤد إلى نتيجة ما، حيث فر الحسين إلى مكة وبعث الهادي إليه جيشاً هزمه في فخ^٤، وقتل معه بعض أهل بيته،

١ - انظر: تاريخ الأمم الإسلامية: ٨٧-٩٥ .

٢ - هو: الهادي الخليفة، أبو محمد موسى بن المهدي، محمد بن المنصور عبد الله الهاشمي العباسي، ولي عهد أبيه، فلما مات أبوه، تسلم الخلافة، وكان بمرجان، فأخذ له البيعة أخوه، قال ابن حزم: كان سبب موته أنه دفع نديماً له من جرف، على أصول قصب قد قطع، فتعلق به النديم، فوقع معه، فدخلت قصبه في دبره، فكان ذلك سبب موته، فهلكا جميعاً، مات في شهر ربيع الآخر، سنة سبعين ومئة، وعمره ثلاث وعشرون سنة، وكانت خلافته سنة وشهراً، وقام بعده الرشيد. سير أعلام النبلاء: ج ٤٤١/٧ - ٤٤٢، البداية والنهاية: ١٠/١٥٧ .

٣ - هو: الحسين الطالبي الحسين بن علي بن الحسن (المثلث) بن الحسن (المثنى) بن الحسن (السيط) بن علي بن ابي طالب، أبو عبدالله، المعروف بصاحب فخ: شريف من الشجعان الكرماء. ت ١٦٩ هـ، قدم على (المهدي) العباسي فأعطاه أربعين ألف دينار، ففرقها في الناس ببغداد والكوفة، ثم رأى من (الهادي) ما أحفظه، فخرج عليه في المدينة، وبايعه الناس على الكتاب والسنة للمرتضى من آل محمد، فانتدب الهادي لقتله بعض قواده، فناجزوه إلى أن قتلوه بمكة وحملوا رأسه إلى الهادي، فأظهر الحزن عليه. الكامل في التاريخ: ج ٨٠/٣ ، الأعلام للزركلي: ج ٢/ ٢٤٤ .

٤ - فخ: بفتح أوله وتشديد ثانيه ، وهو واد بمكة، وقال السيد علي: الفخ وادي الزاهر ويروي قول بلال : ألا ليت شعري هل أبيت ليلة ... بفخ وعندي إذخر وجليل . معجم البلدان : ج ٣ / ٣١١ ، وكتب الاستاذ الشيخ محمد حسين نصيف تعليقا على كلمة (فخ) في نسخته من تاريخ ابن خلدون ، قوله: (فخ) هو المسمى اليوم بالشهداء . تاريخ بن خلدون، انظر: ج ٣: ٢١٥، نقلاً عن : الأعلام للزركلي: ج ٢/ ٢٤٤ .

وعلى إثر ذلك هاجر العلويون إلى الغرب وهناك أسس إدريس بن عبد الله^١ أخو محمد النفس الزكية دولة عرفت فيما بعد بدولة الأدارسة، ومهد قيام هذه الدولة إلى قيام دولة أخرى هي الدولة الفاطمية في شمالي إفريقيا، وبذلك انتاب الدولة العباسية في هذه المرحلة تيار التجزؤ إلى دويلات صغيرة .

العلويون في عهد هارون الرشيد :

وتابع العلويون ثوراتهم في عهد هارون الرشيد^٢ رغم أنه أراد استمالتهم إليه حتى إنه أطلق سراح كثير ممن كان منهم في بغداد ، إلا أنهم لم يعدلوا عن اعتقادهم الراسخ في أحقيتهم للخلافة فقاموا بزعامة رجلين منهم أحدهما : يحيى بن عبد الله بن الحسن العلوي^٣ أخو محمد المعروف بالنفس الزكية ،

١ - هو: إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب: مؤسس دولة الأدارسة في المغرب. وإليه نسبتها ، أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسين بن علي بن الحسن المثلث، في المدينة، أيام ثورته على الهادي العباسي سنة ١٦٩ هـ ثم قتل الحسين، فانهزم إدريس إلى مصر فالمغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـ، ونزل بمدينة ويلي (على مقربة من مكناس وهي اليوم مدينة قصر فرعون) ثم جمع البربر على القيام بدعوته، وخلع طاعة بني العباس، فتم له الأمر، وعظم أمر إدريس فاستمر إلى أن توفي سنة ١٧٧ هـ مسموما في ويلي. الكامل في التاريخ: ج٣/٨١ ، مقاتل الطالبين: ج١/١٢٩ .

٢ - هو: الرشيد الخليفة، أبو جعفر هارون، بن المهدي محمد، بن المنصور أبي جعفر عبد الله، بن محمد، بن علي، ابن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، استخلف بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي في سنة سبعين ومئة بعد الهادي، ومات غازيا بخراسان، وقبره بمدينة طوس، عاش خمسا وأربعين سنة، وصلى عليه ولده صالح، توفي في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومئة . سير أعلام النبلاء: ج ٩/ ٢٨٦ - ٢٩٠ .

٣ - هو: يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، من كبار الطالبين في أيام موسى الهادي وهارون الرشيد العباسيين، ربه جعفر الصادق في المدينة، فروى الحديث وتفقه، وكان مع ابن عمه (الحسين بن علي ابن الحسن) في ثورته بالمدينة واستيلائه عليها، أيام موسى الهادي، وحضر مقتله في معركة " فخ " سنة ١٦٩ هـ، ونجا فدعا إلى نفسه، فبايعه كثير من أهل الحرمين واليمن ومصر، وعاد إلى المشرق فدخل العراق متكررا، وقصد بلاد الري وخراسان فوصل إلى ما وراء النهر، واشتد "الرشيد" في طلبه، فانصرف إلى خاقان (ملك الترك) وخرج إلى طبرستان، فبلاد الديلم ، وأعلن بها دعوته (سنة ١٧٥) وكثر جمعه، فندب الرشيد لحربه الفضل بن يحيى البرمكي في خمسين ألفا، وضعف أمر الطالب، وخاف أن يغدر به ملك الديلم، فطلب أمان الرشيد فأجابته بخطه، واستقدمه إلى بغداد، فدخلها، وأغدق عليه الرشيد عطاياها، إلى أن بلغه أنه يدعو لنفسه سرا، فحبسه عند الفضل بن يحيى، واستمر إلى أن مات في حبسه سنة ١٨٠ هـ. الأعلام للزركلي: ج ٨ / ١٥٤ .

وهو صاحب الديلم^١، والآخر هو إدريس الذي فر إلى المغرب، أما يحيى فقد تحصن في طبرستان^٢ وجمع إليه عدد كبير من الشيعة لتدبير أمر الثورة ضد العباسيين ولما استفحل أمره أرسل إليه الرشيد جيشاً كبيراً، ولكن قائد الجيش رأي ألا يقاتله بل يفاوضه فرضي يحيى بذلك وأخذ الأمان من الرشيد وأجرى له الأرزاق وأكرمه، ثم ما لبث يحيى أن نقض الأمان وحبس وظل في الحبس حتى مات .

أما إدريس فقد التف عليه البربر^٣ فكان هناك أول خلافة للعلويين وهي دولة الأدارسة ، ثم فتح بلاد تلمسان^٤ ثم عزم على غزو إفريقية، ولكن الرشيد لم يمهله بل أرسل

١ - الديلم: هم من نسل ماذاي بن يافث وماذاي معدود في التوراة من ولد يافث، وقيل إنهم من ولد سام بن باسل ابن آشور بن سام وآشور مذكور في التوراة من ولد سام، ومواطن الديلم بجبال طبرستان وجرجان إلى جبال الري وكيلان وحفافي البحيرة المعروفة ببحيرة طبرستان من لدن أيام الفرس وما قبلها ولم يكن لهم ملك فيما قبل الإسلام، ولما جاء الله بالإسلام افتتحوا الأقاليم بالمشرق والمغرب والجنوب والشمال، وكان الديلم على دين المجوسية ولم تفتح أيام الفتوحات وإنما كانوا يؤدون الجزية، وكان سعيد بن العاص قد صالحهم على مائة ألف في السنة وكانوا يعطونها وربما يمنعونها ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد وكانوا يمنعون الطريق من العراق إلى خراسان على قومس، إلى أن بعث المهدي سنة ثمان وتسعين يحيى الحرشي في أربعين ألفاً من العساكر فنزل طبرستان وأدعن الديلم له. تاريخ ابن خلدون: ١٥.

٢ - طبرستان: بفتح أوله وثانيه وكسر الراء والنسبة إلى هذا الموضع الطبري، وهي بلدان واسعة كثيرة خرج من نواحيها الكثير من أهل العلم والأدب والفقه، وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم. انظر معجم البلدان: ج ٣ / ٥٠١ - ٥٠٢.

٣ - البربر: هو اسم يشمل قبائل كثيرة في جبال المغرب أولها برقة ثم إلى آخر المغرب والبحر المحيط وفي الجنوب إلى بلاد السودان وهم أمم وقبائل لا تُحصى ويقال لمجموع بلادهم بلاد البربر، وقد اختلف في أصل نسبهم فأكثر البربر تزعم أن أصلهم من العرب وهو بُهتانٌ منهم وكذب، والأكثر والأشهر في نسبهم أنهم بقية قوم جالوت لما قتله طالوت هربوا إلى المغرب فتحصنوا في جبالها وقتلوا أهل بلادها ثم صالحوهم على شيءٍ يأخذونه من أهل البلاد وأقاموا هم في الجبال الحصينة، معجم البلدان: ج ١ / ٢٦١ - ٢٦٢.

٤ - تلمسان: بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة وبعضهم يقول تَنَمَسَان بالنون عوض اللام بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رَمِيَّةٌ حجر إحداهما قديمة والأخرى حديثة والحديثة اختطها المسلمون ملوك المغرب واسمها تافرتز فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس واسم القديمة أقادير يسكنها الرعية فهما كالفُسْطَاط والقاهرة من أرض مصر، معجم البلدان: ج ١ / ٤٢٤.

إليه رجلاً احتال عليه ودس له سمّاً إما في طيب أو سنون^١ فقتله وفر هارباً، ولم يكن له ولد إلا أمة كانت حاملاً فانتظروها فوضعت ولداً ذكراً سمي إدريس على اسم أبيه وبإيعوه واستمرت دولة الأدارسة رغم أنف الرشيد .

وكان الرشيد بسبب هذه الحوادث نخشى العلويين جداً ومن اتهم من الناس بالميل إليهم عاقبه أشد العقوبات، وأخذ موسى بن جعفر المعروف بالكاظم إلى بغداد فأقام بها حتى مات، وهو سابع أئمة الشيعة الإمامية^٢.

ولم تكن اضطرابات الدولة العباسية قاصرة على العلويين فقط وإنما كان هناك فرق أخرى شاركتهم حال الفوضى والاضطراب من هؤلاء عرب الشام، و اضطرابات الخوارج

١ - السنون: كصبور ما استكت به، وقال الراغب دواء يعالج به الأسنان زاد غيره مؤلف من أجزاء لتقوية الأسنان وتطريتها، تاج العروس: ج ١ / ٨٠٧٥.

٢ - يدعي الشيعة الإمامية بإمامة اثني عشر إماماً هم على التوالي :

- ١- علي بن أبي طالب عليه السلام ويلقبونه بالمرتضى وكنيته أبو الحسن ولد سنة ٢٣ قبل الهجرة وتوفي سنة: ٤٠ هـ .
- ٢- الحسن بن علي عليه السلام ويلقبونه بالمجتبى وكنيته أبو محمد ولد سنة ٥٢ هـ ، وتوفي سنة : ٥٠ هـ .
- ٣- الحسين بن علي عليه السلام ويلقبونه بالشهيد وكنيته أبو عبد الله ، ولد سنة ٥٣ هـ وتوفي سنة : ٦١ هـ .
- ٤- علي بن الحسين بن علي ويلقبونه زين العابدين أو السجاد وكنيته أبو محمد ولد سنة ٣٨ هـ وتوفي سنة ٩٥ هـ .
- ٥- محمد بن علي بن الحسين ويلقبونه بالباقر وكنيته أبو جعفر ولد سنة ٥٧ هـ وتوفي سنة ١١٤ هـ .
- ٦- جعفر بن محمد بن علي الحسين ويلقبونه بالصادق وكنيته أبو عبد الله ولد سنة ٨٣ هـ وتوفي سنة ١٤٨ هـ .
- ٧- موسى بن جعفر الصادق ويلقبونه بالكاظم وكنيته أبو إبراهيم ولد سنة ١٢٨ هـ وتوفي : ١٨٣ هـ .
- ٨- علي بن موسى بن جعفر ويلقبونه بالرضا وكنيته أبو الحسن ولد ١٤٨ هـ وتوفي سنة ٢٠٣ هـ .
- ٩- محمد بن علي بن موسى ويلقبونه بالجواد أو بالتقي وكنيته أبو جعفر ولد سنة ١٩٥ هـ وتوفي سنة ٢٢٠ هـ .
- ١٠- علي بن محمد بن علي ويلقبونه بالهادي وكنيته أبو الحسن ولد سنة ٢١٢ هـ وتوفي سنة ٢٥٤ هـ .
- ١١- الحسن بن علي بن محمد ويلقبونه بالعسكري وكنيته أبو محمد ولد سنة ٢٣٢ هـ وتوفي سنة ٢٦٠ هـ .
- ١٢- محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه بالمهدي وقيل القائم المنتظر وهو الغائب الموهوم وقيل أنه ولد سنة ٢٥٦ هـ ولم يره أحد وغاب غيبة صغرى سنة ٢٦٠ هـ وغيبة كبرى ٣٢٩ هـ فقد دخل في سرداب في دار أبيه بسر من رأى ولم يخرج إلى الآن. - حفظ الله علينا عقولنا - انظر: الفرق الإسلامية : ٨٠ ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة : ١٨١ ، وفيات الأئمة .

في حرسان وبلاد ما وراء النهر، وكل ذلك سبب كثرة الفتن والقتال في الدولة، وتجزئتها إلى أجزاء .

الخلافة العلوية في عهد المأمون :

ثم إن وضع العلويين اختلف في عصر المأمون بن الرشيد^١، فقد ظهرت فتنة في العراق ضد العباسيين قام بها العلويون كي يصلوا إلى الخلافة، فكانت لهم الغلبة وتمكنوا من تولية الولاية على مكة والمدينة وسائر بلاد العرب ثم احتلوا الكوفة وواسط وأقاموا في العراق حكومة علوية، ولكن سرعان ما انهزم العلويون وعاد النفوذ والسلطان للعباسيين، ولكن العلويين لم يفقدوا الأمل في إقامة خلافة علوية، وكان نفوذ الفضل بن سهل^٢ وزير المأمون - الفارسي الشيعي - قد وصل إلى الذروة عند المأمون فعمل على تحقيق ما تصبو إليه الشيعة - وهو تحويل الخلافة من العباسية إلى العلوية - ومن الغريب أن المأمون هو الذي أتم التحويل بأن أمر أن يحصى بنو العباس كي يتبين أجدرهم بالخلافة من بعده، فيسند إليه ولاية العهد،

ولم يجد هذا الشخص فأعلن أنه تمثل في العلويين في شخص علي الرضا^٣ - الإمام الثامن للشيعة الإثني عشرية، وقصد المأمون من إسناد ولاية العهد لعلي الرضا إنصاف

١ - هو: أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي، قال الذهبي: "ولد سنة سبعين ومئة، وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ وعمل الرصد فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ، نسأل الله السلامة، ثم قال في موضع آخر "أما مسألة القرآن، فما رجع عنها، وصمم على امتحان العلماء في سنة ثمان عشرة، وشدد عليهم، فأخذه الله". سير أعلام النبلاء: ج ١٠/٢٧٣ - ٢٨٣، فوات الوفيات: ج ٢/ ٢٣٨ .

٢ - هو: الفضل بن سهل، أبو العباس السرخسي، أخو الحسن بن سهل، أسلم على يد المأمون سنة تسعين ومائة، وقيل: إن أبا سهل أسلم على يد المهدي، ووزر الفضل للمأمون واستولى عليه حتى ضايقه في جارية أراد شرائها، وكانت له فضائل، وكان يلقب ذا الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف. وكان يتشيع. وكان من أخبر الناس بعلم النجامة، وأكثرهم إصابة في أحكامه. الوافي بالوفيات: ج ٧/ ١٧٣ .

٣ - هو: علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي الملقب بالرضا (١٤٨ - ٢٠٣ هـ) ولد بالمدينة وكان من أهل العلم والفضل مع شرف النسب،

العلويين مما حاق بهم من ظلم واضطهاد منذ مقتل الحسين بن علي، فضربت الدراهم باسمه وخطب له مع الخليفة على المنابر وزوجه ابنته أم حبيب، وزوج ابنه محمد الجواد ابنته الأخرى أم الفضل، ولكن ما لبث علي الرضا أن مات مسموماً بطوس، وعاد الأمر للعباسيين ومنع منه العلويون^٢.

ومن الجدير بالذكر أن عصر المأمون كان من أزهى عصور العلم في الدولة العباسية لميل المأمون نفسه إلى العلوم والمعارف فقد أمد بيت الحكمة الذي أسسه أبوه الرشيد بالكتب في مختلف العلوم والفنون مما جلبه من بلاد الهند والروم والفرس وغيرها، ونهضت حركت الترجمة من اللغات الأخرى خاصة اليونانية والفارسية إلى العربية، وكان أيضاً يميل إلى حب البحث مما دفعه إلى إيجاد مجالس المناظرة حتى يتمكن من خلالها من إزالة الخلاف بين العلماء فيما يدلون به من آراء علمية.

واشتغل الناس أيضاً في عهد المأمون بعلوم الدين والحديث وظهر المجتهدون الذين يحاولون تفسير ما هو محل الاختلاف، واجتهد المأمون في بحث مسألة القرآن وخلقه، وعقد لهذا الغرض مجالس للمناظرة وكثر الجدل والنقاش في هذه المسألة، ولكنه حمل الناس على القول بخلق القرآن، وتهدد الموظفين بأن من يخالف هذا القول يفقد وظيفته، وظهر في

وكان يفتي في مسجد رسول الله ﷺ وهو ابن نيف وعشرين سنة، ومات مسموماً في ماء الرمان في طوس بخرسان ومشهده بما معروف بزار، روى عن أبيه وعبيد الله بن أرطأة، وروى عنه ابنه محمد وأبو عثمان المازني، وعلي بن علي الدعبلبي وأيوب بن منصور النيسابوري، وأبو الصلت بن صالح والمأمون بن الرشيد، وأبو جعفر التمار وغيرهم. وكان المأمون يعزه ويقربه، وقد وضعت عليه عدة نسخ ليست من حديثه بل هي كذب عليه وعلى آبائه وقد نبه عليها الحفاظ وقالوا الخلل في رواياته عن روايته فإنه ما روي عنه إلا متروك. تهذيب التهذيب: ج ٧ / ٣٨٧ .

١ - هو: أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، المعروف بالجواد، أحد أئمة الشيعة الاثني عشر، قدم إلى بغداد وافداً على المعتصم، ومعه امرأته أم الفضل ابنة المأمون، فتوفي بها، وحملت امرأته إلى قصر عمها المعتصم فجعلت مع الحریم، وكانت ولادته سنة خمس وتسعين مائة، وتوفي سنة عشرين مائتين، وقيل تسع عشرة ومائتين ببغداد، ودفن في الكاظمية بجوار جده موسى بن جعفر. وفيات الأعيان: ج ٤ / ١٧٥ .

٢ - انظر تاريخ الرسل والملوك: ج ٥ / ١٤٨، والبداية والنهاية: ج ١٠ / ٢٤٩ .

عهد كبار علماء ورؤساء الاعتزال أمثال محمد بن الهذيل العلاف^١ وإبراهيم بن سيار النظام^٢ وبشر بن غياث المريسي^٣، و عمر بن بحر الجاحظ^٤.

١ - هو: محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف البصري: من أئمة المعتزلة، اشتهر بعلم الكلام كف بصره في آخر عمره، وحرف آخر عمره إلا أنه لا يذهب عليه شيء من الأصول لكنه ضعف عن المناظرة ومحاجة المخالفين له، له كتب كثيرة، منها كتاب سماه (ميلاس) على اسم مجوسي أسلم على يده. الوافي بالوفيات: ج ٢/١٤٨ - ١٤٩، الأعلام للزركلي: ج ٧/١٣١.

٢ - هو: إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري، أبو اسحاق النظام: من أئمة المعتزلة، تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت (النظامية) نسبة إليه، وشهرته بالنظام من إجادته نظم الكلام، سقط من غرفة وهو سكران فمات وذلك في خلافة المعتصم أو الواثق سنة بضع وعشرين ومائتين. الفرق بين الفرق: ١٣١، سير أعلام النبلاء: ج ١٠/٥٤٢.

٣ - هو: بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، أبو عبد الرحمن، رأس الطائفة المريسية، كان من أصحاب الرأي، أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي، إلا أنه اشتغل بعلم الكلام، جادل في القول بخلق القرآن، وناظر عليه واحتج له، ودعا إليه حكى عنه أقوال شنيعة كفره أهل العلم بسببها منها: القول بخلق القرآن، وتعطيل الصفات مات سنة ٢١٨ هـ. الوافي بالوفيات: ج ٣/٣٧٩، وفيات الأعيان: ج ١/٢٧٧ (١١٥).

٤ - هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكتاني بالولاء الليثي أبو عثمان الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ورئس من رؤوس المعتزلة ولد في البصرة سن ١٦٣ هـ وتوفي بها سنة ٢٥٥ هـ، وكان مشوه الخلق سقطت عليه مجلدات من الكتب فقتلته، له تصانيف منها الحيوان، والبيان والتبيين وسحر البيان والبخلاء، سير أعلام النبلاء: ج ١١/٥٢٦.

عصر علي الهادي والحسن العسكري :

وسار المعتصم بن الرشيد^١ على سياسة أخيه في حمل الناس على القول بخلق القرآن، وزاد على ذلك بأن ألقى أذى بكل من يعترف بغير ذلك من العلماء فأهان الإمام أحمد ابن حنبل إهانة بالغة وسجنه، وأصبح كل عالم أو قاض هدفاً لأن يضرب بالسياط أو التعذيب إذا خالف رأي المعتزلة في ذلك، وتابع أيضاً سياسة الشدة التي اتبعها العباسيون _ فيما عدا المأمون _ مع العلويين، وكان من أولها أنه تخلص من محمد الجواد بن علي الرضا، حتى لا تحدثه نفسه بالخلافة، وأن أباه علياً الرضا قد ولاه الخليفة المأمون العهد قبل وفاته وبذلك تؤول الخلافة إليه بعد وفاة أبيه، وتولى الإمامة بعده ابنه أبو الحسن علي الهادي^٢ عاشر أئمة الشيعة، وكان سنه حين مات أبوه سبع سنين.

١ - هو: محمد بن هارون أمير المؤمنين أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد بن المهدي ابن المنصور، ولد سنة ثمانين ومائة وأمه أم ولد اسمها ماردة، بويغ بعد المأمون بعهد منه إليه كان ذو شجاعة وقوة وهمة عالية، وكان يقال له المثنى لأنه ثامن خلفاء بني العباس، وكان عرياً من العلم، يكتب ويقرأ ضعيفاً، وغزا عمورية وفتحها وقتل ثلاثين ألفاً وسي مثلهم، وكان من أهيب الخلفاء، وامتحن العلماء بخلق القرآن، ولكثرة عسكره وضيق بغداد عليه بنى سر من رأى وانتقل إليها بعسكره وسميت العسكر وذلك سنة إحدى وعشرين ومائتين، ومات سنة سبع وعشرين ومائتين وصلى ابنه الواثق عليه، الواثق بالوفيات: ج ٢ / ١٤١.

٢ - هو: أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا، حفيد أبو الحسن علي الرضا، فمعروف نسبه ويعرف بالعسكري؛ وهو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان قد سعى به إلى المتوكل وقيل إن في منزله سلاحاً وكتاباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه، فوجه إليه بعدة من الأتراك فمثل بين يديه، والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شيء مما قيل عنه ولا حالة يتعلق عليه بها، وكانت ولادته سنة أربع عشرة وقيل ثلاث عشرة ومائتين. ولما كثرت السعاية في حقه عند المتوكل أحضره من المدينة وكان مولده بها، وأقره بسر من رأى وهي تدعى بالعسكر، ولهذا قيل لأبي الحسن المذكور العسكري لأنه منسوب إليها، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر. وتوفي بها سنة أربع وخمسين ومائتين، ودفن في داره، وفيات الأعيان: ج ٣ / ٢٧٢ - ٢٧٣.

وأما المتوكل على الله^١ فقد امتاز عصره عن سائر أهل بيته بعدم التشيع لعلي بن أبي طالب ﷺ وأهل بيته ولا محبتهم، وهذا ما يعرف عند الشيعة بالنصب، ومن آثاره أنه أمر بهدم قبر الحسين بن علي بكربلاء وهدم ما حوله من المنازل والدور، منع الناس من إتيانه، وجاء بإمام الإمامية في عهده أبو الحسن علي الهادي من المدينة إلى سامراء التي كانت تعرف بالعسكر فلقب بالعسكري، وظل مقيماً بها حتى مات في زمن أبي عبدالله المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد^٢.

فتولى الشيعة بعده ابنه الحسن العسكري^٣ وهو الحادي عشر من أئمتهم، ولم يكن المتوكل كمن قبله في حب النظر والجدل، بل كان ميالاً للتقليد فأمر بترك النظر والمباحثة والترك لما كان عليه الناس أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث وإظهار السنة ورفع شأن السنة وأخذ نار الفتن .

١ - هو: جعفر بن محمد، أبو الفضل المتوكل على الله، ابن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، بويغ له بالخلافة بعد موت أخيه هارون الواثق بمشاورة في ذلك في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومعتن، وولد سنة سبع ومعتن وقتل سنة سبع وأربعين ومعتن، وأمه أم ولد اسمها شجاع، ولما استخلف أظهر السنة وتكلم بها في مجلسه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم، وقال إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة: الخلفاء ثلاثة، أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا، وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بني أمية، والمتوكل محابدة وأظهر السنة. الواقي بالوفيات: ج ٤ / ٢٨ - ٢٩ ، وفیات الأعيان: ج ١ / ٤٧٦ .

٢ - هو: المعتز بالله محمد بن جعفر ويقال الزبير ويقال أحمد أمير المؤمنين المعتز بالله ابن أمير المؤمنين جعفر المتوكل ابن أمير المؤمنين المعتصم، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومأتين ولم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه بويغ عند عزل المستعين بالله سنة اثنتين وهو ابن تسع عشرة سنة في أول السنة وكتب بذلك إلى الآفاق فلم يلبث المؤيد أن مات وخشى المعتز أن يتحدث أنه الذي احتال عليه وقتله فاحضر القضاة حتى شاهدوه وليس به أثر وكانت خلافته ثلاث سنين وستة أشهر وأربعة عشر يوماً ومات عن أربع وعشرين سنة ، الواقي بالوفيات: ج ١ / ٢٦٩ ، سير أعلام النبلاء: ج ١٢ / ٥٣٢ .

٣ - هو : الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد الحسيني الهاشمي: أبو محمد، الامام الحادي عشر عند الامامية، ولد في المدينة سنة ٢٣٢هـ ، وانتقل مع أبيه (الهادي) إلى سامراء (في العراق) وكان اسمها (مدينة العسكر) فقيل له العسكري كأبيه نسبة إليها ، وكان على سنن سلفه الصالح تقي ونسكا وعبادة وتوفي بسامراء سنة ٢٤٦هـ. سير أعلام النبلاء: ج ٣ / ١٢١ ، الأعلام للزركلي: ج ٢ / ٢٠٠ .

وفي عهد المعتمد على الله^١ توفي أبو محمد الحسن العسكري بن علي الهادي وكانت وفاته بسامراء ودفن بجانب أبيه علي الهادي واختلفت الشيعة الإمامية بعده اختلافاً كبيراً وجمهورهم على أن الإمام بعده ابنه محمد العسكري وهو الثاني عشر من أئمتهم قالوا إنه دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء، وأمه تنظر إليه فلم يخرج إليها، وسيظهر فيملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ويسمونه المنتظر والقائم والمهدي، والشيعة الإمامية ينتظرون خروجه من ذلك السرداب، وهم يدعون بقاءه في السرداب وأنه صاحب الزمان، وأنه حي يعلم علم الأولين والآخرين، ويعترفون أن أحداً لم يره أبداً.^٢

ويقول غيرهم إن الحسن العسكري لم يعقب وإن سلسلة الأئمة انقطعت بوفاته وبعضهم يتولى أخاه جعفر بن علي .

أبرز علماء السنة في هذا العصر :

وفي هذا العصر ظهر عدد من كبار علماء السنة كالإمام أحمد بن حنبل، الإمام البخاري^٣،

١ - هو: أحمد بن جعفر المعتمد على الله أبو العباس ابن أمير المؤمنين المتوكل بن المعتصم، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين بسر من رأى وأمه رومية اسمها فتيان، توفي فجأة ببغداد سنة تسع وسبعين ومائتين وحمل ودفن بسر من رأى، واستخلف بعد قتل المهدي بالله سنة ست وخمسين ومئتين، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أيام والصحيح ثلاثة أيام، قيل إنه سم في رؤوس الجداء وقيل بل غم في بساط وقيل سم في كأس وقيل إن الذين أكلوا معه الرؤوس ماتوا، وكان مهموكاً على اللذات فاستولى أخوه الموفق على الأمور وكان يشرب ويعربد على الندماء واستخلف بعده المعتضد ابن أخيه الموفق، الوافي بالوفيات: ج ٢ / ٣١٨، سير أعلام النبلاء: ج ١٢ / ٥٤٠.

٢ - تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤ / ٤٨٩ .

٣ - هو: إمام أهل الحديث الحافظ المقتدى به والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه صاحب الصحيح الذي أجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدرية الجعفي مولاهم أبو عبدالله البخاري (١٩٤هـ - ٢٥٦هـ)، سير أعلام النبلاء: ج ١٢ / ٣٩١ - شذرات الذهب: ج ٢ / ١٣٥ .

الإمام مسلم^١ والإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري^٢، وازدهر فيه تأليف الكتب سواء في التفسير أو الحديث أو العلوم الأخرى .

وفي هذا العصر الذي استمر النزاع فيه بين العباسيين وبنو عمومتهم العلويين من أول خليفة إلى آخر خليفة مما أدى إلى ضعف الدولة وتجزئتها وانتشار الفوضى والفتن، ولد ونشأ صاحب هذا التفسير وإن كان هناك غموض وراء مولده ونشأته، فلعل ذلك يرجع إلى الحالة السياسية السابقة التي ذكرناها من الاضطهاد والخوف الذي أحرق بالشيعة في ذلك الوقت فلجأت الشيعة كما هو ديدنها وعادتها بالتخفي بالتقية، والترس بادعاء موالاة آل البيت ومحبتهم، في نشر مذهبهم .

١ - هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين: حافظ، من أئمة المحدثين، وصاحب الصحيح الذي جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة ولد بنيسابور ٢٠٤هـ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور سنة ٢٦١ هـ . طبقات الحفاظ : ج١ / ٥١ ، الطبقة التاسعة ، وفيات الأعيان : ج٥ / ١٩٤ .

٢ - هو: الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري (٢٢٥هـ - ٣١٠هـ) الفقيه المقرئ المؤرخ كان أحد أئمة العلماء المفسرين وكان مجتهداً وله مذهب متبوع يسمى الحريرية ثم اندثر، له تفسير جامع البيان، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار وغيرها من الكتب. انظر ومعجم الأدباء لياقوت الحموي : ج٥ / ٢٤٢ (٨٣٠)، طبقات المفسرين للداوودي: ٤٨ وما بعدها.

المبحث الأول:

اسمه ونسبه ونشأته ووفاته.

أولاً: اسمه ونسبه ونشأته.

يقول عنه مصحح التفسير^١ في مقدمته « صاحب التفسير: هو الثقة الجليل أبو الحسن علي بن إبراهيم^٢ بن هاشم القمي^٣، قال النجاشي: "ثقة في الحديث، ثبت،

١ - هو: طيب الموسوي الجزائري.

٢ - ذكره ابن حجر في لسان الميزان فقال: علي بن إبراهيم أبو الحسن المحمدي رافضي جلد له تفسير فيه مصائب يروي عن بن أبي داود بن عقدة وجماعة، ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنف الإمامية وذكره محمد بن إسحاق النديم في الفهرست وقال له من الكتب التفسير والناسخ والمنسوخ والمغازي والشرائع. ج ٤ / ١٩١.

٣ - القمي: نسبة إلى قُم بالضم وتشديد الميم، وهي كلمة فارسية، مدينة تذكر مع قاشان وطول قم أربع وستون درجة وعرضها أربع وثلاثون درجة وثلثان وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري . معجم البلدان : ج ٣ / ٤٣٦ .

ويقول الحسن القمي في تاريخ قم: "المؤسف، إننا لم نعر على مصادر معتمدة تذكر صراحة تاريخاً محدداً لبناء وعمران هذه المدينة، إلا أنه يستفاد من قرائن الآثار والأبنية القديمة التي لا يزال بعض آثارها قائماً في شرق المدينة أن مدينة قم كانت موجودة قبل ظهور الإسلام بعدة قرون، ويذكر بعض المؤرخين أنها حكمت من قبل حكام الملوك الإيرانيين القدامى، وقد أمر بنائها الملك "طهمورث" - هو من ملوك البيشدايين الذين حكموا إيران ٢٤٥٠ سنة- ومن المؤرخين من نسب بناءها إلى الملوك الساسانيين الذين حكموا إيران طيلة الفترة الممتدة من ٢٢٤ . ٦٥٦ ميلادي. ومنهم من نسب بناءها إلى الملوك الهخامنشيان الذين حكموا إيران للفترة من ٥٥٩ إلى ٣٢١ قبل الميلاد"، وإلى جانب اسم "قم" فل هذه المدينة أسماء أخرى تطلق عليها من قبل الشيعة نحو: عش آل محمد - الزهراء - حرم أهل البيت - بلد الأئمة - مجمع أنصار القائم - دار المؤمنين - دار العلم - حجة على البلاد - مأوى الفاطميين - استراحة المؤمنين - أمان الخائفين - أرض الجبل قطعة من بيت المقدس - المطهرة - المقدسة، وغيرها من الأسماء التي هي بمثابة صفات لها. ويقول أحدهم: "لا يخفى ما لهذه المدينة منذ عرفت من أثر بارز على المستوى السياسي والفكري، وما لعبته من دور هام على كافة الأصعدة الاجتماعية والتربوية مما مهد لها أن تكون المركز الثوري العقائدي، خصوصاً بعدما تمصرت وغدت ضمن الحضارة الإسلامية، والذي أخبرنا عنها مجدداً على طول امتداد التاريخ الإسلامي. لذا فإن مدينة قم كانت هي المكان المنشود، والبلد المقصود لكل الشيعة ومحبي أهل البيت ومواليهم المؤمنين حال إحساسهم بخطر ملاحقة السلطات الحاكمة، أو عند مطاردتها أو مداهمتها لهم، إذ كانت محل أمنهم واستقرارهم، وملاذاً ينجيهم من سجن مؤبد أو قتل مؤكد، وملجأ يقيهم من كل خوف وسوء، ومرتعاً خصباً ينهلون فيه ما شاءوا من علوم آل البيت .

ويمكن القول أنّ هذه المدينة حافظت على هويتها الشيعية وولائها لأهل البيت رغم كلّ ما تعرّضت له من ظروف صعبة قاسية وما حيك ضدها من دسائس ومؤامرات، فكانت بحقّ كما وصفها أئمة أهل البيت - بزعمهم - عش آل محمّد . فهي عشّ احتضن شيعة أهل البيت فذاقوا فيه حلاوة الأمن ودفئه، ونهلوا من علوم وأما الأحاديث المرويّة عن رسول الله وأئمة أهل البيت في فضائل هذه المدينة - عندهم -، فهي كثيرة، منها: روى الحسن القمّي في تاريخ قم، بإسناده عن عبد الواحد البصريّ، عن أبي وائل، عن عبدالله الليثي، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: كنت ذات يوم جالساً عند النبي ، إذ دخل عليه عليّ بن أبي طالب فقال: إليّ يا أبا الحسن، ثمّ اعتنقه وقبّل ما بين عينيه، وقال: يا عليّ، إنّ الله عزّ اسمه عرض ولايتك على السماوات، فسبقت إليها السماء السابعة فزيّتها بالعرش. ثمّ سبقت إليها السماء الرابعة فزيّتها بالبيت المعمور. ثمّ سبقت إليها السماء الدنيا فزيّتها بالكواكب. ثمّ عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكّة فزيّتها بالكعبة. ثمّ سبقت إليها المدينة فزيّتها بي. ثمّ سبقت إليها الكوفة فزيّتها بك. ثمّ سبقت إليها قم فزيّتها بالعرب، وفتح إليها باباً من أبواب الجنة ، وفيه أيضاً: إنّ أبا موسى الأشعريّ روى أنه سأل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن وظهور السيف، فقال: أسلم المواضع يومئذ أرض الجبل، فإذا اضطرت خراسان، وقعت الحرب بين أهل جرجان وطبرستان، وخرت سجستان، فأسلم المواضع يومئذ: قصبه قم، البلدة التي يخرج منها أنصار خير الناس أباً وأماً، وجدّاً وجدّة، وعمّاً وعمّة، تلك التي تسمّى "الزهراء" موضع قدم جبرئيل ، وهو الموضع الذي نبع منه الماء الذي من شرب منه أمن من الداء، ومن ذلك الماء عجن الطين الذي عمل منه كهيئة الطير، ومنه يغتسل الرضا. ومن ذلك الموضع يخرج كبش إبراهيم، وعصا موسى، وخاتم سليمان... - إلى غير ذلك من الآثار المصنوعة الموضوعية -، انظر: كريمة السادة النجباء ومدينتها الزهراء: ١٣ - ٢٨، نقلاً عن ترجمة تاريخ قم للحسن القمي: ٩٤-٩٠ .

أما حديثاً: فمدينة قم هي إحدى مدن الجمهورية الإسلامية في إيران والحوزة العلمية - وهو الاسم الذي يطلق عادة على المدارس الدينية هناك - فقم تعتبر ثاني أهم المراكز العلمية الدينية للشيعّة - بعد النجف - تقع على بعد ١٤٧ كم جنوب العاصمة طهران. وترتفع المدينة نحو ٩٣٠ م فوق مستوى سطح البحر. يحدها من الشمال مدينة طهران، ومن الجنوب مدينة أصفهان، ومن الغرب مدينة أراك، ومن الشرق محافظة سمنان وتعود الأهمية الدينية ومن ثمّ السياسية للمدينة إلى وجود ضريح السيدة فاطمة بنت موسى الكاظم - الإمام السابع للشيعّة - فيها، حيث كانت المدينة الركيزة الأولى للمذهب الشيعي في إيران حتى قبل أن يصبح مذهباً رسمياً للبلاد في عهد الصفويين. ويرجع تأسيس مدينة قم إلى عصر الفيشاديين (قدماء ملوك الفرس)، وقد فتحت في سنة ٢١ هـ في عهد عمر بن الخطاب، وأقام فيها أبو موسى الأشعري، فافتتحتها عنوة. وقد مصرت البلدة أيام الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٣ هـ، ولما انهزم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (أمير سجستان من جهة الحجاج والذي خرج عليه) فرّاً إلى كابل، وكان من جملة الفارين معه إخوة هم أبناء سعد بن مالك الأشعري، نزل هؤلاء في سبع قرى في منطقة قم كان اسم إحداها (كمندان) ثم استقلوا بعض حروفها فسميت بتعريفهم فُماً وهي مأخوذة من كلمة (كومة) التي كان الفرس يطلقونها على بيوت الرعيان الذين يردون قم للرعي، تاريخياً كان معظم سكان

معتمد، صحيح المذهب - على حد زعمه - سمع فأكثر وصنف كتباً وأضر في وسط عمره، كان في عصر الإمام العسكري عليه السلام - وقد أكثر ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرواية عنه في الكافي - ومما يدل على جلالته - عندهم - أن الأدعية والأعمال الشائعة في مسجد السهلة المتداولة المتلقاة بالقبول المذكورة في المزار الكبير وغيره مما ينتهي سندها إليه لا غيره»^١.

و قال غيره: «كان شيخ الشيعة وإمام الحديث والتفسير لا يختلف اثنان من الشيعة في وثاقته وجماله وهو عمدة مشايخ ثقة الإسلام - بزعمهم - أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني وعليه تخرج وملاً الكافي من الرواية عنه. وكان في أيام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، وأدرك عصر الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة للناحية المقدسة - فهو من أعيان القرن الثالث وأوائل القرن الرابع. له كتب منها كتاب التفسير وهو أجل كتبه وهذا التفسير معول عليه عند أصحابنا إلى اليوم وإليه المرجع لأنه تفسير بالمأثور - وقد طبع بإيران غير مرة وطبع أخيراً في النجف الأشرف في المجلدين»^٢.

ثانياً: وفاته .

رغم البحث الجاد في كتب القوم إلا أنني لم أقف للمؤلف على تاريخ محدد ومعلوم لوفاته فضلاً عن تاريخ معلوم للولادة غير ما ذكر من أنه من علماء القرن الثالث، وأنه

قَمّ وحتى القرن الثالث الهجري يتحدثون اللغة العربية، حيث يؤكد المؤرخ العربي البيهقي أن أغلب سكانها من مدحج وعلى المذهب الأشعري. ويذكر أن قَمّ كانت أول تأسيسها على قسمين عجمي وعربي يسمى القسم العجمي بـ (كومندان) والقسم العربي كان يسمى حتى سنة ١٣٥٩م (عريستان)، وتحولت قَمّ بحكم دورها البارز في قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م إلى عاصمة دينية لإيران والعالم الشيعي ومركزاً لتصدير الثورة والدعاة الشيعة إلى الدول المجاورة والعالم الإسلامي، بل وجميع أصقاع العالم. كما قدمت الكوادر للمؤسسات القضائية والتنفيذية والتشريعية لإدارة البلاد التي أصبح رجال الدين يحكمونها، وموقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

١ - مقدمة التفسير: ج ١ / ٥ .

٢ - وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٧١/٢٠ .

كان حياً سنة ثلاثمائة وسبعة لإجازته لحمزة العلوي في هذه السنة، فروي عن الصدوق^١ السنة روى عن حمزة بن محمد بن أحمد العلوي^٢، قال: أخبرني علي بن إبراهيم بن هاشم فيما كتب إلي سنة سبع وثلاثمائة...^٣، و من هذا يعلم أنه عاش إلى سنة ٣٠٧ هـ، توفي ودفن بقم في زمن الخليفة المقتدر بالله بن المعتضد بن أحمد بن المتوكل (٢٩٥-٣٢٠هـ).

١- هو: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المشتهر بالصدوق، أحد أعلام الشيعة في القرن الرابع، عنوانه الطوسي في الفهرست والرجال وقال: "كان محمد بن علي بن الحسين حافظاً للأحاديث، بصيراً بالفقه والرجال، ناقداً للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه". وقال النجاشي: "أبو جعفر نزيل الري، شيخنا وفقهنا، وجه الطائفة بخراسان، وكان ورد بغداد وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن" نشأ بقم فرحل إلى الري واسترآباد وجرجان ونيشابور ومشهد الرضا عليه السلام وبغداد والكوفة ومكة والمدينة وغيرها، كان والده علي بن الحسين شيخ القميين وثقتهم في عصره وفقههم ومتقدمهم في مصره مع أن بلدة قم يومئذ تعج بالأكابر والمحدثين، من مؤلفاته: كتاب "مدينة العلم" "ومن لا يحضره الفقيه" وهو أحد الكتب الأربعة الأساسية عند الشيعة، وكتاب "المصاييح في أسماء الرجال" توفي: ٣٨١ هـ، من لا يحضره الفقيه: ج ١ المقدمة/ ٨ - ٩، الفوائد الرجالية: ج ٣/ ٢٩٣.

٢- هو: أبو الحسن حمزة بن محمد القزويني العلوي، ذكره الطوسي في رجاله: "باب ذكر أسماء من لم يرو عن واحد من الأئمة، ٤٠٥ (٦١٠٥) حرف الحاء ٤٠، وذكره أيضاً الأردبيلي في جامع الرواة فقال: روي عن علي بن إبراهيم ونظرائه وروى عنه محمد بن علي بن الحسين بن بابويه: ج ١/ ٢٨٣ باب الحاء.

٣ - الكنى والألقاب: ج ٣/ ٨٤.

المبحث الثاني:

حياته العلمية.

عند الترجمة لأي مصنف يتشوق الإنسان إلى التعرف على رحلاته وحياته العلمية والعملية، وعلى كيفية تلقيه للعلم وتدرجه في الصعود إلى طبقات ومصاف العلماء وتلقيه لمعارفهم، وفي تنقله من بلد إلى بلد مرتحلاً بحثاً عن مسألة أو للقاء شيخ.

فتكون البدايه دائماً يجلسه لحفظ القرآن الكريم والسنن على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم منذ صغره، ثم لدراسته لكتب اللغة والأصول وغيرها عاكفاً بين يدي مشايخه للطلب، ومن ثم تصدره للمجالس محدثاً أو مفتياً أو معلماً مستخرجاً مكنونات ما وعاه قلبه لطلابيه حريصاً على تعليمهم واجتهادهم، هكذا كان حال سلفنا الصالح من أهل السنة والجماعة، وهكذا كانت حياتهم العلمية مفعمة بنشاطهم واجتهادهم في طلب العلم رحمة الله عليهم جميعاً .

ولقد ثابرت في الاطلاع على كتب التراجم عند القوم، فلم أر لأحد منهم ذلك الجهد ولا ذاك الاجتهاد في الحرص على طلب العلم الشرعي، ولا بذله، إلا ما يحاولونه بين فينة وأخرى من محاولة لنشر مذهبهم في المجتمعات الأخرى.

ولا أستطيع أن أنكر أن الغموض الذي أحاط بمولد المصنف ونشأته هو عينه الذي يكتنف نشأته العلمية، ورحلاته العلمية - إن كانت له رحلات - والحاصل أنه لم تسعفني الكتب ولا الأخبار في معرفة كيفية طلبه للعلم أو كيفية ترقيه في هذا الباب ومجمل ما ذكر عنه هو انتقال أبيه من الكوفة إلى قُم وسماعة لرواية أبيه ومن ثم بثها وروايتها عنه، ولكن متى كان ذلك؟ وكيف تم ذلك؟ لا علم لنا به.

ولم أعلم له مشايخ سوى والده وادّعو أن من مشايخه أخوه إسحاق بن إبراهيم^١،
والحقيقة أنه غير معروف ولم أعثر له إلا على روايتين نقلهما عنه

١ - ذكر في غنائم الأيام: أنه (مجهول) ج ١/١٨٩، وذكر في مستدركات علم رجال الحديث: ج ١/٥٤٦ أنهم لم يذكره، - وروى الكليني في الكافي: ج ٣/٤١٦ (١٤)، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، عن علي بن إبراهيم، عن أخيه إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن إسماعيل بن زيغ، عن الرضا عليه السلام قال: "قلت له: بلغني أن يوم الجمعة أقصر الأيام؟ قال: كذلك هو، قلت: جعلت فداك كيف ذاك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس فإذا ركبت الشمس عذب الله أرواح المشركين بركود الشمس ساعة فإذا كان يوم الجمعة لا يكون للشمس ركود رفع الله عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة فلا يكون للشمس ركود. وقال المجلسي: (الحديث الرابع عشر): مجهول، وهذا من الأحاديث الغامضة التي يشكل فهمها وأمرنا في مثلها أن نردها ونرد علمها إليهم عليهم السلام وإن أمكن أن يكون مقدارا قليلا لا يظهر للحس. وما يقال: من أنه يلزم وقوف الشمس دائما إذ كل درجة من درجات مدار الشمس على دائرة نصف النهار لقطر من الأقطار فيمكن دفعه بتخصيصه ببعض البلاد والأقطار أو المدينة، وربما يأول بأنه يكون قصيرا على الكفار لخفة عذابهم، فإن يوم الراحة قصير ويوم الشدة طويل ويظنه المؤمنون أيضا قصيرا لكثرة أشغالهم فيه وقصوره عنها. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ١٥/٣٤٣ - ٣٤٤ .

والرواية الثانية في الكافي: ج ٣/٢٨ - ٢٩ (٦) كتاب الطهارة: باب حد الوجه الذي يغسل عن علي بن إبراهيم، عن أخيه إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن إسماعيل بن زيغ، عن الرضا عليه السلام قال: فرض الله على النساء في الوضوء للصلاة أن يتدئن بباطن أذرعهن وفي الرجال بظاهر الذراع .. ورواه في التهذيب: ج ١/٧٦ باب صفة الوضوء: ١٩٣، مثله، وهو وجه تقنية أبيه بأي إسحاق. وقال المجلسي عن هذه الرواية: (الحديث السادس): "مجهول. وقال والد شيخنا البهائي: تضمن هذا الحديث بدءا كل من الرجل والمرأة ولم يذكر أهما في الغسلة الثانية يتدئان بغير ذلك أو بمثله والموجود في كلام المتأخرين الأول ومستندهم غير واضح وقال الشيخ البهائي: ثم لا يخفى أن الحديث دال على الوجوب وحمله على الاستحباب بعيد جدا. "مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ١٣/٩٣، فوصف المجلسي الروايتين بأنها مجهولة .

الكليبي^١ في الكافي، والطوسي^٢ في التهذيب .

ولا أعلم له تلامذة غير أبنائه الثلاثة : أحمد بن علي بن إبراهيم^٣

١ - هو : محمد بن يعقوب أبو جعفر الكليني، بضم الكاف وإمالة اللام وقبل الياء الأخيرة نون، من أهل الري، وكان من فقهاء الشيعة والمصنفين على مذهبهم، صنف الكتاب الكبير المعروف بالكافي، في عشرين سنة، وله غير كتاب الكافي كتاب الرد على القرامطة، كتاب رسائل الأئمة عليهم السلام، كتاب تعبير الرؤيا، كتاب الرجال، كتاب ما قيل في الأئمة عليهم السلام من الشعر، سكن بغداد إلى حين وفاته ودفن بباب الكوفة. حدث عن أبي الحسين محمد بن علي الجعفري السمرقندي ومحمد بن أحمد الخفاف النيسابوري وعلي بن إبراهيم بن هاشم، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة. وقيل وتسع وعشرين، سير أعلام النبلاء: ج ١٥ / ٢٨٠، الوافي بالوفيات: ج ٢ / ١٧٢، معالم العلماء: ابن شهر آشوب: ١٣٤، رجال النجاشي: ٣٧٧ - ٣٧٨ .

٢ - هو: محمد بن الحسن بن علي الطوسي أبو جعفر جليل في أصحابنا، ثقة، من تلامذة شيخنا أبي عبدالله - يقصد المفيد - له كتب، منها: كتاب تهذيب الأحكام وهو كتاب كبير، وكتاب الاستبصار، وكتاب النهاية، وكتاب المفصح في الإمامة، وكتاب مالا يسع المكلف الإخلال به، وكتاب العدة في أصول الفقه، وكتاب الرجال وكتاب فهرست، كتاب التبيان في تفسير القرآن وغيرها توفي بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام في آخر محرم سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، رجال النجاشي: ٤٠٣ (١٠٦٨)، معالم العلماء: ١٤٩ - ١٥٠ .

٣ - أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي: من مشايخ الصدوق، وقد أكثر الصدوق من الرواية عنه مترضيا ومترحما عليه، وفيه إشعار بحسن الحالة والجلالة، وروى الصدوق عنه، عن أبيه، عن جده، عن حماد بن عيسى، عن الصادق تفسير الصراط المستقيم بأمر المؤمنين عليهم السلام. مستدركات علم رجال الحديث: ج ١ / ٣٦٨ - ٣٦٩ (١١٩١)، وترجم له ابن حجر في اللسان فقال: أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم بن الخليل القمي أبو علي نزيل الري ذكره بن أبوييه في تاريخ الري وقال سمع أباه وسعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري وأحمد بن إدريس وغيرهم وكان من شيوخ الشيعة روى عنه أبو جعفر محمد بن علي بن أبوييه وغيره. ج ١ / ٢٣٣ (٧٣٤)، فحرف هذه الترجمة صاحبهم - عباس القمي - في الكنى والألقاب: ج ٣ / ٨٧ فقال: وابنه أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي.... إلى أن قال : وعن لسان الميزان أحمد بن علي بن إبراهيم بن الخليل القمي . إشارة إلى أبيه صاحب التفسير، وهو تحريف واضح لا يستحقه صاحبه، ولعله أراد إيهام الناس أن لقب الخليل الذي وصف به علي بن إبراهيم مأخوذ من وصف ابن حجر له وهو أحد أئمة أهل السنة .

ومحمد بن علي بن إبراهيم^١، وإبراهيم بن علي بن إبراهيم^٢، وأبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، والأخير هو أشهر تلامذته، وقد روى عن شيخه علي بن إبراهيم معظم كتابه الكافي.

ولم أعلم له مؤلفات غير كتاب التفسير هذا، وزعموا أن له مؤلفات غيره وهي كما أوردوها:

(١) كتاب الناسخ والمنسوخ.

(٢) كتاب قرب الإسناد.

(٣) كتاب الحيض . .

(٤) كتاب الحيض .

(٥) كتاب التوحيد والشرك.

(٦) كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

(٧) كتاب المغازي .

(٨) كتاب الأنبياء .

(٩) كتاب الشذر .

(١٠) كتاب المناقب .

(١١) كتاب اختيار القرآن^٣.

ولم أجد أثراً لهذه الكتب لا مخطوط ولا مطبوع، ولم تُذكر إلا في كتبهم.

١ - ذكر صاحب مستدركات علم رجال الحديث: أنهم لم يذكروه في كتب التراجم أي أنه مجهول: ج ٧/ ٢١٢ (١٣٩١٠).

٢ - أيضاً ذكره صاحب مستدركات علم رجال الحديث بأنهم لم يذكروه. ج ١٧٧/ (٣٤٨).

٣ - تنقيح المقال: ٢٦٠/ ٢، رجال النجاشي: ٢٦٠ (٦٨٠)، خلاصة الأقوال للحلي: ١٨٧ (٤٥)، الفهرست للطوسي: ١٥٢-١٥٣ (٣٨٠)، ولا أعلم كتاب من هذه الكتب موجود أو مطبوع غير كتاب التفسير.

المبحث الثالث:

مذهبه وعقيدته.

لا يشك القارئ من أول وهلة لتفسير علي بن إبراهيم أنه ينتمي إلى المذهب الشيعي، بل إنه من الغلاة منهم، هذا ما تلاحظه من خلال القراءة في التفسير فضلاً عما تجده في كتب الرجال والحديث من إثبات ذلك من شيوخ وأئمة المذهب، وما يصادفك من الثناء والمدح له ومكانته العلمية عندهم فهو صاحب إجازة ومثل هؤلاء لا يشك في التوثيق عندهم .

وأما تحقيق هذه المسألة فقد أثبتتها من ناحيتين ،

أولها: من خلال تفسيره وما ذكره فيه مما يؤيد عقيدته الشيعية.

والأمر الثاني: من خلال ما ذكر عنه في كتب الرجال عندهم .

أولاً: يدل على ذلك من خلال كتابه فهو تفسيره لبعض الآيات بما يوافق معتقده وهو معتقد غلاة الشيعة الإمامية الاثني عشرية وحتى يكون الأمر واضحاً سأذكر بعض هذه العقائد - وليس جميعها - من كتابه.

أولاً : عقيدة الإمامة

الإمامة عند الشيعة هي الأصل الذي يدور مذهبهم عليه، فهو أصل أصيل لا يسع المكلف الجهل به، وقد اهتموا به في القديم والحديث، وتلمس ذلك واضحاً في كتابتهم في سائر العلوم، فتراه الأصل الذي يدور عليه التفسير عندهم، وأيضاً تدور عليه أحاديثهم، وكذلك في الفقه والأصول .

فقد ذكر ابن بابويه في القرن الرابع بأنهم «يعتقدون بأن لكل نبي وصياً أوصى إليه

بأمر الله تعالى»^١.

١ - عقائد الصدوق: ١٠٦ .

وجاء في بعض عناوين الأبواب في الكافي:

"باب أن الإمامة عهد من الله ﷺ معهود من واحد إلى واحد" ^١.

وأيضاً في "باب ما نص الله ﷺ ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً" ^٢.

ثم إن القمي يؤتعالى: المعتقد فيذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ سورة البقرة: ٢٥٦ فيقول: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ يعني الولاية ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ أي جبل لا انقطاع له يعني أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة بعده، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم الذين اتبعوا آل محمد عليهم السلام ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ﴾ هم الظالمون آل محمد والذين اتبعوا من غصبهم ^٣.

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ آل عمران: ٨٣ ، فيقول: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ قال أغير هذا الذي قلت لكم أن تقرؤا بمحمد ووصيه ^٤.

ثانياً : مذهبه في القرآن :

الشيعة لهم في القرآن عدة اعتقادات منها:

١ - اعتقادهم أن القرآن ليس بحجة إلا بقيم:

ترى الشيعة أن القرآن ليس بحجة إلا بقيم من الأئمة ومع أن الله ﷻ يقول في

كتابه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ العنكبوت: ٥١ .

فالقرآن العظيم هو الشاهد والدليل والحجة، ولكن شيخ الشيعة و"ثقة الإسلام" -

عندهم - (الكليني) يروي في كتابه: أصول الكافي - والذي هو عندهم كصحيح

١ - الكافي: ج ١/ ٢٧٧ .

٢ - المرجع السابق: ج ١/ ٢٨٦ .

٣ - تفسير القمي: ج ١/ ٩٢ .

٤ - المرجع السابق: ج ١/ ١١٥ .

البحاري عندنا - يروي ما نصه: «... أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم: وأن علياً كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحججة على الناس بعد رسول الله»^١. وهذا يعني أن النص القرآني لا يمكن أن يحتج به إلا بالرجوع لقول الإمام، فتكون الحججة في قول الإمام لا في القرآن، ويؤكد هذا المعنى قولهم: «فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ، والقدري، والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصوصيته فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم»^٢.

ومعنى هذا أن قول الإمام هو أفصح من كلام الرحمن، ويظهر من هذا أنهم يرون أن الحججة في قول الإمام لأنه الأقدر على البيان من القرآن، ولهذا سموه بالقرآن الصامت وسمو الإمام بالقرآن الناطق، ويروون عن علي عليه السلام أنه قال: «هذا كتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق»^٣.

وقال أيضاً: «ذلك القرآن فاستنطقوه فلن ينطق لكم أخبركم عنه...»^٤. وجاء أيضاً في رواياتهم - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بزعمهم - أنه قال: «معاشر الناس هذا علي أخي ووصي وواعي علمي وخليفتي على أمتي وعلى تفسير كتاب الله صلى الله عليه وآله وسلم»، ومرة أخرى

١ - أصول الكافي: ج ١ / ١٨٨ - ١٨٩ (١٥)، كتاب الحججة باب فرض طاعة الأئمة، قال المجلسي عنه:

مجهول كالصحيح، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٢ / ٣٣٥، وسائل الشيعة: ج ١٨ / ١٤١.

٢ - وسائل الشيعة: ج ١٨ / ١٤١.

٣ - الفصول المهمة: ٢٣٥.

٤ - أصول الكافي: ج ١ / ٦١ (٧)، كتاب فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسنة وأنه ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة. قال المجلسي: "ضعيف"، ثم قال: "وقوله: فاستنطقوه: أمر للتعجيز أي استعلموا أو استنبطوا منه الأخبار والأحكام، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أخبركم عنه: استيناف لبيان أنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يستنطق القرآن وينطق عنه، ويحتمل أن يكون المخبر عنه. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ١ / ٢٠٦ - ٢٠٨.

٥ - بحار الأنوار: ج ٣٧ / ٢٠٩، الاحتجاج: ج ١ / ٧٦.

يَدْعُونَ بِأَنَّ الْأُمَّةَ هُمُ الْقُرْآنَ نَفْسَهُ فَيُفَسِّرُونَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّبَعُوا النَّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ الأعراف: ١٥٧ يقولون: النور: علي والأئمة عليهم السلام .^١

ثم نعود لصاحبنا ليؤكد لنا وقوعه في هذا المنزلق فتجده عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ﴾ يونس: ١٥، يقول: «عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ائت بقُرْآنٍ غير هذا أو بدله يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي أن اتبع إلا ما يوحي إلي يعني في علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام»^٢.

ومثل ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ الطور: ٣٣ - ٣٤ .

فيقول: «"أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ" يعني: أمير المؤمنين، "بل لا يؤمنون" أنه لم يتقوله ولم يقره برأيه، ثم قال: "فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ" أي: رجل مثله من عند الله "إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ"^٣.

٢- اعتقادهم أن الأئمة اقتصوا بمعرفة القرآن دون غيرهم

جاء في أصول الكافي عن أبي عبدالله "إن الناس يكفيهم القرآن ولو وجدوا له مفسراً، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله فسره لرجل واحد، وفسر للأئمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب^٤.

وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم «أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

١ - الكافي: ج ١/١٩٤ (٢)، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة نور الله الذي أنزل، قال المجلسي: مرسل، وفي موضع آخر يقول «وهم والله نور الله الذي أنزل» نفس الباب الحديث الأول .

٢ - تفسير القمي: ج ١/٣١٠ .

٣ - المرجع السابق: ج ٢/٣٣٣ .

٤ - الكافي: ج ١/٢٥ (٦)، باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها، قال المجلسي: السند مشترك، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٣/٨٧ - ٨٩، وسائل الشيعة: ج ١٨/١٣١ .

"إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يتنغي علمه عند غير علي هلك" .^١

وهذا يعني اختصاص علي ﷺ بمعرفة القرآن دون غيره من الصحابة، وتوارث هذا العلم في ذريته وعقبه من بعده، أما الصحابة الكرام فلم يكن لهم بذلك من علم، وهذا الأمر غير صحيح فليس في القرآن سرٌّ ينفرد به عليّ على غيره .

ويؤيد علي بن إبراهيم هذا الاعتقاد فيقول في مقدمة كتابه: «ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم وأوجب ولايتهم ولا يقبل عمل إلا بهم وهم الذين وصفهم الله تبارك وتعالى وفرض سؤالهم والأخذ منهم فقال: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" فعلمهم عن رسول الله وهم الذين قال في كتابه وخاطبهم في قوله تعالى " يا أيها الناس آمنوا أركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا - القرآن - ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا . انتم يا معشر الأئمة - شهداء على الناس" ^٢ فرسول الله صلى الله عليه وآله شهيد عليهم وهم شهداء على الناس، فالعلم عندهم والقرآن معهم ودين الله ﷻ الذي ارتضاه لأنبيائه وملائكته ورسله منهم يقتبس وهو قول أمير المؤمنين ﷺ " ألا إن العلم الذي هبط به آدم ﷺ من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين عندي وعند عترة خاتم النبيين فأين يتاه بكم بل أين تذهبون، وقال أيضاً أمير المؤمنين ﷺ في خطبته " ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: إني وأهل بيتي

١ - وسائل الشيعة: ج ٢٧ / ١٨٦، وانظر: بحار الأنوار: ج ٣٠٢/٧، ج ٢٣/١٩ .

٢ - والآية في القرآن: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴿٧٧﴾ الحج: ٧٧ - ٧٨ .

مظهرون فلا تسبقوهم فتضلوا ولا تتخلفوا عنهم فتزلوا ولا تخالفوهم فتجهلوا ولا تعلموهم
فإنهم أعلم منكم»^١.

٣- اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر .

ولهذا عقد المجلسي^٢ كتابه بحار الأنوار باباً عنونه بقوله "إن للقرآن بطناً وللبطن بطناً،
وله ظهر وللظهر ظهراً"^٣.

وأيضاً يقول في موضع آخر «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها إلا وله ظهر
وبطن، وإن علي بن أبي طالب عليه السلام علم الظاهر والباطن»^٤.

ويؤكد الكليني في الكافي هذا الأمر فيقول: «إن القرآن له ظهر وبطن فجميع ما
حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن في ذلك أئمة الجور وجميع ما أحل الله تعالى في
الكتاب هو الظاهر والباطن في ذلك أئمة الحق»^٥.

١ - تفسير القمي: ج ١/ ٤.

٢ - هو: محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الاصفهاني: علامة إمامي، ولي مشيخة الشيعة في أصفهان ،
وترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الأحاديث ، له : بحار الأنوار ٢٥ جزءا في مباحث مختلفة، (هذا هو أصل
كتاب لكن الآن أصبح بفضل ما تضعه الشيعة وما تزيده في الكتب ١١٠ جزءا - وكتاب العقل، وكتاب
التوحيد ومرآة العقول وجوامع العلوم والسيره النبوية والإمامة وغيرها كتب كثيرة ت : ١١١١ هـ ، الأعلام للزركلي:

ج ٦ / ٤٨ - ٤٩ ، روضات الجنات: ج ١ / ١١٨ - ١٢٤ ، والذريعة: ج ٣ / ١٦ .

٣ - بحار الأنوار: ج ٨٩ / ٩٥ .

٤ - المرجع السابق: ج ٨٩ / ٩٣ .

٥ - الكافي: ج ١ / ٣٧٤ (١٠) ، كتاب الحجة ، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ومن أثبت الإمامة لمن

ليس لها بأهل ، ، قال المجلسي : مجهول. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٤ / ١٩٧ .

ويقول المازندراني شارح الكافي^١: « عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد من الأحكام وأسرار التوحيد وعلم الأخلاق والسياسات وغير ذلك مما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ولكن بعضه ظاهر وبعضه باطن لا يعلمه إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصياؤه عليهم السلام، وسائر الناس مأمورون بالرجوع إليهم والأخذ منهم^٢ .

والحقيقة أنه لا يختلف اثنان على أن للقرآن أسراراً عظيمة ولفترات باهرة وإيجاءات بديعة فهو لا تنتهي عجائبه ولا تفتي غرائبه ولكن هذه المعاني لا تخرج على ما يسعه اللفظ من دلالة المعنى ولا يخرج بأي حال من الأحوال عن سياق النص القرآني، ولأن المعول دائماً في الفهم على ظاهر الكلام وذلك لأن المعاني الباطنة لا ضابط لها ولا نظام، فقد يحدث من أتباعها الانزلاق في تأويل المعنى على غير المراد، وهذا ما وقع فيه الشيعة، فالتفسير على المعاني الباطنة عندهم ليس له ضابط يحكمه من سياق نص أو التزام بمعنى المفردة أو اللفظ أو غير ذلك، إنما مقصدهم منه هو أحد أمرين لا ثالث لهما الأول إثبات الإمامة، والآخر الطعن في منكريها.

وهذا ما تجده بعينه قد نص عليه القمي في تفسيره فعند قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠٥ ، وقوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ النور: ٥٥ يقول: « نزلت في القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله^٣ .

١ - هو: إسماعيل بن محمد بن حسين المازندراني الخاجوي: من فقهاء الامامية، نسبتته الأولى إلى مازندران (طبرستان) والثانية إلى خاجو (محلة في أصبهان) كان مقيماً فيها، من تصانيفه (جامع الشتات في النوادر المتفرقات) و (هداية الفؤاد إلى أحوال العباد) وشروح وتعليقات ورسائل كثيرة، توفي في أصبهان سنة ١١٧٣ هـ. الأعلام للزركلي: ج ١ / ٣٢٥ ، روضات الجنات: ج ١ / ٣٣ .

٢ - شرح أصول الكافي: ج ٢ / ٢٧٥ .

٣ - تفسير القمي: ج ١ / ١٤ .

وعند قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٤ فيقول « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن أنتم (يا معشر أمة محمد) في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا "فالمخاطبة لبني إسرائيل والمعنى لأمة محمد صلى الله عليه وآله «^١.

وهذا المعتقد هو الذي أوصلهم إلى معتقد آخر وهو أن جل القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم، أي نزل في أئمتهم وفي أعدائهم الذين أنكروا إمامة علي عليه السلام وذريته من بعده، وعلى هذا المعتقد فسر القمي - ومن سار على دربه - القرآن فجعلوا منه كتاباً شيعياً ليس له هم إلا إثبات الإمامة والولاية، أو الطعن في منكريها .

وهذا غيظ من فيض من معتقدات الشيعة الإثني عشرية التي انحرفت فيها عن جادة الصواب، والتي تبعها وأسس لها هذا المفسر بما يدل على أنه التزم هذا النهج الشيعي في التفسير .

ثم نصل إلى النقطة الثانية في إثبات مذهب القمي وهي ما وصفته أقلام مجموعة من شيوخ الشيعة أنفسهم فقالوا: «علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، أبو الحسن، ثقة في الحديث، ثبت معتمد صحيح المذهب^٢، له كتاب التفسير المعروف بتفسير علي بن إبراهيم أواخر المائة الثالثة أو أوائل الرابعة^٣ .

ويقول شيخهم النجاشي عنه: علي بن إبراهيم بن هاشم أبو الحسن القمي، ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر (وأكثر)، وصنف كتباً وأضر في وسط عمره^٤ .

١ - المرجع السابق: ج ١ / ١٦ .

٢ - خلاصة الأقوال: ١٨٧ (٤٥)، رجال ابن داود: ١٣٥ (١٠١٨)، معجم رجال الحديث للنخوي: ج ١٢ / ٢١٢ (٧٨٣٠) .

٣ - أعيان الشيعة: ج ١ / ١٢٦ .

٤ - رجال النجاشي: ٢٦٠ (٦٨٠) .

وحسبنا هذا للدلالة على مذهب وعقيدة على بن إبراهيم القمي وأنه من الذين وصموا بمذهب غلاة الشيعة، بل هو ممن أسس لهذا المذهب، وكان له السبق في التفسير الباطني عندهم، ومن أوائل القائلين بالتحريف في القرآن الكريم .

و قال غيره: « كان شيخ الشيعة وإمام الحديث والتفسير لا يختلف اثنان من الشيعة في وثاقته وجلالته وهو عمدة مشايخ ثقة الإسلام - بزعمهم - أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني وعليه تخرج وملاً الكافي من الرواية عنه . وكان في أيام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، وأدرك عصر الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة للناحية المقدسة - فهو من أعيان القرن الثالث وأوائل القرن الرابع . له كتب منها كتاب التفسير وهو أجل كتبه وهذا التفسير معول عليه عند أصحابنا إلى اليوم وإليه المرجع لأنه تفسير بالمأثور - وقد طبع بإيران غير مرة وطبع أخيراً في النجف الأشرف في المجلدين «^١ .

١ - وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٢٠ / ٧١ .

الفصل الثاني :

التعريف بالكتاب ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الكتاب عند الشيعة ونسبته إلى مؤلفه.

المبحث الثاني: مصادره في تفسيره.

المبحث الثالث: أثر تفسير القمي على من بعده.

المبحث الأول:

أهمية الكتاب عند الشيعة ونسبته إلى مؤلفه.

أولاً : أهمية الكتاب عند الشيعة:

يعتبر هذا الكتاب عند الشيعة سفراً نفيساً، وأصلاً عظيماً في التفسير وهو من أقدم التفاسير النقلية عندهم، فصاحبه عاش في زمن الحسن العسكري، وروى معظم رواياته عن أبيه - الذي كان معاصراً لعلي الرضا - والذي رواها بدوره عن مشايخه عن أئمتهم، ولكن الملفت للنظر أن المفسر لم يرو عن الحسن العسكري رغم أنه كان من معاصريه وكذلك والده لم يرو عن الرضا إلا بواسطة رغم أنه كان أيضاً من معاصريه، وأكثر الروايات في التفسير كانت عن أبي عبدالله جعفر الصادق^١ وقليل منها كان عن والده محمد الباقر^٢،

١ - هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، (٨٠ - ١٤٨ هـ) أبو عبدالله كنيته، والصادق لقبه، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر أيضاً ولذلك كان يقول ولدني أبو بكر مرتين، تلقى العلم عن أبيه وجده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر أحد فقهاء المدينة السبعة كما روى عن نافع والزهري وغيرهم، وعنه أخذ شعبة والسفيانان ومالك وأبو حنيفة وابنه موسى وخلق كثير، وكان إماماً صالحاً ورعاً قضى حياته مثل أبيه وجده بين العلم والعبادة، قال مالك بن أنس: اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال إما مصلاً، وإما صائماً، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث إلا على طهارة، وهكذا قضى حياته بالمدينة حتى توفي بها ودفن بالبقيع. تهذيب يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث إلا على طهارة، وهكذا قضى حياته بالمدينة حتى توفي بها ودفن بالبقيع. تهذيب: ج ٢ / ١٠٣ وما بعدها .

٢ - هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ أبو جعفر، الباقر سيد بني هاشم في وقته، روى عن جديه الحسن والحسين وعائشة وأم سلمة وابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وجابر وسمره بن جندب وعبدالله بن جعفر وأبيه وسعيد بن المسيب وطائفة وروى له الجماعة. وكان عمره يوم قتل جده الحسين، رضي الله عنه، ثلاث سنين، وأمه أم عبدالله بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، مولده سنة ست وخمسين، وقيل سبع، وكان أحد من جمع العلم والفقه والديانة والثقة والسودد وكان يصلح للخلافة وهو أحد الأئمة الإثني عشر الذين يعتقد الرافضة عصمتهم، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم، أي توسع، والتبقر: التوسع، توفي في سنة أربع عشرة، وقيل سبع عشرة، بالحميمة. ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي ﷺ، وفيات الأعيان: ج ٤ / ١٧٤، الوافي بالوفيات: ج ١ / ٤٨٥ - ٤٨٦.

ولذلك استحق أن يصفه المحقق أغا بزرك الطهراني^١ بأنه "السفر الخالد المأثور عن الإمامين أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام"^٢.

وامتدحه أيضاً جامع التفسير أو مصححه بأن قال: «لا ريب في أن هذا التفسير الذي بين أيدينا من أقدم التفاسير التي وصلت إلينا ولولا هذا لما كان متناً متيناً في هذا الفن ولما سكن إليه جهابذة الزمن، فكم من تفسير قيم مقتبس من أخباره ولم تره إلا منوراً بأنواره كالصافي والمجمع والبرهان فاحتيج إلى طباعته لئلا يندرس هذا الأثر الأثري والتأليف الزهري، فشمرت الباع لرفع القناع عن هذه المؤلفات المألوفة ليرى محياها كل من أحبها وحيها فإنها تحفة عصرية ونخبة أثرية لأنها مشتملة على خصائص شتى قلما تجدها في غيرها فمنها:

- (١) أن هذا التفسير أصل أصول للتفاسير الكثيرة كما تقدم.
- (٢) أن رواياته مروية عن الصادقين عليهما السلام مع قلة الوسائط والإسناد ولهذا قال في الذريعة: انه في الحقيقة تفسير الصادقين عليهما السلام.
- (٣) مؤلفه كان في زمن الإمام العسكري عليه السلام.
- (٤) أبوه الذي روى هذه الأخبار لابنه كان صحابياً للإمام الرضا عليه السلام.
- (٥) إن فيه علماً جمّاً من فضائل أهل البيت عليهم السلام التي سعى أعداؤهم لإخراجها من القرآن الكريم.

١ - هو: محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني: عالم بتراجم المصنفين، مع كثير من التحقيق والتحري. آغا بزرك محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني النجفي، وأجيز بالاجتهاد قبل سن الأربعين، وشارك في قضية الانقلاب الدستوري في إيران، وانتقل إلى سامراء (١٣٢٩ - ١٣٥٥) وعاد إلى النجف لمتابعة العمل في تأليف كتبه، إلى أن توفي سنة ١٣٨٩هـ، وقد أصبح شيخ محدثي الشيعة على الاطلاق، وصدر عنه أكثر من ألفي إجازة في رواية الحديث، من كتبه المطبوعة "الذريعة إلى تصانيف الشيعة" تسعة عشر جزء منه، و"نقباء البشر في القرن الرابع عشر" وهو واحد من ١١ كتاباً في التراجم، الأعلام للزركلي: ج ٥/٢٨٨-٢٨٩.

٢ - مقدمة التفسير: ج ١/١٦.

(٦) إنه متكفل لبيان كثير من الآيات القرآنية التي لم يفهم مرادها تماماً إلا بمعونة إرشاد أهل البيت عليهم السلام التاليين للقرآن^١.

ويلاحظ على العنصرين الأخيرين من الخصائص عدة أمور:

أولها: أنه يشير إلى القضية التي تبناها القمي في تفسيره - والتي اعتقد أنه عقد تفسيره من أجل إثباتها - وهي قضية تحريف القرآن وذلك عند قوله: "فضائل أهل البيت عليهم السلام التي سعى أعداؤهم لإخراجها من القرآن الكريم".

الأمر الثاني الذي يريد الإشارة إليه هي القضية الأخرى التي أيضاً تبناها المفسر وهي أن في القرآن معان لا يعلمها إلا الأئمة، وقد عمد المصحح أو المحقق إلى إبراز هاتين النقطتين لما رأي أن تفسير القمي يتضمن بعض التفسيرات الغريبة التي لا تستسيغها العقول وتأبأها النفوس، ولذلك بادر بالدفاع عنها على أنها من تفسيرات الأئمة التي - على حد زعمه - لا يعلمها أحد غيرهم، ولا يفهم منطوقها إلا هم فيروج لهذه الأفكار عند السذج وضعاف العقول .

التعريف بالكتاب :

افتتح المفسر كتابه بمقدمة ابتدأها بقوله «الحمد لله، الواحد، الأحد، الصمد، المتفرد، الذي لا شيء خلق ما كون، بل بقدرته...»^٢.

ثم انتقل ليظهر اعتقاده بإمامة علي عليه السلام وذريته من بعده وأنهم لديهم علم الأولين والأخريين فقال : « ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم وواجب ولايتهم ولا يقبل عمل إلا بهم وهم الذين وصفهم الله تبارك وتعالى وفرض سؤالهم والأخذ منهم فقال: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣ فعلمهم عن رسول الله، وهم الذين قال في كتابه وخاطبهم في قوله تعالى : (يا أيها

١ - مقدمة التفسير: ج ١ / ١١ .

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ١٣ .

الناس آمنوا أركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجبتاكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا (القرآن) ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا - أنتم يا معشر الأئمة - شهداء على الناس^١ فرسول الله صلى الله عليه وآله شهيد عليهم وهم شهداء على الناس فالعلم عندهم والقرآن معهم ودين الله ﷻ الذي ارتضاه لأنبيائه وملائكته ورسله منهم يقتبس وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: "ألا إن العلم الذي هبط به آدم عليه السلام من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين عندي وعند عتره خاتم النبيين فأين يتاه بكم بل أين تذهبون وقال أيضا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: "ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله انه قال: إني وأهل بيتي مطهرون فلا تسبقوهم فتضلوا ولا تتخلفوا عنهم فتزلوا ولا تخالفوهم فتجهلوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم" ^٢.

ثم أورد بمقدمة مختصرة عن أنواع علوم القرآن - والتي تدعي الشيعة أنها - من الروايات المبسطة المسندة المروية عن الإمام الصادق عن جده أمير المؤمنين عليه السلام في بيان أنواع علوم القرآن، وقد أورد النعماني^٣ تلميذ الكليني تلك الروايات بطولها في أول تفسيره،

١ - الآية في المصحف: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجَدُوا وَعَبَدُوا رَبَّهُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ الحج: ٧٧ - ٧٨

٢ - مقدمة التفسير: ج ١ / ١٦ - ١٧.

٣ - هو: محمد بن إبراهيم بن جعفر، أبو عبدالله الكاتب النعماني المعروف بابن أبي زينب قال الحر العاملي: شيخ من أصحابنا، عظيم القدر، شريف المنزلة، صحيح العقيدة، كثير الحديث، قدم بغداد وخرج إلى الشام ومات بها. وذكره النجاشي وزاد: له كتب منها: كتاب الغيبة، كتاب الفرائض، كتاب الرد على الإسماعيلية، من تلامذة محمد بن يعقوب الكليني. ومن مؤلفاته تفسير القرآن. أمل الآمل: ج ٢ / ٢٣٢ - ٢٣٣.

وأخرجها منه المرتضى^١ وجعل لها خطبة وسمها برسالة "المحكم والمتشابه"، وطبعت مستقلة، وهي مدرجة بعينها في أوائل المجلد التاسع عشر وهو كتاب القرآن من كتاب "بحار الأنوار"^٢.

وهذه المقدمة تعتبر للمفسر نواة منهجه الذي سار عليه في تفسيره، فذكر فيها أن من القرآن «ناسخ، ومنه منسوخ، ومنه محكم، ومنه متشابه، ومنه عام، ومنه خاص، ومنه تقديم، ومنه تأخير، ومنه منقطع، ومنه معطوف، ومنه حرف مكان حرف، ومنه على خلاف ما أنزل الله، ومنه ما لفظه عام ومعناه خاص، ومنه ما لفظه خاص ومعناه عام، ومنه آيات بعضها في سورة وتامها في سورة أخرى ومنه ما تأويله في تنزيله ومنه ما تأويله مع تنزيله، ومنه ما تأويله قبل تنزيله، ومنه تأويله بعد تنزيله، ومنه رخصة إطلاق بعد الحظر، ومنه رخصة صاحبها فيها بالخيار إن شاء فعل وإن شاء ترك، ومنه رخصة ظاهرها خلاف باطنها يعمل بظاهرها ولا يدان بباطنها، ومنها ما على لفظ الخبر ومعناه حكاية عن قوم، ومنه آيات نصفها منسوخة ونصفها متروكة على حالها، ومنه مخاطبة لقوم ومعناه لقوم آخرين، ومنه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله والمعني أمته، ومنه ما لفظه مفرد ومعناه جمع، ومنه ما لا يعرف تحريمه إلا بتحليله، ومنه رد على الملحدين، ومنه رد على الزنادقة، ومنه رد على الثنوية ومنه رد على الجهمية، ومنه رد على الدهرية، ومنه رد على عبدة النيران، ومنه رد على عبدة الأوثان، ومنه رد على المعتزلة، ومنه رد على القدرية، ومنه رد على المجبرة، ومنه رد على من أنكر من المسلمين الثواب والعقاب بعد الموت يوم القيامة!!، ومنه رد على من أنكر المعراج والإسراء، ومنه رد على من أنكر الميثاق في الذر، ومنه رد على من أنكر خلق

١ - هو: الشريف المرتضى علي بن الحسين بين موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو القاسم المرتضى، علم الهدى نقيب العلويين أخو الشريف الرضي. ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مائة وتوفي سنة ست وثلاثين وأربع مائة، وكان فاضلاً ماهراً أديباً متكلماً، له مصنفات جمّة على مذهب الشيعة، كان رأساً في الاعتزال، كثير الاطلاع والجدال، وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة، وله مشاركة قوية في العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على عليه السلام. الوافي بالوفيات: ج ٦ / ٣٦٢، ميزان الاعتدال: ج ٣ / ١٢٤.

٢ - الذريعة: ج ٤ / ٣٠٢، والبحار: ج ١: ٩٣، باب ١٢٨.

الجنة والنار، ومنه رد على من أنكر المتعة والرجعة، ومنه رد على من وصف الله ﷻ، ومنه مخاطبة الله ﷻ لأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام وما ذكره الله من فضائلهم وفيه خروج القائم وأخبار الرجعة وما وعد الله تبارك وتعالى الأئمة عليهم السلام من النصر والانتقام من أعدائهم، وفيه شرائع الإسلام وأخبار الأنبياء عليهم السلام ومولدهم ومبعثهم وشريعتهم وهلاك أمتهم، وفيه ما نزل بمغازي النبي صلى الله عليه وآله، وفيه ترهيب وفيه ترغيب، وفيه أمثال، وفيه أخبار وقصص، ونحن ذاكرون جميع ما ذكرنا إن شاء الله في أول الكتاب مع خبرها ليستدل بها على غيرها وعلم ما في الكتاب وبالله التوفيق والاستعانة وعليه نتوكل وبه نستعين ونستجير والصلاة على محمد وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»^١.

ثم انتقل إلى التمثيل لكل نوع من هذه الأنواع بأمثلة من القرآن - وهذه الأمثلة فيها الحق وفيها الباطل كما سنبينه في منهجه إن شاء الله - قال: «فأما الناسخ والمنسوخ فإن عدة النساء كانت في الجاهلية إذا مات الرجل تعدت امرأته سنة فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينقلهم عن ذلك وتركهم على عاداتهم وانزل الله تعالى بذلك قرآنا فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ البقرة: ٢٤٠. فكانت العدة حولا فلما قوي الإسلام^٢ أنزل الله ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ البقرة: ٢٣٤ فنسخت قوله: «مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ»^٣.

ثم مثل للمحكم والمتشابه فقال: «وأما المحكم فمثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة: ٦.

١ - تفسير القمي: ج ١ / ١٨.

٢ - هذا التعليل لنسخ الآية غير منطقي ولا يتناسب مع الآية، فالآية في عدة المرأة وليست في جهاد أو نحوه، ولو ظل الحكم ولم ينسخ إلى يومنا هذا لم يضر الإسلام في شيء، وإنما نسخت رحمة بالنساء وللتخفيف عنهن لا أكثر.

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ١٨.

ومثله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ المائدة: ٣، ومنه قوله ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ ﴾ النساء: ٢٣ الآية إلى آخرها فهذه كله محكم قد استغنى بتنزيله عن تأويله ومثله كثير.

وأما المتشابه فما ذكرنا مما لفظه واحد ومعناه مختلف فمنه الفتنة التي ذكرها الله تعالى في القرآن فمنها عذاب وهو قوله: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ الذاريات: ١٣ أي يعذبون وقوله: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ البقرة: ١٩١، وهي الكفر، ومنه الحب وهو قوله: ﴿ أَمَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ الأنفال: ٢٨، يعني بها الحب.

ومنها اختبار وهو قوله: ﴿ الْمَرْءُ أَحْسَبُ النَّاسِ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ العنكبوت: ١ - ٢.

ثم ذكر أمر غريباً وهو بيت القصيد في منهجه فقال: «وأما ما هو كان على خلاف ما أنزل الله فهو قوله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران: ١١٠ "فقال أبو عبدالله عليه السلام لقاري هذه الآية: "خير أمة" يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين بن علي عليه السلام؟ ف قيل له: وكيف نزلت يا بن رسول الله؟ فقال: إنما نزلت "كنتم خير أمة أخرجت للناس" ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية "تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله".

ومثله آية قرئت على أبي عبدالله عليه السلام "﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ الفرقان: ٧٤، فقال أبو عبدالله عليه السلام: لقد سألو الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين إماماً، ف قيل له يا بن رسول الله: كيف نزلت؟ فقال: إنما نزلت "الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين إماماً".

فقال: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الرعد: ١١ فقال أبو عبد الله: كيف يحفظ الشيء من أمر الله وكيف يكون المعقب من بين يديه فقيل له: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ فقال: إنما نزلت "له معقبات من خلفه وورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله" ومثله كثير.

وأما ما هو محرف منه فهو قوله "لكن الله يشهد بما أنزل إليك في عليّ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون" ^١

وقوله "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في عليّ فان لم تفعل فما بلغت رسالته" ^٢ «^٣.

وساق نوعاً آخرأ وهو يعيننا هنا وهو ما كان تأويله بعد تنزيله حيث قال: «وأما ما تأويله بعد تنزيله فالأمور التي حدثت في عصر النبي صلى الله عليه وآله وبعده من غضب آل محمد حقهم وما وعدهم الله به من النصر على أعدائهم وما أخبر الله به من أخبار القائم وخروجه وأخبار الرجعة والساعة في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء: ١٠٥، وقوله: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: ٥٥، نزلت في القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله.

١ - الآية في المصحف: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ النساء: ١٦٦.

٢ - الآية في المصحف: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧.

٣ - تفسير القمي: ج ١/ ٢٢ - ٢٣.

وقوله تعالى: ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص: ٥ ، ومثله كثير مما تأويله بعد تنزيله^١.

وقد اعتمد المفسر على هذا التأويل للمعنى في صرف كثير من الآيات عن معناها الظاهر إلى معان لا تمت إليها بصلة بحجة أنها من الآيات التي جاء تأويلها بعد تنزيلها . ثم إنه عرض في مقدمته لأنواع الخطاب ، فذكر منها ما هو مخاطبة للنبي ﷺ والمعنى لأئمة ، وأورد اواسطة. سوب للصادق: «إن الله قد بعث نبيه بإياك أعني واسمعي يا جارة»^٢ ، وقد استغل هذا المفهوم أيما استغلال فجعل يعرض بالصحابة ﷺ حين الكلام عن المنافقين والكفار عند تفسيره لكثير من الآيات القرآنية .

أيضاً ذكر من أنواع الخطاب ما هو مخاطبة لقوم، ومعناه لقوم آخرين قائلاً: « وأما ما هو مخاطبة لقوم ومعناه لقوم آخرين فقوله: "وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن (أنتم يا معشر أمة محمد) في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً"^٣ فالمخاطبة لبني إسرائيل والمعنى لأمة محمد صلى الله عليه وآله «^٤ ، « ومثل هذه الآية يدرجها مفسرو الشيعة تحت أسلوب الجري: وإن كانت عبارة "القمي" أشد جرأة من القول بأسلوب الجري»^٥ . واعتمد المفسر القمي في تفسيره هذا على خصوص ما رواه عن أبي عبد الله الصادق في تفسير الآيات وهو الغالب، ولكن يروي أيضاً عن الباقر، وأبي الحسن الرضا ولكنها روايات قليلة،

١ - تفسير القمي: ج ١/٢٧ .

٢ - المرجع السابق: ج ١/٢٨ .

٣ - الآية في المصحف: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٤ .

٤ - تفسير القمي: ج ١/٣١ .

٥ - منهج القمي في تفسيره - د. زيد عمر: ٣٩ .

وكان جله مما رواه عن والده إبراهيم بن هاشم^١ عن مشايخه البالغين إلى الستين رجلاً - على حد زعمه - من رجال أصحاب الحديث ، والغالب من مرويات والده ما يرويه عن شيخه محمد بن أبي عمير^٢ بسنده إلى الإمام الصادق أو مراسلاً عنه، ومن روايته عن غير الإمام الصادق ورواية والده عن غير ابن أبي عمير ما رواه عن والده عن شيخه الآخر ظريف بن ناصح^٣ عن عبد الصمد بن بشير^٤ عن أبي الجارود^٥. وما رواه عن والده أيضاً عن شيخه صفوان بن يحيى عن أبي الجارود عن الإمام الباقر^٦.

وكذلك قد يروى على بن إبراهيم في هذا التفسير عن غير والده من سائر مشايخه بواسطة أبيه أو بلا واسطة^٧.

ولخو تفسيره هذا عن روايات سائر الأئمة قد عمد أحد تلاميذه - وهو الراوي لهذا التفسير - على إدخال بعض روايات الإمام الباقر التي أملاها على أبي الجارود في أثناء

١ - ذكره ابن حجر في لسان الميزان فقال: إبراهيم بن هاشم بن الخليل أبو إسحاق القمي أصله كوفي وهو أول من نشر حديث الكوفيين بقم قال أبو الحسن بن أبويه في تاريخ الري وقدم الري مجتازاً وأدرك محمد بن علي الرضا ولم يلقه روى عن أبي هدبة الراوي عن أنس وعن غيره من أصحاب جعفر الصادق منهم حماد بن عيسى غريق الجحفة روى عنه ابنه علي ومحمد بن يحيى العطار وجعفر الحميري وأحمد بن إدريس وغيرهم ج ١ / ١١٨ (٣٦٧) .

٢ - ستأتي ترجمته ، انظر : ٢١٠ من هذا البحث .

٣ - هو: ظريف بن ناصح أصله كوفي، نشأ ببغداد، وكان ثقة في حديثه، صدوقاً. له كتب، منها: كتاب الديات، وكتابه النوادر. وكتابه الجامع في سائر أبواب الحلال والحرام، رجال النجاشي: ٢٠٩ ، الفهرست للطوسي: ١٥٠ (٣٧٣)، خلاصة الأقوال، للحلي: ١٧٣.

٤ - هو: عبد الصمد بن بشير العرامي العبدي مولاهم، كوفي، ثقة ثقة، روى عن أبي عبدالله، وأبي عبدالله ، ذكره علي بن الحسن بن فضال، له كتاب يرويه عنه جماعة، رجال النجاشي: ٢٤٨ - ٢٤٩ ، رجال الطوسي: ١٢٧ ، لسان الميزان: ج ٢ / ٣٩ .

٥ - تفسير القمي: ج ١ / ٢١٥ ، وستأتي ترجمت أبو الجارود : صفحة ٩٤ من هذا البحث

٦ - المرجع السابق : ج ١ / ٥٩ .

٧ - المرجع السابق : مثل روايته عن هارون بن مسلم في: ج ٢ / ١٦٠ ، ولكن في ج ١ / ١٦٠، ١٧٦ هكذا فإنه حدثني أبي عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة، وكأنه يروى عن هارون بلا واسطة أبيه ومعها، انظر: الذريعة: ج ٤ / ٣٠٢.

هذا التفسير، وبعض روايات آخر عن سائر مشايخه مما يتعلق بتفسير الآية ويناسب ذكرها في ذيل تفسير الآية، ولم يكن موجوداً في تفسير علي بن إبراهيم فأدرجها في أثناء روايات هذا التفسير، وذلك التصرف وقع منه من أوائل سورة آل عمران إلى آخر القرآن، والتلميذ هو الذي صدر التفسير باسمه بما لفظه: "حدثني أبو الفضل العباس بن محمد بن قاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر عليه السلام، قال حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم، قال حدثني أبي رحمه الله عن محمد بن أبي عمير...".^١

يقول المحقق أغا بزرك الطهراني عن راوي التفسير: «وإنما يعرف طبقة أبي الفضل ومقدار معلوماته عن مشايخه ومروياته، وإلا فلم يوجد لأبي الفضل العباس هذا ذكر في الأصول الرجالية، بل المذكور فيها ترجمة والده المعروف بمحمد الأعرابي، وجده القاسم فقط فقد ترجم والده الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب الإمام الهادي عليه السلام بعنوان محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى العلوي، والكشي^٢ ذكر جده القاسم بعنوان القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر، وذكر أنه يروي عن أبي بصير^٣ ويروي عنه أبو عبدالله محمد بن خالد البرقي، نعم العباس هذا مذكور في عامة كتب الأنساب، مُسلم عند النسابين وهم ذاكرون له ولأعمامه وإخوانه ولأحفاده، عند تعرضهم لذكر أعقاب حمزة بن الإمام موسى الكاظم على ما رأيته في المجدي، وعمدة الطالب^٤، وبحر الأنساب^٥ المقدم تأليفه على العمدة الذي الذي ذكرناه، فعند ذكر عقب محمد الأعرابي بن القاسم بن حمزة بن موسى الكاظم، ذكروا أن محمداً هذا أعقب خمسة بنين: موسى، وأحمد المجذور، وعبدالله، والحسين أبي زبية،

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٩ .

٢ - هو: محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، أبو عمرو توفي نحو: ٣٤٠ هـ، نسبته إلى الـ "كش" من بلاد ما وراء النهر، أخذ عن العياشي بسمرقند، قال النجاشي: كان ثقة عيناً، روى عن الضعفاء كثيراً، وصحب العياشي، وأخذ عنه، وتخرج عليه وفي داره التي كانت مرتعاً للشيعة وأهل العلم، له كتاب الرجال، كثير العلم، وفيه أغلاط كثيرة .

رجال النجاشي: ٣٧٢، الأعلام: ج ٦ / ٣١١ .

٣ - ستأتي ترجمته: في صفحة ٢٠٧ من هذا البحث .

٤ - عمدة الطالب: صفحة ٢١٨ من طبع لكهنو .

٥ - بحر الأنساب: ج ٣-٣٠ .

والعباس وذكروا من ولد العباس بن محمد ابنه جعفر بن العباس ثم ابن جعفر زيد الملقب (بزيد سياه) وقال في المجدي أن لقب زيد (دخشا) ثم ابنه أحمد بن زيد الذي سكن بغداد وولده بها،

ومنهم محمد الملقب بزنجار بن أحمد بن زيد بن جعفر بن العباس بن محمد الأعرابي ويقال لولد محمد الزنجار بنو سياه كما في المجدي، وكذلك ذكروا إخوة محمد الأعرابي أيضا، وهم أعمام العباس ولم نظفر ببقية أعقاب العباس ومكانهم إلا في كتاب "النسب المسطر" المؤلف بعد سنة (٥٩٣ إلى ٦٠٠) فإنه عند ذكر العباس قال: "وأما العباس بطبرستان ابن محمد الأعرابي فله أولاد بها منهم جعفر وزيد والحسن ولهم أعقاب" وأما في سائر الكتب فلم يذكر من أولاده إلا جعفر وأعقابه إلى محمد الزنجار كما مر، فيظهر من كتاب "النسب" أنه نزل بطبرستان ولأولاده الثلاثة أعقاب بها، ويظهر من سائر الكتب أن خصوص أحمد بن زيد بن جعفر بن العباس منهم أول من هاجر من طبرستان وسكن بغداد واستقر ولده بها، وبما أن طبرستان في ذلك الأوان كانت مركز الزيدية فينقدح في النفس احتمال أن نزول العباس إليها إنما كان لترويج الحق بها - يقصد ترويج مذهب الشيعة - ورأى من الترويج السعي في جلب الرغبات إلى هذا التفسير الكتاب الديني المروي عن أهل البيت عليهم السلام الموقوف ترويجه عند جميع أهلها على إدخال بعض ما يرويه أبو الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسيره المرغوب عند الفرقة العظيمة من الزيدية الذين كانوا يسمون بالجارودية نسبة إليه وقد ذكرنا أن تفسير أبي الجارود لا يقصر في الاعتبار عن تفسير علي بن إبراهيم^١.

وكل هذا التفسير أحاديث إلا كلمات يسيرة وعبارات نزيرة هي من علي بن إبراهيم لكنه لا توجد في بعض الصفحات ارتباط السابق باللاحق ومن هذا ما قاله أحدهم في بيان اختلاف كتب الحديث: "إن كتب الحديث قد صارت في هذه الزمان لا يخلو من الاختلاف ولا سيما تفسير علي بن إبراهيم فإنه فاقد الائتلاف"^٢.

١ - الذريعة: ج ٤ / ٣٠٧ - ٣٠٨ .

٢ - انظر: كشف الحجب والأستار : ١٣١ .

ثانياً : نسبة الكتاب إلى مؤلفه :

مما لا شك فيه أنه قد نُص على أن لعلي بن إبراهيم القمي كتاباً في التفسير، فقد ذكر النجاشي في ترجمته: « علي بن إبراهيم بن هاشم، أبو الحسن القمي، ثقة في الحديث، ثبت معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنف كتباً وأضّرّ في وسط عمره، وله كتاب التفسير، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب قرب الإسناد، كتاب الشرائع، كتاب الحيض، كتاب التوحيد والشرك، كتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام. الخ... »^١ وقال الطوسي في الفهرست: « علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، له كتب: منها كتاب التفسير، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب المغازي، وكتاب الشرائع، وكتاب قرب الإسناد، وزاد ابن النديم كتاب المناقب، وكتاب اختيار القرآن ورواياته... الخ... »^٢ ولهذا لا شك في ثبوت كتاب يعرف بكتاب التفسير لعلي بن إبراهيم القمي، إنما الكلام في أن الكتاب الموجود اليوم، هل هو كتاب تفسير علي بن إبراهيم القمي الذي نصت كلمات الرجالين على ثبوته له، أم لا؟.

هذا ما سنعرفه من خلال الكتاب ومؤلفه الذي ادعي وثاقة جميع رواته الواقعين في

أسانيد الكتاب، وذلك لما ذكره في مقدمة كتابه، فقال: «ونحن ذاكرون مخبرون بما ينتهي إلينا، ورواه مشايخنا، وثقاتنا، عن الذين فرض الله طاعتهم، وأوجب ولايتهم، ولا يقبل عمل إلا بهم...»^٣.

وقد ذكر صاحب الوسائل في الفائدة السادسة دلالة الشهادة على توثيق جميع من ورد في أسانيد الكتاب، قال: «وقد شهد علي بن إبراهيم بثبوت أحاديث تفسيره، وأنها مروية عن الثقات عن الأئمة عليهم السلام»^٤.

١ - رجال النجاشي: ٢٦٠ (٦٨٠) .

٢ - الفهرست للطوسي: ١٥٢ (٣٨٠) .

٣ - تفسير القمي: ج ١ / ١٦ .

٤ - وسائل الشيعة: ج ٣ / ٢٠٢ .

وقال غيره: «إن ما استفاده في محله، فإن علي بن إبراهيم يريد بما ذكره إثبات صحة تفسيره، وأن رواياته ثابتة، وصادرة من المعصومين عليهم السلام، وأنها انتهت إليه بوساطة المشايخ، والثقات من الشيعة، وعلى ذلك فلا موجب لتخصيص التوثيق بمشايخه الذين يروي عنهم علي بن إبراهيم بلا واسطة كما زعمه بعضهم»^١.

وقد ذكر آخر بأن الحكم بوثاقة شخص بناء على الشهادة متوقف على ثبوت أمور ثلاثة:

- «- الشرط الأول: أن يكون الراوي شيعياً إمامياً، ولا يكون من العامة - على حد وصفهم - والوجه في هذا الاشتراط راجع لعدم معهودية الإضافة في عرف أهل الحديث لغير الشيعي..!»
- الشرط الثاني: أن تكون الرواية مسندة للمعصوم، الشهادة الرواية المرسله والمقطوعة والمرفوعة.
- الشرط الثالث: أن تكون الرواية مسندة للمعصوم، فلا تشمل ما كان مروياً عن غيره»^٢.

وإذا نزلنا هذه الأمور على روايات القوله: نجد أنه قد تحقق لديه الشرط الأول وذلك لقوله: "من مشايخنا وثقاتنا".

وأما الشرط الثاني: فقد تحقق عنده ووجهه قوله: "ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا".

وأما الشرط الأخير أيضاً قد تحقق ووجهه ما جاء في الشهادة بقوله: "لقوله" عن الذين فرض الله طاعتهم".

ولكن هناك بعض الروايات المرسله والمقطوعة والمرفوعة عند علي بن إبراهيم، لكن إذا علمنا أن قدماء الشيعة لم تكن لديهم روايات مسندة وأنهم كانوا يروون مثل هذه الروايات - المرسله والمقطوعة والمرفوعة - بعد تحقق الإجازة لهم من قبل المشايخ بروايتها

١ - معجم رجال الحديث للخوئي: ج ١ / ٤٩ .

٢ - أصول علم الرجال: ١٦٣ .

وهذا يلحظه من تتبع ما كتبه، فنستطيع من هذا المنطلق أن نظهر الأمر الثالث من العبارة المذكورة .

أما عن صحة نسبة الكتاب إلى صاحبه فلم يتكلم أحد من قدماء الشيعة في عدم نسبة هذا الكتاب إلى صاحبه، وهذا يعتبر من مجموع الأدلة والبراهين على نسبه إليه، مع وجود دليل آخر يمكننا منه إثبات نسبة الكتاب إليه وهو وجود طريق معتبر لصاحب الوسائل إلى كتاب تفسير القمي فإن صاحب الوسائل وإن لم يكن له طريق مباشر إلى كتاب تفسير علي بن إبراهيم القمي إلا أن له طريقاً إلى شيخ الطائفة الطوسي نص عليه في خاتمة الوسائل^١، يروي بموجبه جميع الكتب التي للشيخ طرق إليها، ومنها كتاب تفسير علي بن إبراهيم، فتكون النتيجة أن النسخة الواصلة لصاحب الوسائل متطابقة مع النسخة الموجودة عند شيخ الطائفة، وهذا يعني أن ما نص الشيخ على كونه كتاب تفسير القمي، هو الكتاب الموجود بيد صاحب الوسائل، فيثبت بذلك تواتر نسخة صاحب الوسائل.

وقد أثبت صحة هذا السند بعض رجالهم فقال بعدما شكك في نسبة المقدمة الموجودة لمؤلف التفسير: «وعندئذ يبقى احتمال كون التعبير المعروف في أول التفسير عبارة من عبارات هذا التلميذ الذي لم يثبت توثيقه، لا عبارة صادرة من علي بن إبراهيم، ولكن عرفنا كون هذا عبارة لعلي بن إبراهيم في تفسيره عن طريق صاحب الوسائل الذي له سند تام إلى تفسير علي بن إبراهيم»^٢.

ولا يخفى أن مقصوده من وجود طريق تام لصاحب الوسائل إلى التفسير هو ما أشرنا إليه من طريق الشيخ إلى التفسير، وطريق صاحب الوسائل لشيخ الطائفة. كما لا يخفى مدى صراحة عبارته في أنه ثبتت النسبة للمؤلف من خلال ثبوت الطريق

١ - وسائل الشيعة (آل البيت): ج ٣٠/ ١٢٧، الفائدة الثانية: ذكر طرق الشيخ الطوسي، (٢- ما ذكرته عن علي بن إبراهيم القمي).

٢ - القضاء في الفقه الإسلامي: ٧٦١-٧٧٣.

الصحيح لصاحب الوسائل، وبما أن صاحب الوسائل قد نقل العبارة المستظهر منها التوثيق العام، فإن ذلك يحقق الغرض، وهو ثبوت النسبة.

وإذا علمنا أيضاً أن الكليني وهو أشهر تلامذته قد أكثر النقل عن شيخه القمي في كتابه الكافي فهذا يعطينا دليلاً قوياً على نسبة الكتاب، حيث إن من المعلوم ما لكتاب الكافي من وثاقة وشهرة عند الشيعة فكثرة نقله عن تفسير القمي يعطي لهذا التفسير ميزة ليست لغيره من الكتب، وبمقارنة نصوص الكافي وغيره مع التفسير نستطيع أن نثبت صحة نسبة الكتاب لصاحبه القمي .

وينقل الكليني في الكافي نحو ١١١٠ رواية عن شيخه علي بن إبراهيم^١ وهذه الروايات تمثل مساحة كبيرة من النقول في الكافي وتعبّر صراحة عن عقيدة الكليني التي اكتسبها وتأثر بها من شيخه القمي ولنذكر هنا بعض الأمثلة فقط لإثبات نسبة هذا الكتاب لصاحبه وليس هذا للحصر. ومن ذلك :

١- ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ يونس : ١٥ ، فقال: « عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله تعالى: "أنت بقرآن غير هذا أو بدله" قال: قالوا: أو بدل يعني علياً عليه السلام»^٢.

٢- وأيضاً ما روى الكليني في باب نتف من التنزيل في الولاية، عند قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ الروم: ٣٠ ، عن علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: "أقم وجهك للدين حنيفاً" قال: هي الولاية»^٣.

١ - نقد الحديث - مجدي الجارحي: ٦٠٧.

٢ - تفسير القمي: ج ١/٣١٠ ، الكافي: ج ١/٤١٩ (٣٧) ، كتاب الحجّة ، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ، قال المجلسي في مرآة العقول: "ضعيف" ج ٥/٣٩ ، وفي بحار الأنوار، للمجلسي: ج ٣٦/ ٨٠ .

٣ - تفسير القمي: ج ٢/١٥٤ ، الكافي: ج ١/٤١٨ (٣٥) ، الباب السابق، قال المجلسي في مرآة العقول: "مجهول" ج ٥/٣٦.

٣- وأيضاً في الباب السابق عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحكم بن بهلول، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزمر: ٦٥ «قال: يعني إن أشركت في الولاية غيره "بل الله فاعبد وكن من الشاكرين" يعني بل الله فاعبد بالطاعة وكن من الشاكرين أن عضدتك بأخيك وابن عمك»^١.

٤- وعند قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبِي وَإِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتَ بِمُعْجِزِينَ﴾ يونس: ٥٣، قال: «(ويستنبئونك) يا محمد أهل مكة في علي (أحق هو) أي إمام (قل إني وربي انه لحق)^٢».

٥- وأيضاً ذكر: «فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبدالله قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر، فقال أمير المؤمنين: ألا أن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله»^٣.

٦- وأيضاً في باب البداء نجد نقل النص التالي: «عن علي بن إبراهيم عن الريان ابن الصلت قال: سمعت الرضا يقول ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر الله بالبداء»^٤.

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٢٥١، الكافي: ج ١ / ٤٢٧ (٧٦) الباب السابق، قال المجلسي في مرآة العقول: "مجهول" ج ٥ / ٩٤ .

٢ - تفسير القمي: ج ١ / ٣١٣، الكافي: ج ١ / ٤٣٠ (٨٧) الباب السابق، قال المجلسي في مرآة العقول: "ضعيف" ج ٥ / ١٢٢ .

٣ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٦٧، الكافي: ج ١ / ٢٢٣ (٦)، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، قال المجلسي في مرآة العقول: "حسن كالصحيح" ج ٣ / ٣٤ .

٤ - تفسير القمي: ج ١ / ١٩٤ - الكافي: ج ١ / ١٤٨ (١٥) كتاب التوحيد، باب البداء، قال المجلسي في مرآة العقول: "مرسل" ج ٢ / ١٤٢ .

٧- وفي باب الجبر والقدر نقل عنه فقال: « علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل ابن مرار، عن يونس بن عبدالرحمن قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا يونس لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار ولا بقول إبليس فإن أهل الجنة قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وقال أهل النار: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين، وقال إبليس: رب بما أغويتني، فقلت: والله ما أقول بقولهم ولكني أقول: لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدر وقضى، فقال: يا يونس ليس هكذا لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، يا يونس تعلم ما المشيئة؟ قلت: لا، قال: هي الذكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟ قل: لا، قال: هي العزيمة على ما يشاء، فتعلم ما القدر؟ قلت: لا، قال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء، قال: ثم قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين»^١.

٨- وفي باب البيان والتعريف ولزوم الحجة نقل عنه قال: « علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن ابن بكير، عن حمزة بن محمد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: "وهديناه النجدين" قال: نجد الخير والشر»^٢.

وأيضاً نقل عن القمي شيخهم المجلسي والذي نقل قدراً لا بأس به من أقوال علي ابن إبراهيم القمي في كتابه المشهور عندهم والموسوم "ببحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار" ومن اسم الكتاب يعلم مضمونه، فهو يجمع فيه أقوال أئمتهم ونقل في الكتاب روايات كثيرة، قد جمعها من الكتب التي سبقته ومنها تفسير القمي.

فقال في باب في العلم وكيفيته والآيات الواردة فيه ناقلاً عنه:

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٢٤، الكافي: ج ١ / ١٥٧ - ١٥٨ (٤) كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، قال المجلسي في مرآة العقول: "مجهول" ج ٢ / ١٨٤.

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ٤٢٢، الكافي: ج ١ / ١٦٣ (٤)، كتاب التوحيد، باب البيان والتعريف ولزوم الحجة، قال المجلسي في مرآة العقول: "حسن موثق" ج ٢ / ٢٢٦.

١ - «عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ الرعد: ٨ ، ما تغيض أي ما تسقط قبل التمام، وما تزداد، يعني على تسعة أشهر، كل ما رأت المرأة من حيض في أيام حملها زاد ذلك على حملها.

ثم قال وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر في قوله: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ الرعد: ١٠ قوله "سواء منكم من أسر القول ومن جهر به" السر والعلانية عنده سواء، وقوله: "ومن هو مستخف بالليل" أي مستخف في جوف بيته. وقال علي بن إبراهيم في قوله: "وسارب بالنهار" يعني تحت الأرض فذلك كله عند الله ﷻ واحد يعلمه»^١.

ثم قال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان: ٣٤، قال الصادق: هذه الخمسة أشياء لم يطلع عليها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وهي من صفات الله ﷻ»^٢.

٢ - ونقل في باب نفي الظلم والجور عنه تعالى قال :

« في رواية أبي الجارود^٣ قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ الأعراف: ٢٩ - ٣٠ "قال: خلقهم حين خلقهم مؤمنا وكافرا وشقيا وسعيدا، و كذلك يعودون يوم القيامة مهتد وضال، يقول: إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ؛ وهم القدرية الذين يقولون: لا قدر، ويزعمون أنهم قادرون على الهدى والضلالة، وذلك إليهم إن شاءوا اهتدوا، وإن شاءوا ضلوا، وهم مجوس هذه الأمة، وكذب أعداء الله المشية والقدرة لله "كما بدأكم تعودون" من خلقه الله شقيا

١ - تفسير القمي: ج ١/٣٦٠، بحار الأنوار: ج ٤/٨١ - ٨٢ .

٢ - تفسير القمي: ج ٢/١٦٧، بحار الأنوار: ج ٤/٨٢ .

٣ - في تفسير القمي ذكر بعد ذلك: عن أبي جعفر ﷺ .

يوم خلقه كذلك يعود إليه، ومن خلقه سعيدا يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيدا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه»^١.

٣- وفي باب مذاكرة العلم ومجالسة العلماء قال:

« تفسير علي بن إبراهيم: عن أمير المؤمنين: أيها الناس طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس وتواضع من غير منقصة، وجالس أهل الفقه والرحمة، وخالط أهل الذل والمسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية»^٢.

٤- وفي باب البدع والرأي والمقائيس^٣ قال:

«في تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴿٢٧﴾ يونس: ٢٧
هؤلاء أهل البدع والشبهات والشهوات يسود الله وجوههم ثم يلقونه»^٤.

وفي الباب نفسه قال: «تفسير علي بن إبراهيم لقوله تعالى: ﴿

الْعَاوِدُونَ ﴿٢٢٤﴾ الشعراء: ٢٢٤، قال: نزلت في الذين غيروا دين الله وخالفوا أمر الله، هل رأيتم شاعراً قط يتبعه أحد؟ إنما عني بذلك الذين وضعوا ديننا بأرائهم فتبعهم الناس على ذلك»^٥.

١ - تفسير القمي: ج ١/ ٢٢٧، بحار الأنوار: ج ٩/ ٥.

٢ - تفسير القمي: ج ٢/ ٧٠، بحار الأنوار: ج ١/ ١٩٩.

٣ - يقصد بالمقائيس: القياس، قال المجلسي: "قال جعفر بن محمد عليه السلام: إن أمر الله تعالى ذكره لا يحمل على المقائيس، ومن حمل أمر الله على المقائيس هلك وأهلك، إن أول معصية ظهرت الإبانة من إبليس اللعين حين أمر الله تعالى ذكره ملائكته بالسجود لآدم، فسجدوا وأبى إبليس اللعين أن يسجد، فقال عليه السلام: "ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" فكان أول كفره قوله: "أنا خير منه" ثم قياسه بقوله: "خلقتني من نار وخلقته من طين" فرده الله عليه السلام عن جواره ولعنه وسماه رجيماً، وأقسم بعزته لا يقيس أحد في دينه إلا قرنه مع عدوه إبليس في أسفل درك من النار، بحار الأنوار المجلسي - ج ١٣/ ٢٨٩، وهذا مرده إلى أن الشيعة لا تقبل القياس ولا تعمل به.

٤ - تفسير القمي: ج ١/ ٣١١، بحار الأنوار: ج ٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩.

٥ - تفسير القمي: ج ٢/ ١٢٥، بحار الأنوار: ج ٢/ ٢٩٩.

وأيضاً ذكر قوله: « تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ الكهف: ١٠٣ - ١٠٤ ، قال: هم النصارى، والقسيسون، والرهبان، وأهل الشبهات والأهواء من أهل القبلة والحرورية، وأهل البدع - ثم بين ما قاله علي بن إبراهيم في تأويله للحرورية فقال: بيان: الحرورية: هم الخوارج^١.

٥- وفي باب التفكير في ذات الله تعالى قال :

«تفسير علي بن إبراهيم: جعفر بن أحمد، عن عبيدالله بن موسى، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله قال: قلت: قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ مريم: ٨٨ قال: هذا حيث قالت قريش: إن لله ولدا، وإن الملائكة إناث، فقال الله تبارك وتعالى ردا عليهم: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ مريم: ٨٩ أي عظيما ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ مريم: ٩٠ مما قالوا: ﴿ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ مريم: ٩١، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿ (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿ (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ مريم: ٩٢ - ٩٥ ، واحدا واحدا»^٢.

وفي الباب نفسه قال: «تفسير علي بن إبراهيم: قوله: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ النجم: ٤٢، حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبدالله قال: إذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا، وتكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش، فإن قوما تكلموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه، وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه»^٣.

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٢٤٦، بحار الأنوار: ج ٢ / ٢٩٩ .

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ٥٧، بحار الأنوار: ج ٣ / ٢٥٦ .

٣ - تفسير القمي: ج ١ / ٢٦، بحار الأنوار: ج ٣ / ٢٥٩ - ٢٦٠ .

ومن هذا وسابقه يمكن إثبات صحة نسبة كتاب التفسير إلى صاحبه، فقد عمدت إلى النقل من كتابين مختلفين في الحقب الزمنية فكتاب الكافي للكليني كتاب متقدم والكليني صاحب الكافي - كما هو معروف - تلميذ مباشر للقمي، أما كتاب بحار الأنوار فهو كتاب متأخر - إلى حد ما - وصاحبه المجلسي هو تلميذ للطوسي شيخ الطائفة، وكلاهما قد نقل عن صاحب التفسير روايات كثيرة جداً، واعتمد مقالاته وكتابه .

المبحث الثاني:

مصادره في تفسيره

على الرغم من أن الشيعة الإمامية تزعم أنها وضعت من عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى عهد الحسن العسكري أربع مئة كتاب كلها أسموها الأصول^١ وعلى الرغم من وجود كتب أخرى للقمي إلا أنني لم أجد ذكراً لاسم أي كتاب خلال رحلتي مع كتاب التفسير، وإذا عللنا السبب في ذلك إلى تقدم التفسير عن كتب القمي جميعاً فإن الملاحظ أنك لا تجد ذكراً لأي مصدر آخر استقى منه المفسر تفسيره، بل تجد أن التفسير يعتمد على الرواية وأن غالب ما يرويه علي بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن هاشم القمي، ولعلنا إذا وقفنا عند هذه النقطة وهي أن هذا الكتاب من الكتب النقلية المتقدمة عند الشيعة - والتي يطلق عليها اسم الأصول - وأن صاحبه قد رواه عن أبيه، فلا بد لنا أن نقف عند إبراهيم بن هاشم القمي، باعتباره أهم مصدر أو هو المصدر الرئيس في الكتاب، فنجد أن كل ما روي عنه في كتب الرجال ضئيل جداً في مضمونه مع أنه يعتبر من أشهر علماء الشيعة فهو من عاصري أبي الحسن (الرضا) وسمع منه - بزعمهم - وذكر الخاقاني^٢ في رجاله أنه من تابعي التابعين^٣ ورغم ذلك فالترجمة له لم تكن بأوسع من ترجمة ابنه - علي أي حال - وهذا ما قيل عنه :

- فكتب في رجال النجاشي: « إبراهيم بن هاشم أبو إسحاق القمي أصله كوفي،

انتقل إلى قم ،

١ - معالم العلماء: ٣٩ .

٢ - هو: أبو الحسن علي بن حسن بن عباس بن محمد بن علي بن سالم الخاقاني، فقيه شيعي كبير ومعروف لديهم، ولد في النجف وتوفي بها (١٢٤٥ - ١٣٣٤هـ) نشأ على أبيه حيث عني بتربيته فأقرأه مقدمات العلوم، وأخذ الفقه والأصول عن علماء عصره أمثال مرتضى الأنصاري، الميرزا حسن الشيرازي، المازندراني، والبهباني الحائري، من كتبه غير هذا الكتاب شرح اللمعة الدمشقية، وعدة رسائل في النكاح والطلاق والموارث وأحكام الرضاع وغيرها. انظر: مقدمة رجاله لحفيده: ٢١-٢٥.

٣ - رجال الخاقاني: ١١٦ - ١١٧.

قال أبو عمرو الكشي: "تلميذ يونس بن عبد الرحمن^١ من أصحاب الرضا عليه السلام"، هذا قول الكشي، وفيه نظر، وأصحابنا يقولون: أول من نشر حديث الكوفيين بقم هو. له كتب، منها: النوادر، وكتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، أخبرنا محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن حمزة الطبري قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه إبراهيم بها^٢.

١ - هو: يونس بن عبد الرحمن من أصحاب موسى بن جعفر عليه السلام من موالى آل يقطين علامة زمانه كثير التصنيف والتأليف على مذاهب الشيعة، طعن عليه القميون، وهو ثقة وله من الكتب كتاب علل الأحاديث كتاب الصلاة كتاب الصيام كتاب الزكاة كتاب الوصايا والفرائض كتاب جامع الآثار كتاب البداء، وروى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام وكان الرضا عليه السلام يشير إليه في العلم والفتيا، وكان ممن بذل له على الوقف مال جزيل وامتنع من أخذه وثبت على الحق، وقد ورد في يونس بن عبد الرحمن مدح ودم، قال أبو عمرو الكشي: في ما أخبرني به غير واحد من أصحابنا، عن جعفر بن محمد، عنه حدثني علي بن محمد بن قتيبة قال: حدثني الفضل بن شاذان قال: حدثني عبد العزيز المهدي - وكان خير قمي رأيته، وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصته - فقال: إني سألته فقلت: إني لا أقدر على لقاءك في كل وقت فممن آخذ معالم ديني؟ فقال: "خذ عن يونس بن عبد الرحمن" وهذه منزلة عظيمة، ومثله ما رواه الكشي عن الحسن بن علي بن يقطين سواء، وقال شيخنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان في كتابه مصابيح النور: أخبرني الشيخ الصادق أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه قال: حدثنا علي بن الحسين بن بابويه قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري قال: قال لنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري: عرضت على أبي محمد صاحب العسكر عليه السلام كتاب يوم ولية ليونس، فقال لي: تصنيف من هذا؟ فقلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين، فقال: "أعطاه الله بكل حرف نورا يوم القيامة"، ومدائح يونس كثيرة ليس هذا موضعها، وروى العليل، عن ابن الوليد، عن العطار، عن أحمد بن الحسين بن سعيد، عن محمد بن جمهور، عن أحمد بن الفضل، عن يونس قال: مات أبو الحسن عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير وكانت سبب وفقهم وجحودهم، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، فلما رأيت ذلك وتبين الحق وعرفت من أمر الرضا عليه السلام ما علمت تكلمت ودعوت الناس إليه، فبعثنا إلي وقالوا: ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فحن نغنيك، وضمننا لي عشرة آلاف، وقالوا: كف، فأبيت وقلت لهم: إنا روينا عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان منه، وما كنت لأدع الجهاد في أمر على كل حال، فناصرني وأضمر لي العداوة، انظر: الفهرست: ج/٣٠٩، قاموس الرجال: ج/١١/١٧٠ - ١٧٣، علل الشرائع: ٢٣٥، الكشي: ٤٩٠، رجال النجاشي: ٤٤٦ - ٤٤٧، خلاصة الأقوال: ٢٩٦ - ٢٩٧.

٢ - رجال النجاشي: ١٦.

وقال العلامة الحلبي^١ في خلاصة الأقوال: « إبراهيم بن هاشم، أبو إسحاق القمي، أصله من كوفة وانتقل إلى قم، وأصحابنا يقولون: انه أول من نشر حديث الكوفيين بقم، وذكروا أنه لقي الرضا عليه السلام، وهو تلميذ يونس بن عبد الرحمن، ولم أقف لأحد من أصحابنا على قول في القدرح فيه، ولا على تعديله بالتنصيص، والروايات عنه كثيرة، والأرجح قبول قوله^{٢-٣}.

وترجم مصحح التفسير في مقدمته له فقال: « لا يخفى على أرباب النهي ما ورد من الثناء على القميين وما هي مرتبتهم باعتبار خدمتهم للدين المبين - فعن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي إن الإمام الصادق الناطق بالحق يقول: « قم بلدنا وبلد شيعتنا مطهرة مقدسة قبلت ولايتنا أهل البيت لا يريدهم أحد بسوء إلا عجلت عقوبته ما لم يخونوا إخوانهم فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم جابرة سوء، أما إنهم أنصار قائمنا ورعاة حقنا، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم اعصمهم من كل فتنة ونجهم من هلكة^٤ ».

ففضل أهل قم لا ينكر لأنه أبهر من الشمس وأشهر من القمر وكيف لا يكون كذلك وقد خرج منها جهاذة العلوم الجعفرية وعباقرة البحور الباقية إلا أن منهم من نال حظه أزيد وأكثر كإبراهيم أبي علي هذا فإنه شيخ القميين ووجههم، فضله على القميين

١ - هو: أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي الحلبي مولدا ومسكناً (٦٤٨-٧٢٦هـ) نشأ تحت رعاية والده الفقيه ودرس الفقه والأصول على يد خاله جعفر بن الحسن بن سعيد الحلبي، صاحب الشرائع، وأخذ عن نصير الدين الطوسي، وكمال البحراني وغيرهم غيره من العلوم، له كتب كثيرة منها هذا الكتاب وهو خلاصة ما في فهرس الطوسي ورجاله، ورجال النجاشي، ومنها أيضاً تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، كشف المقال في معرفة الرجال، منتهى المطلب في تحرير المذهب، انظر: كليات في علم الرجال: ١١٩، ومقدمة خلاصة الأقوال: ٥ - ٢٢ .

٢ - خلاصة الأقوال: ٤٩ .

٢- ويعلق محقق الكتاب على عدم ورود مدح في إبراهيم القمي فيقول: « أما ما قاله المصنف بعدم وجود مدح فيه، فلا ينبغي الشك في وثاقته، لان ابن طاووس عده في فلاح السائل: (١٥٨) من الذين اتفق الأصحاب على وثاقته، مضافاً انه أول من نشر حديث الكوفيين بقم، والقميون - مع ما هم عليه من رد الضعفاء - اعتمدوا برواياته ولم يذكروا فيه شيئاً، وأيضاً هو مع كثرة رواياته يعد من المعاريف ولو وجد فيه ضعف أو قدرح لذاع وانتشر.

٤ - لم أعثر عليه في كتاب الغيبة للطوسي ووجدته في كتاب: الكنى والألقاب، لعباس القمي: ج ٣ / ٨٧ .

باعتبار تقدمه في رواية الكوفيين ، قد حكى الشيخ والنجاشي وغيرهما من الأصحاب أنه أول من نشر أحاديث الكوفيين بقم^١ .

- قال الداماد^٢ في الرواشح: « إن مدحهم إياه - أي إبراهيم بن هاشم القمي - بأنه أول من نشر أحاديث الكوفيين بقم كلمة جامعة وقال أيضا الصحيح والصريح عندي أن الطريق من جهته صحيح فأمره أجل وحاله أعظم من أن يتعدل ويتوثق بمعدل وموثق غيره بل غيره يتعدل ويتوثق بتعديله وتوثيقه إياه، كيف وأعظم أشيائنا الفخام كرئيس المحدثين الصدوق والمفيد^٣ وشيخ الطائفة ونظرانهم ومن في طبقتهم ودرجتهم ورتبتهم من الأقدمين والأحدثين شأنهم أجل وخطبهم أكبر من أن يظن بأحد منهم قد احتاج إلى تنصيب ناص وتوثيق موثق وهو شيخ الشيوخ وقطب الأشياخ ووتد الأوتاد وسند الإسناد فهو أحق وأجدر بأن يستغنى عن ذلك»^٤ .

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٩ - ١٠ .

٢ - هو: محمد باقر بن محمد الحسيني الاسترآبادي المعروف بالمير الداماد محقق وعالم شيعي، من أهل أصبهان، سمي الداماد لان والده كان صهرا للمحقق الثاني فيدعى دامادا ثم انتقل هذا اللقب إلى ولده، وله من المؤلفات: القبسات، والرواشح السماوية، والصراط المستقيم، والحبل المتين، وشارع النجاة، وضوابط الرضاع، وغير ذلك من الكتب وله حواش على الكافي والفقيه والصحيفة السجادية وغير ذلك، وله ديوان شعر بالعربية والفارسية، ذهب في آخر عمره من أصبهان بمرافقة السلطان شاه صفي إلى زيارة العتبات العاليات فمات هناك وذلك سنة ١٠٤١ ودفن في النحف. الكنى والألقاب - عباس القمي: ج ٢ / ٢٢٦ - ٢٢٨، الأعلام للزركلي: ج ٦ / ٤٨ .

٣ - هو: محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام البغدادي، أبو عبدالله، المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه، ونشأ وتوفي ببغداد عاش ست وسبعين سنة، كانت جنازته مشهورة شيعة ثمانون ألفا من الرافضة والشيعة، وأراح الله منه أهل السنة، وصلى عليه الشريف المرتضى، له نحو مأتي مصنف، منها: الإعلام فيما اتفقت الأمامية عليه من الأحكام والإرشاد، والزهاء والأئمة، والرسالة المقنعة وأحكام النساء وأوائل المقالات في المذاهب والمختارات والأمالي، نقض فضيلة المعتزلة وإيمان أبي طالب، انظر: رجال النجاشي: ٢٨٣، روضات الجنات: ج ٤ / ٢٤، الكنى والألقاب: ج ٣ / ١٩٧ . قال الذهبي: أكثر من الطعن على السلف، وكانت له صولة، في دولة عضد الدولة. ميزان الاعتدال: ج ٣ / ١٣١ .

٤ - الرواشح السماوية: ٨٢ .

- وقال في الفهرست: «إبراهيم بن هاشم أبو إسحاق القمي أصله من الكوفة وانتقل إلى قم وأصحابنا يقولون إنه أول من نشر حديث الكوفيين بقم وذكروا أنه لقي الرضا عليه السلام. والذي أعرف من كتبه كتاب النوادر وكتاب القضاء لأمير المؤمنين عليه السلام». ^١. وقال في التنقيح ما لفظه: «إنه شيخ من مشايخ الإجازة فقيه، محدث من أعيان الطائفة وكبرائهم وأعاضمهم وأنه كثير الرواية سديد النقل قد روى عنه ثقات الأصحاب وأجلاؤهم وقد اعتنوا بحديثه وأكثروا النقل عنه كما لا يخفى على من راجع الكتب الأربعة للمشايخ الثلاثة ^٢ فإنها مشحونة بالنقل عنه أصولاً وفروعاً» ^٣.

والظاهر أن إبراهيم بن هاشم ولد في عصر أبي الحسن الكاظم إذ كان وفاته ١٨٩ هـ ولا يوجد أثر للقائه وروى عن أصحابه وعن جماعة من أصحاب أبي عبد الله الصادق،

١ - الفهرست للطوسي: ٣٦ .

ويعلق محقق كتاب الفهرست - جواد القيومي - فيقول: " والظاهر صحة قوله ودعوى الجرم بعدم صحة ما ذكره الكشي والشيخ، والوجه في ذلك إن إبراهيم بن هاشم مع كثرة رواياته حتى لا يوجد في الرواة - على اختلاف طبقاتهم - من يدانيه في ذلك وقد روى عن مشايخ كثيرة يبلغ عددهم زهاء مائة وستين شخصاً ومع ذلك لم توجد له ولا رواية واحدة عن الرضا عليه السلام بلا واسطة ولا عن يونس، وكيف يمكن أن يكون إبراهيم بن هاشم من أصحاب الرضا وتلميذ يونس ومع ذلك لم يرو عنهما " فهرست الطوسي: حاشية صفحة ٣٦ .

والراجح في الأمر هو ما ذكره ابن حجر من أنه أدرك الرضا ولم يلقه، وأن مسألة لقائه غير صحيحة .

٢ - يقصد بالكتب الأربعة: كتاب الكافي - لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، ومن لا يحضره الفقيه - لمحمد بن بابويه القمي، والثالث والرابع: التهذيب والاستبصار وكلاهما لمحمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة .

٣ - تنقيح المقال: ج ١ / ٨٢ .

ونشأ في أيام الرضا وقد عدّه الطوسي من أصحابه ، وذكر ابن شهر آشوب^١ في معالمه « أنه لقي علي بن موسى الرضا»^٢ .

أما مسألة لقياً الرضا فقد سبق أن أشرنا إلى ما ذكره ابن بابويه القمي في تاريخ الري من أنه أدركه ولم يلقه، وروى عن أصحابه، وأدرك أبو جعفر الجواد وروى عنه، وروى عن جماعة من أصحابه وأصحاب الهادي والعسكري^٣ .

ويقول صاحب تهذيب المقال: « تلمذته علي بن يونس يستغرب تتلمذ إبراهيم بن هاشم علي بن يونس بل ينكر، إما لأن يونس مات في أيام الرضا عليه السلام وقبض بالمدينة مجاوراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك مُدح في كلام الرضا عليه السلام فكيف يتلمذ عليه إبراهيم المتأخر عنه ولم يكن من أصحاب الرضا عليه السلام أو لأن التلمذ عليه يقتضي روايته عنه بلا واسطة، ولم نر له عنه رواية إلا نادراً بواسطة الرجال، أو لأنه أول من نشر حديث الكوفيين بقم . ولو كان تتلمذ عليه وروى عنه، كان هو الأولى والأقرب بالطعن والوقية من القميين، إذ قد طعنوا في يونس، كما ذكره الشيخ وغيره^٤ ، وضعفوه دونه .

قلت _ أي المحقق - : إن موت يونس في أيام الرضا عليه السلام لا ينافي تتلمذ إبراهيم عليه، وعدم صحبة إبراهيم للرضا عليه السلام وروايته عنه أيضاً لا تنافي كونه في عصره عليه السلام، كما أن تتلمذ إبراهيم عليه لا يلازم الرواية عنه، بل ولا سماعه الحديث منه كثيراً، فقد كان يونس جليلاً، عظيم المنزلة، يشار أيضاً إليه في العلم والفتيا لا الحديث فقط .

١ - هو: هو أبو عبدالله محمد علي بن شهر آشوب بن كياكي - المكنى بأبي نصر بن أبي الجيش السروي المازندراني، الفقيه المحدث المفسر المحقق، اشتهر بلقب (شيخ الطائفة) وهذا اللقب العالمي لم يفز به غيره بعد الشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ . لم يثبت تاريخ ولادته غير أنه توفي في سنة ٥٨٨ هـ سنة ١١٩٢ م ، وله من العمر تسع وتسعون سنة فيعتقد أن ولادته كانت في سنة ٤٨٩ هـ ، مقدمة كتابه معالم العلماء : ٣ ، مستدركات علم رجال الحديث - علي النماز : ج ٨ / ٤٩٧ ، معجم رجال الحديث الخوئي : ج ١٧ / ٣٥٤ .

٢ - معالم العلماء : ٤٠ .

٣ - انظر في ذلك: تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النحاشي: ج ١ / ٢٧٢ : ٢٧٤ .

٤ - كما في الكشي : ٤٨٦ .

٥ - رجال الطوسي : ٣٦٨ .

وقال ابن النديم^١ في الفهرست: "علامة زمانه، كثير التصنيف والتأليف على مذاهب الشيعة . . . وكان من أهل الكلام"^٢.

وحينئذ عدم الرواية عنه لا تنافي تتلمذه. وأما نشره الحديث فلا تنافي تتلمذه، إلا إذا أعلن واشتهر بتلمذته على يونس. ولعله نشر أحاديث الكوفيين بقم عن غير يونس وغير مجاهر بتلمذته عليه، تحفظاً على غرضه الأعلى من نشر الحديث، ولم يرو عن يونس بلا واسطة شيئاً احتياطاً منه بعدم الابتلاء بطعنهم، بل لم يرو عن تلاميذه عنه أيضاً إلا نادراً، وهذا أمر غير بعيد، وروايته عن الرجال، عن يونس لا تنافي تلمذته إذا كانت تحفظاً واحتياطاً منه للابتلاء بالطعن، وعلى ذلك كان عمل جماعة من أكابر الحديث، فقد تركوا الرواية عن مشايخهم لطعن فيهم، ورووا بواسطة عنهم^٣»^٤

فهذا الجواب لا يعدو كونه مجرد دعوى عارية عن الشاهد، مما يمنع من الركون إليه. ولرد عليه أقول:

أولاً: الأمر المتعلق بكونه تتلمذ على يونس بن عبد الرحمن، فمردود لسببين: أحدهما: أنه لم توجد له رواية عن يونس، ومن المستبعد عادة أن يتلمذ واحد على أستاذ ولا يروي عنه مع كونه من أصحاب الحديث والبارزين في الفتيا أيضاً كما هو حال يونس بن عبد الرحمن.

ثانيهما: قد ذكرت في ترجمة إبراهيم بن هاشم أنه أول من نشر حديث الكوفيين بقم، وهذا يشير إلى كونه مقبول الرواية عندهم، ومن المعلوم أن يونس بن عبد الرحمن كان مطعوناً عليه عند القميين، فكيف يقبل حديث تلميذه، ويرفض حديث الأستاذ ويطعن عليه .

١ - محمد بن إسحاق النديم البغدادي كنيته أبو الفرج، الإخباري الأديب الشيعي المعتزلي، صاحب التصانيف الكثيرة منها الفهرست وكتاب التشبيهات، والفهرست هو في أخبار الأدباء وذكر أنه صنف سنة ٣٧٧هـ وتاريخ وفاته غير معلوم. انظر: تاريخ الإسلام: ج ٢٧ / ٣٩٩، ومعجم الأدباء: ج ٥ / ٢٢٨.

٢ - الفهرست لابن النديم: ج ١ / ٣٠٩ .

٣ - انظر وتأمل كيف يستخدمون التقية في نشر مذهبهم !

٤ - تهذيب المقال: ٢٧٢ - ٢٧٣ .

الأمر الثاني: كونه من أصحاب الرضا وهو مردود أيضاً لأنه لا يوجد له رواية واحدة يرويها عن الإمام الرضا من دون واسطة. وكذلك لا يوجد ما يدل على أنه قد لاقى يونس أو الرضا، وهذا لا يمنع من أنه كان معاصراً ليونس وللرضا كما ذكر ذلك ابن بابويه القمي .

- إبراهيم القمي بين الوثاقة وعدمها :

ذكر المحقق المامقاني^١ في كتابه أن الأقوال في حديث إبراهيم القمي من جهة إحرار الوثاقة وعدمها، ثلاثة:

الأول: أنه حسن، وهو قول السيد التفرشي^٢ في كتابه نقد الرجال، والسيد بحر العلوم^٣ في فوائده،

١ - هو: عبدالله بن حسن بن عبد الله بن محمد باقر المامقاني النجفي: ١٢٩٠ - ١٣٥١ هـ، مؤرخ متأدب متفقه إمامي، من أهل النجف، مولده ووفاته بما، من كتبه "تنقيح المقال في أحوال الرجال و"مناهج المتقين" و"مجمع الرسائل". الأعلام للزركلي: ج ٤ / ٧٩ .

٢ - هو: مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي من أعلام الشيعة في القرن الحادي عشر الهجري، من كبار تلامذة المحقق عبدالله بن الحسين التستري (المتوفى سنة ١٠٢١ هـ) والشيخ عبد العالي بن علي بن الحسين بن عبد العالي العاملي الكركي (٩٢٦ - ٩٩٣ هـ) عاصر الميرزا محمد بن علي بن إبراهيم الاسترابادي (المتوفى سنة ١٠٢٨ هـ) والشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي (المتوفى سنة ١٠٣٠ أو ١٠٣١ هـ) والشيخ محمد تقي المجلسي (المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ) وروى عنهم، ترجم له جم غفير من العلماء، ولكن لم يتطرق أحد منهم إلى سنة ولادته أو وفاته، ولا إلى حياته أو مؤلفاته، ولا إلى أساتذته أو تلامذته سوى ما ذكرنا آنفاً . مقدمة كتابه نقد الرجال: ج ١ / ٨-٩ .

٣ - هو: محمد مهدي بن مرتضى بن محمد البروجردي الطباطبائي، كان من علماء الشيعة، ولد في الحائر سنة ١١٥٥ هـ، تتلمذ على جماعة من أساطين الدين من الفقهاء والمحققين الشيعة منهم البهبهاني، حسين القزويني، الخونساري، والمحقق يوسف البحراني، توفي الطباطبائي بحر العلوم في النجف سنة ١٢١٢ هـ ودفن بجنب باب المسجد الطوسي . الكنى والألقاب - عباس القمي: ج ٢ / ٦٧ - ٧٣ .

والشهيد الأول^١ والشيخ البهائي^٢ وغيرهم.

الثاني: أنه حسن كالصحيح، وقد اختاره المجلسي، وقال به غير واحد من الأصحاب في كتبهم الفقهية.

الثالث: أنه صحيح، وقد قواه جمع من المتأخرين، كما ذكر بحر العلوم.^٣
ومن الأدلة التي يستدلون بها على توثيقه:

١ - اعتماد ابنه علي بن إبراهيم عليه كثيراً، وروايته عنه في كتابه التفسير، وهذا عن طريق العبارة السابق ذكرها والتي افتتح بها مقدمة تفسيره أنه لا يروي إلا عن الثقات، حين قال: « ونحن ذاكرون ومخبرون بما انتهى إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم وأوجب ولايتهم »^٤.

والعبارة المذكورة تفيد توثيق كل واحد ممن وقع في إسناد الكتاب، ولا أقل من كونها ترمي إلى توثيق خصوص مشايخ علي بن إبراهيم، ومن بينهم أبوه.
ولكن هل يعتبر مجرد نقل علي بن إبراهيم لروايات أبيه في تفسيره دلالة على أنه ثقة، أم أن الأصل أن يكون أباه ثقة ولذلك نقل ابنه عنه في تفسيره؟!

١ - الشهيد الأول هو: أبو عبدالله محمد بن الشيخ العالم جمال الدين مكّي بن شمس الدين محمد الدمشقي العاملي الجزيني رئيس المذهب والملة ورأس المحققين الجلة شيخ الطائفة، ولد سنة ٧٣٤هـ، وتلمذ على تلامذة العلامة أوائل بلوغه ونال عدة اجازات من عدة من علماء الشيعة، وكانت وفاته في يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى سنة ٧٨٦هـ قتل بالسيف ثم صلب ثم رجم ثم أحرق بدمشق في دولة بيدمر وسلطنة برقوق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي وعباد بن جماعة الشافعي بعد ما حبس سنة كاملة في قلعة الشام وفي مدة الحبس أُلّف (اللمعة الدمشقية). الكنى والألقاب، عباس القمي: ج ٢ / ٣٧٧ - ٣٧٨ .

٢ - هو: محمد بن الحسين بن عبدالرحمن الجعبي العاملي الحارثي، ولد في بعلبك سنة ٩٥٣هـ، وتوفي سنة ١٠٣١هـ بأصفهان ونقل إلى طوس ودفن بها - الكنى والألقاب: ج ٢ / ١٠٠ - ١٠٥ .

٣ - تنقيح المقال: ج ١ / ٨٢ .

٤ - تفسير القمي: ج ١ / ١٦ .

٢- الثاني: وقوعه في إسناد كتاب كامل الزيارات، وقد حكم ابن قولويه^١ بوثاقة جميع من وقع في كتابه، فقال: « ولم أخرج فيه حديثاً روي عن غيرهم إذا كان فيما رويناه عنهم من حديثهم صلوات الله عليهم كفاية عن حديث غيرهم، وقد علمنا أنا لا نحيط بجميع ما روي عنهم في هذا المعنى ولا في غيره لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته ولا أخرجت فيه حديثاً روي عن الشذاذ من الرجال يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث والعلم^٢ .

والعبارة المذكورة لا يظهر منها التوثيق، بل مقصودها التصحيح الموجود عند قدماء الشيعة، وعلى أنه لو سلمنا بكونها ناظرة إلى التوثيق الرجالي، أمكن دعوى اختصاصها بخصوص مشايخ ابن قولويه، كما قيل، لا مطلقاً .

٣- كثرة رواياته، ويرى ذلك من تتبع الكتب الأربعة، وبصائر الدرجات والمحاسن، وغيرها من الكتب الحديثية.

هذا ولا يخفى على أحد أن البناء على الوثاقة من هذا الوجه يلزم معها البناء على وثاقة العديد من الرواة لنفس السبب وهو كثرة الرواية وهذا لا يصح، فلا تقبل الوثاقة من هذا الوجه .

٤- دعوى كونه أول من نشر حديث الكوفيين في قم، هذا مع أن القميين متشددين جداً في قبول الحديث، حيث إنهم يتحرزون كثيراً في الرواية عن الضعفاء أو الجاهيل، بل قد أخرجوا من بلدهم من يتهم بعدم الضبط وعدم التحرز في النقل، كما وقع من محمد بن عيسى مع أحمد بن محمد البرقي^٣ .

والحاصل، لا يقبل القميون رواية كل أحد، ولا يسمعون من كل راوٍ، ذلك لتشددهم في

١ - هو: أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي الفقيه المحدث، أستاذ أبي عبد الله المفيد من مصنفاته كتاب كامل الزيارات، كان من علماء الفقه والحديث عند الشيعة، ويروي عن الشيخ الكليني أيضاً، توفي سنة ٣٦٨ أو ٣٦٧ ودفن في الحضرة الكاظمية في طرف الرجل وبجانبه قبر الشيخ المفيد، الكنى والألقاب - الشيخ عباس القمي: ج ١ / ٣٩١ / ٣٩٢ .

٢ - كامل الزيارات: ٣٧ .

٣ - تنقيح المقال: ج ١ / ٨٢ .

هذا الأمر كثيراً، وانتشار حديث إبراهيم بن هاشم بينهم، دليل على أنهم قد قبلوا روايته، وبالتالي يثبت كونه ثقة .

أقول: لا بد من ملاحظة أمر وهو أن نشر حديث الكوفيين في قم من قبله يحتمل المعنى الظاهر منه، بمعنى أنه كان المحدث بحديث الكوفيين في قم .

ولا يخفى أن هذا الاحتمال لا تنبني عليه الوثيقة، لأن مجرد نشر الحديث لا يوجب الاعتماد عليه، لأن القميين كان لهم منهج خاص في قبول الرواية، فكون إبراهيم بن هاشم موافقاً لهم في ذلك المنهج، أو كون مروياته منسجمة مع المنهج المتبع عندهم، ومتوافقة مع الأصول التي يعتمدون عليها، ومع المرويات التي يروونها، كافٍ للبناء على السماح له بالتحديث في قم ونشر الحديث. لا بناء على الوثيقة به .

٥ - عد الحلبي كثيراً من الأخبار الذي هو في طريقها بأنها صحيحة، فقد صحح طريق الصدوق إلى عامر بن نعيم^١، وطريقه إلى كردويه^٢، وطريقه إلى ياسر الخادم^٣، وهو واقع فيها .

ولكن العلامة الحلبي في ترجمته لإبراهيم بن هاشم في الخلاصة، لم يصرح بتوثيقه^٤، وهذا يوجب التوقف في أن التصحيح الصادر منه في الطرق السابقة لا وجه له .

وأيضاً كما صدر منه تصحيح الطرق السابقة، فقد حسن جملة من الطرق الواقع في سندها إبراهيم بن هاشم أيضاً، فقد حسن طريق إدريس بن زيد^٥، وطريق علي بن بلال^٦، وغيرهم، وليس من منشأ للتحسين إلا وجود إبراهيم بن هاشم في الطريق. ونستطيع القول بناء على ما سلف أنه يوجد تناقض من الحلبي في الحكم بالتصحيح تارة والتحسين تارة مع وجود إبراهيم القمي في السند، وذلك ربما لعدوله عما كان عليه

١ - خلاصة الأقوال : ٤٣٨ - الفائدة الثامنة .

٢ - المرجع السابق : ٤٣٧ .

٣ - المرجع السابق : ٤٣٩ .

٤ - المرجع السابق : ٤٩ .

٥ - المرجع السابق ٤٤٣ .

٦ - المرجع السابق : ٤٣٨ .

مسبقاً إما من التوثيق إلى التحسين أو العكس فيكون الحال المتيقن هو البناء على التحسين ، هذا والله أعلم .

– مشايخه ومن روى عنه :

روى إبراهيم بن هاشم عن جماعة من أصحاب الصادق ممن بقي إلى زمان أبي الحسن الرضا مثل ابن أبي عمير – وعليه أغلب رواياته – ففي الخصال « عن إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن أبي عبد الله عليه السلام . . . »^١ الحديث .
وروى عن عبدالله بن ميمون القداح، عنه ، كما في الخصال أيضاً، وعن حنان بن سدیر^٢، كما في الكافي في روايات^٣، وعن منصور بن يونس القرشي، أيضاً في الروضة^٤، الروضة^٥، والقاسم بن محمد الجوهری، أيضاً في الروضة^٦، وغيرها .
ومحمد بن الفضيل كما في كمال الدين^١، وحماد بن عيسى، في الكافي^٢ .

١ - الخصال : ٢٢٥ .

٢ - المرجع السابق: ٢٩٣، عند قوله: "أعطى الله ﷺ نبيه محمداً صلى الله عليه وآله خمسا وأعطى علياً عليه السلام خمسا" (٥٨)، " و٢٩٤، قول النبي صلى الله عليه وآله أعطيت في علي خمس " (٦٢) .

٣ - ستأتي ترجمته: ٢١٢ من هذا البحث .

٤ - الكافي: ج ٣/٢٠ (٤)، كتاب الطهارة، باب الاستبراء من البول وغسله ومن لم يجد الماء، علي بن إبراهيم عن أبيه عن حنان بن سدیر قال: "سمعت رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام، قال: ربما بليت... وأيضاً: ج ٦/٢٢٠ (٧) كتاب الصيد، باب آخر منه، علي بن إبراهيم عن أبيه عن حنان بن سدیر، قال: "سأل العلاء ابن كامل أبا عبد الله عليه السلام، ..."

٥ - المرجع السابق: ج ٨ / ٣٣٤ (٥٢٦)، كتاب أمير المؤمنين عليه السلام، تعبير رؤيا رأتها أمراً في عهد النبي صلى الله عليه وآله عن علي بن إبراهيم عن أبيه ومحمد بن إسماعيل وغيره عن منصور بن يونس عن ابن أذينة عن عبدالله بن النجاشي قال: "سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ النساء: ٦٣ .

٦ - المرجع السابق: ج ٨ / ١٢٨ (٩٨) قول: لا يقبل الله تعالى عملاً إلا بولاية أهل البيت عليهم السلام، علي بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد (و علي بن محمد، عن القاسم بن محمد) عن سليمان بن المنقري، عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: "قال: إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا... " ، وأيضاً، علي بن إبراهيم عن أبيه وعلي بن محمد جميعاً عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داوود المنقري عن حفص بن غياث قال: "قال: أبو عبدالله: إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه إلا أعطاه... "، حديث حفص وسجود أبي عبدالله عليه السلام، ج ٨ / ١٤٣ (١٢٨) .

والحسن بن راشد كما في الكافي أيضاً، وحماد بن عثمان، كما في الكافي
والتهذيب^١، وغيرهم .

وقد روى عن جماعة كثيرة من أصحاب الكاظم والرضا، ومن روى عنهما أو عن
أحدهما . مثل محمد بن أبي عمير ، والحسن بن محبوب ، وصفوان بن يحيى
والبزنطي، وحماد بن عيسى، وقد روى عنهم كثيرا جدا، ومحمد بن سنان وبكر ابن صالح،
وغيرهم.

وقد روى إبراهيم بن هاشم عن جماعة من أصحاب أبي جعفر الجواد وأبي الحسن
المهادي والعسكري، مثل إبراهيم بن مهزيار، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي، وداود بن

١ - كمال الدين: ٣٤٦ (٣٢)، الباب الثالث والثلاثون: ما روى عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام من النص
على القائم عليه السلام وذكر غيبته، وأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام، حدثنا أبي قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن
أبيه، عن محمد بن الفضيل، عن أبيه، عن منصور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا منصور إن هذا الامر لا يأتيكم إلا
بعد.

٢ - الكافي: ج ١/٣٧١ (١)، كتاب الحجة، باب: أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر علي
ابن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حرز، عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اعرف إمامك فإنك
إذا عرفت لم يضرك، تقدم هذا الأمر أو تأخر، وفي: ج ٨/٣١٦ (٤٩٧) كتاب أمير المؤمنين عليه السلام، باب الأمر
وبالتزوار والتعاهد، علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ربعي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: والله لا
يجننا من العرب والعجم إلا أهل البيوتات والشرف والمعدن ولا يبغضنا من هؤلاء وهؤلاء إلا كل دنس ملصق .

٣ - المرجع السابق: ج ٤/١٣٥ (١) كتاب الصوم، باب صوم الحائض والمستحاضة، علي بن إبراهيم، عن أبيه،
عن الحسن بن راشد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام الحائض تقضي الصوم؟ قال: نعم، قلت: تقضي الصلاة؟
قال: لا، قلت: من أين جاء هذا؟ قال: أول من قاس إبليس .

٤ - الكافي: ج ١/٤١٠ (٢)، باب سيرة الامام في نفسه وفي المطعم والملبس إذا ولى الامر، علي بن إبراهيم، عن
أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان عن المعلی ابن خنيس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام يوما: " جعلت
فداك ذكرت آل فلان وما هم فيه من النعيم ... " ، وفي: ج ٤/١١ (٤)، باب كفاية العيال والتوسع عليهم،
علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الربيع ابن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله
عليه السلام يقول: اليد العليا خير من اليد السفلى وابدء بمن تعول.

والتهذيب: ج ٥/٩٣ (١١٤)، باب صفة الإحرام، محمد بن يعقوب عن علي عن أبيه عن حماد بن عثمان عن
الحلي عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: لا بأس بأن تلي وأنت على غير طهر وعلى كل حال .

القاسم أبي هاشم الجعفري، ومحمد بن سليمان الديلمي، وعثمان بن سعيد العمري الوكيل، وعلي بن بلال البغدادي، وعلي بن الريان بن الصلت الأشعري، وعلي بن سليمان بن الحسن بن الجهم الزراري الذي كان له اتصال بصاحب الأمر - علي حد زعمهم - والفضل بن شاذان، ومحمد بن حفص العمري وكيل الناحية، ويحيى بن عمر، ونوح بن شعيب، ويحيى بن عبد الرحمان بن خاقان، وأبي تمام حبيب بن أوس وغيرهم^١. وقد روى وأخذ عنه أيضا أجراء الطائفة من معاصريه ومن لحقه، مثل سعد بن عبدالله شيخ هذه الطائفة، وفقهها ووجهها، ومحمد بن الحسن الصفار ومحمد بن علي بن محبوب، وعبدالله بن جعفر الحميري، ومحمد بن أحمى، ولم يستثن ابن الوليد روايته عنه^٢. وروى الصدوق في المشيخة عن أبيه وابن الوليد وسعد بن عبد الله والحميري، عن إبراهيم بن هاشم^٣.

منزله في أصحاب الحديث

يقول الممقاني: «كان إبراهيم بن هاشم كثير الرواية - قل باب من أبواب الحديث يخلو من حديثه - واسع الطريق، فروى كتب جماعة من أصحابنا وأصولهم، سديد النقل، فقد خلت رواياته عما يوجد في رواية كثير من الرواة، فلم يطعن بذلك وقبلت أحاديثه . ولم يقدح في طريق حديث بتوسطه، بل حيث لم يصرح بتوثيق في كلام الأسبقين يستدرك ذلك عند ذكره بأنه مقبول الحديث عند الأصحاب، كما لا يخفي على الخبير بالرجال وكلام الأصحاب»^٤.

١ - انظر تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي: ج ١ / شرح / ٢٧٢ - ٢٧٩.

٢ - المرجع السابق: ج ١ شرح / ٢٨١ .

٣ - من لا يحضره الفقيه : مشيخته ج ٤ / ١٣٣ .

٤ - تهذيب المقال : ج ١ / ٢٧٩ - ٢٨٠ .

وقد صحح غير واحد طرقاً هو في إسنادها، قال السيد ابن طاووس^١ في فلاح السائل - بعد رواية علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير - : « ورواة الحديث ثقات بالإتقان»^٢ .

وإذا علمت أن هذا التفسير المتداول الآن ليس للقمي وحده وأنه ملفق مما أملاه علي بن إبراهيم على تلميذه أبي الفضل العباس - كما ذكرنا سالفاً^٣، وما رواه التلميذ بسنده الخاص عن أبي الجارود من الإمام الباقر، فكان من اللازم التعرف على أبي الجارود وتفسيره .

التعرف على أبي الجارود وتفسيره

وأبو الجارود؛ عرفه النجاشي بقوله: "زياد بن المنذر، أبو الجارود الهمداني الخارفي الأعمى، . . كوفي، كان من أصحاب أبي جعفر. وروى عن أبي عبد الله وتغير لما خرج

١ - هو: أبو القاسم ابن سعد الدين أبي إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن محمد الطاووس المنتهي بنسبه إلى داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام العلوي الحسيني، وأمه بنت عيسى بن أبي الفوارس المعروف بالشيخ ورام المتوفى سنة ست وستمئة كما ذكره ابن الأثير في الكامل ولادته كانت من السنة التاسعة والثمانين والخمسمائة كما في الأمل، ووفاته من السنة الرابعة والستين والستمائة في بغداد ونقل إلى النجف، من كتبه: مصباح الزائر، فرحة الناظر، روح الاسرار، الطرائف، الطرف، غياث سلطان الوري، فتح الباب في الاستخارة، فتح الجواب الباهر في خلق الكافر، مهمات صلاح المتعبد في تتمات مصباح المتهدد ثلاث مجلدات، فلاح السائل مجلدان، مضمار السبق، السالك المحتاج إلى مناسك الحاج، جمال الأسبوع، القبس الواضح من المجلس الصالح . فرج المهموم، ابن طاووس : ٢-٣ المقدمة .

٢ - فلاح السائل: ١٥٨ / أوائل فصل ١٩ .

٣ - انظر: صفحة ٦٦ من هذا البحث

٤ - ذكره ابن حجر في اللسان قال: ٥٤١٩ - أبو الجارود الأعمى زياد بن المنذر الكوفي الهمداني أو النهدي ، الأعمى رأس الجارودية عن أبي بردة ومحمد بن كعب وعنه مروان بن معاوية ومحمد بن بكر لسان الميزان - ج ٧ / ٤٥٦ .

وفي الميزان: ٢٩٦٥ - زياد بن المنذر الهمداني . وقيل الثقفي . ويقال النهدي، أبو الجارود الكوفي الأعمى . عن أبي بردة، والحسن . وعنه مروان بن معاوية، ومحمد بن سنان العوفي . وعدة .

قال ابن معين : كذاب . وقال النسائي وغيره : متروك . =

زيد، وقال أبو العباس بن نوح: هو ثقفى، سمع عطية، وروى عن أبي جعفر، وروى عنه مروان بن معاوية وعلي بن هاشم بن البريد يتكلمون فيه، قاله البخاري^١.
وقال الطوسي في رجاله في أصحاب الباقر: "زيد بن المنذر أبو الجارود الهمداني، الحوفي الكوفي تابعي زيدي أعمى، إليه تنسب الجارودية منهم" والظاهر أن الرجل كان إمامياً، لكنه رجع عندما خرج زيد بن علي فمال إليه وصار زيدياً. ونقل الكشي روايات في ذمه^٢، غير أن الظاهر من الروايات التي نقلها الصدوق، رجوعه إلى المذهب الإمامي^٣.

وأما الكشي فيقول عنه: «حكى أن أبا الجارود سمي سرحوباً وتنسب إليه السرحوبية من الزيدية سماه بذلك أبو جعفر عليه السلام وذكر أن سرحوباً اسم شيطان أعمى يسكن البحر، وكان أبو الجارود مكفوفاً أعمى القلب، قال: حدثني محمد بن جمهور قال: حدثني موسى بن بشار الوشا عن أبي نصر قال: كنا عند أبي عبدالله عليه السلام فمرت بنا جارية معها قمقم فقلبت، فقال أبو عبدالله عليه السلام: "إن الله تعالى قد قلب قلب أبي الجارود كما قلبت هذه الجارية هذا القمقم فما ذنبى"^٤.

وأما تفسيره فقد ذكره النجاشي والطوسي وذكرنا سندهما إليه، وإليك نصهما: فقال الأول: «له كتاب تفسير القرآن، رواه عن أبي جعفر. أخبرنا عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا جعفر بن عبدالله المحمدي، قال: حدثنا أبو سهل كثير بن

= وقال ابن حبان: كان رافضياً يضع الحديث في الفضائل والمثالب.

وقال الدارقطني: إنما هو منذر ابن زياد. متروك.

وقال غيره: إليه ينسب الجارودية / ويقولون: إن علياً أفضل الصحابة وتبرعوا من أبي بكر وعمر، وزعموا أن الإمامة مقصورة على ولد فاطمة. وبعضهم يرى الرجعة ويبيح المتعة. ميزان الاعتدال: ج ٢ / ٩٣.

١ - رجال النجاشي: الرقم ٤٤٨.

٢ - رجال الطوسي: ١٢٢ في أصحاب الباقر الرقم ٤، وفي الصفحة ١٩٧ في أصحاب الصادق الرقم ٣١.

٣ - رجال الكشي - اختيار معرفة الرجال - ج ٢ / ٤٩٥.

٤ - المرجع السابق ونفس الصفحة .

عياش القطان، قال: حدثنا أبو الجارود بالتفسير^١. فالنحاشي يروي التفسير بواسطة عدة من أصحابهم، عن أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة^٢ وهو أيضا زيدي .
كما أن الطوسي يروي التفسير عن ابن عقدة بواسطتين، قال: « وأخبرنا بالتفسير أحمد بن عبدون^٣، عن أبي بكر الدوري^٤، عن ابن عقدة، عن أبي عبد الله جعفر بن عبد الله المحمدي، عن كثير بن عياش القطان وكان ضعيفاً وخرج أيام أبي السرايا معه فأصابته جراحة، عن زياد بن المنذر أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر^٥ .

- ١ - معجم رجال الحديث: الجزء السابع : ٣٢٥ - ٣٢٦ فقد نقل الروايات الدالة على رجوعه .
- ٢ - هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن زياد بن عبد الله بن عجلان، الهمداني، المعروف بابن عقدة، ولد بالكوفة ورحل إلى بغداد، وأخذ عن شيوخها وحدث بها، كما رحل إلى الحجاز توفي: سنة ٣٣٣هـ، وقد أشار الشيعة إلى تشييعه، فذكر النحاشي أنه كان زيدياً جارودياً، وعموم الإمامية على توثيقه، فوثقه النحاشي، والطوسي والممقاني، وهم يذكرون أيضاً كثرة مخالطته لأصحابهم وروايته عنهم. انظر تاريخ بغداد: ج ٥ / ١٤، سير أعلام النبلاء: ج ٥ / ٣٤٠ - ٣٤١، رجال النحاشي: ج ١ / ٢٤٠، فهرست الطوسي: ٢٨، خلاصة تنقيح المقال: ١٠ .
- ٣ - هو: أحمد بن عبدون الخلنجي يعرف بابن الحاشر، يكنى أبا عبد الله كثير السماع والرواية، ذكر الطوسي في رجاله أنه سمع منه وأجازه بجميع ما رواه، له كتاب النوادر، مات سنة ٤٢٣هـ، رجال الطوسي: ٤١٣ (٥٩٨٨)، رجال النحاشي: ٨٧ (٢١١)، فهرس الطوسي: ٦٨ .
- ٤ - هو: أبو بكر الدوري الوراق: اسمه أحمد بن عبد الله بن أحمد بن جليلين، روى أحمد بن عبدون، عنه كتاب عبيد الله بن أبي رافع، وكتاب عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، وكتاب علي بن محمد المدائني، وكتاب عمرو بن ميمون، وكتاب عمر بن موسى الوجيهي، وكتابا عباد بن يعقوب الرواحني، وكتاب عبد الواحد بن عمر بن محمد، وغيرهم، وروى أحمد بن عبدون والحسين بن عبيد الله، عنه، عن القاضي أبي بكر أحمد بن كامل، كتاب لوط بن يحيى، وكتابا محمد بن أحمد بن عبد الله المفجع، وكتاب محمد بن جرير الطبري - الشيعي -، وكتب محمد بن أحمد بن أبي الثلج، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٨ / ٣٤٥ - ٣٤٦ (١٦٦٩٤) .
- قال عنه ابن حجر في لسان الميزان: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن جليلين عن أبي القاسم النحوي رافضي بغض كان ببغداد يروي عنه أبو القاسم التنوخي بلايا انتهى، وهو أبو بكر الدوري الوراق روى أيضا عن أبي سعيد العدوي وابن مجاهد وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى وغيرهم روى عنه أبو العلاء الواسطي وغيره مات سنة تسع وسبعين وثلاث مائة عن ثمانين سنة قال الخطيب كان رافضيا مشهورا بذلك، ج ١ / ١٩٦ .
- ٥ - الفهرست: الرقم ٢٩٣ .

إذا عرفت هذا فاعلم أن أبا الفضل راوي هذا التفسير قد روى فيه روايات عن عدة من مشايخه منهم .

١ - علي بن إبراهيم، فقد خص سورة الفاتحة والبقرة وشطرا قليلا من سورة آل عمران بما روى عن علي بن إبراهيم عن مشايخه. قال قبل الشروع في تفسير إبراهيم. «حدثنا أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم، قال: حدثني أبي رحمه الله، عن محمد بن أبي عمير، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبدالله « . ثم ذكر عدة طرق لعلي بن إبراهيم^١. وساق الكلام بهذا الوصف .

٢ - ولما وصل إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ آل عمران: ٤٥، أدخل في التفسير ما أملاه الإمام الباقر لزياد بن المنذر أبي الجارود في تفسير القرآن، وقال بعد ذكر الآية: "حدثنا أحمد بن محمد الهمداني قال: حدثنا جعفر بن عبدالله (المراد المحمدي) قال: حدثنا كثير بن عياش، عن زياد بن المنذر أبي الجارود، عن أبي جعفر محمد بن علي" ^٢.

ويقول صاحب كتاب كليات في علم الرجال: « وهذا السند بنفسه نفس السند الذي يروي به النجاشي والشيخ - أي الطوسي - تفسير أبي الجارود، ولما كان الشيخ والنجاشي متأخرين من جامع التفسير، نقل النجاشي عن أحمد بن محمد الهمداني (ابن عقدة) بواسطة عدة من أصحابنا، ونقل الشيخ عنه أيضا بواسطة شخصين هما: أحمد بن عبدون، وأبو بكر الدوري عن ابن عقدة .

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٢٧.

٢ - المرجع السابق، ونفس الصفحة .

وبهذا تبين أن التفسير ملفق من تفسير علي بن إبراهيم وتفسير أبي الجارود، ولكل من التفسيرين سند خاص، يعرفه كل من راجع هذا التفسير، ثم إنه بعد هذا ينقل عن علي بن إبراهيم كما ينقل عن مشايخه الأخر إلى آخر التفسير^١.

وبعد هذا التلفيق، هل يمكن الاعتماد على صحة مصدر الكتاب، وكيف يمكن الاعتماد على ما ذكر في مقدمة الكتاب من توثيق المؤلف لكل من روى عنهم، هذا لو ثبت كونها لعلي بن إبراهيم نفسه؟

فعلى ذلك فلو أخذنا بهذا التوثيق الجماعي، يجب أن نفرق بين ما روى الجامع عن علي بن إبراهيم، وما روى عن غيره من مشايخه، فإن شهادة القمي تكون حجة في ما يرويه بنفسه، لا ما يرويه تلميذه عن مشايخه.

يقول صاحب كتاب كليات في علم الرجال: «ثم إن الاعتماد على هذا التفسير بعد هذا الاختلاط مشكل جدا، خصوصا مع ما فيه من الشذوذ في المتن.

وقد ذهب بعض أهل التحقيق إلى أن النسخة المطبوعة تختلف عما نقل عن ذلك التفسير في بعض الكتب، وعند ذلك لا يبقى اعتماد على هذا التوثيق الضمني أيضا، فلا يبقى الاعتماد لا على السند ولا على المتن. ثم إن في الهدف من التلفيق بين التفسيرين احتمالاً ذكره المحقق الطهراني، وهو أن طبرستان في ذلك الأوان كانت مركز الزيدية، فينقدح في النفس احتمال أن نزول العباس (جامع التفسير) إليها، إنما كان لترويج الحق بها - يقصد مذهبهم بزعمه -، ورأى من الترويج، السعي في جلب الرغبات إلى هذا التفسير (باعتباره الكتاب الديني المروي عن أهل البيت عليهم السلام الموقوف ترويجه عند جميع أهلها على إدخال بعض ما يرويه أبو الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسيره، المرغوب عند الفرقة العظيمة من الزيدية الذين كانوا يسمون بالجارودية نسبة إليه^٢).

١ - كليات في علم الرجال: ٣١٦ .

٢ - الذريعة: ج ٤ / ٣٠٨ .

ثم إن مؤلف التفسير كما روى فيه: ١ - عن علي بن إبراهيم، وأبي الجارود، روى عن عدة مشايخ آخر استخراجها المتبع الطهراني في تعليقاته على كتابه " الذريعة إلى تصانيف الشيعة " وإليك بيان بعضها :

٢ - محمد بن جعفر الرزاز: قال (راوي التفسير) : « حدثنا محمد بن جعفر الرزاز، عن يحيى بن زكريا، عن علي بن حسان، عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾ الحديد: ٢٢ »^١. ومحمد بن جعفر بن محمد بن الحسن الرزاز هو شيخ أبي غالب الزراري (المتوفى عام ٣٦٨) وشيخ ابن قولويه المعروف فلا يمكن أن يكون القائل بقوله: " حدثنا " هو علي بن إبراهيم . والرزاز يروي عن مشايخ كثيرين ، منهم خاله محمد بن الحسين بن أبي الخطاب (المتوفى عام ٢٦٢). ومنهم أبو جعفر محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري صاحب " نواذر الحكمة " فقد صرح النجاشي برواية الرزاز عنه .

٣- أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عامر الأشعري: قال (راوي التفسير): أخبرنا الحسين بن محمد بن عامر الأشعري، عن المعلی بن محمد البصري عن ابن أبي عمير، عن أبي جعفر الثاني في قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ المائدة: ١ . والحسين بن محمد بن عامر يروي تفسير المعلی البصري عنه، وقد أكثر الكليني من الرواية عنه في الكافي، ويروي عنه علي بن بابويه (المتوفى عام ٣٢٩) وابن الوليد (المتوفى عام ٣٤٣) وابن قولويه (المتوفى عام ٣٦٩) .

٤ - أبو علي محمد بن أبي بكر همام بن سهيل : قال (راوي التفسير): حدثنا محمد ابن همام، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مالك، قال: حدثنا القاسم بن ربيع، عن محمد ابن سنان، عن عمار بن مروان، عن منخل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾^٣ . وأبو علي محمد بن همام بن

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٣٥١ .

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ١٦٠ .

٣ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٠٤ .

سهيل الكاتب الإسكافي (المتوفى عام ٣٣٦ ، كما ضبطه تلميذه التلعكبري) يروي عنه أبو قولويه في كامل الزيارات وأبو عبدالله محمد بن إبراهيم النعماني، تلميذ الكليني في كتاب " الغيبة " .

وقد ذكر الطهراني جمعاً ممن روى عنه جامع التفسير، الذين يروي عنهم في هذا التفسير، غير أنه لا توجد رواية لعلي بن إبراهيم القمي عن أحد من هؤلاء في جميع رواياته المروية عنه في الكافي وغيره^١ .

ثم قال - والكلام ما زال للخوئي - : وعندئذ لا يصح القول بأن كل ما ورد في إسناد تفسير علي بن إبراهيم القمي ثقات بتوثيق المؤلف في ديباجة الكتاب، لما عرفت أن التفسير ملفق مما رواه جامع التفسير عن علي بن إبراهيم، عن مشايخه إلى المعصومين - يقصد الأئمة - ومما رواه عن عدة من مشايخه عن مشايخهم إلى المعصومين - بحسب قوله - أضف إلى ذلك أنه لا يمكن القول بأن مراد القمي من عبارته: "رواه مشايخنا وثقاتنا" كل من وقع في سنده إلى أن ينتهي إلى الإمام، بل الظاهر كون المراد خصوص مشايخه بلا واسطة، ويعرف عنه عطف "وثقاتنا" على "مشايخنا" الظاهر في الأساتذة بلا واسطة، ولما كان النقل عن الضعيف بلا واسطة من وجوه الضعف، دون النقل عن الثقة إذا روى عن غيرها خص مشايخه بالوثاقة ليدفع عن نفسه سهم النقد والاعتراض، كما ذكرنا في مشايخ ابن قولويه، وإلا فقد ورد في إسناد القمي من لا يصح الاعتماد عليه من أمهات المؤمنين ! فلاحظ؟!«^٢ .

١ - يراجع الذريعة : ج ٤ / ٣٠٢ - ٣٠٧ .

٢ - كليات في علم الرجال : ٣١٧ - ٣٢٠ .

المبحث الثالث:

أثر تفسير القمي في من بعده.

من المعروف أن تفسير القمي أصل من أصول التفسير ومرجع هام عند الشيعة الإمامية، ولذلك فقد أثر في فكر ومعتقد وشخصية كل من جاء بعده وامتطى زمام التأليف عند الشيعة الإمامية سواء كان في التفسير أو الحديث أو غيرها من المؤلفات، فأنت تري أن أشهر تلامذته هو الكليني قد تأثر به ونقل عنه الكثير من الروايات في كتابه الكافي، رغم أن هذا الكتاب كتاب مرويات وليس كتاباً في التفسير، وتأثر به عدد ممن ألف كتباً في التفسير أمثال: فرات الكوفي^١، وشيخ الطائفة الطوسي، وتلميذه الطبرسي، والفيض الكاشاني، ومحمد حسن الطباطبائي .

ولإيضاح هذا التأثير على المفسرين بعده ولإظهار مدى تعلقهم واهتمامهم بالنقل عنه، فقد اخترت ثلاثة من كتب التفسير لثلاثة من المفسرين المختلفين في المنهج، في ثلاث حقب زمنية مختلفة، وسأعرض لكل واحد منهم حتى يظهر عمق العلاقة بين المفسر الشيعي وتفسير القمي. وكتب التفسير التي اخترتها هي:

- ١- تفسير مجمع البيان للطبرسي .
- ٢- تفسير الصافي للكاشاني .
- ٣- تفسير الميزان للطباطبائي .

وأبدأ أولاً بأقدم هذه الكتب وهو:

١ - هو: فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي: من مشايخ الصدوق . وقد أكثر في كتبه من الرواية عنه بواسطة الحسن بن محمد سعيد. وله تفسير بلسان الأخبار في شأن الأئمة عليهم السلام . حسن الضبط في نقلها مما يعطي الوثوق لمؤلفه وحسن الظن به. واعتمد عليه أركان المحدثين . وروى عنه في شواهد التنزيل مع ذكره أسانيده مفصلاً وبيان أفراد المعنعن وأشخاصه . وقد أكثر فرات في تفسيره من الرواية عن الحسين بن سعيد الأهوازي الذي كان من أصحاب الرضا والجواد والهادي صلوات الله عليهم . وأكثر من الرواية عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري وغيرهما . مستدركات علم رجال الحديث: ج ٦ / ١٩٤ (١١٥٠٨) .

تفسير مجمع البيان للطبرسي:

لعل السبب في اختياري لهذا التفسير يرجع إلى العلاقة بين صاحبه وبين أهل السنة، فقد وصفه الكثير من دعاة التقريب بالاعتدال، وكان مقرباً لكثير منهم، وطبع كتابه في عدة بلدان لا تدين بالشيعة^١.

أما السبب الآخر وراء اختياري له فهو قربه الزمني - إلى حد ما - لعصر القمي فضلاً عن شهرة هذا الكتاب عند السنة والشيعة، ولأنه سار على منهج شيخه الطوسي فقد اكتفيت به عنه .

ترجمة الطبرسي:

هو أبو علي الفضل بن حسن بن الفضل الطبرسي الطوسي^٢

١ - طبع هذا التفسير في دار التقريب بين المذاهب في مصر وقد قدم له فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر . مقدمة مجمع البيان : ج ١ / ٢٠ .

٢ - نسبة إلى طوس من مدن خراسان التي هي من أقدم بلاد فارس وأشهرها، وكانت - ولا تزال - من مراكز العلم ومعاهد الثقافة، لأن فيها قبر الإمام علي الرضا، ثامن أئمة الشيعة الاثني عشرية، وهي لذلك مهوى أفئدتهم يقصدونها من الأماكن الشاسعة والبلدان النائية، ويتقاطرون إليها من كل صوب وحذب، للتم تلك العتبة والتمرغ في ذلك الثرى. مقدمة تفسير التبيان ج ١ / ٣، وفتحت في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه وبها أيضاً قبر هارون الرشيد، وهي الآن مدينة بإيران تسمى بمشهد الرضا، كانت من كبرى مدن خراسان القديمة حتى هجوم المغول وهدمهم لها، وبعد القرن السابع لم ترجع إلى ما كانت عليه من قبل أبداً؛ فقد هاجر من بقي من أهلها، وكانت طوس مسقط الرأس لعديد من كبار علماء الفرس في شتى العلوم، ومن مشاهيرهم الشاعر أبو القاسم الفردوسي الطوسي صاحب كتاب شاهنامه، ومن العلماء السنة المشهورين أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، ومن علماء الشيعة شيخ الطائفة محمد الطوسي مؤسس الحوزة العلمية في النجف في القرن الخامس وخواجة نصير الدين الطوسي في القرن السابع. أما اليوم فالمدينة ليست في المكان الأصلي لمدينة طوس القديمة، فلم يبق في موقعها الأصلي سوى الأطلال والبقايا والخراب، وهو مكان قريب من مدينة مشهد الحالية وفي السنوات الأخيرة عُمرت مقبرة الفردوسي الطوسي في أطلال طوس وصارت موقع آثار سياحياً. معجم البلدان: ج ٣ / ١٧٦، موسوعة ويكيبيديا .

السبزاوي^١ الرضيّ أو المشهدي^٢، ويرى بعض العلماء أن الطبرسي نسبة إلى طبرستان، والصحيح أن أصله من طبرس^٣ الواقعة بين أصبهان^٤ وكاشان^٥، ولد في عام ٤٧٠هـ، وتوفي ٥٤٨هـ - على أصح الآراء - وكان ذلك في سبزوار ثم نقل إلى المشهد الرضويّ ودفن فيه .

ولم يذكر الطبرسي في كتب السنة إلا قليلاً، فقد ذكره القفطي^٦ في "إنباه الرواة" وقال عنه: « قصدوه للاستفادة من بلاغته في النثر والنظم ... »^٧ والتبس الأمر على

١ - نسبة إلى سبزوار وهي مدينة متحضرة حسنة. وبين نيسابور وخسروجرد مرحلتان ويلي خسروجرد سبزوار وبينهما فرسخان. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ج ١ / ٢٢٢، ٢٢٤. وهي الآن مدينة إيرانية تقع في محافظة خراسان رضوي شمال شرق إيران تبعد حوالي ٢٥٠ كم إلى الغرب من مدينة مشهد عاصمة محافظة خراسان رضوي، موسوعة ويكيبيديا .

٢ - نسبة إلى مشهد الإمام الرضا لأنه سكنه .

٣ - طبرس: هي من رساتيق مدينة قم الواقعة بين كاشان وأصفهان. تاريخ قم: ٥٦. وهو يقع في شمال دولة إيران اليوم ويمتد في معظمه عبر سلسلة جبال ضخمة تسمى الآن سلسلة جبال البروز وهي تمتد عبر أقاليم مازندران وكلمستان وشمال سمنان. موسوعة ويكيبيديا .

٤ - أصبهان: مدينة عظيمة من أعلام المدن، والأصب بلغة الفرس هو الفرس، وهان كأنه دليل الجمع فمعناه الفرسان، وهو الآن يعرف بشهرستان، وقد خرج منه كثير من العلماء. معجم البلدان: ج ١ / ٣٩٢-٣٩٦ .

٥ - كاشان: بالشين المعجمة مدينة بما وراء النهر على بابها وادي أحسيكت. معجم البلدان: ج ٤ / ٣٢٧ . مدينة كاشان أهم مدينة إيرانية من حيث وجود الآثار التاريخية فيها بعد أصفهان وشيراز ويزد، فهي عريقة في التاريخ ورائدة في الفن المعماري الإيراني وغنية بالجمال التاريخي الأصيل، موسوعة ويكيبيديا.

٦ - هو: علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى، ينتهي إلى بكر بن وائل، وزير حال، القاضي الأكرم الوزير جمال الدين، أبو الحسن القفطي، أحد الكتّاب المشهورين المبرزين. وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً، وأمه امرأة بادية من قضاة، وأمّها جارية حبشيّة. ولد بقفط من الصعيد الأعلى بالديار المصريّة، وأقام بجلب، وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقّه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل. ولد سنة ثمان وستين وخمس مائة، وتوفي سنة ست وأربعين وست مائة. الوافي بالوفيات ج: ٧ / ١٠٧ .

٧ - إنباه الرواة على أبناء النحاة: ج ٣ / ٦.

صاحب "كشف الظنون" فنسب تفسير الطبرسي لشيخه الطوسي وخلط بين الاثنين^١، وكذلك فعل صاحب "تاريخ التفسير"^٢.

أما علماء الشيعة فقد أكثروا من ذكره ومدحه والثناء عليه ومما جاء عنه في مستدركات الوسائل: «أنه فخر العلماء الأعلام وأمين الملة والإسلام، المفسر الفقيه الجليل الكامل النبيل، صاحب تفسير مجمع البيان الذي عكف عليه المفسرون، وغيره من المؤلفات الرائقة الشائع جملة منها»^٣.

وجاء في الروضات: «أنه الشيخ الشهيد - يظنون أنه مات مسموماً - السعيد والخبير الفقيه الفريد، الفاضل العلم المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة الكامل النبيل»^٤.

منهجه في تفسيره :

يصف الطبرسي منهجه في هذا التفسير فيقول: «وابتدأت بتأليف كتاب هو في غاية التلخيص والتهذيب، وحسن النظم والترتيب، يجمع أنواع هذا العلم وفنونه ويجوي نصوصه وعيونه من علم قراءته وإعرابه، ولغاته وغوامضه ومشكلاته، ومعانيه وجهاته ونزوله وأخباره وقصصه وآثاره، وحدوده وأحكامه وحلاله وحرامه ... - ثم يبين وقوفه في معسكر قومه ونصرتهم فيقول - : والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر ما يتفرد به أصحابنا من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع والمعقول والمسموع على وجه الاعتدال والاختصار فوق الإيجاز ودون الإكثار فإن الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل أعباء العلوم الكثيرة ... - إلى أن قال - وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها، ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها ثم ذكر فضل تلاوتها، ثم أقدم في كل آية الاختلاف في القراءات، ثم ذكر العلل والاحتجاجات، ثم ذكر العربية واللغات ثم ذكر الإعراب والمشكلات، ثم ذكر الأسباب والنزولات، ثم ذكر

١ - كشف الظنون لحاجي خليفة: ج ٢ / ٣٨٥ .

٢ - تاريخ التفسير، قاسم القيسي: ج ١ / ١٩٩ .

٣ - خاتمة مستدرك الوسائل، للميرزا النوري: ج ٣ / ٦٩ .

٤ - الروضات: ٥١٢ - ٥١٤ .

المعاني والأحكام والتأويلات، والقصاص والجهات، ثم ذكر انتظام الآيات، على أنني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة، وفي إعرابه كل حجة واضحة، وفي معانيه كل قول متين، وفي مشكلاته كل برهان مبين، وهو بحمد الله للأديب عمدة وللنحوي عدة وللمقرئ بصيرة وللناسك ذخيرة وللمتكلم حجة وللمحدث محجة وللفقيه دلالة وللواعظ آلة^١.

تأثر الطبرسي بالقمي في تفسيره:

قد أفاد الطبرسي من القمي في كثير من المواضع في تفسيره فمن ذلك:

موافقته لرواية قال: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾

قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿ النساء: ١٥٩ فقال: «اختلف فيه على أقوال أحدها: إن كلا الضميرين يعودان إلى المسيح، أي: ليس يبقى أحد من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، إلا ويؤمنن بالمسيح، قبل موت المسيح، إذا أنزله الله إلى الأرض، وقت خروج المهدي، في آخر الزمان، لقتل الدجال، فتصير الملل كلها ملة واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم، عن ابن عباس^٢، وأبي مالك^٣،

١ - مقدمة مجمع البيان: ٧٦- ٧٧ .

٢- هو: حبر الأمة ، وترجمان القرآن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس ابن عم رسول الله ﷺ أمه - أم الفضل لبابه بنت الحارث الهلالية، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث أعوام على الراجح، دعا له النبي وقال: « اللهم علمه الحكمة » مات ﷺ بالطائف ودفن بها سنة ٦٨ هـ - الاستيعاب : ج ٣ / ٩٣٣ وما بعدها (١٥٨٨)، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٤ / ١٤١ وما بعدها.

٣- هو: غزوان أبو مالك الغفاري الكوفي. روى عن: البراء بن عازب، وعبدالله بن عباس، وعبد الرحمن بن أبيزى، وعمار بن ياسر، وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ قصة ما عز بن مالك. روى عنه: إسماعيل بن سميع، وإسماعيل ابن عبدالرحمن السدي، وحصين بن عبدالرحمن، وسلمة بن كهيل قال أبو بكر بن أبي خيثمة: سألت يحيى بن معين عن أبي مالك الذي روى عنه حصين، قال: هو الغفاري، كوفي ثقة واسمه غزوان، وذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)، روى له أبو داود، والترمذي، والنسائي. الجرح والتعديل: ج ٧ / ٥٥ ، تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٣/ ١٠٠- ١٠١.

والحسن^١، وقتادة^٢، وذلك حين لا ينفعهم الإيمان، واختاره الطبري قال: "والآية خاصة لمن يكون منهم في ذلك الزمان".
 وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره أن أباه حدثه عن سليمان بن داود المنقري، عن أبي حمزة الشمالي، عن شهر بن حوشب قال: قال الحجاج بن يوسف: آية من كتاب الله قد أعيتني قوله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ الآية، والله! إني لأمر باليهودي والنصراني، فيضرب عنقه، ثم أرمقه بعيني، فما أراه يحرك شفتيه، حتى يحمل. فقلت: أصلح الله الأمير! ليس على ما أولت، قال: فكيف هو؟ قال: إن عيسى ابن مريم ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، ولا يبقى أهل ملة يهودي، أو نصراني، أو غيره، إلا وآمن به قبل موت عيسى، ويصلي خلف المهدي، قال: ويحك أنى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ قال: قلت: حدثني به الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جئت والله بها من عين صافية^٣.

وأيضاً مما أفاد الطبرسي من القمي في ذكره لأسباب النزول عند قوله تعالى:

﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ

١- هو: حسن بن يسار البصري الفقيه القارئ الزاهد العابد، سيد زمانه، إمام أهل البصرة، ولد بالمدينة سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه وكانت أمه خيرة مولدةً لأم سلمة، ثم نشأ بوادي القرى، سمع من عثمان وهو يخطب، وشهد يوم الدار، ورأى طلحة وعلياً، وروى عن عمران بن حصين، والمغيرة بن شعبة، وعبد الرحمن بن سمرة، وأبي بكر، والنعمان بن بشير، وجندب بن عبد الله، وسمرة بن جندب، وابن عباس، وابن عمر، وخلق كثير من الصحابة وكبار التابعين، قال الشيخ شمس الدين: وكان يدلّس، ويرسل ويحدث بالمعاني. وكان رأساً في العلم والحديث، إماماً مجتهداً كثير الاطلاع، رأساً في القرآن وتفسيره، رأساً في الوعظ والتذكير، رأساً في الحلم والعبادة رأساً في الزهد والصدق، رأساً في الفصاحة والبلاغة، رأساً في الأيد والشجاعة، مات ليلة الجمعة سنة عشر ومائة، وعمره تسع وثمانون سنة، وقيل ست وتسعون سنة. الوافي بالوفيات: ج ٤ / ٢٢٣ - ٢٢٤.

٢- هو: قتادة بن دعامة السدوسي كان يكنى أبا الخطاب وكان ثقة مأموناً حجة في الحديث، توفي سنة ثمانين أو سبع عشرة ومائة. انظر الطبقات الكبرى: ج ٧ / ٢٢٩ - ٢٣٠، طبقات المفسرين للدواودي: ج ١ / ١٤ (٢٢).

٣- تفسير القمي: ج ١ / ١٦٥ تفسير مجمع البيان: ج ٣ / ٢٣٥ - ٢٣٦.

أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا
كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ

أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ ﴿ الآية البقرة: ١٨٧، فقال الطبرسي: « روى علي بن إبراهيم بن
هاشم عن أبيه، رفعه إلى أبي عبد الله، قال: كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد
النوم، وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان، وكان رجل من أصحاب رسول
الله يقال له مطعم بن جبير، أخو عبد الله بن جبير، الذي كان رسول الله وكله بضم
الشعب يوم أحد في خمسين من الرماة، وفارقه أصحابه، وبقي في اثني عشر رجلاً فقتل
على باب الشعب.

وكان أخوه هذا مطعم بن جبير شيخاً ضعيفاً، وكان صائماً، فأبطأت عليه أهله
بالطعام، فنام قبل أن يفطر، فلما انتبه قال لأهله: قد حرم علي الأكل في هذه الليلة.
فلما أصبح حضر حفر الخندق فأغمي عليه، فرآه رسول الله، فرق له. وكان قوم من
الشباب ينكحون بالليل سراً في شهر رمضان، فأنزل الله هذه الآية فأحل النكاح بالليل
في شهر رمضان والأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر»^١.

وقد تأثر الطبرسي بالقمي حتى في نقله لبعض الروايات الموضوعية التي لا أصل لها
ومن ذلك ما جاء به منقولاً من تفسير القمي عند قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّخِذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ
خَلِيلًا ﴾ الآية النساء: ١٢٥ فقال: « ومما قيل في وجه حلة إبراهيم: ما روي في التفسير
أن إبراهيم كان يضيف الضيفان، ويطعم المساكين، وإن الناس أصابهم جدد، فارتحل
إبراهيم إلى خليل له بمصر، يلتمس منه طعاماً لأهله، فلم يصب ذلك عنده، فلما قرب
من أهله، مر بمفازة ذات رمل، لينة فملاً غرائره^٢ من ذلك الرمل، لئلا يغم أهله برجوعه

١ - تفسير القمي: ج ١/ ٧٥، تفسير مجمع البيان: ج ٢ / ٢١ - ٢٢.

٢ - الغرائز: الجواليق التي للتبن، لسان العرب: ج ١١/ ٥ ذكرها الطبرسي، وذكر القمي: جراه.

من غير ميرة^١، فحول الله ما في غرائره دقيقاً، فلما وصل إلى أهله، دخل البيت ونام استحياء منهم، ففتحو الغرائر، وعجنوا من الدقيق، وخبزوا، وقدموا إليه طعاماً طيباً فسألهم: من أين خبزوا؟ قالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك المصري! فقال: أما إنه خليلي، وليس بمصري. فسماه الله سبحانه خليلاً^٢. رواه علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام»^٣.

ومما ذكره تأييداً ونصرة لمذهب قومه ما نقله عن القمي عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ رِبَّتِّدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِءِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجٰهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ الآية المائدة: ٥٤ «وذكر علي بن إبراهيم ابن هاشم، أنها نزلت في مهدي الأمة وأصحابه، وأولها خطاب لمن ظلم آل محمد، وقتلهم، وغضبهم حقهم»^٤.

وأيضاً في موافقته لتأويلاته الباطنية وذلك عند قوله: ﴿فَإِذَنْ مُّؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ الآية الأعراف: ٤٤، فقال: «روي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: (المؤذن أمير المؤمنين علي عليه السلام)، ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره قال: حدثني أبي عن محمد بن فضيل عن الرضا عليه السلام، ورواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن محمد بن الحنفية، عن علي عليه السلام أنه قال: (أنا ذلك المؤذن له)»^٥.

وأيضاً ما رواه عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ الآية النمل: ٨٢ فقال: «روى علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره عن أبي

١ - الميرة: الميرة: الطعام يمتارُهُ الإنسان. وقد مارَ أهله يميزُهُمْ مِيزًا. ومنه قولهم: ما عنده خيرٌ ولا مِيزٌ. والامتيازُ مثله. وجمع المائرِ مِيارٌ، ومِيارَةٌ. يقال: نحن ننتظر مِيارَتنا ومِيارَنا. الصحاح في اللغة: ج ٢ / ١٨٧.

٢ - تفسير القمي: ج ١ / ١٦٠ - ١٦١ (عن مسعود بن صدقه) تفسير مجمع البيان: ج ٣ / ٢٠٠ - ٢٠١.

٣ - تفسير القمي: ج ١ / ١٧٧ - ١٧٨، تفسير مجمع البيان: ج ٣ / ٣٥٩.

٤ - تفسير مجمع البيان: ج ٤ / ٢٥٩، وفي تفسير القمي: "يؤذن أذاناً يسمع الخلائق كلها" ج ١ / ٢٣٥.

عبدالله عليه السلام قال: قال رجل لعمار بن ياسر^١: يا أبا اليقظان ! آية في كتاب الله أفسدت قلبي ؟ قال عمار: وآية آية هي ؟ فقال: هذه الآية، فأية دابة الأرض هذه قال عمار: والله ما أجلس، ولا أكل، ولا أشرب، حتى أريكها. فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يأكل تمرا وزيدا، فقال: يا أبا اليقظان ! هلم . فجلس عمار يأكل معه، فتعجب الرجل منه. فلما قام عمار ، قال الرجل: سبحان الله حلفت أنك لا تأكل، ولا تشرب، حتى ترينها ! قال عمار : أريتكها إن كنت تعقل^٢.

١ - هو: عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين العنسي ثم المدحجي، أبا اليقظان حليف لبني مخزوم ، قال الواقدي: إن ياسراً والد عمار عربي قحطاني مدحجي من عنس في إلا أن ابنه عماراً ولي لبني مخزوم لأن أباه ياسراً تزوج أمة لبعض بني مخزوم هي سمية بنت خياط، و عذب عمار وأمه سمية في الله، ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه واطمأن بالإيمان قلبه، فنزلت فيه الآية: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ النحل: ١٠٦ . هاجر إلى أرض الحبشة، وصلى إلى القبلتين وهو من المهاجرين الأولين، ثم شهد بدرًا والمشاهد كلها وأبلى ببدرٍ بلاءً حسنًا، ثم شهد اليمامة، وقطعت أذنه، وقال رسول الله ﷺ : "إن عماراً ملئ إيماناً إلى مشاشه" ويروى : "إلى أخمص قدميه". وتواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: "تقتل عمار الفئة الباغية". وقاتل وقتل يوم صفين سنة سبع وثلاثين ودفنه علي عليه السلام في ثيابه ولم يغسله. وروى أهل الكوفة أنه صلى عليه، وكانت سن عمار يوم قتل نيفاً على تسعين سنة، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ١ / ٣٥٠ - ٣٥٢ ، الإصابة في معرفة الصحابة: ج ٢ / ٢٧٢ - ٢٧٣ .

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ١٠٧، تفسير مجمع البيان: ج ٧ / ٤٠٤ - ٤٠٥ .

ثانياً : تفسير الصافي للكاشاني :

وقد اخترت هذا التفسير لشهرته في أوساط الشيعة، ولمشاركته للقمي في كثير من آرائه الباطنية، وكثرة النقل عنه، فهو يعتبر من الإمامية الغلاة . وكذلك من أسباب اختياره أنه كان في حقبة متوسطة بين المفسرين المعاصرين وقدامى مفسري الشيعة.

ترجمة الكاشاني :

هو - كما يدعى : «المولى محمد محسن بن مرتضى بن محمود الملقب بالفيض الكاشاني. وهو من أكبر علماء الشيعة الإمامية في القرن الحادي عشر الهجري في إيران، وكان فقيهاً، فاضلاً، أصولياً، محدثاً، محققاً، مدققاً، إخبارياً، مفسراً، حكيماً، متكلماً، أديباً، شاعراً باللغتين العربية والفارسية، مؤلفاً»^١.

قال محدث الشيعة في الكنى والألقاب: « الفيض: لقب العالم الفاضل الكامل العارف المتحدث المحقق المدقق المتأله !! محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشاني صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة كالوافي والصافي والشافي والمفاتيح والنخبة والحقائق وعلم اليقين وعين اليقين وخلاصة الأذكار وبشارة الشيعة ومحجة البيضاء إحياء الإحياء، إلى غير ذلك مما يقرب من مائة تصنيف»^٢.

ولد في سنة ١٠٠٧ هـ ونشأ في بلدة قم الإيرانية، فانتقل من بعدها إلى كاشان،

١ - شعراء العرب : ج ٤ / أ ب .

٢ - الكنى والألقاب: ج ٣ / ٣٩-٤٢ .

وبعدها نزل إلى شيراز^١ بعد سماعه بورود العلامة السيد ماجد البحراني هناك، فأخذ العلم منه ومن المولى صدر الدين الشيرازي، المعروف بـ الملا صدرا وتزوج ابنته في شيراز وغادرها إلى كاشان وبقي هناك. امتاز الفيض بأنه وُلد ونشأ في أسرة عريقة وبيت حافل بالعلماء والمؤلفين .

وفاته:

وتوفي الفيض الكاشاني سنة ١٠٩١ هـ، وهو ابن أربع وثمانين سنة وكانت وفاته في كاشان ودفن بها ومرقده معروف مشهور.^٢

ذكره عند أهل السنة والشيعة :

لم يذكر الفيض الكاشاني من أهل السنة أحد في كتاب غير ما ذكره صاحب الأعلام فقال : « محسن بن مرتضى بن فيض الله محمود الكاشي: مفسر من علماء الامامية ورد اسمه : "محسن بن مرتضى" و "محسن بن محمد" و "محمد محسن" وقيل له "الفيض" وعرف جده بفيض الله وبالفيض، وجاءت نسبه "الكاشي" و "الكاشاني" و "القاشاني" ويقال له: ملا محسن فيض الكاشي، وينعت بالمتأله الحكيم، من أهل كاشان. له نحو ٨٠ مصنفاً، بعضها في مجلدات، ومن كتبه "الصافي في تفسير كلام الله الوافي...»^٣.

١ - شيراز: بالكسر وآخره زاي، بلد عظيم مشهور معروف مذكور وهو قصبه بلاد فارس في الإقليم الثالث طولها ثمان وسبعون درجة ونصف وعرضها تسع وعشرون درجة ونصف، قال أبو عون: طولها ثمان وسبعون درجة وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وقيل: سميت بشيراز بن طهمورث، وهي مما استُجد عمارتها واختطاطها في الإسلام قيل: أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم بن عقيل ابن عم الحجاج وقيل: شبهت بجوف الأسد لأنه لا يُحمل منها شيء إلى جهة من الجهات ويُحمل إليها ولذلك سميت شيراز وبها جماعة من التابعين مدفونون وهي في وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً وقد دَمها البشاري بضيق الدروب وتدابني الرواشين من الأرض وقذارة البقعة... معجم البلدان: ج ٣ / ٧٣، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ج ١ / ١٥٩.

٢ - مقدمة تفسير الصافي: ج ١/١ وما بعدها .

٣ - الأعلام للزركلي: ج ٥ / ٢٩٠.

أما عند الشيعة فهو مشهور مبالغ في وصفه وتبجيله ففي روضات الجنات يذكر بأن: « أمره في الفضل والفهم والنباهة في الفروع والأصول والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول وكثرة التأليف والتصنيف مع جودة التعبير والترصيف أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد»^١.

وفي خاتمة المستدرك يعرف بأنه: « من مشايخ العلامة المجلسي العالم الفاضل المتبحر المتحدّث العارم الحكيم المولى محسن ابن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني»^٢.

كما يذكره الحرّ العاملي^٣ أيضاً فيقول: « محمد بن المرتضى المدعو بمحسن الكاشاني، كان فاضلاً عالماً ماهراً حكيماً متكلماً محدّثاً فقيهاً محققاً شاعراً أديباً، حسنَ التصنيف من المعاصرين، له كتب كثيرة... من مؤلفاته كتاب الوافي. وجمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشكّلة، حسن إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية...»^٤.

ويجيبه محقق الكتاب عن ذلك فيقول: « إن ما ذكره الشيخ الحر العاملي "أن فيه ميلاً إلى بعض الطريقة الصوفية" قد يكون ناتجاً مما رآه من أسلوبه في الشرح الذي نحا فيه منحى العرفاء والفلاسفة، وأنه استعمل الكلمات المصطلحة لديهم، متأثراً بأستاذه

١ - روضات الجنات: ج ٦ / ٧٩ .

٢ - خاتمة المستدرك : ٤٢٠ .

٣ - جاء في مقدمة كتابه : أمل الآمل : " هو العالم المحقق الورع الثقة الفقيه المحدث الكبير الحافظ الشاعر الأديب الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري"، وفي الفوائد الرضوية والكني والألقاب، تلمذ الشيخ الحر العاملي عند أساطين العلم وكبار المدرسين في عصره وروى عن شيوخ الرواية والحديث في وقته، هو صاحب كتاب وسائل الشيعة، وأحد المحدثين المتأخرين الجامعين لأحاديث هذه الشريعة، ومؤلف كتب ورسائل كثيرة أخرى في مراتب جليلة شتى، كان مولده ومسقط رأسه قرية مشغري من قرى جبل عامل وبها نشأ نشأته الأولى وتوفي في سنة ١١٠٤ هـ وصلى عليه أخوه أحمد صاحب الدر السلوك تحت القبة جنب المنبر، واقتدى به الألوّف من الناس، ودفن في أيوان حجرة من حجرات الصحن الشريف ملاصقة بمدرسة المرحوم الميرزا جعفر . أمل الآمل : ج ١ كلمة المحقق ٨ - ٢٢، أمل الآمل : ١ / ١٤١ - ١٥٤، روضات الجنات: ٦٤٤، الكنى والألقاب: ١٥٨ / ٢ .

٤ - أمل الآمل : ج ٢ / ٣٠٥ .

صدر المتألهين المعروف بملا صدرا الشيرازي الذي ثنيت له الوسادة في الفلسفة والعرفان»^١.

منهجه في تفسيره :

بدأ الكاشاني تفسيره باثنتي عشرة مقدمة بث من خلالها معتقداتهم في القرآن وفي صحابة رسول الله ﷺ ، وتعتبر هذه المقدمات عملية تنقيح وترتيب لما بثه القمي قبله من خلال تفسيره، ثم انتهى في المقدمة الثانية عشرة بعرض منهجه في تفسيره فقال إنه سوف يذكر كل ما تحتاج إليه الآيات من تفسير وبيان وتأويل لمتشابهه وذكر لسبب نزول وغيرها وهذا كله من خلال ذكر ما نقل عن المعصوم - على حد زعمه - فإن لم ينقل عن المعصوم شيء من ذلك نقل عنهم من طرق أهل السنة الذين يطلق عليهم - العامة - فيقول: «كلما يحتاج من الآيات إلى بيان وتفسير لفهم المقصود من معانيه أو إلى تأويل لمكان تشابه فيه أو إلى معرفة سبب نزوله المتوقف عليه فهمه وتعاطيه أو إلى تعرف نسخ أو تخصيص أو صفة أخرى فيه، وبالجملة ما يزيد على شرح اللفظ والمفهوم مما يفتقر إلى السماع من المعصوم فإن وجدنا شاهداً من محكمات القرآن يدل عليه أتينا به فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً وقد أمرنا من جهة أئمة الحق أن نرد متشابهات القرآن إلى محكماته وإلا فإن ظفرنا فيه بحديث معتبر عن أهل البيت في الكتب المعتمدة من طرق أصحابنا أوردناه، وإلا أوردنا ما روينا عنهم من طرق العامة - يقصد أهل السنة - لنسبته إلى المعصوم وعدم ما يخالفه، نظيره في الأحكام ما روي عن الصادق عليه السلام: إذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حكمها فيما يروى عنا فانظروا إلى ما رووه عن علي عليه السلام فاعملوا به»^٢.

ثم قال: «وما لا يفتقر إلى السماع من المعصوم أوردنا فيه ما ذكره المفسرون الظاهريون من من كان تفسيره أحسن وبيانه أوجز وأتقن كائناً من كان إلا أوائل السورة التي تذكر فيها البقرة فإن أكثر تفسيرها مأخوذ من التفسير المنسوب إلى مولانا الزكي أبي

١ - تفسير الصافي: ج ١: كلمة التقديم. أ ب .

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ٧٥ .

محمد العسكري الذي منه ما هو من كلامه ومنه ما يرويه عن آبائه عليهم السلام، منه ما أوردناه بألفاظه ومتونه، ومنه ما أوردناه بمعانيه ومضمونه، ومنه ما لفقناه!! من غير موضع منه، ثم منه ما نسبناه إليه ومنه ما لم ننسبه إليه وما لم ننسبه إليه ولا إلى غيره فهو منه إلا نادراً!! من شرح لفظه لا يجري فيه اختلاف وإنما النسبة للفصل من كلام الغير فإن فصل بالقرآن فلا نسبة وذلك إلى حيث ما وجد منه من تفسير هذه السورة^١.

إلى أن قال: « وما لا يحتاج إلى مزيد كشف وبيان إما لوضوحه وإحكام معناه أو لما عرف مما سلف قريبا من تفسير ما يجري مجراه طويونا تفسيره أو أحلنا على ما أسلفناه، وقلما نتعرض لإنحاء النحو وصروف الصرف وشقوق الاشتقاق واختلاف القراءة فيما لا يختلف به أصل المعنى لأن نظر أولى الألباب إلى المعاني أكثر منه إلى المباني، وربما يوجنا تمام الكشف من المقصود إلى ذكر شيء من الأسرار فمن لم يكن من أهله فلا يبادر بالإنكار وليتركه لأهله^٢».

تأثره بالقمي في تفسيره:

وقد تكلم الفيض الكاشاني في مقدمته عن تحريف القرآن واستدلال على ذلك ببعض الروايات وكان مما استدل به ما رواه القمي في هذا الباب فقال: «

المقدمة السادسة: في نبد مما جاء في جمع القرآن وتحريفه وزيادته ونقصه وتأويل ذلك، روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام يا علي إن القرآن خلف فراشي في الصحف والحريير والقرطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته وقال: لا أرتدي حتى أجمعه، قال: كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه^٣».

١ - المرجع السابق: ج ١ / ٧٦ .

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ٧٧ .

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ٤٠ .

ثم إن الفيض الكاشاني قد تأثر كثيراً بالقمي ونقل عنه الكثير في تفسيره وأكثر ما أفاد الكاشاني من القمي في باب التأويل الباطن كمثل تأويله عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ الآية الطور: ٤٧ قال: « عذاب الرجعة بالسيف »^١.

ثم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَنِينَا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ الآية التوبة: ١٢ ، ذكر أنها نزلت في أصحاب الجمل فقال: « نزلت هذه الآية في أصحاب الجمل، وقال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل: ما قاتلت هذه الفئة الناكثة إلا بأية من كتاب الله، يقول الله: (وإن نكثوا أيمانهم) الآية »^٢.

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ الآية ، سبأ: ٢٣ قال: « لا يشفع أحد من أنبياء الله ورسله يوم القيامة حتى يأذن الله له إلا رسول الله صلى الله عليه وآله فان الله قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة، والشفاعة له وللائمة من ولده، ثم بعد ذلك للأنبياء عليهم السلام.

وعن الباقر قال: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في أمته ولنا الشفاعة في شيعتنا ولشيعتنا الشفاعة في أهاليهم ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر فان المؤمن ليشفع حتى لحادمه ويقول: يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد»^٣.

وأيضاً من التفسير الباطني، ما ورد عند قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ الآية الزمر: ٦٩، قال: «وأشرفت الأرض بنور ربها قيل بما أقام فيها من العدل سماه نورا لأنه يزين به البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلماً ففي الحديث: (والظلم

١ - تفسير الصافي: ج ٧ / ١٧، تفسير القمي: ج ٢ / ٣٣٣.

٢ - التفسير الصافي: ج ٢ / ٣٢٤، تفسير القمي: ج ١ / ٢٨٣.

٣ - تفسير الصافي: ج ٦ / ٩٥، تفسير القمي: ج ٢ / ٢٠١-٢٠٢.

ظلمات يوم القيامة) وروى القمي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال رب الأرض إمام الأرض قيل فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجترئون بنور الإمام^١.

و أيضاً شاركه في أسلوب الجري^٢ فعند قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ الطور: ٤٧، ذكرها هكذا: (وان للذين ظلموا - آل محمد حقهم - عذابا دون ذلك)^٣.

١ - تفسير الصافي: ج ٤ / ٣٣١، تفسير القمي: ج ٢ / ٢٥٣.

٢ - على ما سنري في مبحث أصول التفسير عند الشيعة: ١٦٣ من هذا البحث .

٣ - التفسير الصافي: ج ٧ / ١٦، تفسير القمي: ج ٢ / ٣٣٣.

ثالثاً: تفسير الميزان^١، لمحمد حسين الطباطبائي .

ويرجع سبب اختياري لهذا التفسير أنه أشهر تفسير معاصر، ويُعدُّ ثالث تفسير شيعي مهم بعد تفسيري "جمع البيان" للطبرسي، و "التيان" للطوسي، ومن الأسباب أيضاً قرب زمن وفاة مؤلفه من عصرنا الحاضر، ورغم أن التفسير وصفه البعض بالاعتدال إلا أن صاحبه قد نقل وأفاد من القمي والفيض الكاشاني في مواضع ليست بالقليلة.

ترجمة المؤلف:

يدعى: آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي ملقب بالعلامة الطباطبائي عالم ومفسر وفيلسوف إسلامي شيعي وُلد في قرية شادكان من توابع مدينة تبريز الإيرانية؛ وهي ثاني مدن إيران بعد طهران سنة (١٣٢١هـ - ١٩٠٣م) ، ونشأ يتيماً في أسرة اشتهرت قديماً بالعلم والمعرفة، أنهى المراحل الأولى لدراسته الشرعية عند الأساتذة المعروفين في مدينة تبريز، ثم سافر إلى مدينة النجف في العراق سنة ١٣٤٣هـ لإكمال دراسته الحوزوية، وبقي هناك إحدى عشر عاماً، يحضر دروس الفقه والأصول عند كبار العلماء، ثم أقام في " قم " يُعَلِّم ويتعلَّم حتى صار من كبار المتصدرين للتدريس والفتوى والتأليف في مدارس الشيعة هناك، وقد حصل على إجازة في الاجتهاد من الميرزا النائيني وإجازات في الرواية من الشيخ عباس القمي حسين البروجردي، وتلمذ أيضاً على الشيخ الكوهكمري، والسيد أبو القاسم الخونساري، والميرزا علي الأيرواني، والشيخ علي أصغر الملكي.

كان أديباً، وشاعراً، كتب القصائد الشعرية باللغتين العربية والفارسية، وكان بارعاً في كتابة الخط العربي، وله منظومة في آداب الخط ضمَّها إلى أحد مؤلفاته.

١ - كانت بداياته على شكل محاضرات يلقيها الطباطبائي على طلابه، صدر المجلد الأول منه سنة (١٩٥٦م) ، وتوات أجزاءه حتى بلغ (٢٠) مجلداً، وترجم إلى الإنجليزية والفارسية .

وفاته: توفي في مدينة قم في الجمهورية الإسلامية في إيران في سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م)، وقيل ١٩٨٢م، ويومئذ أعلنت الدولة الحداد الرسمي والشعبي على حد سواء وشيع تشييعاً مهيباً.

ذكره عند أهل السنة والشيعة:

لم تذكره السنة في أي من كتبها، أما الشيعة فقد ذكروه عبر مصنفاتهم بالمدح والثناء، وربما لأنه من العلماء المحدثين فقد تناولت أيدي الحداثة ووسائل التقنية ذكره، فلم يذكر في كتب الشيعة الحديثة فقط، بل وفي مواقعهم الإلكترونية أيضاً ولعل الأخيرة كانت أفصح لساناً من غيرها لذا فقد نقلت عن إحداها ما تناولته في ذكر صاحب هذا التفسير فقالت: «لم يكن العلامة مجتهداً في العلوم العقلية والنقلية فحسب، بل كان لديه سعة اطلاع واسعة، فكان أديباً وشاعراً ماهراً كتب القصائد الشعرية باللغتين العربية والفارسية، وأغلبها في الحكمة والعرفان، وفناناً بارعاً بالخط، فقد كان خطه جميلاً جداً... ولا يمكن الإحاطة بشخصية السيد الطباطبائي، فقد جسّد في سلوكه كل معاني التقوى والأخلاق الحسنة، فكان مخلصاً لله، ودائم الذكر والدعاء، ومما يؤثر عنه، أنه كان مواظباً على أداء المستحبات، ولديه في شهر رمضان برنامج متنوع موزع بين العبادة والتأليف وقراءة القرآن وقراءة دعاء السحر^٢، الذي كان يهتم به اهتماماً كبيراً، حيث كان يقرأه بحضور أفراد عائلته.

وارتحل العلامة الطباطبائي إلى قم في عام ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م، وكانت الحوزة العلمية فيها آنذاك، تشهد بدايات نهضة تصدى لها السيد حسين البروجردي، وكانت هذه النهضة بحاجة إلى من يرفدها، ولأجل ذلك، اكتسى حضور العلامة الطباطبائي إلى قم أهمية خاصة في تبلور تلك النهضة الفكرية القوية التي شهدتها في النصف الثاني من القرن العشرين، وإشعال جذوتها، وهذا ما عبّر عنه بقوله: "عندما قدمت إلى قم، أمعنت النظر

١ - تفسير محمد حسين الطباطبائي الميزان في تفسير القرآن : دراسة منهجية ونقدية " للباحث/ يوسف الفقير: ٢٣-٦ بتصرف .

٢ - لاحظ لم يذكر صلاة تهجد ولا قيام لليل، وإنما فقط دعاء أسموه دعاء السحر .

وتفحصت الواقع بحثاً عمّا تحتاجه الحوزة في ذلك الوقت، فوجدت أن أهم ما ينقص الحوزة وبرامجها الدراسية تفسير القرآن!! والبحوث العقلية، ولهذا باشرت بتدريس التفسير والفلسفة، مع أن تفسير القرآن لم يكن بنظر البعض علماً يحتاج إلى تحقيق وتأمل!!، بل وغير لائق بمكان له الانشغال به عن الفقه والأصول!!، حتى أن البعض كان يعتبر تدريس التفسير والانشغال به دليلاً وعلامة على قلة المعلومات!!^٤. على أي حال - الكلام مازال للطباطبائي - لم أتخذ ذلك ذريعة أومبرراً مقبولاً أمام الله تعالى لأن أتنازل عن مشاريعي، بل على العكس، واصلت الطريق حتى تمحض عنه تفسير الميزان".

ثم قال: ومن إهتمامات العلامة الطباطبائي الأخرى: صقل وتجزير الفلسفة الإسلامية وتمكينها من الوقوف على قدميها أمام تحديات الفكر الغربي، وذلك من خلال التأكيد على درس الفلسفة في الحوزة، وتربية عدد من العلماء، وتأليفه ما يزيد على العشرة كتب في الفلسفة والعقيدة، يأتي في مقدمتها كتابه "أصول الفلسفة" الذي وضعه في خمسة أجزاء طبعت مع تعليقات قيمة لتلميذه البارز الشهير آية الله مرتضى المطهري. ويكفي أنه قدم للمكتبة الإسلامية "٣٥" رسالة وكتاباً ودورة^٥.

منهجه في تفسيره :

ومما قاله في بيان منهجه: نفسر القرآن بالقرآن، ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق، ونتعرفها بالخواص التي تعطيتها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل: ٨٩، وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء، ولا يكون تبياناً لنفسه، وقال تعالى: ﴿هُدًى

١ - تأمل عدم اهتمامهم بالقرآن وتفسيره ، فلم يكن لديهم برنامج في التفسير يدرس في الحوزة .

٢ - أين هذا القول من قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩ .

٣ - مع أن القرآن هو أصل الأصول، وهذا هو السبب في ضلالهم، يأخذون العلم بلا أصل .

٤ - هكذا ينظرون إلى القرآن وتفسيره على أنه بضاعة مزجاة، تعالى الله عما يصف الظالمون علوا كبيرا

٥ - المصدر: موقع الحيدرية <http://www.alhaidaria.com>

لِّلنَّاسِ وَبَيَّنَّتْ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴿البقرة: ١٨٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿النساء: ١٧٤﴾، وكيف يكون القرآن هدى وبينة وفرقانا ونورا مبينا للناس في جميع ما يحتاجون، ولا يكفيهم في احتياجهم إليه، وهو أشد الاحتياج؟

تأثر الطباطبائي بالقمي في تفسيره:

وقد أفاد ونقل عن القمي كثيراً، وما أفاد منه عند قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴿الأعراف: ٢٩ - ٣٠﴾، قال: «في تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً وشقيماً وسعيداً، وكذلك يعودون يوم القيامة مهتد وضال»^١.

وأفاد منه في أسباب النزول عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿المائدة: ٥﴾، ذكر: «وفي تفسير القمي قال: حدثني أبي، عن صفوان، عن أبان بن عثمان، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس وعنده قوم من اليهود فيهم عبد الله بن سلام إذ نزلت عليه هذه الآية فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد فاستقبله سائل فقال: صلى الله عليه وآله وسلم: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم ذلك المصلى، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا هو علي عليه السلام»^٢.

وأفاد منه من خلال تأويلاته الباطنة، فعند قوله تعالى: ﴿فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا ﴿النحل: ٦٦﴾، قال: «في تفسير القمي في قوله تعالى: "من بطونه من بين فرث ودم" قال عليه السلام الفرث ما في الكرش، وفي الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن

١ - تفسير الميزان: ج ٨/٩٥ - ٩٦ .

٢ - المرجع السابق: ج ٦/١٧ .

النوفلي عن السكوني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: "ليس أحد يغص بشرب اللبن لان الله ﷻ يقول: ﴿لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِيبِينَ﴾^١.

وفي تفسير القمي: بإسناده عن رجل عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ النحل: ٦٨ ، قال: "نحن النحل الذي أوحى الله إليه أن اتخذي من الجبال بيوتاً أمرنا أن نتخذ من العرب شيعة، ومن الشجر يقول من العجم ومما يعرشون من الموالى والذي خرج من بطونها شراب مختلف الوانه العلم الذي يخرج منا إليكم"^٢.
وأيضاً من ذلك قوله « وفي تفسير القمي قال: وسمي إدريس لكثرة دراسته الكتب.

أقول: ورد في بعض الروايات في معنى قوله تعالى في إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ مريم: ٥٧، أن الله غضب على ملك من الملائكة فقطع جناحه وألقاه في جزيرة من جزائر البحر فبقى هناك ما شاء الله، فلما بعث الله إدريس جاءه ذلك الملك وسأله أن يدعو الله أن يرضى عنه ويرد إليه جناحه، فدعا له إدريس فرد الله جناحه إليه ورضي عنه. قال الملك لإدريس: ألك حاجة؟ قال نعم أحب أن ترفعي إلى السماء حتى أنظر إلى ملك الموت فلا عيش لي مع ذكره، فأخذته الملك على جناحه حتى انتهى به إلى السماء الرابعة فإذا هو بملك الموت يحرك رأسه تعجبا، فسلم عليه إدريس وقال له: ما لك تحرك رأسك؟ قال: إن رب العزة أمرني أن أقبض روحك بين السماء الرابعة والخامسة. فقلت: يا رب كيف يكون هذا وبينه وبينه أربع سماوات وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام؟ ثم قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وهو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾^٣.

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ الحاقة: ١٧، قال: «وفي تفسير القمي وفي حديث آخر قال: حملة ثمانية، أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين فأما

١ - الكافي: ج ٦/ ٣٣٦، باب الألبان (٥)، قال المجلسي في مرآة العقول: ضعيف على المشهور، ج ٢٢/ ١٦٨.

٢ - تفسير الميزان: ج ١٢/ ٣٠٨ - ٣٠٩ ، تفسير القمي: ج ١/ ٣٨٩.

٣ - تفسير الميزان: ج ١٤/ ٦٨ - ٦٩ ، تفسير القمي: ج ٢/ ٥٢ .

الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام»^١.

«وفي تفسير القمي قال الصادق عليه السلام : خلق الله الملائكة مختلفة وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل وله ستمائة جناح على ساقه الدر مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء والأرض وقال إذا أمر الله ﷻ ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله في السماء السابعة والأخرى في الأرض السابعة، وإن لله ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار يقولون: يا مؤلفاً بين البرد والنار ثبت قلوبنا على طاعتك. وقال: إن لله ملكاً بعد ما بين شحمة أذنه إلى عينه مسيرة خمس مائة عام بخفقان الطير. وقال: إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون وإنما يعيشون بنسيم العرش، وإن لله ﷻ ملائكة ركعاً إلى يوم القيامة وإن لله ﷻ ملائكة سجداً إلى يوم القيامة. ثم قال أبو عبدالله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من شيء مما خلق الله ﷻ أكثر من الملائكة وإنه ليهبط في كل يوم أو في كل ليلة سبعون ألف ملك، فيأتون البيت الحرام فيطوفون به ثم يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يأتون أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون ثم يأتون الحسين عليه السلام فيقيمون عنده فإذا كان عند السحر وضع لهم معراج إلى السماء ثم لا يعودون أبداً»^٢.

« في تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿وَاللَّجِيمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ النجم: ١، قال: النجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "إذا هوى" لما أسري به إلى السماء وهو في الهوي»^٣.

وعند قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ المرسلات: ٤٨، «وفي تفسير القمي في الآية السابقة قال: «وإذا قيل لهم "تولوا الإمام لم يتولوه"، أقول: وهو من الجري دون التفسير»^٤.

١ - تفسير الميزان: ج ٤٠١/١٩، تفسير القمي: ج ٣٧١/٢.

٢ - تفسير الميزان: ج ٨/١٧، تفسير القمي: ج ١٨١/٢.

٣ - تفسير الميزان: ج ٣٢/١٩، تفسير القمي: ج ٣١١/٢.

٤ - تفسير الميزان: ج ١٥٧/٢٠، تفسير القمي: ج ٣٩٣/٢.

« وفي تفسير القمي عن أبيه عن النضر عن الحلبي عن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ الأنعام: ١٥٩، قال: فارق القوم والله دينهم، أقول: أي باختلاف المذاهب، وقد مر حديث اختلاف الأمة ثلاثا وسبعين فرقة^١ .

« وفي تفسير القمي بإسناده عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام ، قلت: قوله عليه السلام: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ مريم: ٩٦ ، قال: ولاية أمير المؤمنين " هي الود الذي ذكره الله »^٢ .

« وفي تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ الصفات: ٢٢، قال: الذين ظلموا آل محمد عليهم السلام حقهم ﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ قال: أشباههم. أقول لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت»^٣ .

١ - تفسير الميزان: ج ٣٩٢/٧، تفسير القمي: ج ١/٢٢٨.

٢ - تفسير الميزان: ج ١١٥/١٤، تفسير القمي: ج ٢/٣١.

٣ - تفسير الميزان: ج ١٤١/١٧ - ١٤٢، تفسير القمي: ج ٢/١٩٥.

الباب الثاني:

عرض ونقد لتفسير القمي.

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول: المآخذ المنهجية على تفسير القمي.

الفصل الثاني: المآخذ العقدية في تفسير القمي.

الفصل الثالث: المآخذ الفقهية في تفسير القمي.

الفصل الرابع: تفسير القمي في الميزان.

الفصل الأول

المآخذ المنهجية على تفسير القمي.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أصول التفسير عند السنة والشيعة.

المبحث الثاني: منشأ الخلاف بين السنة والشيعة.

المبحث الثالث: نقد روايات القمي.

المبحث الرابع: التفسير بالمأثور عند القمي.

المبحث الخامس: التفسير بالرأي عند القمي.

المبحث الأول:

أصول التفسير عند السنة والشريعة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: أصول التفسير عند أهل السنة

المطلب الثاني: أصول التفسير عند الشيعة

المطلب الأول: أصول التفسير عند أهل السنة:

أنزل الله ﷻ القرآن الكريم بلسان عربي مبين قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف: ٢ «في عصر اتفق الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرقى الأعصار عند العرب، وأغزرها مادة في الفصاحة وأنه الممتاز بين جميع ما تقدمه بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطاب وأنفس ما كانت العرب تتنافس فيه من ثمار العقل ونتائج الفطنة والذكاء هو الغلب في القول والسبق إلى إصابة مكان الوجدان من القلوب ومقر الإذعان من العقول وتفانيهم في المفاخرة بذلك»^١.

وجعل الله هذا الكتاب العزيز مصدراً للهداية، وناموساً للفلاح والرشاد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة: ١٥ - ١٦ .

ومن الطبيعي أن العمل بهذا الكتاب لا يكون إلا بعد فهمه وتدبره، والوقوف على ما حوى من نصح ورشد ، والإمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه البارع المعجز، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن، وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب العظيم .

وبالتالي فإن المصادر التي ينهل منها من يتصدى لتفسير كتاب الله العظيم ما هي إلا الركيزة الأساسية أو اللبنة الأولى التي يوضع على أساسها بنيته في التفسير، وينهج منهجه الخاص به، ولقد جهد المفسرون الأوائل من أهل السنة على وضع منهج لهذا

١ - رسالة التوحيد لمحمد عبده : ٧٦ .

العلم العظيم وللوقوف على منابع التي يستقي منها المفسر مادته، فإن «المناهج في التفسير تختلف باختلاف ما يستعين به المفسر من مصادر»^١ فمن أراد أن يفسر القرآن فعليه أن يستمد مادته العلمية من عدة مصادر إذا أراد أن يصيب وجه الحق في تفسيره ومن هذه المصادر :

١ - القرآن الكريم.

٢ - القراءات.

٣ - السنة النبوية.

٤ - أقوال الصحابة.

٥ - أقوال التابعين.

٦ - أسباب النزول.

٧ - اللغة العربية.

وسوف أتناول كلا من هذه المصادر بشيء من التفصيل حتى يتبين أهميته ووجه الاعتماد عليه عند التفسير.

١ - المعجزة الكبرى، لأبي زهرة: ٥٨٤.

الأصل الأول: القرآن الكريم.

إن أعظم ما يفسر به القرآن الكريم هو القرآن نفسه، فقد أجمع علماء أهل السنة على اعتبار تفسير القرآن بالقرآن المصدر الأول للتفسير، فهو المرجع الأساسي في فهم معاني القرآن الكريم فالله ﷻ أول مبين لكتابه العظيم لأنه الأعم بكلامه ومراده سبحانه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣.

فلذلك لا بد لمن أراد أن يتصدى لتفسير كلام الله ﷻ أن ينظر في القرآن الكريم أولاً، ويجمع الآيات الكريمة ذات الموضوع الواحد، ويقوم بمقابلة الآيات بعضها ببعض، فإن ما كان مجملاً في موضع قد يكون مبيناً في موضع آخر، وما جاء موجزاً في موضع قد يكون مفصلاً في موضع آخر، وما كان مشكلاً في موضع قد يكون موضحاً في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في موضع قد يكون مقيداً في موضع آخر، وما ورد عاماً قد يدخله التخصيص في آيات أخرى، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن وفهم مراد الله بما جاء عن الله ﷻ.

وقد تمثل بهذا الرسول ﷺ ففسر القرآن بالقرآن فعن عبد الله بن مسعود^١ قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الأنعام: ٨٢. شق ذلك على

١ - هو: الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء بن حبيب بن شمش بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلي أبو عبد الرحمن حليف بني زهرة وكان أبوه حالف عبد الحارث بن زهرة، أمه أم عبد الله بنت ود بن سواء أسلمت وصحبت أحد السابقين الأولين أسلم قديماً وهاجر المجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب نعليه وحدث عن النبي ﷺ بالكثير وعن عمر وسعد بن معاذ وروى عنه ابنه عبد الرحمن وأبو عبيدة وابن أخيه عبد الله بن عتبة وامراته زينب الثقفية ومن الصحابة العبادلة أبو موسى وأبو رافع وأبو شريح وأبو سعيد وجابر وأنس وأبو جحيفة وأبو أمامة وأبو الطفيل، الاستيعاب: ج ١ / ٢٠٢، أسد الغابة: ج ١ / ٦٧، الإصابة: ج ٤ / ٢٣٣.

المسلمين فقالوا يا رسول الله أين لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعون ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿يَبْتَئَى لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣»^١.

وقد اهتم مفسرو السلف الصالح من الصحابة والتابعين بهذا الأمر، منهم عبد الله ابن عباس رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ومجاهد بن جبر^٢، وعكرمة^٣، والحسن البصري، وقتادة، وغيرهم كثير.

وكذلك نجد الحافظ ابن كثير^٤ مثلاً قد اعتنى كثيراً بهذا الجانب، حيث استشهد بالآيات القرآنية التي تبين آية يريد شرحها، فتفسير القرآن بالقرآن أساس في منهجه وفي

١ - صحيح البخاري: ج ٣/١٢٦٢ (٣٢٤٦)، كتاب الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾، وفي صحيح مسلم: ج ١/٨٠ (٣٤٢)، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان واخلاصه، كلها من طريق عبد الله بن مسعود عن علقمة .

٢ - مجاهد بن جبر الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ويقال: مولى عبد الله بن السائب القاري، ويقال: مولى قيس بن الحارث المخزومي روى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وعن أبي هريرة، وعائشة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، ورافع بن خديج، وأم كرز، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأم هانئ، وأسيد بن ظهير، وعدة. تلا عليه جماعة: منهم ابن كثير الداري، وأبو عمرو بن العلاء، وابن محيصة. وروي عنه أنه قال: عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أفقه عند كل آية، أسأله فيم نزلت، وكيف كانت. سير أعلام النبلاء: ج ٤ / ٤٤٩ - ٤٥٠.

٣ - عكرمة العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي، مولاهم، المدني، البربري الأصل، قيل: كان حصين بن أبي الحر العنبري، فوهبه لابن عباس، حدث عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعقبة بن عامر، وعلي بن أبي طالب، وذلك في النسائي، وأظنه مرسلًا، وصفوان بن أمية، والحجاج بن عمرو الانصاري، وجابر بن عبد الله، وحملة بنت جحش، وأبي سعيد الخدري، وأم عمارة الانصارية، وعدة. توفي سنة إحدى ومئة. سير أعلام النبلاء: ج ٥ / ١٢ - ٣٧.

٤ - هو: الإمام العلامة الحافظ عماد الدين ثقة المحدثين وعمدة المؤرخين علم المفسرين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (٧٠١هـ - ٧٧٤هـ) ولد بمجيدل من قرى البصرة، له مصنفات عدة منها: تفسير القرآن العظيم وكتاب البداية والنهاية، جامع المسانيد وغير ذلك، انظر الرد الوافر للبخاري: ج ١/٩٢، ذيل طبقات الحفاظ، للسيوطي: ج ١ / ٥٧.

كتابه، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٩٤، قال: « عن ابن عباس: يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب. فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ أي: بعلمهم بما عندهم من العلم بك، والكفر بذلك، ولو تمنوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات. - ثم بعد ذلك استشهد بالآيات القرآنية التي توضح الآية السابقة - فقال: ثم هذا الذي فسر به ابن عباس ﷺ الآية هو المتعين، وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٦ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٧ ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجمعة: ٦-٨ ، فهم - عليهم لعائن الله- لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم، أو من المسلمين. فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تأخروا علم كذبهم. وهذا كما دعا رسول الله ﷺ وفد نجران من النصارى بعد قيام الحجّة عليهم في المناظرة، وعتوهم وعنادهم إلى المباهلة، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران: ٦١ ، فلما رأوا ذلك قال بعض القوم لبعض: والله لعن باهلتهم هذا النبي لا يبقى منكم عين تطرف. فعند ذلك جنحوا للسلم وبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فضربها عليهم.

وبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ^١، أميناً. ومثل هذا المعنى أو قريب منه قوله تعالى لنبيه ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ مريم: ٧٥ أي: من كان في الضلالة منا أو منكم، فزاده الله مما هو فيه ومدّ له، واستدرجه ^٢.

وقد سبقه في ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره، وقد خص بعض المفسرين هذا الأمر بالتأليف كالأمير الصنعاني ^٣ في كتابه "فتح الرحمن في تفسير القرآن بالقرآن"، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ^٤ في كتابه "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"

١ - هو: عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري أبو عبيدة غلبت عليه كنيته، هاجر إلى أرض الحبشة ولم يختلغوا في شهوده بداراً والحديبية وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، قال الزبير كان أبو عبيدة أهتم وذلك أنه نزع الخلتين اللتين دخلتا في وجه النبي ﷺ من المغفر يوم أحد فانتزعت ثنيتاه، وكان يدعى في الصحابة القوي الأمين لقول رسول الله ﷺ لأهل نجران: "لأرسلن معكم القوي الأمين"، ولقوله ﷺ: "لكل أمة أمين وأمين أمي أبو عبيدة بن الجراح"، وقال فيه أبو بكر الصديق يوم السقيفة: لقد رضيت لكم أحد الرجلين فبايعوا أيهما شئتم: عمر وأبو عبيدة بن الجراح، ومات في طاعون عمواس بأرض الأردن وفلسطين سنة ثمان عشرة، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ١/٢٣٩ - ٢٤٠.

٢ - تفسير القرآن العظيم: ج ١/٣٣١ - ٣٣٢ .

٣ - هو: السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين بن شرف الدين بن صلاح بن الحسن بن المهدي بن محمد بن إدريس بن علي بن محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف ولد سنة تسع وتسعين وألف بكحلان ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء وأخذ عن علمائها، ورحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران وتفرد برئاسة العلم في صنعاء وتظهر بالاجتهاد وعمل بالأدلة ونفر عن التقليد وزيف مالا دليل عليه من الآراء الفقهية وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن، وتوفي رحمه الله سنة ١١٨٢ اثنتين وثمانين ومائة وألف. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: ج ٢/١٢٧ - ١٣٣.

٤ - هو: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٢٥هـ - ١٣٩٣هـ)، ولد في موريتانيا ونشأ يتيماً في بيت علم عند أخواله، وحبب إليه العلم وهو صغير، سافر للحج واستقر في بلاد الحرمين، له التفسير المعروف بأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، العذب النмир، وغيرها انظر ترجمته في بداية تفسيره "أضواء البيان" لأحد تلاميذه، معجم المفسرين لعادل نويهض: ج ٢/٤٩٦.

الأصل الثاني: القراءات:

لا يتسنى للمفسر أن يخوض في محيط التفسير دون أن يكون عارفاً بالقراءات، لأنه يترجح بها بعض الوجوه المحتملة على بعض في معاني القرآن، وبالقراءات ينكشف من معاني الآية ما لا ينكشف بالقراءة الواحدة، وهذه المعاني تفيد في تفسير الآيات القرآنية واستنباط الأحكام الشرعية منها .

والقراءات على نوعين:

١- لا علاقة له بالتفسير، لعدم تأثيره في اختلاف المعنى، كاختلاف القراء في وجوه النطق بالكلمات كمقدار المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنة^١.

٢- له علاقة بالتفسير، لتأثيره في اختلاف المعنى وزيادته، وهو اختلاف القراء في

حروف الكلمات كاختلافهم في قوله تعالى: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ الفاتحة: ٤
حيث قرأ عاصم^٢ والكسائي^٣ " مالك " بالألف .

١ - التحرير والتنوير: ج ١/٥٠.

٢ - هو: عاصم بن بهدلة أبي النجود بفتح النون وضم الجيم وقد غلط من ضم النون أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي الحنط بالمهملة والنون شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القراء السبعة، وهو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي، كان من التابعين، توفي آخر سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة ثمان وعشرين فلعله في أولها بالكوفة، وقال الأهوازي بالسماوة وهو يريد الشام ودفن بها قال واختلف في موته فقيل سنة عشرين ومائة . غاية النهاية في طبقات القراء: ج ١/١٥٣.

٣ - هو: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، أصله أعجمي، سكن الكوفة، ونشأ بها، وتنقل في البلدان، من القراء السبعة، إليه انتهت رئاسة القراء بالكوفة بعد حمزة، والكسائي نسبة لجماعة من المشاهير يبيع الكساء أو نسجه أو الاشتمال به ولبسه منهم. كان أعلم الناس بالنحو والعربية والقراءات وكانوا يكثرون عليه في القراءات فجمعهم وجلس على كرسي وتلا القرآن من أوله إلى آخره وهم يستمعون ويضبطون عنه حتى الوقف والابتداء، وقال خلف بن هشام: كنت أحضر قراءته والناس ينقطن مصاحفهم على قراءته. له من التصانيف: كتاب معاني القرآن، كتاب القراءات، كتاب العدد وكتاب في النحو. توفي سنة ١٨٩ هـ. انظر: معرفة القراء الكبار: ج ١/١٢٨، تهذيب التهذيب: ج ٧/٣١٤، ٣١٣.

وقرأ الباقون " ملك " بغير ألف^١

وقد وجه ابن جرير الطبري هاتين القراءتين وبيّن معناهما فقال: «ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب، أن المَلِك من المَلُك مشتق، وأن المَالِك من المَلِك مأخوذ.

فتأويل قراءة من قرأ ذلك (مَلِك يوم الدين) أن لله الملك يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه...»^٢.

يقول ابن عاشور^٣: «وأنا أرى على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة، لأن في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالباً، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن»^٤.

وقد كان لمفسري الصحابة والتابعين ثم من جاء بعدهم عناية كبرى بهذه القراءات، بل صارت مصدراً مهماً من مصادرهم في تفسير كتاب الله تعالى، وذلك لأن القراءات إنما يأخذها جيل أو طبقة من القراء عن جيل أو طبقة مثلها لا يمكن أن يتواطئوا على الكذب إلى أن يصل إلى النبي ﷺ فتابعوا التابعين أخذوا القراءات عن التابعين، وتلقى التابعون القراءات عن الصحابة ﷺ وتلقوها هم عن النبي ﷺ.

ومما يؤيد أن القراءات أصل مهم ومصدر أصيل من مصادر المفسر ما روي عن مجاهد، أنه قال: «لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود، لم احتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت»^٥.

١ - انظر السبعة في القراءات: ج ١/١٢٠.

٢ - جامع البيان: ج ١/٦٥.

٣ - هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وأحد كبار علمائها، وشيخ جامع الزيتونة، مفسر لغوي نحوي، من مؤلفاته التحرير والتنوير، وله أيضاً أبحاث ودراسات ومقالات كثيرة نشرت توفي سنة ١٣٩٣هـ. انظر: معجم المؤلفين لعادل نويهض: ج ٢/٥٤١.

٤ - التحرير والتنوير: ج ١/٥٥.

٥ - سير أعلام النبلاء: ج ٤/٤٥٤.

ولو تتبعنا النقول عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين لوجدنا أنهم كانوا يستعينون بالقراءات في فهم معاني الآيات القرآنية وتفسيرها، ومنها: في قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ الحجر: ١، عن قتادة قال: «من قرأ مشددة ﴿سُكِّرَتْ﴾ يعني سدت، ومن قرأ: ﴿سُكِّرَتْ﴾ مخففة فإنه يعني: سحرت، والقراءة بالتخفيف لابن كثير^١، والقراءة بالتشديد للباقيين^٢».

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مريم: ٧٣.

قال سفيان الثوري^٣: «من قرأها ﴿مَقَامًا﴾ فإنما يعني: مقامه الذي يقيم فيه الدهر، والذي يقرؤها: ﴿مَقَامًا﴾ فإنما يعني: المقامة التي يقيم فيها، والقراءة الثانية لابن كثير، بينما القراءة الأولى لباقي السبعة^٤».

١ - هو: عبدالله بن كثير الداري المكي، أبو معبد، أحد القراء السبعة، كان قاضي الجماعة بمكة ولد بمكة سنة ٤٥هـ، وتوفي بها ١٢٠هـ أخذ القرآن عن درياس وعن مجاهد، ومجاهد أخذه عن ابن عباس، وعن عبدالله بن السائب، وابن عباس أخذه عن أبي بن كعب وعلي بن طالب وعثمان بن عفان، وابن السائب أخذه عن أبي بن كعب وعلي بن أبي طالب، ودرياس أخذه عن ابن عباس. صفحات في علوم القراءات: ٣٢٩-٣٣٣.

٢ - السبعة في القراءات: ٣٦٦.

٣ - هو: سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن موهبة بن أبي ابن عبدالله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكان بن ثور، هو شيخ الاسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب "الجامع". ولد سنة سبع وتسعين اتفقا، وطلب العلم وهو حدث، روى له الجماعة الستة في دواوينهم، وحدث عنه أولاده، ومبارك، وشعبة بن الحجاج، وزائدة، وأبو الأحوص، وأبو عوانة، وآخرون. ومات سنة ست وعشرين ومئة. سير أعلام النبلاء: ج ٧/٢٢٩ - ٢٣٠.

٤ - السبعة في القراءات: ٤١١.

الأصل الثالث: السنة النبوية.

إن القرآن الكريم قد صرح بمنزلة السنة النبوية منه، وبمصدرية الحديث لتفسيره وبيانه فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ النحل: ٤٤، لذا كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في فهم ما خفي عليهم من معاني القرآن الكريم، وفي تفسير ما أشكل عليهم من آيات الله، أضف إلى ذلك أنها بمنزلة القرآن في الاستدلال وهي أصل في التشريع لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ۝٣﴾ النجم: ٣ - ٤.

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم علي كون السنة أصلاً معتبراً فقال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه يوشك رجل شبعان على أريكته (السريير) يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ...^١ . ويفهم من ذلك عدم الاقتصار في فهم القرآن على ما في القرآن، بل يؤخذ ما في السنة أيضاً، فالسنة النبوية موضحة له وشارحة له. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية^٢: «فإن قال قائل: فما أحسن طريق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر . فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له بل قد قال الإمام

١ - سنن أبي داود: ج ٢/٦١٠ (٤٦٠٤)، كتاب السنة، باب في لزوم السنة عن المقدم بن معد يكرب، عن عبدالرحمن بن عوف، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

٢ - شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الحراني (٦٦١هـ - ٧٢٨هـ) كان مولده بجران، نبغ في العلوم منذ صغره وألف من المؤلفات والمصنفات أكثر مما يحصى في التفسير والعقيدة والرد على الفرق وفي الأصول وغيرها، توفي وهو معتقلاً في قلعة دمشق، انظر الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزار - ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام، للذهبي: ج ١/ ٢٢ وما بعدها.

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن»^١.

وقد حرص الصحابة والتابعون على الاعتماد على هذا الأصل في تفاسيرهم، ولا يجدهم يخالفون ما صح عن النبي ﷺ في ذلك فعلى سبيل المثال لا الحصر ما صح عن النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ٣٦، قال ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشرًا شهرًا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»^٢.

وبذلك فسرها مفسرو التابعين ولم يخالف فيه أحد منهم، قال الإمام الطبري: «وهو قول عامة أهل العلم»^٣.

١ - مقدمة في التفسير: ج ١ / ٩٣.

٢ - صحيح البخاري: ج ٣ / ١١٦٨ (٣٠٢٥)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، وفي كتاب المغازي، باب حجة الوداع: ج ٤ / ١٥٩٩ (٤١٤٤)، وفي كتاب التفسير، باب سورة براءة التوبة: ج ٤ / ١٧١٢ (٤٣٨٥)، وفي كتاب الأضاحي، باب من قال الأضحى يوم النحر: ج ٥ / ٢١١٠ (٥٢٣٠)، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ ج ٦ / ٢٧١٠ (٧٠٠٩)، وكذلك في صحيح مسلم: كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض: ج ٥ / ١٠٧ (٤٤٧٧)، وفي سنن أبي داود: ج ١ / ٥٩٩، ١٩٤٧، قال الشيخ الألباني: صحيح، كلها عن أبي بكر.

٣ - جامع البيان: ج ١٤ / ٢٣٦.

الأصل الرابع : أقوال الصحابة :

لقد اصطفى الله تعالى الصحابة الكرام ﷺ لاتباع رسول الله ﷺ وحمل رسالته وتبليغ شريعته ونصرته، فاضطلعوا بهذه المسؤولية العظيمة، فأدوها وحملوها إلى أصحابها غير متكاسلين ولا متباطئين ولا هيايين، فكانوا نموذجاً فريداً تهتدي به الإنسانية إلى يوم الدين، وقد وردت أدلة كثيرة من القرآن والسنة على فضل الصحابة، ويكفي دلالة على ذلك أن الله ﷻ اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ولوضع حجر الأساس لهذا الدين، فشفروا بهذا الاختيار العظيم، وما كان الله ليختارهم إن كان بهم خلل أو كانوا كذابين أو منافقين - ومن تلك الأدلة :

«ما احتج به مالك وهو قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١٠٠»^١.

وقول النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...»^٢.

وقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^٣.

وقد علق صاحب الكفاية بعد أن ذكر أدلة تعديلهم من الكتاب والسنة فقال: «وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق لهم، فهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحدهم ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية،

١ - أعلام الموقعين: ج ٤/ ١٢٣.

٢ - صحيح البخاري: ج ٢/ ٩٣٨ (٢٥٠٩) كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، وفي صحيح مسلم: ج ٧/ ١٨٥ (٦٦٣٥) (٦٦٣٦) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

٣ - صحيح البخاري: ج ٣/ ١٣٤٣ (٣٤٧٠) كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، وفي صحيح مسلم: ج ٧/ ١٨٨ (٦٦٥١) (٦٦٥٢): كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ.

والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط عدالته، وقد برأهم الله تعالى من ذلك، ورفع أقدارهم عنه، على أنه لو لم يرد من الله ﷻ ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها، من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين - القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبدين. هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء»^١.

ثم ذكر قول أبي زرعة^٢ فقال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»^٣.

إضافة إلى ذلك فإن الصحابة ﷺ تميزوا عن غيرهم بأمر هي:

١- أنهم شاهدوا نزول الوحي، وعرفوا أحوال النصوص القرآنية وما يحيط بها من ظروف وأسباب.

٢- أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن الكريم، ولما لهم من عراقة في اللغة بالسليقة والنشأة، وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان.

١ - الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ج ١ / ١١٨.

٢ - هو: الحافظ الإمام الفقيه الأصولي المفسن أبو زرعة أحمد بن الحافظ الكبير أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازي ثم المصري، مولده ووفاته بالقاهرة، ولد في ذي الحجة سنة اثنتين وستين وسبعمائة واعتنى به والده فأسمعه الكثير من أصحاب الفخر وغيرهم ولازم البلقيني في الفقه وغيره وتخرج به وأخذ عن البرهان الانباسي وابن الملقن والضياء القزويني وغيرهم وكان إماماً محدثاً حافظاً فقيهاً محققاً أصولياً صالحاً صنف التصانيف الكثيرة الشهيرة النافعة كشرح سند أبي داود والنكت على الحاوي والتنبيه والمنهاج وشرح جمع الجوامع في الأصول وشرح نظم البيضاوي لوالده وشرح نظم الاقتراح لأبيه والنكت على منهاج البيضاوي وشرح تقريب الأسانيد لوالده وحاشية على الكشاف ونكت الأطراف والمهمات، وولي قضاء الديار المصرية بعد الجلال البلقيني مات في سبع وعشري شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة. طبقات الحفاظ: ج ١ / ١١٦.

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ١١٩.

٣- أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن الكريم من المسلمين والمشركون واليهود.
٤- لما لهم من النفوس الصافية، والفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، والإخلاص فيه، والقوة في اليقين، مع كبير محبتهم للنبي ﷺ وعظم تضحيتهم لنشر الإسلام وحمايته^١.

ونتيجة لهذه الأسباب كان الصحابة رضي الله عنهم أجدر الناس بعد النبي ﷺ بتفسير القرآن الكريم، ولقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية بمصدرية أقوال الصحابة رضي الله عنهم لتفسير القرآن فقال: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة»^٢.

والمعروف أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا على درجة واحدة بالنسبة لتفسير القرآن، بل تفاوتت مراتبهم فمنهم من برع بتفسير النصوص القرآنية مطلقاً، ومنهم من أدرك واستوعب ما في القرآن من أحكام ومنهم من عرف ما جاء في القرآن.
ولذا جاء عن مسروق^٣: «جالست أصحاب رسول الله ﷺ فوجدتهم كالإخادع، فالإخادع يروي العشرة، والإخادع يروي المئة، والإخادع لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم»^٤.
وقد اعتبر الصحابة رضي الله عنهم أقوال علمائهم مصدراً مهماً لفهم القرآن، لذا فقد ثبت أن بعضهم كان يرجع إلى بعض إذا خفي عليه معنى أو دق عليه فهم في القرآن، فكان ابن

١ - انظر: مقدمة في أصول التفسير: ٩٥.

٢ - المرجع السابق ونفس الصفحة.

٣ - هو: مسروق بن الأجدع الإمام القدوة أبو عائشة الهمداني الكوفي الفقيه أحد الأعلام، كان أبوه فارس أهل اليمن في زمانه، يقال إنه سرق وهو صغير ثم وجد فسمي مسروقاً، وهو ابن أخت البطل الكرار عمرو بن معد يكرب، تابعي ثقة، كان أحد أصحاب عبد الله الذين يقرئون ويفتون، أخذ عن عمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وأبي ﷺ وعنه إبراهيم والشعبي وأبو إسحاق وخلق قال ابن المديني ما أقدم على مسروق أحداً من أصحاب عبد الله، وقد صلى خلف أبي بكر الصديق ﷺ توفي مسروق سنة ثلاث وستين، تذكرة الحفاظ: ج ١ / ٤٩ - ٥٠، سير أعلام النبلاء: ج ٤ / ٦٣ - ٦٧، تقريب التهذيب: ج ٢ / ٥٢٨.

٤ - الإخادع جمع إخادة وهي شيء كالغدير، وجمع الإخادع أخذ مثل كتاب وكتب. انظر مختار الصحاح: ٤.

٥ - الطبقات لابن سعد: ج ٢ / ٢٦١.

عباس رضي الله عنه - على سبيل المثال - « إذا سئل عن الأمر فإن كان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن، وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر به، فإن لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به، فإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد رأيي^١ .
ويقول هو عن نفسه « كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحدا منهم إلا سر بإتياني لقربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً، وكان من الراسخين في العلم، عما نزل من القرآن بالمدينة فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرهما بمكة^٢ .

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: « أردت أن أسأل عمر فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا^٣ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فما أتممت كلامي! حتى قال: عائشة وحفصة^٤ .

وغير ذلك كثير موجود في بطون كتب التفسير والسير وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم جعلوا قول علمائهم مصدراً من مصادرهم في التفسير .

وقد سلك نهجهم الجليل الذي بعدهم من مفسري التابعين، فكانوا يرجعون في تفسيرهم للقرآن إلى أقوال الصحابة، يستفيدون منها عند تعذر طرق التفسير الأخرى .

فهذا مجاهد كان يعتمد على تفسير ابن عباس رضي الله عنه عندما تعرض لتفسير قوله تعالى:

﴿ فَسْتَقْرُّوْهُ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ الأنعام: ٩٨،

١ - المرجع السابق: ج ٢/ ٣٦٦ .

٢ - المرجع السابق: ج ٢/ ٣٧١ .

٣ - يقصد قوله تعالى: ﴿ إِنْ نُوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ التحريم: ٤ .

٤ - صحيح البخاري: ج ٤/ ١٨٦٨ (٤٦٣٠) (٤٦٣١) : كتاب التفسير، باب سورة الطلاق .

فقد فسر ابن عباس: «المستقر بالأرض، والمستودع: عند الرحمن»^١، وقال مجاهد:
 «المستقر الأرض، والمستودع: عند ربك»^٢.
 ثم إننا نجد من تفسير الصحابة ثروة تفسيرية بداخل كتب التفسير قديماً وحديثاً،
 أفادت من جاء بعدهم من مفسري التابعين ومن جاء بعدهم.
 فقد أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ آل عمران: ٧، قال: «﴿ مِنْهُ
 آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ هي الثلاث آيات من ها هنا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ
 عَنِ الْفحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالَّذِينَ عَدَّابُوا فِيهَا وَالْبَغْيَ عَنِ الْبَغْيِ وَالْحَرَامَ عَنِ الْحَرَامِ وَالْحَرَامَ
 عَنِ الْحَرَامِ﴾ الأنعام: ١٥١، إلى ثلاث آيات^٣، والتي في بني إسرائيل ﴿وَقَضَىٰ رَبِّيكَ أَلَّا
 تَعْبُدُوا إِلَّا آيَاهُ﴾ الإسراء: ٢٣، إلى آخر الآيات^٤.

١ - تفسير جامع البيان: ج ١١ / ٥٦٤.

٢ - المرجع السابق: ج ١١ / ٥٦٥.

٣ - يعني من آية ١٥١ : ١٥٢ سورة الأنعام .

٤ - يعني من آية ٢٣ - ٣٩ سورة الإسراء.

الأصل الخامس: أقوال التابعين.

لما انقضى عهد الصحابة رضي الله عنهم، جاء التابعون الذين تتلمذوا على أيديهم واقفين حياتهم لحفظ شريعة ربهم، والذود عنها، فتناولوا آيات القرآن الكريم بالتفسير، وبينوا لمعاصريهم ما خفي عليهم من المعاني والألفاظ، فشددت الرحال إليهم، ونما علمهم إلى المشرق والمغرب، وصرح شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بمصدرية أقوال التابعين في التفسير قائلاً: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»^١.

ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم قد تلقوا كثيراً من التفسير عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، بل بعضهم تلقى جميع التفسير عنهم مثل مجاهد بن جبر. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - «عن ابن أبي مليكة^٢ قال: رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواح فيقول له ابن عباس اكتب حتى سأله عن التفسير كله، ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به»^٣.

١ - مقدمة في أصول التفسير: ١٠٢ .

٢ - هو: عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة، زهير بن عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، الإمام الحجّة الحافظ أبو بكر وأبو محمد القرشي التيمي المكي القاضي الأحول المؤذن، ولد في خلافة علي أو قبلها، وحدث عن عائشة أم المؤمنين، وأختها أسماء، وأبي محذورة، وابن عباس، وعبدالله بن عمرو السهمي، وابن عمر، وابن الزبير، وغيرهم، وكان عالماً مفتياً صاحب حديث وإتقان، معدود في طبقة عطاء، وقد ولي القضاء لابن الزبير، والأذان أيضاً، حدث عنه عطاء بن أبي رباح، وذلك في "صحيح مسلم" وعمرو ابن دينار، وعبد العزيز بن رفيع، وأبواب السخيتاني، وحميد الطويل، وحبيب بن الشهيد، وابن جريج، وعدة، وثقه أبو زرعة، وأبو حاتم، مات سنة سبع عشرة ومئة، وكان من أبناء الثمانين، سير أعلام النبلاء: ج ٥ / ٨٨ - ٩٠ .

٣ - مقدمة في أصول التفسير: ١٠٢ .

وقد اشتهر آخرون منهم سعيد بن جبير^١ وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح^٢ والحسن البصري ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب^٣ وأبو العالية^٤.

١ - هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي أبو محمد أو أبو عبد الله الكوفي، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، روى عن ابن عباس فأكثر وجود، وعن عبد الله بن مغفل، وعائشة، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري في سنن النسائي، وأبي هريرة وأبي مسعود البدري وهو مرسل وعن ابن عمر، وابن الزبير، والضحاك بن قيس، وأنس، وأبي سعيد الخدري، وروى عن التابعين، مثل أبي عبد الرحمن السلمى، كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعنيه، وقال عمرو بن ميمون عن أبيه: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه، قتله الحجاج سنة اثنتين وتسعين هو ابن تسع وأربعين سنة، فعلى هذا يكون مولده في خلافة أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام. سير أعلام النبلاء: ج ٤ / ٣٢١ - ٣٤٢، طبقات الحفاظ: ج ١ / ٤.

٢ - هو: عطاء بن أبي رباح أسلم أبو محمد المكي مولى بني جمح وقيل آل أبي خثيم، قال ابن سعد: انتهت إليه فتوى أهل مكة وكان أسود أعرج أظطس أشل أعرج قطعت يده مع ابن الزبير ثم عمي، وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث أدرك مائتي صحابي قدم ابن عمر مكة فسأله فقال: تسألوني وفيكم ابن أبي رباح؟ وقال قتادة: إذا اجتمع لي أربعة لم ألتفت إلى غيرهم ولم أبال من خالفهم: الحسن وسعيد بن المسيب وإبراهيم وعطاء هؤلاء أئمة الأمصار، وقال أبو حنيفة: ما رأيت أفضل من عطاء بن أبي رباح ولا أكذب من جابر الجعفي، مات عطاء سنة أربع عشرة ومائة أو خمس أو سبع عن ثمان وثمانين. وقيل مات سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثمانين سنة، طبقات الحفاظ: ج ١ / ٦ - ٧، سير أعلام النبلاء: ج ٥ / ٧٨.

٣ - هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، الإمام العلم، أبو محمد القرشي المخزومي، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد لستين مضتاً من خلافة عمر، عليه السلام وقيل: لأربع مضين منها بالمدينة، رأى عمر، وسمع عثمان، وعلياً، وزيد بن ثابت، وأبا موسى، وسعداً، وعائشة وأبا هريرة، وابن عباس، ومحمد بن مسلمة، وأم سلمة، وخلقا سواهم، وقيل: إنه سمع من عمر، مات سنة أربع وتسعين، سير أعلام النبلاء: ج ٤ / ٢١٨ - ٢٤٥.

٤ - أبو العالية، رفيع بن مهران، الامام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري، أحد الاعلام. كان مولى لامرأة من بني رباح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه. وسمع من عمر، وعلي، وأبي، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وأبي موسى، وأبي أيوب، وابن عباس، وزيد بن ثابت، عليه السلام وعدة، وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم، وبعد صيته. قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، مات أبو العالية في شوال سنة تسعين. سير أعلام النبلاء: ج ٤ / ٢٠٧ -

والربيع بن أنس^١ وقتادة والضحاك بن مزاحم^٢ وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم .

أضف إلى ذلك سبباً آخر وهو اختصاصهم بالفضل بعد الصحابة ﷺ حيث كانوا خير القرون بعد قرن النبي ﷺ وصحابته ﷺ يقول الله ﷻ : ﴿ وَالسَّيِّقُوتِ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهْجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة: ١٠٠ .

يقول ابن تيمية - رحمه الله - عند هذه الآية: «فجعل التابعين لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة وقد قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ الأنفال: ٧٥ وقال أيضاً: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ الحشر: ١٠ ﴾ وعآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ الجمعة: ٣ .

١ - هو: الربيع بن أنس البكري الحنفي، روى له الأربعة، وكان من أهل البصرة وقد لقي بن عمر وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك، وكان هرب من الحجاج فأتى مرو فسكن قرية منها يقال: لها برز ثم تحول إلى قرية أخرى منها يقال لها سدور، فكان فيها إلى أن مات، وقد كان طلب أيضاً بخراسان حين ظهرت دعوة ولد العباس، فتغيب فتخلص إليه عبد الله بن المبارك وهو محتف فسمع منه أربعين حديثاً، وكان عبدالله يقول: ما يسرني بما كذا وكذا لشيء سماه، ومات الربيع بن أنس في سنة سبع وثلاثين ومائة، في خلافة أبي جعفر المنصور. الوافي بالوفيات: ج ٤ / ٤٤٣، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٧ / ٣٦٩-٣٧٠ .

٢ - هو: الضحاك بن مزاحم، صاحب التفسير الهلالي الخراساني، أبو محمد، وقيل أبو القاسم؛ حدث عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك وسعيد بن جبير والأسود وعطاء وطاوس وغيرهم، وثقه أحمد ابن حنبل وابن معين، وضعفه يحيى القطان وغيره، واحتج به النسائي وغيره، وكان مدلساً، وقيل إنه كان فقيهه، وكان يؤدب، فيقال: كان في مكتبته ثلاثة آلاف صبي، وكان يطوف عليهم على حمار، توفي سنة خمس أو ستة وست ومائة، وروى له الأربعة. الوافي بالوفيات: ج ٥ / ٢٥٨، ميزان الاعتدال: ج ٢ / ٣٢٥-٣٢٦ .

فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم وهم خير الناس بعد الأنبياء فإن أمة محمد خير أمة أخرجت للناس وأولئك خير أمة محمد كما ثبت في الصحاح من غير وجه أن النبي ﷺ قال: "خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"^١. ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله كال تفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك، فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة، فالإقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوما، وإذا تنازعا فالحق لا يخرج عنهم فيمكن طلب الحق في بعض أقوالهم، ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء: ٥٩»^٢.

فتلك الأمور التي تعطي تفسير التابعين مزية على تفسير من بعدهم وتجعلهم أعلم الناس بتفسير القرآن الكريم بعد صحابة رسول الله ﷺ وتعد أقوالهم في التفسير أحد أصول التفسير التي عدها كثير من العلماء من أصول التفسير عند أهل السنة . ولكن اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعي للآية إذا لم يوجد تفسير لها في القرآن الكريم أو السنة النبوية أو قول عن أحد صحابة رسول الله ﷺ على قولين:

١ - أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد: ج ٥ / ٢٥٩

(٢٦٥٢)، وكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه: ج ٧ / ٣

(٣٦٥١)، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة: ج ٤ / ١٩٦٢ (٢٥٣٣) .

٢ - مجموع الفتاوى: ج ١٣ / ٢٣ - ٢٥ .

- الأول: حيث ذهب بعض العلماء ، كابن عقيل ورواية عن الإمام أحمد وشعبة وابن الحجاج إلى أنه لا يجب الأخذ بتفسير التابعي، أي أنه ليس حجة ، واستدلوا بما يلي^١ :
- ١- أنهم ليس لهم سماع من النبي ﷺ فلا يمكن أن يحمل تفسيرهم على سماعهم من النبي ﷺ كما هو حال تفسير الصحابة .
- ٢- أنهم لم يشاهدوا نزول الوحي، ولم يعرفوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن الكريم، فيجوز عليهم الخطأ في الفهم المراد إذا لم يدل عليه دليل.
- ٣- أن عدالة التابعين غير منصوص عليها كما هو الحال في عدالة الصحابة، كما نقل عن أبي حنيفة - رحمه الله - أنه قال: " ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن أصحابه فلا أتركه، وما جاء عن التابعين فهم رجال اجتهدوا، ونحن رجال نجتهد"^٢ .
- قال شعبة ابن الحجاج^٣ - رحمه الله - " أقوال التابعين في الفروع ليست بحجة، فكيف تكون حجة في التفسير"^٤ .

١ - التفسير والمفسرون: ج ١ / ٨٧ .

٢ - فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت: ج ٢ / ١٨٨ .

٣ - هو: شعبة بن الحجاج بن الورد الواسطي، أبو بسطام الأزدي العتكي، مولاهم، الحافظ الكبير عالم أهل البصرة في زمانه، بل أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة اثنتين وثمانين، سكن البصرة من صغره ورأى الحسن وسمع منه مسائل، وروى عن أنس وابن سيرين وإسماعيل بن رجاء وجامع بن شداد وسعي المقبري وجبله بن سحيم والحكم وعمرو بن مرة وزبيد بن الحارث وسلمة بن كهيل وقتادة ويحيى بن أبي كثير ومعاوية بن قرة وأبي حمزة الضبي وعمرو بن دينار وخلائق. قال الشافعي: لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق، وقال الحاكم: شعبة إمام الأئمة بالبصرة في معرفة الحديث ، وسمع من أربعمائة من التابعين، وتوفي سنة ستين ومائة، وروى له الجماعة. قال أبو داود: سمعت من شعبة سبعة آلاف حديث، الوافي بالوفيات: ج ٥ / ٢٠٦ ، طبقات الحفاظ: ج ١ / ١٥ ، تذكرة الحفاظ: ج ١ / ١٩٣ .

٤ - مقدمة في أصول التفسير: ١٠٥ .

الثاني: ذهب أكثر المفسرين، وفي رواية أخرى عن الإمام أحمد إلى أنه يؤخذ بتفسير التابعي للآية إذا لم يرد تفسير لها في القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم واستدلوا بما يلي:^١

١- أنهم تلقوا التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم ونحلوا من معينهم الصافي الذي لا كدر فيه، وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم، فهذا مجاهد - رحمه الله - يقول: "عرضت القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث عرضات، أقف عند كل آية، أسأله فيم نزلت وكيف نزلت"^٢ وقتادة السدوسي - رحمه الله - يقول: "ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيء"^٣ وقال عامر الشعبي - رحمه الله - : "والله ما من آية إلا وقد سألت عنها"^٤.

٢- ما عليه عمل المفسرين حيث حكوا أقوال التابعين في تفاسيرهم ونقلوها عنهم، واستشهدوا بها مع اعتمادهم لها وبخاصة كتب التفسير التي عنيت بالمأثور، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك بقوله: "إذا لم يجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين"^٥.

١ - البرهان في علوم القرآن: ج ٢ / ١٥٨، والإتقان: ج ٢ / ١٢٠٥.

٢ - مقدمة في أصول التفسير: ١٠٢.

٣ - طبقات المفسرين للداودي: ج ٢ / ٤٨.

٤ - مقدمة في أصول التفسير: ١١٣.

٥ - المرجع السابق: ١٠٢.

- وذكر ابن الأنباري^١: "أن من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين، فهو متعرض لسخط الله"^٢.
- والحق أنهم إذا أجمعوا على أمر كان حجة، أما إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض وكذلك من بعدهم، وعلى هذا فينبغي للمفسر بأقوال التابعين أن يلتزم بعدة أمور حتى لا يجانب الصواب، منها:
- ١- أن يعتني المفسر بصحة السند إلى التابعي الذي نقل عنه قوله في التفسير، وإلا اعتبر قولاً مجرداً عن الصحة.
- ٢- أن يجمع المفسر طرق الرواية عن التابعي، لتمييز الاختلاف في الرواية عنهم والنظر فيها^٣.
- ٤- أن يعتمد المفسر على أصح طرق الرواية عن التابعي: فمثلاً الآثار المنقولة عن قتادة تدور على رجلين هما سعيد بن أبي عروبة^٤،

١ - هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، النحوي على مذهب الكوفيين، الإمام المشهور صاحب ثعلب. صنف التصانيف الكثيرة وأملى من حفظه وكان من أفراد الدهر في سعة الحفظ مع الصدق والدين من أهل السنة كان أحفظ زمانه، وعن أبي علي البغدادي قال: كان أبو بكر بن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شواهد في القرآن، وكان من الصالحين وله التصانيف المفيدة في النحو واللغة منها كتاب الزاهر في اللغة وكتاب هاءات القرآن وكتاب الأمالي وكتاب غريب الحديث خمس وأربعون ألف ورقة وله كتاب الأضداد كبير جدا وكتاب شرح الكافي في ألف ورقة وكتاب الجاهليات في سبع مائة ورقة وغير ذلك، مات ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة وله سبع وخمسون سنة. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ج ١/٧١، تذكرة الحفاظ: ج ٣/٨٤٢ - ٨٤٤، طبقات الحفاظ: ج ١/٦٩.

٢ - الجامع لأحكام القرآن: ج ١/٢٥٠.

٣ - فصول في أصول التفسير: ٣٩.

٤ - هو: سعيد بن أبي عروبة مولى بني عدي سكن البصرة وكان أحفظ أصحاب قتادة، قبل أن يختلط، توفي سنة ١٥٧ هـ. تذكرة الحفاظ: ج ١/١٧٧ (١٧٦)، الواقي بالوفيات: ج ١٥/١٦٤.

- ومعمر بن راشد^١ وهما من أصح الطرق الواردة عنه وهكذا...^٢.
- ٤- أن يكون المفسر ملماً بأن ليس كل اختلاف وارد عن التابعين في التفسير يعد اختلافاً مطلقاً، على أن الاختلاف الواقع في تفسيرهم ينقسم إلى قسمين: اختلاف تنوع واختلاف تضاد إلا أن الثاني قليل.
- ٥- أن يكون المفسر عارفاً بالأمر التي يقع عليها أقوال التابعين في تفسير القرآن، وهي بيان الألفاظ، وبيان التخصيص للعموم، وبيان الجمل، وبيان تقييد المطلق، وبيان النسخ، وإيضاح المبهم^٣.
- ٦- أن يكون مطلعاً على القواعد المتعلقة بتفسير السلف والتابعين ومنها:
- أ- إذا اختلف السلف في تفسير آية على قولين، لم يجز لمن بعدهم إحداث قول ثالث يخرج عن قولهم^٤.
- ب- تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ^٥.

١ - هو: معمر بن راشد الامام الحجة أبو عروة الأزدي مولاهم البصري أحد الأعلام وعالم اليمن حدث عن الزهري وهمام بن منبه وقتادة وعمرو بن دينار وزباد بن علاقة ويحيى بن أبي كثير ومحمد بن زياد الجمحي وطبقتهم حدث عنه السفينان وابن المبارك وغندر وابن عليّة ويزيد بن زريع وعبد الأعلى بن عبد الأعلى وهشام بن يوسف وعبد الرزاق وخلق وقد حدث عنه من شيوخه أيوب وأبو إسحاق قال أحمد ليس تضم معمر إلى أحد إلا وجدته فوفقه وقال يحيى بن معين هو من أثبت الناس في الزهري وقال عبد الرزاق كتبت عن معمر عشرة آلاف حديث، مات معمر سنة ثلاث وخمسين ، ولم يبلغ ستين سنة وكان أول من صنف باليمن رحمه الله تعالى. لسان الميزان: ج

٣٩٤/٧، تذكرة الحفاظ: ج١/١٩٠-١٩١.

٢ - تفسير التابعين: ج٢/٩٣٣-٩٣٩.

٣ - قواعد التفسير: ج١/١٩٢-١٩٥.

٤ - المرجع السابق: ج١/٢٠٠-٢٠٥.

٥ - المرجع السابق: ج١/٢٨٨-٢٩٥.

الأصل السادس: أسباب النزول.

معنى سبب النزول: « هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال^١.
وقد عرفه الشيخ مناع القطان بقوله: «ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال»^٣.

القرآن الكريم ينقسم من حيث سبب النزول إلى قسمين:
أحدهما: ما نزل ابتداءً من غير سبق سبب نزول، بل سببه عام وهو هداية الخلق إلى الحق والصراط المستقيم، وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم في الدارين، وعلى ذلك أكثر آيات القرآن الكريم.
الثاني: ما نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب الخاصة، أي نزل عقب حادثة أو سؤال، وهو قليل في القرآن إذا قورن بالقسم الأول.

١ - مناهل العرفان: ج ١ / ٧٦.

٢ - هو: القاضي الشيخ مناع خليل القطان المدير السابق للمعهد العالي للقضاء في السعودية، ولد في سنة (١٩٢٥م - ١٣٤٥هـ) في قرية شنشور مركز أشمون من محافظة المنوفية بمصر، بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم في الكتاب، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، ثم التحق بالمعهد الديني الأزهرى بمدينة شبين الكوم ثم التحق بكلية أصول الدين في القاهرة. من مشايخه الذين تأثر بهم: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الشيخ عبد المتعال سيف النصر، التحق بجامعة الإخوان المسلمين في أثناء دراسته، وعمل في صفوفها في محيط الطلاب، غادر مصر سنة ١٩٥٣م إلى المملكة العربية السعودية للتدريس في مدارسها ومعاهدها إلى سنة ١٩٥٨م، حيث انتقل للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، ثم كلية اللغة العربية، مديراً للمعهد العالي للقضاء، ثم مديراً للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، من مؤلفاته: تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، تفسير آيات الأحكام، مباحث في علوم القرآن الكريم، نزول القرآن على سبعة أحرف والتشريع والفقهاء في الإسلام تاريخاً ومنهجاً، كانت وفاته في سنة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) وُصلي عليه في مسجد الراجحي بمنطقة الريوة، ودفن في مقابر النسيم بالرياض. انظر:

ترجمته في مقدمة كتابه مباحث في علوم القرآن: ١١

٣ - مباحث في علوم القرآن: ٧٨ .

قال الجعبري^١: «نزل القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداءً، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال»^٢.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «أنزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه، أو أن يحدث شيئاً أحدثه»^٣.

والحقيقة أن أسباب النزول لها أثر قوي في توضيح معنى الآية وتفسيرها، إذ يتعدر تفسير بعض الآيات القرآنية بدون معرفة أسباب نزولها، فعلى سبيل المثال لا الحصر في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ١٨٩، كيف يعرف مقصود هذه الآية، بدون معرفة سبب نزولها؟

فمن البراء^٤: «يقول نزلت هذه الآية فينا كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل

١ - هو: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الشيخ برهان الدين الجعبري أبو إسحاق، نزيل مدينة الخليل رضي الله عنه، ولد في حدود سنة أربعين وستمئة، سمع من الفخر بن البخاري وخلق كثير، وأجاز له الحافظ يوسف بن خليل وعرض التعجيز على مصنفه، وكان فقيهاً مقرئاً محققاً حاذقاً ثقة كبيرة، متفنناً له التصانيف المفيدة في القراءات والمعرفة بالحديث وأسماء الرجال، شرح الشاطبية والرائية وألف التصانيف في أنواع العلوم وأكمل شرح التعجيز لمصنفه، توفي في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، طبقات الشافعية الكبرى: ج ٩/٢١١.

٢ - الاتقان في علوم القرآن: ج ١/٩٢.

٣ - المستدرک: کتاب التفسیر، باب أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر: ج ٢/٢٤١، ٢٨٧٧، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

٤ - هو: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي يكنى أبا عمارة، ويقال: أبو عمرو، صحب النبي صلى الله عليه وسلم فاستصغر يوم بدر، وشهد غير غزوة، وهو الذي افتتح الري سنة أربع وعشرين، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة من الأحاديث وعن أبيه وأبي بكر وعمر وغيرهما من أكابر الصحابة، وروى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وتوفي سنة إحدى وسبعين للهجرة، الإصابة في معرفة الصحابة: ج ١/٩٤-٩٥، الوافي بالوفيات: ج ٣/٣٦٣.

بابه فكأنه غير بذلك فنزلت ﴿وَلَيْسَ إِلَهٌ بِنَاصٍ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^١.

وغير ذلك من الآيات التي لا يمكن معرفة معناها إلا بمعرفة سبب نزولها. وقد اهتم الصحابة بهذا المصدر، حيث إن معرفتهم أسباب النزول والظروف التي أحاطت بنزوله كانت جل عنايتهم.

فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام يصرح بإحاطته بمواقع التنزيل وأسبابه قائلاً: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا»^٢.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول عن نزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ بَيَّنَّا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^٣: «إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت يوم عرفة وإنا والله بعرفة»^٣.

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»^٤.

١ - صحيح البخاري: كتاب الحج، أبواب العمرة، - باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ ج ٢ / ٦٣٩ (١٧٠٩).

٢ - حلية الأولياء: باب علي بن أبي طالب، ج ١ / ٦٧ - ٦٨.

٣ - صحيح البخاري: ج ٤ / ١٦٨٣ (٤٣٣٠) كتاب التفسير، سورة المائدة، وفي كتاب المغازي، باب حجة الوداع: ج ٤ / ١٦٠٠ (٤١٤٥)، وفي صحيح مسلم: كتاب التفسير، باب ١ - ج ٨ / ٢٣٨ (٧٧١٠).

٤ - صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ج ٤ / ١٩١٢ (٤٧١٦)، وفي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما: ج ٧ / ١٤٨ (٦٤٨٧).

ولهذا أهتم علماء السنة ومفسروهم بهذا المصدر عناية خاصة، فلا يخلو تفسير من التفاسير قديماً أو حديثاً من ذكر أسباب النزول، فابن جرير الطبري على سبيل المثال، كان يولي أسباب النزول عناية كبيرة وينزلها منزلة خاصة، فقد بين في مقدمة تفسيره موقفه منها فقال: «وأول ما نبدأ به من القيل في ذلك: الإبانة عن الأسباب التي البدائية بها أولى، وتقديمها قبل ما عداها أخرى. وذلك: البيان عما في آي القرآن من المعاني التي من قبلها يدخل اللبس على من لم يعان رياضة العلوم العربية، ولم تستحكم معرفته بتصاريح وجوه منطلق الألسن السليقية الطبيعية»^١.

ومن الأمثلة على ذلك من كتابه - على سبيل المثال لا الحصر - فعند قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ العنكبوت: ٣ .

ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين عدّهم المشركون، ففتن بعضهم، وصبر بعضهم على أذاهم حتى أتاهم الله بفرج من عنده.

ثم ذكر الرواية بذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن

جرير، قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول: نزلت - يعني هذه الآية ﴿الْم ١﴾

أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ﴿ العنكبوت: ١ - ٢ إلى قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ في عمّار بن ياسر، إذ كان يعدّب في الله.

وقال آخرون: بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الإسلام بمكة، وتخلّفوا

عن الهجرة، والفتنة التي فتن بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء، هي الهجرة التي امتحنوا

بها. ثم ذكر الرواية على ذلك ، «...»^٢.

وهكذا كان نهج المفسرين الذين جاؤوا بعد الإمام ابن جرير الطبري .

١ - جامع البيان: ج ١ / ٧ .

٢ - انظر المرجع السابق: ج ١٩ / ٨ - ٩ .

الأصل السابع: اللغة العربية .

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥ .

وقال أيضاً: ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأتحاف: ١٢ .

ولهذا فلا بد لمن أراد أن يتعرض لتفسير القرآن الكريم أن يكون عالماً باللغة العربية ومتمكناً فيها، يقول ابن عاشور: «إن القرآن كلام عربي، فكانت القواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي السليقة، ويعني بقواعد العربية: مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة والتصريف والنحو والمعاني والبيان ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغاتهم، ويدخل في ذلك ما يجري مجرى التمثيل والاستئناس للتفسير من أفهام أهل اللسان أنفسهم لمعني آيات غير واضحة الدلالة عند المولدين»^١.

ولأهمية هذا المصدر فقد جعل الزركشي^٢ الأخذ بمطلق اللغة العربية المرتبة الثالثة للمفسر^٣، وقدمها على غيرها بعد مصدري القرآن والسنة.

ولقد قام الإمام الطبري بتوضيح الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل الآيات القرآنية فقال: «وأن منه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن. وذلك: إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها،

١ - التحرير والتنوير: ج ١/١٦ .

٢ - هو: أبو عبد الله، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٤٥ - ٧٩٤هـ) فقيه أصولي محدث أديب، من مؤلفاته: البرهان في علوم القرآن، البحر المحيط في أصول الفقه، انظر طبقات المفسرين للداوودي: ٣٠٢ (٣٨٣) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي: ج ٦/٣٣٥ .

٣ - انظر البرهان في علوم القرآن: ج ٢/١٦٠ .

والموصوفات بصفاتهما الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجهله أحد منهم. وذلك كسامعٍ منهم لو سمع تالياً يتلو: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ١١ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة: ١١ - ١٢، لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضرّة، وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله مما فعله منفعة، وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفساداً، والمعاني التي جعلها الله إصلاحاً^١.

وقد اهتم الصحابة رضي الله عنهم بهذا المصدر، ففسروا القرآن الكريم باللغة العربية التي هي لغتهم، وأشهر من عرف عنه ذلك هو عبد الله بن عباس رضي الله عنه حيث كان يكثر من التفسير اللغوي، ويرجع فيه إلى أشعار العرب ليستعان بها على فهم معاني الألفاظ القرآنية العربية، وشواهد ذلك أكثر من أن تحصر، ومن ذلك مارواه الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ الانشقاق: ٢، قال: «سمعت لربها»^٢.

كما أثرت عنه رضي الله عنه روايات عديدة تبين معاني الكلمات التي جاءت في القرآن على غير لغة الحجاز أو لغة قريش فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ سَوِيدُونَ ﴾ النجم: ٦١، قال: «الغناء، وهي يمانية»^٣.

وأيضاً عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ أَدْعُونَ بَعَلًّا ﴾ الصافات: ١٢، قال: «رباً بلغة أهل اليمن»^٤.

«وفي مسائل نافع بن الأزرق^٥ لابن عباس رضي الله عنه ﴿ أَنْ يَفْنِيَكُمْ ﴾ النساء: ١٠١ ، يضلكم بلغة هوازن، وفيها ﴿ بُورًا ﴾ الفرقان: ١٨. هلكت بلغة عمان. ﴿ فَتَقَبَّوْا ﴾ ق: ٣٦ ، هربوا

١ - جامع البيان: ج ١/٧٥.

٢ - المرجع السابق: ج ٣٠/١١٣.

٣ - الإتقان في علوم القرآن: ج ١/١٥٣.

٤ - المرجع السابق: ج ١/١٥٤.

٥ - هو: نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج، من أهل البصرة، وإليه تنسب الطائفة الأزارقة، كان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية إلى أن قتل في سنة خمس وستين وكان يطلب العلم وله أسئلة عن ابن عباس. لسان الميزان: ج ٦/١٤٤.

بلغت اليمن. وفيها: ﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ الحجرات: ١٤ لا ينقصكم بلغه بني عبس. وفيها ﴿مُرَاعِمًا﴾ النساء: ١٠٠: منفسحاً: بلغه هذيل^١.

وأيضاً عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَسْطُورًا﴾ الأحزاب: ٦ «قال: مكتوباً، وهي لغة حميرية يسمون الكتاب أسطوراً»^٢.

ولقد وردت أيضاً آثار عديدة عن الصحابة غير ابن عباس مثل عبدالله بن مسعود، فمما روي عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ النحل: ١٢٠، فقال: «الأمة الذي يعلم الخير، والقانت: المطيع لله ولرسوله»^٣.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ التوبة: ١١٤ قال: «الأواه: الدعاء»^٤، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ آل عمران: ١٤٦ قال: «الرييون: الألوفا»^٥ وغير ذلك كثير.

وقد اهتم التابعون بهذا المصدر، ووردت عنهم في ذلك آثار كثيرة، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعٌ﴾ ق: ١٠، قال مجاهد وقتادة وابن زيد: «الباسقات: الطوال»^٦.

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية: ٢٩، قال مجاهد: «نستنسخ: نكتب»^٧.

١ - الإتقان: ج ١ / ١٥٤.

٢ - المرجع السابق، ونفس الصفحة.

٣ - جامع البيان: ج ٤ / ١٢٨ - ١٢٩.

٤ - المرجع السابق: ج ١٤ / ٥٢٣ - ٥٢٤.

٥ - المرجع السابق: ج ٧ / ٢٦٦.

٦ - المرجع السابق: ج ٢٦ / ١٥٣.

٧ - صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة الجاثية: ج ٤ / ١٨٢٥.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ العاشية: ٦، قال عكرمة: «هي شجرة ذات شوك، لاطئة بالأرض، فإذا كان الربيع سمتها قريش: الشبرق، فإذا هاج العود سمتها: الضريح»^١.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الماعون: ٧، قال سعيد بن المسيب: «الماعون بلسان قريش: المال»^٢.
وأمثلة ذلك كثيرة لا يمكن حصرها.

وخلاصة الأمر أن للمفسرين عموماً اهتمام بهذا الجانب، فجعلوا اللغة العربية مصدرراً من مصادرهم في تفسير القرآن، ثم إن بعضهم خص هذا الجانب واعتنى به عناية كبيرة فركز على إظهار الجانب البلاغي واللغوي والإعجاز البياني، وجمال النظم القرآني في تفاسيرهم ومن هؤلاء الزمخشري^٣ في تفسيره الكشاف الذي قال عنه صاحب كتاب التفسير والمفسرون: «وأما قيمة هذا التفسير. فهو - بصرف النظر عما فيه من الاعتزال - تفسير لم يسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما ظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته، وليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم. لا سيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب. والمعرفة بأشعارهم. وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة، والبيان والإعراب، والأدب»^٤.

١ - جامع البيان: ج ٣٠ / ١٦٢، وزاد المسير: ج ٩ / ٩٦، والدر المنثور: ج ٨ / ٤٩٢.

٢ - جامع البيان: ج ٣٠ / ٣١٩، وزاد المسير: ج ٩ / ٢٤٦.

٣ - هو: محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) الإمام الكبير لقب بجار الله لأنه جاور جاور بمكة زمناً ولد بزمخشري من قرى خوارزم، كان معتزلياً، صنف تصانيف في التفسير وغريب الحديث والنحو واللغة وغيرها، توفي بجزانية خوارزم ليلة عرفة. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: ج ٢ / ١٦٠، طبقات المفسرين للداوودي: ج ١ / ١٧٢.

٤ - التفسير والمفسرون للذهبي: ج ٤ / ١٠٥.

وكذلك الواحدي^١ وأبو حيان^٢ في كتابه البحر المحيط اللذان أشار إليهما السيوطي بقوله: «فالنحوي تراه ليس له همّ إلا الإعراب وتكثر الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر»^٣.

وبهذا نستطيع أن نقول إن اللغة العربية من أهم الأصول التي يعتمد عليها المتصدي لكتاب الله تعالى، لأن القرآن عربي، فلا بد للرجوع إلى اللغة العربية في تفسيره والاستعانة بها في فهم معاني ألفاظه، وإعراب كلماته.

هذا وقد وضع العلماء ضوابط لهذا المصدر حتى لا يقع المفسر في الانحراف والشطط في تفسير كلام الله ومن هذه الضوابط:

أولاً: أن تكون اللفظة المفسرة صحيحة في اللغة، فلا يجوز تفسير القرآن بما لا يعرف في لغة العرب.^٤

ثانياً: أن يفسر المفسر القرآن على المعنى الأغلب المعروف من كلام العرب وقد قرر هذا الضابط الإمام الطبري قائلاً: «إنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه دون الخفي، حتى يأتي بخلاف ذلك ما يوجب صرفه إلى

١ - هو: علي بن عبد الله بن أحمد العلامة أبو الحسن بن أبي الطيب التيسابوري، كان رأساً في تفسير القرآن، له "البسيط" و"الوسيط" و"الوجيز" كلها في التفسير، وكتاب "أسباب النزول" مروى، وكتاب "التحبير في الأسماء الحسنى" و"شرح ديوان المتنبي" وغيرها. مات بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وقيل سنة ثمان وستين وأربع مئة، وقد شاخ. سير أعلام النبلاء: ج ١٨ / ٣٣٩ - ٣٤٢، طبقات المفسرين: ج ١ / ١٣.

٢ - هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي أنير الدين أبو حيان الأندلسي (٦٥٤هـ - ٧٤٥هـ)، الإمام الكبير في العربية والتفسير تبحر في اللغة والعربية والتفسير وفاق الأقران وتفرد بذلك في جميع أقطار الدنيا ولم يكن بعصره من يماثله ومن مصنفاته البحر المحيط في التفسير، وغريب القرآن وغيرها. انظر: البدر الطالع: ج ٢ / ٢٨٨ وما بعدها، طبقات المفسرين للداوودي: ج ١ / ٢٧٨ (٣٤٤).

٣ - الإتيان في علوم القرآن: ج ١ / ٤٥٥.

٤ - انظر فصول في أصول التفسير: ٤٢.

الخفي من معانيه حجة يجب التسليم لها من كتاب، أو خبر عن الرسول ﷺ أو إجماع من أهل التأويل^١ ثم يقول عند قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ النبا: ٢٤.

«لا يطعمون فيها بردا يبرد حرّ السعير عنهم إلا الغساق، ولا شرابا يرويههم من شدة العطش الذي بهم إلا الحميم. وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب أن البرد في هذا الموضع النوم، وأن معنى الكلام: لا يذوقون فيها نوما ولا شرابا يعني بالبرد: النعاس، والنوم إن كان يُبرد غليل العطش، فليل له من أجل ذلك البرد ليس هو باسمه المعروف، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب، دون غيره.»^٢.

ثالثاً: أن يهتم بمعرفة معاني الأدوات من الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف، ذلك أن معاني الأدوات يختلف مدلولها باختلاف ورودها^٣.

قال الطبري: «لأن لكل حرف من حروف المعاني وجهاً هو به أولى من غيره فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها»^٤.

وقد أكد السيوطي على أهمية ومعرفة هذا الضابط فقال: «اعلم أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ: ٢٤ فاستعملت على في جانب الحق وفي جانب الضلال لأن صاحب الحق مستعمل يصرف نظره كيف شاء، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه»^٥.

١ - جامع البيان: ج ٧/٥٠٩.

٢ - المرجع السابق: ج ٢٤/١٦٣ - ١٦٤.

٣ - المفسر، شروطه وآدابه: ٥٥٨.

٤ - جامع البيان: ج ١/١٩٩.

٥ - الإتقان في علوم القرآن: ج ١/١٦٨.

رابعاً: أن يكون على معرفة تامة بملاسات نزول الآية إذا احتاجها عند تفسير لفظه ما، لكي يعرف المراد بها من الآية، لأن الجهل بهذا الجانب يقود إلى الانحراف في فهم كتاب الله تعالى.

كمن يريد تفسير النسيء من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ التوبة: ٣٧، فالنسيء التأخير ولكن تحديد هذا التأخير يحتاج إلى معرفة قصة الآية و بها يعرف تفسيرها، والمراد به هنا تأخير الأشهر الحرم واستحلالها^١.

خامساً: أن يراعي المفسر السياق عند بيانه لمعنى الكلمة اللغوية، فلا يختار إلا ما يتناسب مع السياق، ولذا كان من أوجه رد أقوال بعض المفسرين عدم مناسبتها للسياق^٢. يقول الإمام الزركشي في ذكر الأمور التي تعين على فهم المعنى: «الرابع دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبين الجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته وانظر إلى قوله تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير»^٣.

سادساً: أن يقدم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي إذا تعارضا، إلا إذا دل الدليل على إرادة المعنى اللغوي لأن القرآن نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة. فالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّأَبَدًا﴾ التوبة: ٨٤، تحمل الدعاء وتحتل صلاة الجنائز، وهذا هو المقدم لأنه المعنى الشرعي^٤.

١ - فصول في أصول التفسير: ٤٣.

٢ - المرجع السابق، نفس الصفحة.

٣ - البرهان في علوم القرآن: ج ٢/ ٢٠٠ - ٢٠١.

٤ - فصول في أصول التفسير: ٤٤.

المطلب الثاني : أصول التفسير عند الشيعة الإمامية.

للشيعة الإمامية منهج خاص في التفسير يقوم على عدد من الأصول المنبثقة من الأصول العامة لمذهبهم، وتدور هذه الأصول في فلك المعتقد الرئيس في مذهب الشيعة وهو معتقد الإمامة، وهو أن النبي ﷺ قد نص على الإمامة من بعده لعليّ ؑ ولذريته من بعده، ويمكن للباحث في كتب التفسير عند الشيعة، أن يستخلص عدداً من هذه الأصول والمرتكزات التي يقوم عليها تفسيرهم من خلال هذا المعتقد، ومن هذه الأصول.

- ١- اعتقادهم بأن القرآن محرف.
- ٢- التوسع في السنة حتى شملت أقوال الأئمة.
- ٣- انحصار علم التفسير في الأئمة فقط .
- ٤- ترك أقوال الصحابة وعدم الأخذ بها .
- ٥- القول بأن للقرآن ظهراً وبطناً.
- ٦- قاعدة تفسير القرآن بالعقل .
- ٧- أسلوب الجري.

وسأعرض لكل منها بشيء من الاختصار:

الأصل الأول: اعتقادهم بأن القرآن محرف.

يرى معظم مفسري الشيعة الإثني عشرية أن القرآن الذي بين أيدينا اليوم ليس هو كما أنزله الله تعالى، والقرآن الصحيح هو الذي جمعه علي بن أبي طالب ؑ بإملاء النبي ﷺ وتوارثه الأئمة من بعده إلى أن استقر الآن عند قائمهم محمد بن الحسن العسكري الغائب الموهوم في السرداب، الذي سيخرج ويظهره للناس، وهو - أي قرآن الشيعة - لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، أما ما عداه فمحرف ومبدل - بزعمهم - حذف منه كل ما ورد صريحاً في فضائل آل البيت، وكل ما ورد صريحاً في مثالب أعدائهم ومخالفهم. وممن قال بذلك منهم :

١ - شيخهم محمد بن محمد النعمان الملقب بالمفيد.

والذي يعد من مؤسسي المذهب، فقد نقل إجماعهم على القول بالتحريف ومخالفتهم لسائر الفرق الإسلامية في هذه العقيدة.

قال في أوائل المقالات: «واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف، واتفقوا على إطلاق لفظ البداء في وصف الله تعالى - تعالى الله عما يقولوا الظالمون - ، وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس، واتفقوا أن أئمة الضلال - يقصد الصحابة ؑ - خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأجمعت المعتزلة، والخوارج والزيدية والمرجئة، وأصحاب الحديث - يقصد أهل السنة - على خلاف الإمامية في جميع ما عددناه»^١.

وقال أيضاً: «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى - من منظورهم - من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه الظالمون فيه من الحذف والنقصان»^٢.

٢ - وقال أبو الحسن العاملي:

١ - أوائل المقالات: ٤٨ - ٤٩ .

٢ - المرجع السابق: ٩١ .

«اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغييرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيرا من الكلمات والآيات وأن القرآن المحفوظ عما ذكر الموافق لما أنزله الله تعالى، ما جمعه علي عليه السلام وحفظه إلى أن وصل إلى ابنه الحسن عليه السلام، وهكذا إلى أن وصل إلى القائم عليه السلام، وهو اليوم عنده صلوات الله عليه»^١.

٣ - وقال: نعمة الله الجزائري^٢:

«إن تسليم تواتره عن الوحي الإلهي، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين، يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة، بل المتواترة، الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاما، ومادة، وإعرابا، مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها»^٣.

٤ - وقال محمد باقر المجلسي :

في معرض شرحه لحديث هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية" قال عن هذا الحديث: «موثق، وفي بعض النسخ عن هشام بن سالم موضع هارون بن سالم، فالخبر صحيح. ولا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار

١ - المقدمة الثانية لتفسير مرآة الأنوار ومشكاة الاسرار: ٣٦ وطبعت هذه كمقدمه لتفسير البرهان للبحراني.
٢ - هو: نعمة الله بن عبد الله بن محمد الحسيني الموسوي الجزائري، ولد في قرية "الصباغية" من قرى الجزائر سنة ١٠٥٠هـ، تتلمذ على يد السبزواري، والخوانساري، والحر العاملي، والنائيني، والكاشاني، وقرأ على المجلسي شطرا وافيا من العلوم العقلية، والنقلية، وعدة من كتب الحديث، له أكثر من ٥٠ كتابا منها: الأنوار النعمانية، زهر الربيع، غاية المرام في تهذيب الأحكام، أنيس الفريد في شرح التوحيد، توفي سنة ١١١٢هـ، قال الإمامي علي البروجودي: عالم، جليل، فقيه، خبير بالأخبار، ويقول أحمد الحسيني: (من أعظم العلماء، وأعيان المحدثين، له اهتمام بالغ بكتب الحديث، وشرح كثيرا منها... تلامذة المجلسي: ١٣٩، طرائف المقال: ١٦٦).

٣ - الأنوار النعمانية: ج ٢ / ٣٥٧.

رأساً، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر؟»^١.

أي كيف يثبتون الإمامة بالخبر إذا طرحوا أخبار التحريف؟! وأيضاً بوب في كتابه بحار الأنوار باباً بعنوان "باب التحريف في الآيات التي هي خلاف ما أنزل الله"^٢.

٥- وأيضاً الفيض الكاشاني ممن صرح بالتحريف من علمائهم، وهو مفسرهم الكبير وصاحب تفسير "الصافي" قال في مقدمة تفسيره معللاً تسمية كتابه بهذا الاسم: «وبالحري أن يسمى هذا التفسير بالصافي لصفائه عن كدورات آراء العامة والممل والمخير»^٣.

وقد مهد لكتابه هذا باثنتي عشرة مقدمة، خصص المقدمة السادسة لإثبات تحريف القرآن. وعنون لها بقوله: "المقدمة السادسة في نبذ مما جاء في جمع القرآن، وتحريفه وزيادته ونقصه، وتأويل ذلك"^٤.

وبعد أن ذكر الروايات التي استدلت بها على تحريف القرآن، التي نقلها من أوثق المصادر المعتمدة عندهم، خرج بالنتيجة التالية فقال: «والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام، في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير

١ - مرآة العقول: ج ١٢ / ٥٢٥ .

٢ - بحار الأنوار: ج ٨٩ / ٦٦ - كتاب القرآن.

٣ - تفسير الصافي: ج ١ / ١٣ .

٤ - المرجع السابق: ج ١ / ٤٠ .

ذلك، وأنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله، وعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^١.

ثم ذكر بعد هذا أن القول بالتحريف اعتقاد كبار مشايخ الإمامية قال: «وأما اعتقاد مشايخنا في ذلك فالظاهر من - من أسموه - ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي، ولم يتعرض لقدح فيها، مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه، وكذلك أستاذه علي بن إبراهيم القمي فإن تفسيره مملوء منه، وله غلو فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي^٢ فإنه أيضاً نسج على منوالهما في كتاب الاحتجاج»^٣.

٦- وأيضاً أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي: روى في الاحتجاج عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه^٤ أنه قال: «لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله جمع علي رضي الله عنه القرآن، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه رضي الله عنه وانصرف،

١ - تفسير الصافي: ج ١/ ٤٩ .

٢ - هو: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، يكنى بأبي منصور، قال البروجردي الإمامي: "عالم، فاضل، محدث، ثقة .." من مؤلفاته الاحتجاج على أهل اللجاج، - وقد اشتهه على بعض الشيعة نسبة هذا الكتاب فنسبوه إلى الطبرسي صاحب التفسير - طرائف المقال: ج ١ / ١١٦ .

٣ - تفسير الصافي: ج ١/ ٥٢ .

٤ - هو: الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة، تقدم إسلامه فأسلم والني رضي الله عنه بمكة أول الإسلام فكان رابع أربعة وقيل: خامس خمسة وتأخرت هجرته، فلم يشهد بدرًا ولا أحدًا ولا الخندق وصحب النبي صلى الله عليه وآله إلى أن مات، وهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وآله بتحية الإسلام مناقبه كثيرة جداً مات سنة ٣٢ هـ . الإصابة في معرفة الصحابة: ج ٣ / ٣١٨ ، أسد الغابة: ج ١ / ١٩٠ .

ثم أحضروا زيد بن ثابت^١. وكان قارئاً للقرآن . فقال له عمر: إن علينا جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن، ونسقط منه ما كان فضيحة وهتكا للمهاجرين والأنصار. فأجابه زيد إلى ذلك.. فلما استخلف عمر سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم^٢.

ويزعم الطبرسي أن الله ﷻ عندما ذكر قصص الجرائم في القرآن صرح بأسماء مرتكبيها، لكن الصحابة حذفوا هذه الأسماء، فبقيت القصص مكناة فقال: « إن الكناية عن أسماء أصحاب الجرائم العظيمة من المنافقين في القرآن، ليست من فعله تعالى، وإنما من فعل المغيرين والمبدلين الذين جعلوا القرآن عضين، واعتاضوا الدنيا من الدين»^٣.

٧- النوري الطبرسي^٤ وكتابه "فصل الخطاب":

قد كانت روايات وأقوال الشيعة في التحريف متفرقة في كتبهم السالفة التي لم يطلع عليها كثير من الناس حتى أذن الله بفضيحتهم على الملأ، عندما قام النوري الطبرسي -

١ - هو: زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي أبو سعيد وقيل: أبو ثابت وقيل غير ذلك، الصحابي الجليل كاتب الوحي، استصغر يوم بدر ويقال: إنه شهد أحداً ويقال: أول مشاهدته الخندق وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك، روى عنه جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة وأبو سعيد وابن عمر وأنس وسهل بن سعد وسهل بن حنيف وعبد الله بن يزيد الختمي.. ومن التابعين: سعيد بن المسيب وولده: خارجة وسليمان والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وآخرون، وتوفي سنة خمس وأربعين وقيل: اثنتان وقيل: ثلاث وأربعون وقيل سنة إحدى وخمسين وقيل: اثنتان، وقيل: خمس وخمسون وصلى عليه مروان بن الحكم، الإصابة في معرفة الصحابة: ج ١ / ٣٩٠ ، أسد الغابة: ج ١ / ٣٩٣ - ٣٩٤ .

٢ - الاحتجاج ، للطبرسي: ج ١ / ١٥٥ .

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ٢٤٩ .

٤ - هو: ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، من أساطين الشيعة الإمامية، صاحب كتاب مستدرک الوسائل، توفي سنة: ١٣٢٠هـ، ذكر عنه بزعمهم أنه "شيخ الإسلام والمسلمين، مروج علوم الأنبياء والمرسلين، الثقة الجليل، والعالم الكامل النبيل، المتبحر الخبير والمحدث الناقد البصير، ناشر الآثار، وجامع شمل الأخبار، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة، والعلوم الغزيرة، وهو أشهر من أن يذكر وفوق ما تحوم حوله العبارة " . الكنى والألقاب: ج ٢ / ٤٤٥ .

أحد علمائهم الكبار - في سنة ١٢٩٢هـ في مدينة النجف حيث المشهد الخاص بأمر المؤمنين - على حد زعمهم - بتأليف كتاب ضخّم لإثبات تحريف القرآن، سماه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وقد ساق في هذا الكتاب حشداً هائلاً من الروايات لإثبات دعواه في القرآن الحالي أنه وقع فيه التحريف .

وقد اعتمد في ذلك على أهم المصادر عندهم من كتب الحديث والتفسير، واستخرج منها مئات الروايات المنسوبة للأئمة في التحريف. وأثبت أن عقيدة تحريف القرآن هي عقيدة علمائهم المتقدمين. وقد قسم كتابه هذا إلى ثلاث مقدمات وبابين. المقدمة الأولى: عنوان لها بقوله: "في ذكر الأخبار التي وردت في جمع القرآن وسبب جمعه، وكونه في معرض النقص، بالنظر إلى كيفية الجمع، وأن تأليفه يخالف تأليف المؤمنين".

المقدمة الثانية: جعل عنوانها: "في بيان أقسام التغيير الممكن حصوله في القرآن والممتنع دخوله فيه".

المقدمة الثالثة: جعلها في: "ذكر أقوال علمائهم في تغيير القرآن وعدمه" ^١ ولعل هذه العناوين تنبئ عما تحتها من جرأة عظيمة على كتاب الله الكريم بشكل لم يسبق له مثيل.

و للتحريف عند الشيعة معانٍ عديدة يقول قائلهم :

« التحريف بالترتيب: هناك معنى للتحريف لا خلاف بين المسلمين في وقوعه في القرآن الكريم ، يتفق الكل على أن القرآن الموجود ليس تدوينه بحسب ما نزل، يختلف وضع الموجود عن تنزيله وترتيبه في النزول، وهذا ما ينص عليه علماء القرآن في كتبهم، فراجعوا إن شئتم كتاب الإتيان لجلال الدين السيوطي، ترونه يذكر سور القرآن الكريم بحسب نزولها. فترتيب السور وترتيب الآيات يختلف عما نزل عليه القرآن الكريم، ترون آية المودة مثلاً وضعت في غير موضعها، آية التطهير وضعت في غير موضعها، ترون آية

(أكملت لكم دينكم) وضعت في غير موضعها، سورة المائدة التي هي بإجماع الفريقين! آخر ما نزل من القرآن الكريم، ترونها ليست في آخر القرآن، بل في أوائل القرآن، فهذا نوع من التحريف لا ريب في وقوعه، وقد اتفق الكل !! على وقوعه في القرآن^١.

التحريف بالزيادة : وهناك معنى آخر من التحريف اتفقوا على عدم وقوعه في القرآن، ولا خلاف في ذلك، وهو التحريف بالزيادة، اتفق الكل وأجمعوا على أن القرآن الكريم لا زيادة فيه، أي ليس في القرآن الموجود شيء من كلام الأدميين وغير الأدميين، إنه كلام الله سبحانه وتعالى فقط .

نعم ينقلون عن ابن مسعود الصحابي أنه لم يكتب في مصحفه المعوذتين، قال: لأنهما ليستا من القرآن. إلا أن الكل خطأه، حتى في رواياتنا أيضا خطأه الأئمة سلام الله عليهم. فليس في القرآن زيادة، وهذا معنى آخر من التحريف .

التحريف بالنقصان: المعنى الذي وقع فيه النزاع هو التحريف بمعنى النقصان: بأن يكون القرآن الكريم قد وقع فيه نقص، بأن يكون غير مشتمل أو غير جامع لجميع ما نزل من الله سبحانه وتعالى بعنوان القرآن على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم^٢.

ثم بعد ذلك يوضح هذا القسم بحسب مفهومه للتحريف فيقول :

«إن الروايات الواردة في كتبنا نحن الإمامية، فيما يتعلق بموضوع نقصان القرآن الكريم، يمكن تقسيمها إلى أقسام عديدة، وهذا التقسيم ينطبق في رأيي على روايات أهل السنة أيضا، لأني أريد أن أبحث عن المسألة بحثا موضوعيا، ولست في مقام الدفاع أو الرد :

القسم الأول: الحمل على اختلاف القراءات: إن كثيرا من الروايات الواردة في كتبنا وفي كتبهم قابلة للحمل على اختلاف القراءات، وهذا شيء موجود لا إنكار فيه،

١ - لم يقل أحد من أهل السنة بوقوع التحريف في القرآن بأي نوع من هذه الأنواع ولا غيرها فكل العلماء مجمعون على حفظه من أي زيادة أو نقصان، وبأن ترتيبه توقيفي من النبي ﷺ ، وأن ترتيبه ليس على حسب النزول كما يدعون .

٢ - عدم تحريف القرآن، علي الميلاني: ١٣ : ١٦ .

الاختلاف في القراءات شيء موجود في كتبنا، موجود في رواياتنا، وفي روايات متعددة . إذن لو أن شيعياً أراد أن يتمسك برواية قابلة للحمل على الاختلاف في القراءة ليفهم الخصم بأنك تقول بتحريف القرآن، أو في رواياتكم ما يدل على تحريف القرآن، هذا غير صحيح، كما لا يصح للسني أن يتمسك بهكذا روايات موجودة في كتبنا. فهذا قسم من الروايات.

القسم الثاني: ما نزل لا بعنوان القرآن نزل عن الله سبحانه وتعالى، ونزل بواسطة جبرئيل، لكن لا بعنوان القرآن، وقد وقع خلط كبير بين القسمين، ما نزل من الله سبحانه وتعالى على رسوله بعنوان القرآن، وما نزل من الله سبحانه وتعالى على رسوله لا بعنوان القرآن، وقع خلط كبير بين القسمين من الروايات، وهذا موجود في رواياتنا وفي رواياتهم أيضاً.

القسم الثالث: ما يصح حمله على نسخ التلاوة، مسألة النسخ كما في الكتب الأصولية. فبناء على نسخ التلاوة، ووجود نسخ التلاوة، وأن يكون هناك لفظ لا يتلى إلا أن حكمه موجود. إذ النسخ ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

منسوخ اللفظ والحكم. منسوخ الحكم دون اللفظ . ومنسوخ اللفظ دون الحكم هذه ثلاثة أقسام في النسخ، يتعرضون لها في الكتب الأصولية، وفي علوم القرآن أيضاً يتعرضون لهذه البحوث. فلو أنا وافقنا على وجود نسخ التلاوة، فقسم من الروايات التي بظاهرها تدل على نقصان القرآن، هذه الروايات قابلة للحمل على نسخ التلاوة .

القسم الرابع: الروايات القابلة للحمل على الدعاء فهناك بعض الروايات تحمل ألفاظاً توهم أنها من القرآن، والحال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو بها، هذه أيضاً موجودة في كتبهم وفي كتبنا.

وتبقى في النتيجة أعداد قليلة من الروايات، هي لا تقبل الحمل، لا على نسخ التلاوة بناء على صحته، ولا على الحديث القدسي، ولا على الاختلاف في القراءات،

ولا على الدعاء، ولا على وجه آخر من الوجوه التي يمكن أن تحمل تلك الروايات عليها، فتبقى هذه الروايات واضحة الدلالة على نقصان القرآن»^١.

فاعتقاد الشيعة واضح في أن هناك نقص في القرآن والأمثلة كثيرة على ذلك من كتبهم ففي كتاب الكافي للكليني يقول: «عن أبي عبد الله قال: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم فنسي" هكذا والله نزلت على محمد ﷺ»^٢.

١ - عدم تحريف القرآن، للميلاني : ٢٥:٢٣.

٢ - الكافي: ج ١/٤١٦ (٢٣) . قال المجلسي: ضعيف. "هكذا و الله نزلت" ظاهر بل صريح في التنزيل، وتأويله بالتأويل بأن يكون المعنى قال جبرئيل عليه السلام عند نزوله أن معناه هذا ، في غاية البعد . مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٥/ ٢٦ .

والآية في القرآن: ﴿وَلَقَدْ عٰهَدْنَا اٰدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ طه: ١١٥ .

الأصل الثاني: التوسع في السنة حتى شملت قول الأئمة.

يتفق الشيعة مع أهل السنة في كون السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن في التشريع وأيضاً في التفسير، ولكن يختلفون في تحديد مفهومها، والذي عليه الشيعة الإمامية أنها: كل ما صدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير.^١

ولربما يتوهم القارئ لأول وهلة، - إن كان لا يعرف معتقد الشيعة - فيرى أنه لا خلاف بين السنة والشيعة على هذا التعريف ولكن إذا بينا المقصود من المعصوم عند كلا الطرفين تبين الفرق .

فالمقصود بالمعصوم عند أهل السنة هو النبي ﷺ ، أما عند الشيعة فليس هذا هو المعنى بهذا الوصف فقط وإنما يضاف له آخرون وهم أئمة الشيعة الاثني عشرية، فيقول أحدهم ليبرز ما المراد بالمعصوم:

«... وجاء حديث الثقلين المتواتر^٢، والمتفق عليه بين عموم المسلمين، متضمناً أن الأئمة المعصومين من أهل البيت، هم العدل الثاني للقرآن، وأنهما لن يفترقا حتى يردا

١ - أصول الفقة ، محمد رضا المظفر: ج ٣/ ٦١.

٢ - يعني مارواه الإمام أحمد في مسنده عن إسماعيل بن أبي إسحاق الملائني عن عطية عن أبي سعيد قال: "قال رسول الله ﷺ : إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" وتعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح بشواهده دون قوله "فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" وهذا إسناد ضعيف ، مسند أحمد بن حنبل: ج ٣/ ١٤ .

ولكن يوضح من هم أهل بيته ﷺ مارواه البيهقي عن يحيى بن سعيد عن يزيد بن حيان قال: "سمعت زيد بن أرقم ﷺ يقول: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به فحث عليه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي"، قال: حصين لزيد ومن أهل بيته نساؤه من أهل بيته قال: بلى إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال: ومن هم قال: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء تحرم عليهم الصدقة قال: نعم "" . أخرجه مسلم في الصحيح من حديث أبي حيان، سنن البيهقي الكبرى: ج ٧/ ٣٠ . فالأمر لا يتعدى كونه وصية بأهل بيته ﷺ ، ولم يذكر فيه أيّاً من الأئمة المعصومين الذين أشار إليهم الكاتب .

على النبي الحوض. وهذا يعتبره الشيعة دليلاً على حجية كل ما صدر عنهم، ومن جملته الروايات التي تفسر القرآن الكريم¹.

ثم يقول: « إنه يمكن تقسيم ما ورد من السنة الشريفة فيما يتعلق بالآيات القرآنية إلى أقسام ثلاثة:

الأول: شرح المجمل القرآني:

ونقصد به ما جاء من السنة الشريفة شارحاً للكتاب الكريم، وموضحاً لمجملاته، ومفصلاً لغوامضه، ويدخل في ذلك ما جاء في تفصيل أحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من الشرائع الإسلامية، كما يدخل فيه ما جاء في شرح قصص الأنبياء، وأسباب النزول، والمعارك الإسلامية، وعالم الموت وما بعد الموت وغير ذلك.

الثاني: التصرف في الظهور القرآني :

ويختلف هذا القسم عن القسم السابق في أن الدور الذي كان مناطاً بالقسم السابق كان عبارة عن الشرح والتفصيل، فدور السنة هو دور الشارح والمفصل لما لم يفصله القرآن الكريم، أما في هذا القسم فسنجد تصرفاً في الظهور القرآني، كما إذا كانت الآية عامة، وجاءت السنة لتخصصها، أو تستثني منها، أو كانت الآية مطلقة وجاءت السنة لتقيدها، أو كانت الآية ذات دلالة معينة، وجاءت السنة لتصرفها عن ذلك الظهور، أو تكشف معنى باطناً لها.

ولنوضح ذلك بمثال: قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ البقرة: ٢٧٥ ، فتأتي السنة الشريفة فتضع شرطاً لولية البيع، وتقول: لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه، فيستفاد حينئذ أن من الشروط المعتبرة للحكم بالولية في المعاملة البيعية تحقق الرضا من الطرفين، ومع عدم حصوله لا يحكم بتحقيق الولية.

وكذا حينما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ البقرة: ٢٧٥ وتأتي السنة الشريفة فتستثني بعض صور الربا، فتقول: لا ربا بين الوالد وولده ، فإن السنة قد استثنت من

١ - دروس في التفسير ، قاعدة تفسير القرآن بالسنة ، محمد العبيدان القطيفي (نسخة الكترونية).

حكم الحرمة المستفاد من الآية الشريفة ما يجري بين الوالد وولده.
والحاصل: إن الذي نلاحظه في هذين المثالين هو أن السنة تتصرف في الظهور القرآني للآيتين.

الثالث: التأويل:

وذلك من خلال تقديم السنة بياناً للواقع المقصود بالآية مع الحفاظ على دلالتها اللغوية، ومن نماذج ذلك: ما جاء في النصوص من أن المقصود (ب) ليلة القدر) هو رسول الله ﷺ وكذا في أن المقصود من قوله تعالى: -إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرْم، هو الأئمة الاثني عشر، والأربعة الحرم هم الأربعة المسمون ب(علي)، لأنه من أسماء الله تعالى.

ثم إن الملاحظ أن السنة في هذه الأمثلة لا تشرح كلمة قرآنية مجملة، كما أنها لا تتصرف في دلالتها من حيث السعة والضيق، وإنما تكشف عن واقعيات أخرى مقصودة^١.

فمن هذه النصوص نفهم أن الشيعة تزعم أن قول الإمام ينسخ القرآن ويقيد مطلقه ويخصص عامه، وبناءً على معتقداتهم هذه فإنهم يرون أن الدين لم يكمل بوفاة النبي ﷺ ولم يكتمل التشريع، كما أنهم يزعمون أن بقية الشريعة أودعها رسول الله ﷺ لعلي ﷺ وأن علي ﷺ أخرج منها ما يحتاجه عصره، ثم أودع ما بقي لمن بعده من الأئمة، وهكذا إلى أن بقيت الآن عند إمامهم المنتظر الغائب.

١ - دروس في التفسير ، قاعدة تفسير القرآن بالسنة ، محمد العبيدان القطيفي .

يقول آل كاشف الغطاء^١ - بعد أن ذكر بأن النبي ﷺ قد بيّن كثيراً من الأحكام عند أصحابه - : «وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعي والبواعث لبيانها أو لعدم الابتلاء بها في عصر النبوة ... وأن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه، وكل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب له حسب الحكمة من عام مخصص أو مطلق مقيد أو مجمل مبين إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي عاماً ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته وقد لا يذكره أصلاً بل يودعه عند وصيّه إلى وقته»^٢.

وبناء على ذلك فإن مسألة تخصيص عام القرآن ، أو تقييد مطلقه أو نسخه هي مسألة لم تنته بوفاة النبي ﷺ ، لأن النص النبوي والتشريع الإلهي استمر ولم ينقطع بوفاة الرسول ﷺ ، بل استمر عند الأئمة إلى بداية القرن الرابع الهجري، وذلك بوقوع الغيبة الكبرى، والتي انتهت بها صلتهم بالإمام، وانقطع تلقي الوحي الإلهي عنه. فالإمامية يعتقدون «أن حديث كل واحد من الأئمة هو قول الله ﷻ والاختلاف في أقوال الأئمة كالاختلاف في قول الله تعالى»^٣.

فكان للإمام - بزعمهم - تخصيص القرآن أو تقييده أو نسخه، وهو تخصيص أو تقييد أو نسخ للقرآن بالقرآن، لأن قول الإمام كقول الله، فالإمام هو القرآن الناطق

١ - هو: محمد حسين بن علي بن محمد بن رضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء، أحد علماء الأمامية، ولد في النجف سنة ١٢٩٤هـ، تعددت زيارته إلى إيران ولبنان وسوريا ومصر وكان له نشاط في نشر مذهبه، من مؤلفاته: الآيات البيّنات، أصل الشيعة وأصولها، الفردوس الأعلى، الأرض والتربة الحسينية، العبقات العنبرية، الاتحاد والاقتصاد وغيرها، قال عنه المحقق الشيعي آغا بزرك الطهراني: "هو من كبار رجال الإسلام المعاصرين، ومن أشهر مشاهير علماء الشيعة...، والحقيقة، إنه من مجتهدي الشيعة الذين غاصوا في بحار علوم أهل البيت، فاستخرجوا من تلك المكامن والمعادن جواهر المعاني ودراري الكلم، فنشروها بين الجمهور". مات في مدينة "كرند" في غرب محافظة كرمانشاه الإيرانية، وذلك في سنة ١٣٧٣هـ، ودفن بالنجف العراقية . الذريعة:

ج ١٠٣/١٠٦، الأعلام: ج ٦/١٠٦ - ١٠٧.

٢ - أصل الشيعة وأصولها: ١٦٢.

٣ - شرح الكافي للمازندراني: ٣١٦.

ومسألة النسخ والتخصيص والتقييد ليست إلا جزءاً من وظيفة الأئمة الكبرى، وهي التفويض في أمر الدين، فهم مفوضون في أمر هذا الدين كما فوض رسول الله ﷺ فلهم حق التشريع كما كان له ﷺ وعلى ذلك يقول الكافي: «فقد فوض الله إلى نبيه، وما فوض إلى رسول الله فقد فوضه إلينا»^١.

وإذا قال قائل بأن رسول الله ﷺ بعثه الله للناس كافة فليس من حقه أن يختص بالعلم أحدهم ويحرم الآخرين، قالوا: «ليس لرسول الله في ذلك الأمر شيء، إنما هو عبد مأمور ينفذ ما يوحى إليه من ربه، فالله هو الذي أمره بذلك، !! لأن الإسلام دين التوحيد ومبني على الوحدة في كل شيء فلا بد لتوحيد الناس وجمعهم من قيادة واحدة، فهذا أمر بديهي قرره كتاب الله وحكم به العقل»^٢.

١ - أصول الكافي: ج ١ / ٢٦٨ (٩)، باب التفويض إلى رسول الله، قال المجلسي: مجهول، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٣ / ١٥٥.

٢ - بحار الأنوار: ج ١ / ١٣٠ (ب ٣).

الأصل الثالث: انحصار علم التفسير في الأئمة فقط.

تزعم الإمامية أن القرآن ليس حجة إلا بقيم فيقولون: «إن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم وإن علياً كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله»^١.

وعلى هذا الأساس فإن عامة مفسري الشيعة يرون أن تأويل القرآن محصور في الأئمة، كما كان كامل التنزيل محصوراً فيهم، والقرآن نزل في بيتهم، وأهل البيت أدري بما فيه، فهم يجعلون الإمام والنبى في منزلة واحدة وهذا الاعتقاد كان له التأثير الكبير في أصول تفسيرهم فلا يؤخذ القرآن في باب العمل والاعتقاد بظاهره، بل لا بد من القرآن الناطق - أخبار الأئمة المعصومين - ليتحقق عمل الجوارح.

وقد أشار القمي في تفسيره لهذا الأصل حين نسب إلى جعفر قوله: «والتقرآن ضرب فيه الأمثال للناس وخاطب الله نبيه به ونحن، فليس يعلمه غيرنا»^٢. وذكر صاحب التبيان: «أن الآثار المتواترة تدل على حصر التفسير في الرسول ﷺ والأئمة»^٣.

ومن ذلك يتبين لنا أنه لا مخصص لما عمم في القران إلا بخبر إمام معصوم ولا تقييد لما أطلق إلا من كتبت له العصمة من أئمتهم.

١ - أصول الكافي: ج ١ / ١٨٨.

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ٤٢٤.

٣ - التبيان في تفسير القرآن: ج ١ / ٤.

وتفاسير الشيعة مليئة بهذا المفهوم وتلك التصورات فنجد في مقدمة تفسير الصافي للكاشاني ما نصه: « المقدمة الثانية في بُد مما جاء في أن علم القرآن كله عند أهل البيت: روى الكافي بإسناده عن سليم بن قيس^١، قال سمعت أمير المؤمنين يقول: " ما نزلت آية على رسول الله إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمي تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه علي فكتبته منذ دعا لي^٢ ».

وجاء في مشكاة الأنوار في المقالة الأولى التي عقدها في بيان ما يدل على أن علم تأويل القرآن كله عند الأئمة حيث قال: «اعلم أنه لا ريب في اطلاع النبي والأئمة على جميع وجوه آيات القرآن ومعانيها كلها ظواهرها وبواطنها تنزيلها وتأويلها وأنهم الذين عندهم علم الكتاب كله، كما أنزله الله في بيتهم، فإن أهل البيت أدري بما في البيت، وقد دلت على هذا أخبار متواترة، فمنها:

- ما في البصائر بسند صحيح عن أبي الصباح عن جعفر بن محمد قال: "إن الله علم نبيه التنزيل والتأويل فعلم رسول الله علياً وعلمنا..."
- وفيه أيضاً بإسناده عن يعقوب بن جعفر قال: "كنت مع أبي الحسن بمكة فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم نسمع به! فقال أبو الحسن: فنحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه وسفريه وحضريه وفي أي ليلة نزلت من آية، وفيمن نزلت، وفيم أنزلت..."

١ - هو: سليم بن قيس الهلالي، ثم العامري الكوفي، يكنى أبا الصادق، عاش في الكوفة إلى أن دخل الحجاج الثقفي العراق وسأل عنه فهرب إلى ناحية في بلاد فارس، ولجأ إلى دار أبان بن أبي عيش، مات سنة ٩٠هـ، قال الخوئي: هو ثقة في نفسه لكن كتابه مكذوب عليه، ونقل عن الغضائري: أنه مجهول وكتابه مكذوب، وهو من أقدم علماء الشيعة، وينسب إليه كتاب السقيفة، وهو أول كتاب ظهر للشيعة . معجم رجال الحديث: ج٩/ ٢٣٠، الكنى والألقاب: ج٣/ ٢٩٣ .

٢ - تفسير الصافي للكاشاني: ج١/ ١٢ .

ثم قال الكازراني معقباً: «وأما غيرهم فلا شبهة في قصور علومهم وعجز أفهامهم عن الوصول إلى ساحة إدراك كثير من تفسير الظواهر والتنزيل فضلاً عن البواطن والتأويل بلا إسناد من الأئمة العاملين، ولهذا ورد المنع من التفسير بغير الأخذ منهم ، فقد روى العياشي^٢ عن الصادق قال: من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ فهو أبعد من السماء»^٣.

وفي تفسير القرآن لشير^٤ عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ آل عمران: ٧، قال: «أي الثابتون فيه ومن لا يختلف في علمه ، عن الصادق: "نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله"»^٥.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ النساء: ٨٣، قال: «هم آل محمد يستخرجون تدييره بأفكارهم»^٦.

١ - كتب على الصفحة الأولى من مقدمة الكتاب: " عبد اللطيف الكازراني منشأ ، والنحفي مسكناً ". ولم أقف له على غير ذلك، فالرجل غير مذكور في تراجم الشيعة، غير أني وجدت في الصفحة الأخيرة من مقدمة الكتاب أنه فرغ من كتابتها في عيد الاضحى عام ١٢٩٥ هـ . وهذا يدل على أنه توفي بعد هذا التاريخ .

٢ - محمد بن مسعود العياشي السلمي، أبو النضر: فقيه، من كبار الإمامية ،من أهل سمرقند، اشتهرت كتبه في نواحي خراسان اشتهارا عظيما، وهي تزيد على مئتي كتاب، أورد ابن النديم أسماء أكثرها فقال: "له كتاب التفسير كتاب الصلاة كتاب الطهارات كتاب مختصر الصلاة كتاب مختصر الحيض كتاب الصوم كتاب مختصر الصوم كتاب الجنائز كتاب مختصر الجنائز كتاب المناسك كتاب مختصر المناسك كتاب العالم والمتعلم كتاب الدعوات كتاب الزكاة... وغيرها، مات سنة ٣٢٠ هـ، رجال النجاشي: ٢٤٧، والذريعة: ج ٤ / ٢٩٥، الفهرست: ٢٧٥.

٣ - تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للكازراني: ٥ . يدعي الشيعة أن هذا الكتاب مفقود ، ولكني حصلت على نسخة الكترونية من مقدمته ، مكتوبة بخط اليد وتقع في /٢٤٢ ورقة .

٤ - هو : عبد الله بن محمد رضا شير الحسيني الكاظمي : مفسر مجتهد إمامي، كان ينعت بالمجلسي الثاني، ولد وتوفي بالنجف سنة (١١٨ - ١٢٤٢ هـ) ، البدر الطالع: ج ١ / ٣٩٦، الأعلام للزركلي: ج ٤ / ١٣١.

٥ - تفسير القرآن لشير: ٨٦.

٦ - المرجع السابق: ١٢٠.

«ولم تقف نظرة الشيعة عند هذا الحد من أخذ التفسير عن الأئمة من آل البيت ونسبته إليهم وحصره فيهم، ودعوى أنهم خزان وحي الله وعلمه، بل تجاوزوا هذا الحد إلى تفسير جانب من القرآن بالأئمة أنفسهم وتفسير جانب آخر بأعدائهم ومخالفهم في زعمهم فجعلوا القرآن نفسه يدور في فلك الولاية والإمامة التي يدعونها للأئمة من آل البيت، فالقرآن في نظر الشيعة نزل بتمامه في الأئمة الاثني عشر بل كل الشرائع الإلهية وجميع الكتب السماوية نزلت فيهم وفي توجيه أنظار الخلق إليهم، بل ما من آية مدح إلا فيهم وفي أوليائهم نزلت، وما من آية قذح إلا في مخالفهم وفي أعدائهم وردت، والقرآن لا يتعدى هذين القسمين في نظرهم، وعلى هذا يفسرونه، وينسبون إلى الأئمة ما يستدلون به على هذا المعنى ويذكرونه في مقدمة تفاسيرهم»^١.

ومن ذلك ما جاء في تفسير الكازراني، «روى الكليني بإسناده إلى أبي بصير قال: "قال الصادق يا أبا محمد ما من آية تقود إلى الجنة ويذكر أهلها بخير إلا وهي فينا وفي شيعتنا، وما من آية نزلت يذكر أهلها بشر وتسوق إلى النار إلا وهي في عدونا ومن خالفنا"، وروى أيضاً عن الكليني عن الباقر: قال النبي ﷺ في خطبته يوم الغدير: "هذا علي أحقكم بي وأقربكم إليّ، والله وأنا عنه راضيان، وما نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه، معاشر الناس إن فضائل علي عند الله ﷻ وقد أنزلها عليّ في القرآن أكثر من أن أحصيتها في مكان واحد، فمن نبأكم بها وعرفها فصدقوه"»^٢.

ومما لا شك فيه أن حصر تفسير القرآن في الأئمة والقول بوجوب الأخذ بأقوالهم يستلزم الاعتقاد بعصمتهم، كما يؤدي إلى نسبة كثير من الروايات الواردة في التفسير إليهم لإضفاء معنى الشرعية عليها، وهذا ما وقع فيه مؤلفوا الشيعة ومفسروهم .

١ - الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم: ١٣٠.

٢ - تفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للكلزاني: ٩.

الأصل الرابع: إسقاط أقوال الصحابة والتابعين في التفسير.

وهذا الأصل منبثق عن الأصل السابق وثمرته له، فما دام تفسير القرآن محصوراً في الأئمة فلا قيمة لتفسير غيرهم أياً كان، وخاصة إذا كان هؤلاء هم الصحابة الكرام المتهمون بتحريف القرآن عند الشيعة.

ولعل السبب في إعراض الشيعة الإمامية عن روايات الصحابة يعود إلى الدعوى الأولى التي ادّعاها ابن سبأ من القول بأن علياً هو وصي رسول الله وأن الصحابة لم ينفذوا

١ - يقول ابن حجر عنه في اللسان: عبد الله بن سبا من غلاة الزنادقة ضال مضل أحسب أن علياً حرقه بالنار وزعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي فنفاه علي بعد ما هم به، كان أصله من اليمن وكان يهودياً فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر، كان يقع في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولما علم بذلك علي عليه السلام، خطب خطبة طويلة أثنى عليهما فيها ثم قال في آخرها "إلا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري" وخبره مشهور في التاريخ، وليس له رواية وله أتباع يقال لهم السبائية يعتقدون الإلهية في علي بن أبي طالب وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته. لسان الميزان: ج ٣ / ٢٨٩ (١٢٢٥).

ويقول عنه الطوسي نقلاً عن النجاشي: عبد الله بن سبا كان يدعى النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله (تعالى عن ذلك). فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه وسأله؟ فأقر بذلك وقال نعم أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنك أنت الله وأني نبي. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فأبى فحبسه أيام فلم يتب، فأحرقه بالنار وقال: إن الشيطان استهواه، فكان يأتيه ويلقى في روعه ذلك. اختيار معرفة الرجال للطوسي - رجال النجاشي - ج ١ - ٣٢٣، خلاصة الأقوال: ٣٧٢. ولكن هناك بعض الشيعة من ينفي وجود ابن سبا بالكلية ويعتقد أنه أسطورة، وألفت في ذلك كتب من بعض علمائهم من ذلك ما كتبه المحقق السيد مرتضى العسكري: فيقول في مقدمة هذا الكتاب: "عبد الله بن سبا وأساطير أخرى دراسات في سبيل تمحيص سنة الرسول صلى الله عليه وسلم"، عبد الله بن سبا - السيد مرتضى العسكري: ج ١ / ١ - ٣، ويقول محقق كتاب الحلي: إن أسطورة عبد الله بن سبا وقصص مشاغباته الهائلة من موضوعات ومختلقات سيف بن عميرة الوضاع الكذاب. خلاصة الأقوال، هامش: ٣٧٢. هذا ما انتهى إليه حالهم من انكار وجود ابن سبا ووصفه بأنه أسطورة، بعد أن شاب معتقدتهم كثير من الشائعات وكاد أن يهدم هذا المذهب بحقيقة كلامه الضال.

الوصية ويسندوا له الخلافة كما أمرهم بذلك النبي ﷺ، وترتب على ذلك أن الصحابة خرجوا من دين الإسلام - بحسب قولهم - إلا قليلاً منهم، لأنهم أنكروا النص على إمامة علي^١.

فعامة مفسري الشيعة مجتمعون على إسقاط أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، مع اختلاف تعليلاتهم لهذا التوجه.

ويرجع صاحب تفسير الصافي السبب في ذلك إلى أن أكثر الصحابة كانوا يبطنون النفاق فيقول: «... ثم خلف من بعدهم خلف غير عارفين ولا ناصبين لم يدروا ما صنعوا بالقرآن، وعمن أخذوا التفسير والبيان، فعمدوا إلى طائفة يزعمون أنهم من العلماء، فكانوا يفسرونه لهم بالآراء ويروون تفسيره عمّن يحسبونه من كبارهم، مثل: أبي هريرة^٢، وأنس^٣

١ - إكمال الدين لابن بابويه القمي: ١٣.

٢ - هو : عبد الرحمن بن صخر، أبو هريرة الدوسي ﷺ في اسمه واسم أبيه اختلاف كثير لا يضبط ولا يحصر، كناه رسول الله ﷺ بذلك لأنه كان يحمل هرة في كفه، كان أحد الحفاظ المعدودين في الصحابة، قدم من أرض دوس هو وأمه مسلماً وقت فتح خيبر، وكان فقيراً من أصحاب الصفة استعمله عمر وغيره، وولي المدينة زمن معاوية، قال المقبري : "عن أبي هريرة قلت: يا رسول الله أسمع منك أشياء فلا أحفظها، قال فابسط رداءك فبسطته، فحدث حديثاً كثيراً فما نسيت شيئاً حدثني به"، توفي سنة تسع وخمسين وله سبع وثمانون سنة، وقيل سنة سبع، وهو الذي صلى على عائشة، وصلّى عليه الوليد بالمدينة. أسد الغابة: ج ١ / ٧٠٠، الوافي بالوفيات: ج ٦ / ٧١، الاستيعاب: ج ١ / ٥٧٠.

٣ - هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي بن النجار، خادم رسول الله ﷺ، كان يتسمى به ويفتخر بذلك، وكان يكنى: أبا حمزة كناه النبي ﷺ، خرج أنس مع رسول ﷺ وسلم إلى بدر وهو غلام يخدمه وكان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً عشر سنين وقيل: تسع سنين، وتوفي عنه ﷺ وهو ابن عشرين سنة، سنة ٩٣ هـ. أسد الغابة: ج ١ / ٧٩ - ٨٠.

وابن عمر^١ ونظرائهم. وكانوا يعدون أمير المؤمنين من جملتهم ويجعلونه كواحد من الناس، وكان خير من يستندون إليه بعده ابن مسعود وابن عباس ممن ليس على قوله كثير تعويل ولا له إلى لباب الحق سبيل، وكان هؤلاء الكبراء ربما يتقولون من تلقاء أنفسهم غير خائفين من مآله وربما يسندونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن الآخذين عنهم من لم يكن له معرفة بحقيقة أحوالهم لما تقرر عنهم أن الصحابة كلهم عدول ولم يكن لأحد منهم عن الحق عدول، ولم يعلموا أن أكثرهم كانوا يبطنون النفاق ويجترون على الله ويفترون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عزة وشقاق^٢.

ويرى الطباطبائي - صاحب الميزان في تفسير القرآن - أن أقوال الصحابة والتابعين ساقطة لكثرة ما فيها من الخلط والتناقض - كما يتوهم - إذ يقول: «وأما الروايات الواردة عن مفسري الصحابة والتابعين فإنها على ما فيها من الخلط والتناقض لا حجة فيها على مسلم»^٣.

١ - هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب، صاحب رسول الله ﷺ وابن وزيره، وكان إسلامه بمكة مع إسلام أبيه عمر ابن الخطاب ولم يكن بلغ يومئذ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وكان يكنى أبا عبد الرحمن، واستصغر عن أحدٍ وشهد الخندق وما بعدها، وهو شقيق حفصة، أمهما زينب بنت مطلق، روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر، شهد فتح مصر، بلغ أربعاً وثمانين سنة، أفتى في الإسلام ستين سنة، ونشر نافع عنه علماً جماً، وتوفي بمكة سنة ثلاث وسبعين، قيل إنه قدم حاجاً فدخل عليه الحجاج وقد أصابه زح رمح فقال: من أصابك؟ قال: أصابني من أمرته بحمل السلاح في مكان لا يجلب فيه حمله! الواقي بالوفيات: ج ٥/٤٤٤، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٤/١٤٢، تهذيب التهذيب: ج ٥/٢٥٠.

٢ - التفسير الصافي: ج ٩/١.

٣ - الميزان في تفسير القرآن: ١/١٣.

أما كاشف الغطاء فيكشف الغطاء عن نفسه فيقول: «... أما ما يرويه مثل أبي هريرة، وسمرة بن جندب^١، ومروان بن الحكم وعمران بن حطان الخارجي وعمرو بن العاص^٢ ونظائرهم، فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار بعوضة، وأمرهم أشهر من أن يذكر...»^٤.

ولكن إذا كان القول المنسوب إليهم يخدم قضية متنازعاً عليها بين السنة والشيعة، وهذه الأقوال تؤيد قول الشيعة، أو قضية متفقاً عليها - على قتلها - مثل فضل علي، رأيت مفسري الشيعة يذكرون هذه الأقوال ويثبتونها، وقد فعل هذا غير واحد،

منهم الطباطبائي عندما ساق في تفسيره أقوال بعض الصحابة والتابعين في إباحة نكاح المتعة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ النساء: ٢٤، فقال: «وجملة الأمر أن المفهوم من الآية حكم نكاح المتعة وهو المنقول عن القدماء من مفسري الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود وأبي بن

١ - سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن بن عمرو بن جابر بن خشين وهو ذو الرأسين ابن لأي بن عصم بن شمع بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان الفزاري يكنى أبا سعيد وقيل: أبو عبد الرحمن، سكن البصرة قدمت به أمه المدينة بعد موت أبيه، أجازته النبي ﷺ في البعث يوم أحد، وغزا مع النبي ﷺ غير غزوة وسكن البصرة، وكان شديد على الخوارج وكان إذا أتى بواحد منهم قتله ويقول: شر قتلى تحت أديم السماء يكفرون المسلمين ويسفكون الدماء فالحرورية ومن قاربهم في مذهبهم يطعنون عليه وينالون منه، وتوفي سمرة سنة تسع وخمسين وقيل: سنة ثمان وخمسين بالبصرة وسقط في قدر مملوءة ماء حارا . أسد الغابة: ج ١ / ٤٧٨ - ٤٧٩، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٣ / ١٧٨.

٢ - هو: عمران بن حطان السدوسي البصري الخارجي، قال الذهبي: كان صدوق في نفسه، ميزان الاعتدال: ج ٣ / ٢٣٥.

٣ - هو: الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو عبد الله، أصله مكّي أسلم قبل الفتح ثم جاء إلى المدينة، سكن مصر وكان أميراً عليها، ومات بها ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وقيل ابن تسع وسبعين سنة. الاستيعاب: ج ٣ / ١١٨٤، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٤ / ٦٥٠.

٤ - أصل الشيعة وأصولها: ٢٦٣.

كعب وقتادة ومجاهد والسدي^١ وابن جبير والحسن وغيرهم، وهو مذهب أئمة أهل البيت^٢.

وهو الذي ذكر آنفاً أن ليس في أقوالهم حجة على أحد.

وقد يكون ذكر أقوال الصحابة والتابعين في تفاسير الشيعة من باب المداراة والتقوية، كما صرح بذلك النوري الطبرسي، بخاصة إذا كان صاحب هذا التفسير على صلة ببعض أعيان أهل السنة، كما هو الحال مع أبي جعفر الطوسي، يكشف النوري الطبرسي عن السبب الذي جعل الطوسي ينهج هذا المنهج المخالف للأصول التي يؤمن بها فيقول: «لا يخفى على المتأمل في كتاب التبيان أن طريقتة فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين، فإنك تراه اقتصر في تفسير الآيات على نقل كلام الحسن، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن جريح، والجبائي^٣، والزجاج^٤،

١ - هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي، ورد عنه أنه رأى أبا هريرة والحسن بن علي مات إسماعيل السدي في سنة سبع وعشرين ومئة، انظر سير أعلام النبلاء: ج ٥ / ٢٦٥، طبقات المفسرين: ج ١ / ١٥ (٢٥).

٢ - تفسير الميزان: ج ٤ / ٢٧٢.

٣ - هو: أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة، كان رأساً في الكلام، أخذ عن أبي يعقوب بن عبد الله البصري الشحام وله مقالات مشهورة وتصانيف، أخذ عنه ابنه أبو هاشم عبد السلام والشيخ أبو الحسن الأشعري كان الجبائي زوج أمه ثم أعرض عنه الأشعري لما ظهر له فساد مذهبه وتاب منه، عاش الجبائي ثمانياً وستين سنة وتوفي سنة ثلاث وثلاث مائة. قال الجبائي: الحديث لابن حنبل والفقهاء لأصحاب أبي حنيفة والكلام للمعتزلة والكذب للرافضة، له طائفة من المعتزلة يعتقدون مقالاته يعرفون بالجبائية. الوافي بالوفيات: ج ١ / ٤٧٦.

٤ - هو: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج النحوي، قال الخطيب: كان من أهل الدين والفضل حسن الاعتقاد جميل المذهب وله مصنوعات حسان في الأدب، توفي سنة إحدى عشرة وثلاث مائة وهو أستاذ أبي علي الفارسي. الوافي بالوفيات: ج ٢ / ٢١٩.

وابن زيد^١، وأمثالهم ، ولم ينقل من مفسري الإمامية ، ولم يذكر خبراً عن أحد من الأئمة عليهم السلام إلا قليلاً^٢ .

فقد عد الطبرسي مجرد ذكر بعض أقوال التابعين في التفسير مداراة ومجاملة ، بالرغم من أن كلامه عن تفسير التبيان فيه مبالغة واضحة ، ولم يخرج صاحبه كثيراً عن أصول التفسير عندهم .

وأيضاً يتخذ ذكر أقوال الصحابة والتابعين في تفاسير الشيعة كسبيل لنشر المذهب، فيرى القارئ للتفسير أن نقل بعض مرويات الصحابة أو التابعين تمثل جانباً اعتدالياً أو نحو ذلك فينبسط بذلك قبول الكتاب وبداخله ما لا يخفى على أحد من بذور المذهب الخطيرة التي قد يغفل عنها القارئ البسيط فلربما وقع في قلبه شيء من هذا المذهب فيحدث ما لا تحمد عقباه من تشويش أو غير ذلك وبذلك قد ينتشر المذهب وأول ما ينتشر عند السذج والجهال وضعفاء العقول بسبب قراءة كتاب أو نحوه .

١ - هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، توفي بالمدينة في أول خلافة هارون، وكان كثير الحديث ضعيفاً جداً، وله من الكتب كتاب الناسخ والمنسوخ كتاب التفسير. الطبقات لابن سعد: ج ٥ / ٤١٣ .

٢ - فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب : ٣٤ .

الأصل الخامس: القول بأن للقرآن ظهراً وبطناً.

اتفق الإمامية على أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ له ظهر وبطن، فيروون عن النبي ﷺ أنه قال: «إن للقرآن ظهراً، وبطناً وحداً ومطلعاً» إن للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن»^١.

وأيضاً روى في هذا المعنى روايات كثيرة عن الأئمة تدل بمجموعها على أن للقرآن معنى ظاهراً ومعنى باطنياً لا يعرفه إلا الأئمة، من أشهرها ما رواه جابر الجعفي^٢ عن أبي جعفر أنه قال: «يا جابر: إن للقرآن بطناً وللبطن بطن - وظهراً وللظهر ظهر - يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن...»^٣

١ - التفسير الصافي: ج ١ / ٣٠ - وهذه الرواية مثبتة في مصنف عبد الرزاق بهذا اللفظ " ٥٩٦٥ - عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن الحسن قال لا تتوسدوا القرآن فو الذي نفسي بيده أشد تفصيلاً من الإبل المعقلة أو قال المعقولة إلى عطنها والذي نفسي بيده ما منه آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلا وله حد ولكل حد مطلع، ٥٩٦٦ - قال عبد الرزاق فحدثت به معمرًا قال امحه لا تحدث به أحدا " مصنف عبد الرزاق: ج ٣ / ٣٥٨ - ٣٥٩، كتاب فضائل القرآن، باب تعاهد القرآن ونسيانه،

وأيضاً رواه أبو يعلى في مسنده بلفظ: "... وإن القرآن نزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع " قال محقق الكتاب إسناده صحيح، ولكن الألباني ضعفه بعد أن ذكر طرقه بقوله " وجملة القول أنه ليس في هذه الطرق ما يمكن الاطمئنان إليه " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ج ٦ / ٥٥٩ .

٢ - تفسير الصافي: ج ١ / ٣١.

٣ - جابر بن يزيد الجعفي: كوفي يقال كنيته أبو زيد ويقال أبو عبدالله، وعن سلام بن أبي مطيع قال: قال لي جابر الجعفي عندي خمسين ألف باب من العلم ما حدثت به أحدا، وقال أبو حنيفة: ما رأيت فيمن رأيت أفضل من عطاء ولا لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي ما أتيتته قط بشيء من رأيه إلا جاءني فيه بحديث وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يظهرها، وقال النسائي جابر بن يزيد الجعفي كوفي متروك الحديث، وقال إبراهيم بن زياد والله لا يموت حتى يكذب على الله ورسوله قال إسماعيل ما مضت الأيام والليالي حتى اتهم بالكذب، توفي جابر بن يزيد سنة ثمان وعشرين ومائة، انظر: ضعفاء العقيلي:

ج ١ / ١٩٢، الطبقات الكبرى: ج ٦ / ٣٤٥، الكامل لابن عدي: ج ٢ / ١١٣ - ١١٤.

٤ - الميزان في تفسير القرآن: ج ٣ / ٧٣.

وأيضاً روى في الصافي في المقدمة الرابعة: « في نبد مما جاء في معاني وجوه الآيات وتحقيق القول في المتشابه وتأويله وبإسناده عن الفضيل بن يسار قال: " سألت أبا جعفر عن هذه الرواية ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما فيه حرف إلا وله حد ولكل حد مطلع ما يعني بقوله لها ظهر وبطن، قال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ آل عمران: ٧ نحن نعلمه " ^١ .

ومن الملاحظ أن هناك تلازماً واضحاً بين هذا الأصل والأصل الثالث عندهم، فقد حصروا التفسير في الأئمة حتى يفتح المجال أمامهم للقول بالباطن، فتقول الأئمة في بطن القرآن ما تشاء من أقوال-بزعمهم- وهذا يكشف عن التلازم بين أصول التفسير عند الشيعة، والوقوف بصدد خدمة مذهب الشيعة والدفاع عن أصول المذهب ومرتكزاته.

يقول أبو الحسن العاملي: «اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغييرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات وأن القرآن المحفوظ عما ذكر الموافق لما أنزله الله تعالى، ما جمعه علي عليه السلام وحفظه إلى أن وصل إلى ابنه الحسن عليه السلام، وهكذا إلى أن وصل إلى القائم عليه السلام، وهو اليوم عنده صلوات الله عليه. ولهذا لما أن كان الله ﷻ قد سبق في علمه الكامل صدور تلك الأعمال الشنيعة من المفسدين في الدين - يقصد الصحابة عليه السلام - وأنهم بحيث كلما اطلعوا على تصريح بما يضرهم ويزيد في شأن علي عليه السلام وذريته الطاهرين، حاولوا إسقاط ذلك أو تغييره محرفين. وكان في مشيئته الكاملة ومن أطفاه الشاملة محافظة أوامر الإمامة والولاية وممارسة مظاهر فضائل النبي ﷺ والأئمة بحيث تسلم عن تغيير أهل التضييع والتحريف ويبقى لأهل الحق مفادها مع بقاء التكليف. لم يكتف بما كان مصرحاً به منها في كتابه الشريف بل جعل جل بيانها

١ - تفسير الصافي: ج ١ / ٢٩.

بحسب البطون وعلى نهج التأويل وفي ضمن بيان ما تدل عليه ظواهر التنزيل وأشار إلى
جمل من برهانها بطريق التجوز والتعريض والتعبير عنها بالرموز والتورية وسائر ما هو من
هذا القبيل حتى تتم حججه على الخلائق جميعها ولو بعد إسقاط المسقطين ما يدل
عليها صريحاً بأحسن وجه وأجمل سبيل»^١.

١ - المقدمة الثانية لتفسير مرآة الأنوار ومشكاة الإسرار: ٣٦ وطبعت هذه كمقدمه لتفسير البرهان للبحراني.

الأصل السادس: قاعدة تفسير القرآن بالعقل.

لا شك أن القرآن الكريم دعا لإمعان النظر في آياته، والتدبر في كلماته. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢، ثم شدد النكير على أولئك الذين لا يعون حقائق القرآن، ولا يستمعون لنداءاته، فقال سبحانه: ﴿ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٧٨، ثم أثنى على أولئك القوم الذين يتفاعلون مع الآيات القرآنية، ويتحركون في ضوء دلالاتها وتوجيهاتها ومعانيها، فقال عز من قائل: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ الأنفال: ٢، كل هذه النصوص تؤكد أن القرآن الكريم دعا إلى إعمال العقل والتأمل في آياته واستنتاج مراده والتفكر في مدلولاته وتطبيقها على واقع الحياة الدنيا .

فهل يا ترى ما موقف الشيعة من إعمال العقل في التفكير والتأمل ؟
وما هو المدى الذي يسمح فيه لعقولهم وأنظارهم أن تؤثر وتتأثر بدلائل الآيات القرآنية...؟

وإذا قلنا إنه جاز للعقل أن يتدبر في الآيات القرآنية، فهل يجوز له أن يفسرها في ضوء استنتاجاته النظرية...؟

والحقيقة أن أحد أصول التفسير عندهم هو التفسير بالدليل العقلي « ويقصد به: كل النتائج اليقينية التي ينتهي إليها الاستدلال العقلي، معتمداً على مقدماته البديهية وعبر المناهج الصحيحة للاستدلال. مثلاً حينما ينتهي الاستدلال العقلي إلى استحالة أن يكون الله تعالى جسماً، أو عاجزاً، أو نادماً أو جاهلاً، أو ظالماً، وما أشبه ذلك من النتائج اليقينية.

هذا المستوى من الاستنتاجات النظرية وحده هو الذي يسمح له أن يتصرف في تفسير بعض الآيات القرآنية التي يرى أنها تصطدم مع تلك النتائج اليقينية، فيقوم المفسر بتأويلها والتصرف بطواهرها، كما في كل الآيات التي قد يظهر منها التحسيم، أو نسبة

الجهل أو الإضلال إلى الله تبارك وتعالى، كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾
 الفتح: ١٠ ، الظاهرة في التجسيم - على حد قولهم - ، أو في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ محمد: ٣١ ،

وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١١٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
 نَاقَفُوا﴾ آل عمران: ١٦٦ - ١٦٧ ، الظاهرتين في عدم العلم الإلهي بأحوال الناس إلا بعد
 اختبارهم.

أو في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ التي قد تظهر في نسبة
 الإضلال إلى الله سبحانه وتعالى.

ففي مثل هذه الموارد نجد المفسرين - المقصود من الشيعة - يسرعون إلى حمل الآيات
 على خلاف ظاهرها، وبالنحو الذي ينسجم مع المعتقد الديني الصحيح الثابت بالبراهين
 العقلية والنصوص الشريفة^١.

ونحن نرى كيفية التصرف بالنص القرآني على مستوى التعديل بالشكل والصورة
 والمساس بجوهر الفكرة القرآنية وهو ما يدخل في دائرة التفسير بالرأي المذموم التي ورد
 النهي عنها في الشريعة الإسلامية، وحرمة أشد ما تكون الحرمة.

١ - من مقالة بعنوان: تفسير القرآن بالعقل محمد العبيدان القطيفي .

الأصل السابع: أسلوب الجري.

من مرتكزات التفسير عند مفسري الشيعة قاطبة أن القرآن الكريم نزل في الأئمة وأعدائهم، وفي ضوء هذا المعتقد وجه مفسرو الشيعة الآيات القرآنية، فإن ذكرت قوماً سابقين بخير فالمراد بهم الأئمة وأتباعهم وهكذا، وإن كان ما ذكر في الآيات شراً فهو في أعدائهم بلا ريب، وهذا ما يطلقون عليه لفظ الجري.

وقد رووا عن أبي جعفر ما يسوغ لهم هذا المنهج حين نقلوا عنه قوله: «إذا سمعت الله ذكر قوماً من هذه الأمة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدونا»^١، فما معنى الجري والانطباق عندهم؟

يقول أحدهم: «إن الروايات كثيراً ما تتجه لبيان مصداق الآية، واعتباره مما تجري عليه الآية وتنطبق عليه، وهذا هو المقصود (بالجري والانطباق) دون أن يكون هدفها بيان المعنى العام الذي دلت عليه الآية.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣، على اعتبار أن (أهل الذكر) هم (أهل البيت) - بزعمهم - وكذا ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦، على اعتبار أن الصراط المستقيم هو التمسك بعلي - على رأيهم - وكذا ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ طه: ٨٢، بناء على اعتبار أن اهتدى تعني اهتدى إلى ولاية علي، وأمثال ذلك كثير في الروايات»^٢ ثم يعلل بعد ذلك هذا المفهوم فيقول: «إن هذا النمط من النصوص لا يقصد به تفسير

١ - تفسير الصافي: ج ١/٦ نقلاً عن التفسير والمفسرون ج ١/١٥٦ .

٢ - من مقال محمد العبيدان القطيفي بعنوان: تفسير القرآن بالسنة .

الآيات المباركة، إلا أنه بلا شك في أنها تساعد على فهم المعنى المقصود من الآية والذي يمكن تطبيقه على المصداق المذكور في الرواية^١

وقد أشار لهذا المعنى صاحب تفسير الميزان في غير ما موضع من تفسيره، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ نقل قول أبي عبد الله الصادق الصراط المستقيم أمير المؤمنين .

ثم قال: « وفي هذه المعاني روايات أخرى، وهذه الأخبار من قبيل الجري، وعدّ المصداق للآية، واعلم أن الجري اصطلاح مأخوذ من قول أئمة أهل البيت ففي تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عن هذه الرواية: ما من آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيها حرف إلا وله حدّ، ولكل حدّ مطلع، ما يعني بقوله: ظهر وبطن؟ قال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع...»

وفي هذا المعنى روايات كثيرة، وهذه سليقة أئمة أهل البيت، فإنهم يطبقون الآية من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد وإن كان خارجاً عن مورد النزول^٢ واعتماد مفسري الشيعة على هذا الأصل هو الذي فتح المجال أمامهم ليوجهوا الآيات القرآنية حسب أهوائهم معتمدين على ما يذكرونه أو ما يفترونه على أئمتهم في هذا الأصل.

لقد أخذ عامة مفسري الشيعة بهذا الأصل الذي يعد من ابتكاراتهم؛ إذ لم أعلم أحداً من مفسري الطوائف الأخرى أشار إليه، أو عمل به، ويعد القمي في طليعة من أكثر في تفسيره وتوسع في حمل الآيات عليه، فقد ذكره عند قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ

١ - مقال بعنوان : تفسير القرآن بالسنة.

٢ - الميزان في تفسير القرآن: ج ١/٤١-٤٢.

أَتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ كَرِيمٍ الجاثية : ٢٣، حيث قال: «نزلت في قريش وجرت بعده
ﷺ في الذين غصبوا أمير المؤمنين واتخذوا إماماً بأهوائهم»^١.

١ - تفسير القمي: ج ٢/٢٦.

المبحث الثاني:

منشأ الخلاف بين أهل السنة والشيعة.

بعد دراسة أصول التفسير لدى السنة والشيعنة يتبين لنا الفرق بين منابع السنة الصافية التي يستقي منها مفسرو أهل السنة والجماعة تفسير كلام رب العالمين، وبين ما تراه الشيعة من أوهم تنقل من خلالها بذور الضلال والبهتان لتترعرع بعد ذلك في أقبية الظلام وسرايب الجهالة لتخرج بعد ذلك باسم تفسير أئمة أهل البيت .

وليتضح الأمر جلياً فقد آثرت أن أوضح في هذا المبحث منشأ الخلاف بين أهل السنة والشيعة، ليظهر الفرق بين منهجية أهل السنة، ومنهجية الشيعة الإمامية في تناول التفسير والتعاطي مع مصادره، من خلال ما تناوله القمي في منهجيته في تفسيره وهذا الأمر ليس بجديد فالكل يعلم بكلا المنهجين الصحيح والمنحرف، ولكي يكون الأمر حاضراً في ذهن القارئ عندما نبدأ الكلام عن مآخذ المفسر في هذا التفسير في الفصل التالي.

نبدأ الكلام على منهجية أهل السنة في التفسير:

فأهل السنة يعلمون أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ النحل: ٤٤ ، والتبيين كما أنه يتناول الألفاظ ، يتناول المعاني أيضاً، ويدل على ذلك أيضاً ما روي «عن أبي عبد الرحمن قال: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ ، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يخلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً»^٢.

١ - هو: عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الضرير مقرئ الكوفة، تابعي ثقة، ولد في حياة النبي ﷺ ولأبيه صحبة، إليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً، أخذ القراءة عرضاً عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب و عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت و أبي بن كعب ﷺ ، أخذ القراءة عنه عرضاً عاصم وعطاء بن السائب وأبو إسحاق السبيعي ويحيى بن وثاب والحسن والحسين رضي الله عنهما وغيرهم، ولا زال يقرئ الناس من زمن عثمان إلى أن توفي سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ١/٩٥، غاية النهاية في طبقات القراء: ج ١/١٨٣.

٢ - جامع الأحاديث: ج ٣٩/٣٨٤ (٤٢٧٦٤) مسند رجال من الصحابة، ومصنف ابن أبي شيبة: ج ٦/١١٧ (٢٩٩٢٩)، ومشكل الآثار: ج ٣/٤٧٨ (١٢٥٠)، قال أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح متصل .

والمقصود من ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم علموا تفسير القرآن وتلقوا تفسير ما التبس عليهم من النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان النزاع بينهم في التفسير قليلاً جداً بالنسبة إلى من بعدهم، ثم إن من التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، كما قال مجاهد: «عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ أَوْقَفُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا...»^١، واستمر الأمر على هذا الوجه يتناقل العلم بين علماء السنة سلفاً عن خلف، حتى وصل إلينا.

ومن ذلك يتبين أن أهل السنة تناولوا الحقائق كما هي من الأحاديث والآثار، ولم يتأولوا القرآن إلا بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صحابته رضي الله عنهم وعن التابعين رحمهم الله أو بما يوافق فهمهم للغة العربية، ولم يدخلوا إلى غمار التفسير بمقررات مسبقة أو بفكر أو مذهب شاذ يريدون نصرته، بل تخرجوا أن يتأولوا القرآن بأرائهم بلا علم حتى لا يقع منهم ما نهى النبي صلى الله عليه وسلم من الكلام في القرآن بغير علم^٢، ولذلك لم يقع منهم اختلاف واضح أو

١ - المعجم الكبير للطبراني: ج ٩ / ٢٨٩ .

٢ - وقد تواردت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في التحذير من القول في القرآن بالرأي بغير علم: « فعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» جامع البيان: ج ١ / ٧٨، وفي لفظ آخر عنه: من تكلم في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.

قال أبو جعفر: وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا: من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بنصبه الدلالة عليه - فغير جائز لأحد القائل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه - وإن أصاب الحق فيه - فمخطئ فيما كان من فعله، بقيله فيه برأيه، لأن إصابته ليست إصابة مؤقن أنه محق، وإنما هو إصابة حارص وطان، والقائل في دين الله بالظن، قائل على الله ما لم يعلم. وقد حرّم الله جلّ ثناؤه ذلك في كتابه على عباده، فقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ الأعراف: ٣٣ ، فالقائل في تأويل كتاب الله، الذي لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي جعل الله إليه بيانه - قائل بما لا يعلم وإن وافق قيله ذلك في تأويله، ما أراد الله به من معناه، لأن القائل فيه بغير علم، قائل على الله ما لا علم له به، وهذا هو معنى الخبر الذي: - عن جندب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ. جامع البيان: ج ١ / ٧٨ - ٧٩ ،

ويعلق المحقق الاستاذ أحمد شاكر على حديث ابن عباس الذي أورده الطبري وما تبعه من أحاديث في هذا الباب فيقول: "تدور هذه الأحاديث كلها على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وقد تكلموا فيه." قال أحمد: ضعيف =

= الحديث. وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث، ربما رفع الحديث وربما وقفه. وقال ابن عدي: يحدث بأشياء لا يتابع عليها، وقد حدث عنه الثقات. وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه لين وهو ثقة. وقال الدارقطني: يعتبر به. وحسن له الترمذي، وصحح له الحاكم، وهو من تساهله. وصحح الطبري حديثه في الكسوف". تهذيب التهذيب ٦: ٩٤ - ٩٥. وقد روى أحمد هذا الحديث من طريق سفيان الثوري عن عبد الأعلى: ٢٠٦٩، ورواه أيضًا من طريق أبي عوانة عن عبد الأعلى رقم: ٣٠٢٥، بلفظ: "من كذب على القرآن بغير علم". وقلنا في شرح المسند: "إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى الثعلبي" ورواه أحمد أيضًا من أوجه أخرى، كلها من رواية عبد الأعلى. وقال ابن كثير في التفسير ١: ١١: "هكذا أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري، به. ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الأعلى، به، مرفوعًا وقال الترمذي: هذا حديث حسن". وأخشى أن يكون قول ابن جرير بعد: "وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا..."، دالا على أنه يصحح حديثه هذا كما صحح حديثه في الكسوف. "ج ١ / ٧٨.

- وقد أخرج الإمام الترمذي هذا الأثر بسند ضعيف في سننه ثم قال: « هكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم وأما الذي روي عن مجاهد و قتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم . سنن الترمذي: ج ٥/٢٠٠، كتاب تفسير القرآن، باب: الذي يفسر القرآن برأية.

- ومن مظاهر اعتناء واهتمام علماء السنة بهذا الأمر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، بمبحث في مقدمة تفسيره أسماء "تفسير القرآن بمجرد الرأي" قال فيه: « فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام، ومن قال في القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم له به وسلك غير ما أمر به فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه كمن حكم بين الناس عن جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر لكن يكون أخف جرماً ممن أخطأ،

ولهذا تخرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به كما روى عن أبي معمر قال: قال أبو بكر الصديق أي أرض تغلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا محمود بن يزيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله: ﴿ وَفَكَهَمُوا وَاَبَا ﴾ عيس: ٣١ فقال: "أي سماء تظلني تغلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم" إسناده منقطع.

وقال أبو عبيد أيضاً: "حدثنا يزيد عن حميد عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿ وَفَكَهَمُوا وَاَبَا ﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا هو التكلف يا عمر.

وهذا كله محمول على أنهما رضي الله عنهما إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب وإلا فكونه نباتا في الأرض ظاهر لا يجهل لقوله تعالى: ﴿ فَأَبْتْنَا فِيهَا حَبًا ۗ (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۗ (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۗ (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلَبًا ۗ ﴾ عيس: ٢٧ - ٣٠.

- وقال ابن جرير: حدثنا ابن علي عن أيوب عن ابن أبي ملكية أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبي أن يقول فيها، إسناده صحيح =.

= وقال أبو عبيد: حدثنا عن ابن أبي مليكة قال: سألت رجل ابن عباس عن (يوم كان مقداره ألف سنة) فقال له ابن عباس: فما (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقال الرجل: إنما سألتك لتحديثي فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم .

وقال ابن جرير حدثنا ابن علي عن مهدي بن ميمون عن الوليد بن مسلم قال: "جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن فقال له: أخرج عليك إن كنت مسلماً لما قمت عني أو قال أن تجالسني".

وقال مالك عن يحيى بن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: "إننا لا نقول في القرآن شيئاً".

وقال الليث عن يحيى بن سعيد بن مسيب أنه كان لا يتكلم إلا في العلوم من القرآن .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال: سألت رجل سعيد بن مسيب عن آية من القرآن فقال: "لا تسألني عن آية من القرآن وسل من يزعم أنه لا يخفي عليه شيء منه" يعني عكرمة .

وقال عبد الله بن شوذب حدثني يزيد بن أبي يزيد قال: "كنا نسأل سعيد بن مسيب عن الحلال والحرام وكان أعلم الناس فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع".

وقال ابن جرير حدثني أحمد قال: "لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب ونافع".

وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن هشام بن عروة قال: "ما سمعت أبي تأول آية من كتاب الله قط".

وعن أيوب وابن عون وهشام الدستوائي عن محمد بن سيرين قال: "سألت عبدة السلماني عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل من القرآن فاتق الله وعليك بالسداد".

وقال أبو عبيد حدثنا معاذ عن ابن عون عن عبيد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال: "إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده".

حدثنا هشيم عن مغيرة عن إبراهيم قال: "كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه".

وقال شعبة عن عبد الله بن أبي السفر قال: "قال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله".

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه.

ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ أَهْلُ الْآيَاتِ وَاللَّائِسُ وَلَا تَكْتُمُوهُ﴾ آل عمران: ١٨٧ ولما جاء في الحديث المروي من طرق: من سئل عن علم فكنمه أجم يوم القيامة بلجام من نار =

مشكل في الرأي لأنهم استمدوا آراءهم من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وهي المصادر المعتمدة والمنابع الصحيحة الواضحة لأخذ العلم الأصيل ودراسته ولذلك نوه شيخ الإسلام ابن تيمية على أن الاختلاف الحادث في التفسير كان بعد عصر الصحابة والتابعين^١ أي بعد ظهور الفتن وانتشارها وحدوث الانقسامات والاختلافات في الآراء والمذاهب .

وأما علي بن إبراهيم القمي - وهو يمثل الشيعة الإمامية - فقد غامر هو ومن على شاكلته، إلى تفسير القرآن بمقررات مسبقة أراد الاستدلال عليها من كتاب الله تعالى، ولما لم يجد فيه ما يوائم سنخ أفكاره ومعتقداته، لجأ إلى الأحاديث الموضوعية والمكذوبة المنسوبة إلى أهل البيت، وادعى أنها آثار أهل البيت المروية عنهم، والمحافظة لدى شيعتهم لا يعلمها إلا هم. وهذا باطل وكذب وبهتان مبین، فالتفسير علم شريف يتعلق بفهم القرآن وحصره على أشخاص بعينهم دون آخرين لا يمكن القول به، لأنه يعني أن تظل طائفة من المسلمين على ضلال لا تعي ولا تعرف أحكام وأوامر ونواهي القرآن، فلا تقوم بما هو مخول بها من عبادة الله وطاعته، وهذا ما يناهض أمر التبيين الذي جاء به النبي ﷺ ، الذي ذكرناه سالفاً، إذ لا جدوى من وجود نبي مرسل ولا قرآن منزل إذا اقتصرت معرفة العلم على بضع أشخاص دون الأمة بأسرها .

والمقصود من ذلك أن المأخذ المنهجي هنا أنه لم ينزل إلى ساحة القرآن قاصداً تفسير آياته، بما يوافق المنهج الصحيح في البحث والتنقيب عن معاني الآيات والوصول إلى مدلولاتها الحقيقية، وإنما دخل إلى تفسير القرآن بمقررات مسبقة وبأفكار خاطئة، وبحث عن آيات لتكون شاهداً لتلك الأفكار، فنزع معانيها الصحيحة، وألبسها معانٍ أخرى ولا توافق ومضمونها، فحملها على معنى خاطئ، ولذلك ضل وأضل. وهذا ما

= وقال ابن جرير: حدثنا عن أبي الزناد قال ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله والله سبحانه أعلم. مقدمة في أصول التفسير: ١٠٢ .

١ - مقدمة في أصول التفسير: ٧٩ .

عبر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه " مقدمة في أصول التفسير " فقال: « وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي مِنْ مُسْتَنَدَيْ الْإِخْتِلَافِ وَهُوَ مَا يُعْلَمُ بِالِاسْتِدْلَالِ لَا بِالنَّقْلِ فَهَذَا أَكْثَرُ مَا فِيهِ الْخَطَأُ مِنْ جِهَتَيْنِ حَدَّثْنَا بَعْدَ تَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ .
 إِحْدَاهُمَا: قَوْمٌ اعْتَقَدُوا مَعَانِي ثُمَّ أَرَادُوا حَمْلَ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا .
 وَالثَّانِيَةُ: قَوْمٌ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِمَجَرَّدِ مَا يُسَوِّغُ أَنْ يُرِيدَهُ بِكَلَامِهِ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاطِقِينَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ بِالْقُرْآنِ وَالْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ وَالْمُخَاطَبِ بِهِ .
 فَالْأَوَّلُونَ رَاعَوْا الْمَعْنَى الَّتِي رَأَوْهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّهُ أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ مِنَ الدَّلَالَةِ وَالْبَيَانِ .

وَالْآخَرُونَ رَاعَوْا مُجَرَّدَ اللَّفْظِ، وَمَا يَجُوزُ عِنْدَهُمْ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْعَرَبِيُّ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى مَا يَصْلُحُ لِلْمُتَكَلِّمِ بِهِ وَلسِيَاقِ الْكَلَامِ .
 ثُمَّ هَؤُلَاءِ كَثِيرًا مَا يَغْلَطُونَ فِي احْتِمَالِ اللَّفْظِ لِذَلِكَ الْمَعْنَى فِي اللَّغَةِ كَمَا يَغْلَطُ فِي ذَلِكَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ، كَمَا أَنَّ الْأَوَّلِينَ كَثِيرًا مَا يَغْلَطُونَ فِي صِحَّةِ الْمَعْنَى الَّتِي فَسَّرُوا بِهِ الْقُرْآنَ كَمَا يَغْلَطُ فِي ذَلِكَ الْآخَرُونَ، وَإِنْ كَانَ نَظَرُ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْمَعْنَى أَسْبَقَ وَنَظَرُ الْآخَرِينَ إِلَى اللَّفْظِ أَسْبَقَ .

وَالْأَوَّلُونَ صِنْفَانِ : تَارَةً يَسْلُبُونَ لَفْظَ الْقُرْآنِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ وَأُرِيدَ بِهِ .

وَتَارَةً يَحْمِلُونَهُ عَلَى مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يُرَدَّ بِهِ .

وَفِي كِلَا الْأَمْرَيْنِ قَدْ يَكُونُ مَا قَصَدُوا نَفْيَهُ أَوْ إِثْبَاتَهُ مِنَ الْمَعْنَى بَاطِلًا فَيَكُونُ

خَطْوُهُمْ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ .

وَقَدْ يَكُونُ حَقًّا فَيَكُونُ خَطْوُهُمْ فِي الدَّلِيلِ لَا فِي الْمَدْلُولِ .

فَالَّذِينَ أَخْطَأُوا فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ - مِثْلُ طَوَائِفَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ - اعْتَقَدُوا

مَذْهَبًا يُخَالِفُ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْوَسْطُ الَّذِينَ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ كَسَلَفِ الْأُمَّةِ

وَأَيْمَتِهَا وَعَمَدُوا إِلَى الْقُرْآنِ فَتَأَوَّلُوهُ عَلَى آرَائِهِمْ؛ تَارَةً يَسْتَدِلُّونَ بِآيَاتِ عَلَى مَذْهَبِهِمْ وَلَا

دَلَالَةَ فِيهَا .

وَتَارَةً يَتَأَوَّلُونَ مَا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُمْ بِمَا يُحَرِّفُونَ بِهِ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ فِرْقُ

الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْجَهْمِيَةِ وَالْمُعْتَرِلَةِ وَالْقَدْرِيَّةِ وَالْمُرْجِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ. ^١

ثم قال بعد ذلك : « وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ اعْتَقَدُوا رَأْيًا ثُمَّ حَمَلُوا الْقَاطِظَ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ لَهُمْ سَلَفٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَلَا مِنْ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لَا فِي رَأْيِهِمْ وَلَا فِي تَفْسِيرِهِمْ.

وَمَا مِنْ تَفْسِيرٍ مِنْ تَفْسِيرِهِمْ الْبَاطِلَةَ إِلَّا وَبُطْلَانُهُ يَظْهَرُ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ وَذَلِكَ مِنْ

جِهَتَيْنِ:

تَارَةً مِنْ الْعِلْمِ بِفَسَادِ قَوْلِهِمْ.

وَتَارَةً مِنْ الْعِلْمِ بِفَسَادِ مَا فَسَّرُوا بِهِ الْقُرْآنَ، إِمَّا دَلِيلًا عَلَى قَوْلِهِمْ، أَوْ جَوَابًا عَلَى

الْمُعَارِضِ لَهُمْ. ^٢

ثم ختم هذا المبحث بقوله: « وَفِي الْجُمْلَةِ مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إِلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ كَانَ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ بَلْ مُبْتَدِعًا وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مَعْفُورًا لَهُ خَطْوُهُ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ قَرَأَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَتَابِعُوهُمْ وَأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِتَفْسِيرِهِ

وَمَعَانِيهِ. كَمَا أَنََّّهُمْ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ .

فَمَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ وَفَسَّرَ الْقُرْآنَ بِخِلَافِ تَفْسِيرِهِمْ فَقَدْ أَخْطَأَ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ

جَمِيعًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ لَهُ شُبْهَةٌ يَذْكُرُهَا إِمَّا عَقْلِيَّةٌ وَإِمَّا سَمْعِيَّةٌ. ^٣

والفرق واضح بين تفسير السلف رحمهم الله وبين تفسير علي بن إبراهيم الممثل لمنهج

غلاة الشيعة الإمامية ، فمعظم أخطاء مفسريهم أخطاء منهجية ، يتجلى فيها الخطأ في

منهج النظر في القرآن ، فمعظم أفكارهم التي آمنوا بها أفكار خاطئة ، ومع ذلك دخلوا

ساحة القرآن بهذه الأفكار الخاطئة ، فأخطئوا في المدلول والدليل معاً .

١ - المرجع السابق: ٧٩ : ٨٢ .

٢ - المرجع السابق: ٨٥ - ٨٦ .

٣ - المرجع السابق: ٩١ - ٩٢ .

المبحث الثالث:

نقد روايات القمي.

اعتمد المفسر القمي في تفسيره هذا على ما رواه عن والده إبراهيم بن هاشم عن مشايخه البالغين إلى الستين رجلاً - على حد زعمهم - من رجال أصحاب الحديث. وإذا تتبعنا هذه الروايات نجد أن جلها واقفة عند جعفر الصادق وقليل منها يعلوه إلى أبيه الباقر وأقل من ذلك ما يعلوه إلى أمير المؤمنين ونادراً ما يصل إلى النبي ﷺ مرسلًا، وربما تصل الروايات القليلة إلى الكاظم والرضا على اعتبار أن إبراهيم بن هاشم كان معاصراً للرضا، وهذه الروايات قد تأتي مسندة وقد تأتي مرسله، والملاحظ عليها أنها تدور في الغالب في فلك الإمامة والأئمة .

أما النقل عن الصحابة ؓ من غير علي وولديه ؓ، فهو نقل على استحياء خاصة إذا علمنا أن هذه المرويات غير معتد بها بل غير مقبولة عندهم خاصة المروية عن أم المؤمنين عائشة أو ابن مسعود أو ابن عباس وغيرهم من الصحب الكرام ؓ . وكذلك نجد في طي الروايات ما هو منها منقول عن أبي الجارود زياد بن المنذر، وهذا - كما قلنا من قبل - من تصرف راوي التفسير أبي العباس، وهذا التصرف قد بدأ معه من سورة آل عمران، ولكنه فرق بين ما رواه عن القمي صاحب التفسير وبين ما نقله عن أبي الجارود فكثيراً ما نراه يقول "وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر... " ويأتي بالإسناد^١ أو يقول: "وقال علي بن إبراهيم في قوله: ... كذا"^٢ ويأتي بالإسناد، أو يقول: "رجع إلى تفسير - أو إلى رواية - علي بن إبراهيم"^٣ ويأتي بالإسناد.

أضف إلى ذلك أن راوي التفسير تصرف أيضاً فأضاف روايات أخرى عن غير أبي الجارود وعن غير مشايخ القمي ومن ذلك ما رواه عن:

١ - أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن عقدة .

١ - انظر في ذلك على سبيل المثال: ج ١/ ١١٦، ١٢٦، ١٣٥، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٣٢، ٢٧٠، ٢٨٣، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٧.

٢ - انظر في ذلك على سبيل المثال: ج ١/ ١١٦، ١٣٩، ١٨٩، ١٥٧، ٢٨٢، ٢٨٨، ٢٨٤.

٣ - ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال: ج ١/ ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٨.

٢- أحمد بن إدريس .

٣- جعفر بن أحمد .

٤- الحسين بن محمد بن عامر .

٥- علي بن الحسين^١ .

وهذه الروايات ليست لعلي بن إبراهيم، ولا لأبيه، وإنما نقلها الراوي عن بعض معاصري علي بن إبراهيم، أو من جاء بعده من مشايخ راوي التفسير. ولقد قمت بعمل استقراء لأسماء من روى عنهم إبراهيم بن هاشم القمي، واخترت من بينهم من تكرر ذكره في الروايات وتتبع الحكم عليه، وإذا علمنا أن تفسير القمي كتاب نقلي يعتمد على الروايات وأنها ناهزت الألف رواية^٢ بما فيها روايات القمي عن أبيه، وروايات أبي الجارود والروايات الأخرى عن شيوخ أبي العباس التي ليست من روايات إبراهيم بن هاشم القمي، وضح لنا توسع الراوي في جلب الروايات، مع تكرار أسماء الراوة عنهم في الغالب، ولقد اخترت من هذه الأسماء أهمها وأكثرها تكرراً، وقسمتهم إلى قسمين:

أولاً: مشايخ القمي الذين روى عن جعفر الصادق ومحمد الباقر ومنهم:

١- أبو الجارود وهو يروي عن الباقر^٣.

٢- أبو بصير عنه أيضاً.

٣- محمد بن أبي عمير .

٤- حنان بن سدير .

٥- القاسم بن محمد الجوهري .

٦- محمد بن الفضيل .

١ - لم أتعرض إلى ذكر أحد منهم لأنهم ليسوا من مشايخ علي بن إبراهيم، ولم يروي هو عنهم بل الراوي عنهم هو العباس راوي التفسير.

٢ - بلغت الروايات ١٠٨٧ رواية.

٣ - سبق الكلام عنه وعن تفسيره في صفحة ٩٤ من هذا البحث.

٧- حماد بن عيسى.

٨- إبان بن عثمان.

ثانياً : مشايخ القمي الذين رووا عن الكاظم والرضا ومنهم:

١- الحسن بن محبوب السراد الكوفي .

٢- صفوان بن يحيى البجلي .

٣- النضر بن سويد .

هذا بالإضافة إلى من سبق ممن عاصروا الرضا أمثال ابن عمير، حماد بن عيسى وسأبدأ بالرواة عن الصادق لأنهم هم الأكثر رواية، بل التفسير كله يدور على رواياتهم:

١- أبو بصير^١:

قال في خلاصة الأقوال: «ليث بن البختری - بالباء المنقطة تحتها نقطة المفتوحة، والحاء المعجمة الساكنة، والتاء المنقطة فوقها نقطتين المفتوحة، والراء المكسورة - المرادي، أبو بصير، ويكنى أبا محمد»^٢.

وروى الكشي عن جميل بن درّاج قال: سمعت أبا عبد الله يقول: بشر المختبين بالجنة: بريد بن معاوية العجلي وأبو بصير ليث بن البختری المرادي ومحمد بن مسلم ووزارة بن أعين، أربعة نجباء، أمناء الله على حاله وحرامه، ولولا هؤلاء لانقطعت آثار النبوة واندرست!!^٣.

١ - لم يذكر في كتب السنة.

٢ - خلاصة الأقوال الحلبي: ٢٣٤.

٣ - اختيار معرفة الرجال: ج١/٣٩٨.

وقال ابن الغضائري^١: «ليث بن البخترى المرادي أبو بصير، يكنى أبو أحمد، كان أبو عبد الله يتضجر به ويتبرم، وأصحابه مختلفون في شأنه، قال: وعندي أن الطعن إنما وقع على دينه لا على حديثه، وهو عندي ثقة، والذي أعتمد عليه قبول روايته وأنه من أصحابنا الإمامية»^٢.

وقال الطوسي: «ليث المرادي: يكنى أبا بصير، روى عن الصادق والكاظم عليهما السلام، له كتاب»^٣ وعده في رجاله تارة من أصحاب الباقر^٤، وتارة من أصحاب الكاظم^٥، ثم ذكر طريقه إليه فقال: «ليث المرادي - أبو بصير: مجهول»^٦.

وأما الروايات الدامة له، فمنها: ما رواه الكشي مرسلاً، قال: «روي عن ابن أبي يعفور، قال: خرجت إلى السواد أطلب دراهم للحج ونحن جماعة، وفينا أبو بصير

١ - هو أبو الحسين أحمد بن الحسين بن عبيدالله بن إبراهيم الغضائري، لم يعرف تاريخ ولادته ووفاته بالضبط، ولكن المعلوم أنه من علماء القرن الخامس الهجري و كان من طبقة الشيخ الطوسي و النجاشي و كان زميلاً لهما في الدرس، ويستفاد من خطبة الشيخ في الفهرست أنه قد توفي قبل الطوسي، وكانت وفاة الطوسي في عام ٤٦٠هـ، والحقيقة أنه لا يمكن معرفة حاله من الوثيقة وغيرها من كتب الشيعة القدماء، لأن الكشي سابق على زمانه، والشيخ الطوسي لم يعنونه في كتابيه مستقلاً، وقد ذكر الطوسي في الفهرست أن لأحمد هذا كتابين أحدهما في ذكر المصنفات والآخر في ذكر الأصول ثم عقب قائلاً: "إن هذين الكتابين لم ينسخهما أحد من أصحابنا وتوفي الحسين بن عبيد الله الغضائري، وعمد بعض ورثته إلى إهلاك الكتابين وغيرها من الكتب عل ما حكي بعضهم عنه"، الفهرست : ٣١ مقدمة المؤلف.

ولكن الغريب أن ينقل الطوسي وابن طاووس عن الكتاب المذكور أحياناً وهذا النقل لا يمكن الاعتماد عليه إذ كيف وصل إليهما كتاب رجال ابن الغضائري بعد ما نقله الطوسي من تلف الكتابين، ومع غض النظر عن ذلك، لا يمكن الاعتماد على النقل المذكور لجهالة الطريق إلى الكتاب المذكور لأنهما - أي الطوسي وابن طاووس - لم يذكرنا طريقهما إليه ليلاحظ انه صحيح قابل للاعتماد أو لا. موقع شبكة آل البيت العالمية.

www.ahlulbaytportal.com/ar.php/page,2433A4194.html

٢ - نقلاً عن رجال الطوسي: ١٤٤.

٣ - الفهرست: ٢٠٥ (٥٨٥).

٤ - رجال الطوسي: ١٤٤ (١٥٦٨). باب أصحاب أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين.

٥ - المرجع السابق: ٣٤٢ (٥٠٩٩). باب أصحاب أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم.

٦ - الفهرست: ٣٢٥ (٥٨٥). بحث حول طرق الشيخ في الفهرست.

المرادي، قال: قلت له: يا أبا بصير اتق الله وحج بمالك فإنك ذو مال كثير، فقال: اسكت فلو أن الدنيا وقعت لصاحبك لاشتمل عليها بكسائه^٢ وعلق الخوئي^٣ على الرواية فقال: الرواية لا يعتد بها لإرسالها^٤.

«وعن شعيب العقرقوفي، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن امرأة تزوجت ولها زوج فظهر عليها، قال: ترجم المرأة ويضرب الرجل مائة سوط لأنه لم يسأل، قال شعيب: فدخلت على أبي الحسن عليه السلام، فقلت له: امرأة تزوجت ولها زوج؟ قال: ترجم المرأة ولا شئ على الرجل، فلقيت أبا بصير فقلت له: إني سألت أبا الحسن عليه السلام عن المرأة التي تزوجت ولها زوج، قال: ترجم المرأة ولا شئ على الرجل، قال: فمسح صدره بيده يحكمها (تكمها) وقال: ما أظن صاحبنا تناهى علمه بعد! " وفي رواية أخرى " أظن صاحبنا ما تكامل علمه " ^٥. وعلق أيضاً الخوئي فقال: الرواية مرسله^٦.

«وعن علي بن محمد، قال: حدثني محمد بن أحمد بن الوليد، عن حماد بن عثمان، قال: خرجت أنا وابن أبي يعفور وآخر إلى الحيرة أو إلى بعض المواضع، فتذاكرنا الدنيا، فقال أبو بصير المرادي: أما إن صاحبكم لو ظفر بها لاستأثر بها، قال: فأغفى،

١ - يقصد جعفر الصادق عليه السلام.

٢ - اختيار معرفة الرجال: ج ١ / ٣٩٧.

٣ - هو: أبو القاسم الخوئي بن علي أكبر بن هاشم الموسوي، ولد سنة ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م في مدينة خوي، من إقليم أذربيجان، والتحق بالحوزة العلمية بالنجف وعمره ثلاث عشر سنة، وبعد وفاة محسن الحكيم ١٣٨٩هـ، انتهت إليه المرجعية الدينية في النجف، من مشايخه فتح الله المعروف بشيخ الشريعة، ومهدي المازندراني، محمد حسين النائني، وبعد من أشهر تلاميذه علي السيستاني، الجواد التبريزي، وغيرهم كثير ألف عدة مؤلفات كان من أشهرها معجم رجال الحديث في ٢٤ مجلداً، مناسك الحج، تفسير البيان، وغيرها، توفي في النجف سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، بعد أن أسس مؤسسة خيرية باسمه تعنى بنشر المذهب الشيعي، معجم رجال الحديث: ج ٢٢ / ٢٢، مستدركات أعيان الشيعة لحسن الأمين: ج ١٦ / ٧.

٤ - معجم رجال الحديث: ج ١٥ / ١٥١.

٥ - يقصد أبو الحسن الرضا.

٦ - اختيار معرفة الرجال: ج ١ / ٤٠١.

٧ - معجم رجال الخوئي: ج ١٥ / ١٥٢.

فجاء كلب يريد أن يشغر عليه فذهبت لأطرده، فقال لي ابن أبي يعفور: دعه، فجاءه حتى شغر في أذنه " - أقول أي الخوئي - : هذه الرواية ضعيفة.

وعن حماد الناب قال: جلس أبو بصير على باب أبي عبد الله عليه السلام ليطلب الإذن فلم يؤذن له، فقال: لو كان معنا طبق لأذن، قال: فجاء كلب، فشغر في وجه أبي بصير، قال: أف أف، ما هذا؟ قال جليسه: هذا كلب شغر في وجهك " «^١ ثم إن الخوئي علق في النهاية قائلاً: « المتحصل أن الروايات الدامة لم يتم سندها فلا يعتد بها^٢ ».

وأنت ترى أن الروايات المادحة له أيضاً لم يتم سندها فلا يعتد بها، خاصة وأن الطوسي ذكر أن طريقه إليه مجهول.

٢ - محمد بن أبي عمير^٣

جاء عنه في رجال النجاشي وغيره: « محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى أبو أحمد الأزدي من موالي المهلب بن أبي صفرة وقيل مولى بني أمية. والأول أصح. بغدادي الأصل والمقام، لقي أبا الحسن موسى^٤، وسمع منه أحاديث كناه في بعضها فقال: يا أبا أحمد، وروى عن الرضا: جليل القدر عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين - بحسب كلامه - قال محمد بن مسعود: حدثني علي بن الحسن، قال: ابن أبي عمير أفاقه من يونس بن عبد الرحمن وأصلح وأفضل، يحكي الجاحظ عنه في كتبه وقد ذكره في المفاخرة بين

١ - التهذيب: ج ٧، باب الزيادات في فقه النكاح، الحديث ١٩٥٧، الاستبصار: ج ٣، باب الرجل يتزوج بامرأة ثم علم بعد ما دخل بها أن لها زوجا، الحديث ٦٨٧، رجال النجاشي: ٣٢١، اختيار معرفة الرجال للطوسي وهو ما يعرف برجال الكشي): ج ١ - شرح ص ١١٩ (٥٨٦) ، رجال ابن داود: ١٥٧، معجم رجال الحديث: ج ١٥ / ١٥٥ - ١٥٧، خلاصة الأقوال للحلي: / ٢٣٤ - ٢٣٥.

٢ - معجم رجال الخوئي: ج ١٥ / ١٥٤.

٣ - ذكره في لسان الميزان فقال: « محمد بن أبي عمير عن أبيه حدث عنه بن جريح مجهول. انتهى، وذكره ابن حبان في الثقات ووالده وقال يروي عن أبيه » ج ٣٣١/٥ (١٠٩٥).

٤ - هكذا مكتوبة، ولكن الصحيح أن أبا الحسن لقب الرضا، وأما موسى الكاظم فلقبه أبا إبراهيم.

العدنانية والقحطانية، وقال في البيان والتبيين: حدثني إبراهيم بن داحة عن ابن أبي عمير، وكان وجهاً من وجوه الرافضة^١، وكان حبس في أيام الرشيد فقبل ليدل على مواضع الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر، وروي أنه ضرب أسواطاً بلغت منه، فكاد أن يقر لعظم الأم، فسمع محمد بن يونس بن عبد الرحمن وهو يقول: اتق الله يا محمد بن أبي عمير، فصبر ففرج الله، وروي أنه حبسه المأمون حتى ولاه قضاء بعض البلاد، وقيل: إن أخته دفنت كتبه في حال استتارها وكونه في الحبس أربع سنين فهلكت الكتب، وقيل: بل تركتها في غرفة فسال عليها المطر فهلكت، فحدث من حفظه. ومما كان سلف له في أيدي الناس، فهذا يسكنون إلى مراسيله وقد صنف كتباً كثيرة. أدرك من الأئمة ثلاثة: أبا إبراهيم موسى بن جعفر ولم يرو عنه، وروى عن أبي الحسن الرضا، وعن علي الجواد، مات سنة سبع عشرة ومائتين^٢.

ويعلق الحلبي على ما سبق فيقول: «ما ذكر أولاً - تبعاً للنجاشي - من أنه لقي موسى عليه السلام وسمع منه أحاديث، مناف لما قال الشيخ من أنه لم يرو عن الكاظم عليه السلام، والظاهر أن ما ذكره النجاشي أصح، لأنه روى عن الكاظم عليه السلام^٣.
ثانياً: ما ذكر المصنف عن الكشي بأن ابن أبي عمير أفقه من يونس، يناقض قوله في ذكر تسمية الفقهاء من أصحاب الكاظم والرضا عليهما السلام بان أفقهم يونس^٤.
والكلام عن ابن أبي عمير متضارب، فالبعض يرى أنه ثقة والبعض يرى غير ذلك، بسبب أنه يحدث من حفظه، والصحيح ما ذكره أهل السنة من إنه مجهول.

١ - البيان والتبيين: ٥٩.

٢ - رجال النجاشي: ٣٢٧ (٨٨٧)، اختيار معرفة الرجال: ج٢/ ٨٥، رجال الطوسي: ٣٦٥.

٣ - راجع معجم الرجال: ج١٤/ ٢٨٥.

٤ - راجع: اختيار معرفة الرجال: ج٢/ ٨٣-٨٣١، خلاصة الأقوال: ٢٣٩ - ٢٤٠.

٣. حنان بن سدير^١:

ذكره النجاشي وغيره فقال: «حنان بن سدير بن حكيم بن صهيب أبو الفضل الصيرفي كوفي، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، له كتاب في صفة الجنة والنار. وعمّر حنان عمرا طويلا، وطريق إسماعيل بن مهران عن حنان غير ثبت، وطريق الشيخ إليه ضعيف بابي المفضل وابن بطة»^٢.

وقال الحلبي: «قال الكشي في رجاله: سمعت حمدويه عن أشياخه أن حنان بن سدير واقفي^٣، أدرك أبا عبد الله عليه السلام ولم يدرك أبا جعفر عليه السلام. ولم يصرح النجاشي في رجاله بوثاقته ولا بوقفه. وقال المامقاني في التنقيح: فلا معنى للأخذ بأحد قولي الشيخ وهو التوقف دون الآخر وهو التوثق، فالحق أن الرجل إن لم يثبت وقفه فهو موثق، وإن كان في النفس من وقفه شيء، لاحتمال اشتباهه ببيان المعلوم وقفه»^٤.

١ - ذكر في كتب السنة فقالوا عنه: حنان - بفتح الحاء المهملة و بالتخفيف - بن سدير بن حكيم بن سهيل ابن صهيب الكندي الصيرفي الكوفي، روى عن عمرو بن قيس الملائي وأبيه سدير وآمي الصيرفي ومحمد بن طلحة ابن مصرف، روى عنه محمد بن الجنيد العابد، العلاء بن عمرو الحنفي وعلي بن محمد الطنافسي وعيسى بن سعيد المرادي الرازي ومحمد بن ثواب الهباري، ومن مناكيره: عن حسن بن حسن عن فاطمة أمه عن أبيها مرفوعا: " من شرب شربة فلذ منها لم تقبل له صلاة أربعين يوما وليلة "، الحديث قال الدارقطني - في المؤتلف والمختلف وفي العلل: أنه من شيوخ الشيعة انظر كذلك: الجرح والتعديل: ج ٣/ ٢٩٩ (١٣٣١) - الثقات لابن حبان: ج ٨ / ٢١٩ (١٣٠٩١) - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: ج ١/ ٦٧، لسان الميزان: ج ٢/ ٣٦٧ (١٥١٠).

٢ - رجال النجاشي: ج ١/ ١٤٦ (٣٧٨) ، اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي: ج ٢ / ٨٣٠، الفهرست - الشيخ الطوسي: ١١٩ ، ٣٠٥.

٣ - الواقفة: هم أتباع محمد بن الباقر بن علي زين العابدين وابنه جعفر الصادق، قالوا بإمامتهما وإمامة والدهما زين العابدين إلا أن منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الإمامة إلى أولادهما ومنهم من ساق، وتسمت هذه الفرقة دون الأصناف المنتسبة منها بهذا الاسم لأن من الشيعة من توقف على الباقر وقال برجعته كما توقف القائلون بإمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق. الملل والنحل: ج ١/ ١٦٤ - ١٦٥.

٤ - إيضاح الاشتباه للحلي: ١٦٧ - هامش، وانظر أيضاً: تنقيح المقال: ج ١/ ٣٨١، الخلاصة: ٢١٨، رجال الشيخ الطوسي: ٣٤٦، رجال الكشي: ٥٥٥، رجال النجاشي: ج ١/ ٣٤٣، الفهرست: ١١٩.

وقال غيره: «عدّوه من أصحاب الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام وقالوا: لم يدرك أبا جعفر عليه السلام، ويروي عنه الأجلاء - بزعمه - منهم الحسن بن محبوب وابن أبي عمير وأحمد البنزطي ويونس بن عبدالرحمن وغيرهم، وعدهم المحدث النوري في المستدرك إلى تسعة عشر^١. وروى القمي في تفسيره عن أبيه، عنه، عن أبيه. بعض رواياته المفيدة حسنه وكماله»^٢.

ويذكر الخوئي في معجمه أنه «روى عن أبي جعفر عليه السلام، وروى عنه الحسن بن محبوب»^٣.

أقول - أي الخوئي: مقتضى هذه الرواية: أن حنان بن سدير أدرك أبا جعفر عليه السلام وهو ينافي ما ذكره الكشي أنه لم يدرك أبا جعفر عليه السلام. والصحيح أنه أدركه عليه السلام فإنه روى عنه عليه السلام في عدة موارد من الكتب الأربعة على ما يأتي. ويؤكد ذلك قول النجاشي: أنه عمر عمرا طويلا، فإن هذا الكلام إنما يطلق على من زاد عمره على مائة سنة بشيء يعتد به، فلا بد من أن يكون مدركا لأبي جعفر عليه السلام وباقيا إلى زمان الرضا عليه السلام، كما يظهر من كونه واقفاً، وإلا لم يبلغ عمره ذلك المقدار كما هو واضح. هذا ومن المحتمل ولو بعيدا أن يكون مراد الكشي أنه لم يدرك الجواد عليه السلام، فكأنه قال: أدرك الكاظم والرضا عليهما السلام، أدرك أبا عبد الله عليه السلام ولم يدرك الجواد عليه السلام، والله العالم»^٤.

١ - المستدرك: ج ٣ / ٥٩٣.

٢ - مستدركات علم رجال الحديث - الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج ٣ / ٢٩٢ - ٢٩٣ (٥١٣٧).

٣ - كامل الزيارات: الباب ٨، في فضل مسجد الكوفة ومسجد السهلة وثواب ذلك، الحديث ١٢٠.

٤ - معجم رجال الحديث للخوئي: ج ٧ / ٣١٦ - ٣١٧.

٤ . القاسم بن محمد الجوهري:^١

جاء في رجال الطوسي: «القاسم بن محمد الجوهري، مولى تيم الله، كوفي الأصل، روى عن علي بن أبي حمزة وغيره له كتاب، - فذكره ها هنا: من أصحاب الصادق عليه السلام^٢. وذكره أخرى من أصحاب الكاظم عليه السلام^٣ قائلا: « . . . له كتاب واقفي^٤ وثالثة: فيمن لم يرو عنهم عليهم السلام قائلا: « . . . روى عنه الحسين بن سعيد^٥». وقال غيره: «القاسم بن محمد، فهو الجوهري الواقفي، لم يوثق ونقل التوثيق عن الشيخ لم نعلمه^٥، واشتبه الأمر على ابن داود حيث عدّه رجلين وقال: «إن الشيخ ذكر القاسم بن محمد الجوهري في رجال الكاظم عليه السلام وقال: كان واقفياً وذكر في باب من لم يرو عن الأئمة عليهم السلام وروى عنه الحسين بن سعيد، فالظاهر أنه غيره والأخير ثقة^٦».

ثم إن المحقق الخوئي رد على ذلك فقال: «بقي هنا أمور: الأول: أنه لا ينبغي الشك في اتحاد القاسم بن محمد الجوهري، وأما ما ذكره الشيخ في أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام وفيمن لم يرو عنهم عليهم السلام، فهو لا يدل على التغاير، فإن ذلك قد تكرر في كلامه، وقد بينا أن الذي يظهر منه أنه يذكر في أصحاب كل إمام من لقيه وإن لم يكن له رواية عنه عليه السلام^٦، وقد يصرح بذلك، فيقول: أسند عنه، يريد بذلك أنه روى عن الإمام عليه السلام مع الواسطة، ويذكر فيمن لم يرو عنهم عليهم السلام من لم يعاصر المعصوم، أو عاصره وليست له رواية منه بلا واسطة، فبين العنوانين عموم من وجه، وعلى الجملة تصريح الشيخ عند عد القاسم بن محمد الجوهري فيمن لم يرو عنهم عليهم السلام، رواية

١ - لم يذكر في كتب أهل السنة .

٢ - رجال الطوسي: ٢٧٦ رقم ٤٩ .

٣ - المرجع السابق: ٣٥٨ رقم ١ .

٤ - المرجع السابق: ٤٩٠ رقم ٥ .

٥ - رجال ابن داود: ١٥٤ رقم ١٢١٩ .

٦ - المرجع السابق، ونفس الصفحة.

الحسين بن سعيد عنه، وتصريحه في الفهرست بأن الحسين بن سعيد روى كتابه، لا يقيان مجالاً لاحتمال التغير.

الثاني: أن النجاشي ذكر أن القاسم بن محمد الجوهري روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، وهو ينافي عد الشيخ إياه في من لم يرو عنهم عليهم السلام، هذا ولكننا لم نعثر بعد التتبع برواية له عن أبي الحسن موسى عليه السلام.

الثالث: أن الشيخ عد القاسم بن محمد الجوهري من أصحاب الصادق عليه السلام، وأنكر ذلك نصر بن الصباح^١، وقد أخذ عنه العلامة فقال " القاسم بن محمد الجوهري، من أصحاب أبي الحسن الكاظم عليه السلام، واقفي، لم يلق أبا عبد الله عليه السلام " (انتهى)^٢.

أقول - أي الخوئي - : قول نصر بن الصباح، لا يعتد به، فلا معارض لما ذكره الشيخ - أهكذا من غير حجة ولا دليل - بقي هنا شيء: وهو أن محمد بن يعقوب روى عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن أبي عبد الله عليه السلام في الكافي: "باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية"^٣، ولأجل ذلك يورد علي

١ - قال الطوسي: "نصر بن الصباح يكنى أبا القاسم، - وهو علي بن إسماعيل، وقيل ابن السري، وقيل علي بن إسماعيل السندي -، من أهل بلخ، لقي جلة من كان في عصره من المشايخ والعلماء وروى عنهم، إلا أنه كان من الطيارة غال"، رجال الطوسي: ٤٩٤ (٦٣٨٥)، ولم ينفرد الطوسي بوصفه بالغلو ولكن أيده في ذلك النجاشي أيضاً، واختلف في حاله بين الثقة والحسن والضعف والغلو، إلا أنه مع هذا كان معتمد الكشي في الجرح والتعديل في كتابه الرجال، أما الحلبي والخوئي فليس بمعتمد عندهم، يقول الحلبي: "نصر بن الصباح ضعيف عندي لا اعتبر بقوله" خلاصة الأقوال: ١٨١ (٥٣٩) ويرى الخوئي أنه لا اعتماد على قول نصر بن الصباح، معجم رجال الحديث: ج ١٣/ ٥٠ (٨١٩٥).

٢ - خلاصة الأقوال للحلي: القسم الثاني: حرف القاف في (١) من الباب (١) .

٣ - الكافي: ج ١/ ٤٣٠ (٨٧) - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ويستنبئونك أحق هو " قال: هو ما تقول في علي " قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين " يونس ٥٤، قال المجلسي: ضعيف، مرآة العقول: ج ٥/ ١٢٢. لاحظ الاختلاف بين ما يريد أن يثبتته الخوئي من أن القاسم بن محمد لقي أبو عبد الله وروى عنه، وبين ما ذكره نصر بن الصباح من كونه لم يروي عنه وبين ما هو مذكور في الرواية التي أتى بها الخوئي كشاهد له، تجد أنه روى عن بعض أصحابه وليس عنه مباشرة، فإذا الأمر كما ذكره نصر بن الصباح ونفاه الخوئي تبعاً لهواه ولا حجة عليه، والله أعلم .

الشيخ حيث عد الرجل فيمن لم يرو عنهم عليهم السلام، ولكن الصحيح أن هذا لم يثبت، فإن في النسخة الأخرى الموافقة لنسخة مرآة العقول، والطبعة القديمة، والوافي، رواية ذلك عن القاسم بن محمد الجوهري، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام.

الرابع ذكر الأردبيلي^١ في جامعه: "الذي يظهر لنا أن يكون القاسم بن محمد الأصفهاني، والقاسم بن محمد الجوهري، والقاسم بن محمد القمي، متحدا لا شراكتهم في الراوي والمروي عنه على ما يظهر بأدنى تأمل في ترجمتهم، والله أعلم" (انتهى)^٢.

أقول - أي الخوئي أيضاً - : أما اتحاد القاسم بن محمد الأصفهاني، والقاسم بن محمد القمي، فلا ريب فيه ولا إشكال، وأما اتحاده مع القاسم بن محمد الجوهري فهو باطل جزماً، ويدل على ذلك :

أولاً: أن النجاشي والشيخ عنونا كلا منهما مستقلاً، وهو آية التعدد.

وثانياً: أن راوي كتاب القاسم بن محمد الأصفهاني، هو أحمد ابن أبي عبد الله البرقي، وراوي كتاب القاسم بن محمد الجوهري، الحسين بن سعيد ومحمد بن خالد البرقي، والراوي عن الأول أحمد بن محمد بن عيسى، وعن الثاني ابنه أحمد، فهما ليسا في طبقة واحدة، والجوهري من أصحاب الصادق عليه السلام، والظاهر أنه لم يدرك الرضا عليه السلام، فكيف يروي عنه أحمد بن أبي عبد الله كتابه، وهو توفي حدود سنة (٢٨٠)»^٣.

فأنت ترى من خلال هذه الأقوال أن الرجل مختلف فيه:

١ - هو: محمد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري، أصله من "أردبيل" بإيران. عالم بالتراجم إمامي، سكن بالنجف وكربلاء طول حياته إلا بعض أسفاره إلى إيران وبقائه مدة بأصبهان للاستفادة من دروس علمائها.

ولد نحو سنة ١٠٥٨ أو ١١٠٠، قرأ على المجلسي كثيراً من العلوم الدينية، كتب الأخبار، فأجازته بإجازة مبسطة في سنة ١٠٩٨. وتعلم أيضاً على الشيخ جعفر بن عبد الله القاضي الكمرئي، له كتاب "جامع الرواة الذي صنفه في خمس وعشرين سنة، رتب فيه أسماء الرواة وأسماء آبائهم على الحروف، وبعد تمام حرف الياء ذكر الكنى مرتبة، ثم الالقب كذلك." و"تصحيح الأسانيد". توفي في شهر ذي القعدة سنة ١١٠١ بكربلاء. من كتابه جامع الرواة:

ج ١/ ٨٥، ١٥٣، الأعلام للزركلي: ج ٦/ ٢٩٤ - ٢٩٥.

٢ - جامع الرواة للأردبيلي: ج ٢/ ٢١.

٣ - معجم رجال الخوئي: ج ١٥/ ٥١ - ٥٤.

أولاً: من ناحية توثيقه من عدمه، فطالما ليس هناك ما يدل على توثيقه فهو ليس ثقة، ولا عكس.

ثانياً: من ناحية معاصرته للأئمة فالبعض يرى أنه معاصر للإمام الصادق والبعض ينكر والبعض يرى أنه معاصر لموسى الكاظم، ولا دليل، وبالتالي لا دليل ثابت في النقل عنهم.

الثالث: أنه مختلف في اسمه بين ثلاثة أسماء، وربما اختلط على الراوية في ذلك فنسبوا بعض الروايات إليه، أو نسبوا بعض رواياته إلى غيره وبالتالي فلا أمر ليس محققاً مجزوماً به، وهذا دليل قوي على عدم جواز قبول رواياته.

٥. محمد بن الفضيل^١:

نصت كتب رجال الشيعة على: أن محمد بن الفضيل بن كثير الصيرفي، هو الأزدي أبو جعفر الأزرق^٢، وعدّوه في أصحاب الرضا عليه السلام، وفي أصحاب الصادق عليه السلام^٣ والكاظم، واستضعفوه ورموه بالغلو. لكن ينقل عنهم أنه استفاد حسنه وكماله ودفع الرمي عنه - على رأيهم - من مكاتبتة إلى أبي جعفر الجواد عليه السلام "٤-٥"

ويقول الخوئي في معجمه: « وطريق الصدوق إليه - أي إلى أبا حمزة الشمالي - : أبوه، عن سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن هاشم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة ثابت بن دينار الشمالي. والطريق صحيح، من غير جهة محمد بن الفضيل، وأما هو فإن كان المراد به الصيرفي الأزدي، فالطريق ضعيف، وإن كان

١ - لم يذكر في كتب السنة.

٢ - رجال الطوسي: ٣٨٩ (٣٥)، رجال البرقي: ٢٠، رجال النجاشي: ٣٦٧ (٩٩٥)، رجال ابن داود: ١٨١ (١٤٨١).

٣ - رجال الطوسي: ٢٩٧ (٢٨٣)، سماء المقال في علم الرجال: ج ١ - هامش ٥٤٨.

٤ - مستدركات علم رجال الحديث - علي النمازي الشاهرودي - : ج ٧ / ٢٨٨ (١٤٢٩٩).

٥ - ولا أدري كيف يدفع عنه الضعف والغلو لمجرد مكاتبتة هو للجواد - على حد زعمهم - فهذا أيضاً غير ثابت .

المراد به محمد بن القاسم بن الفضيل، فالطريق صحيح، وبما أنهما في طبقة واحدة، فالطريق متردد بين الضعيف والصحيح. فمحمد بن الفضيل مشترك بين الثقة وغيره^١.
 « وروي عن أبي حمزة، وروى عنه محمد بن علي. تفسير القمي: سورة الأنعام، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُومُوا فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الأنعام: ٣٩. وقع بهذا العنوان في إسناد كثير من الروايات، تبلغ ثلاثمائة وتسعين موردا^٢.
 ثم إن الخوئي يحاول أن يؤكد على أن محمد بن الفضيل الأزدي رجل واحد، أدرك الصادق، والكاظم والرضا.

فيقول: «صريح هذا الكلام - أي الكلام السابق للطوسي وغيره - أن من يروي عن الكاظم، والرضا عليهما السلام رجل واحد، كما أن صريحه أن الموصوف بالأزرق إنما هو هذا الرجل، وعليه فيتحد ما ذكره النجاشي مع ما ذكره الشيخ في الفهرست، حيث قال: "محمد بن الفضيل الأزرق: له كتاب أخبرنا به ابن أبي جيد، عن محمد بن الحسن، عن سعد، والحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، وأحمد بن أبي عبد الله، عن علي بن الحكم، عنه"^٣. وقال ابن داود: "محمد بن الفضيل بن كثير الأزدي الرقي، أبو جعفر الأزرق... انتهى».

أقول - أي الخوئي - : إن كلامه صريح في الاتحاد.

ثم يقول: بقي هنا أمور: الأول: أن ما ذكره الشيخ من أن محمد بن الفضيل من أصحاب الصادق، والكاظم، والرضا عليهم السلام، يصدقه ما في الروايات، فإنه قد روى عنهم عليهم السلام في عدة موارد، نذكر بعضها: فقد روى محمد بن يعقوب بإسناده، عن

١ - معجم رجال الخوئي: ج ٤/٢٩٩.

٢ - السابق: ج ١٨/١٤٦.

٣ - الفهرست للطوسي: (٦٣٣).

علي بن المنذر الزبال، عن محمد بن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام، باب فضل شراء الخنطة والطعام.^١

روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام (الجواد) أيضاً، فقد روى الكليني بسند صحيح!!، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، باب القول عند الإصباح والإمساء.^٢

الأمر الثاني: أن محمد بن الفضيل وقع في إسناد كامل الزيارات، روى عن إسحاق بن عمار، وروى عنه الحسن بن علي بن أبي عثمان، باب في زيارة الملائكة الحسين بن علي عليه السلام!!^٣، وقد عد الشيخ المفيد في رسالته العددية محمد بن الفضيل، من الفقهاء والرؤساء الأعلام!!، الذين يؤخذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام!!، ولا يطعن عليهم بشيء!!، ولا طريق لدم واحد منهم!!^٤، إلا أن ذلك معارض بما عرفت من تضعيف الشيخ إياه، إذا لم تثبت وثاقة الرجل فلا يعتمد على روايته .

الأمر الثالث: أن محمد بن الفضل الصيرفي، قد عرفت روايته عن الرضا عليه السلام، فهو معاصر مع محمد بن القاسم بن الفضيل الآتي^٥، وقد اشتركا في عدة من الرواة عنهما،

١ - الكافي: ج ٥ / ١٦٧، ٢ - محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، عن علي بن المنذر الزبال، عن محمد بن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان عندك درهم فاشتر به الخنطة فإن الحق في الدقيق. كتاب المعيشة، باب فضل شراء الخنطة والطعام، قال المجلسي في مرآة العقول: ضعيف، ج ١٩ / ١٥٨.

٢ - الكافي: ج ٢ / ٥٣٤، ٣٦ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضيل قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أسأله أن يعلمني دعاء فكتب إلي: تقول إذا أصبحت وأمسيت: " الله الله ربي الرحمن الرحيم لا أشرك به شيئاً " وإن زدت على ذلك فهو خير، ثم تدعو بما بدا لك في حاجتك فهو لكل شئ بإذن الله تعالى يفعل الله ما يشاء. كتاب الدعاء، باب القول عند الإصباح والإمساء. قال المجلسي: مجهول وإن أمكن أن يكون محمد بن الفضيل هو: محمد بن القاسم بن الفضيل الثقة، فالخير صحيح. مرآة العقول: ج ١٢ / ٢٨٧.

٣ - كامل الزيارات: ٢٢٤-٢٢٥، الباب (٣)٣٩.

٤ - هكذا يقول، دون أن يذكر من أين اكتسب كل هذه الأمور مع أن الرجل ليس بثقة أصلاً .

٥ - لم يذكر طريقه إلى الرضا، غير أنه معاصر لشخص آخر يدعى: محمد بن القاسم بن الفضيل!

٦ - أراد محمد بن القاسم بن الفضيل، وهو رجل آخر غير من نتكلم عنه.

وفيمن يرويان عنه، ولأجل ذلك جزم الأردبيلي في جامعه، بأن محمد بن الفضيل الذي وقع في إسناد هذه الروايات، هو محمد بن القاسم بن الفضيل الثقة، وأن إطلاق ابن الفضيل عليه من باب الإسناد إلى الجحد، وهذا الذي ذكره وإن كان محتملاً كما ذكره المجلسي في الوجيزة، إلا أن الجزم به في غير محله، فإن محمد بن الفضيل الأزدي الصيرفي هو رجل معروف ذو كتاب، وله روايات كثيرة، فإطلاق محمد بن الفضيل، وإرادة محمد ابن القاسم بن الفضيل، من دون قرينة إطلاق على خلاف قانون المحاورة، فلا يصار إليه»^١.

ثم ختم كلامه عنه فقال: «وكيف كان، فطريق الشيخ إليه صحيح، وإن كان فيه ابن أبي جيد، فإنه ثقة على الأظهر!!»^٢.

وأنت كما ترى فكل هذه التراجم ملفقة غير مجدية والحاصل فيها أن كل رجالهم ثقات حتى لو نص على ضعفهم، أو اشتراك مسمياتهم، أو عدم اتصال طرقهم إلى أئمتهم، فالكل ثقة ولا يطعن عليهم بشيء، هكذا يفترون.

١ - معجم رجال الحديث: ج ١٨ / ١٥٠ - ١٥٣.

٢ - المرجع السابق: ج ١٨ / ١٥٤.

٦. حماد بن عيسى^١ :

ذكر النجاشي حماد بن عيسى فقال: «كان ثقة في حديثه، صدوقا، قيل إنه روى عن أبي عبد الله عليه السلام عشرين حديثا وأبي الحسن والرضا عليهما السلام ومات في حياة أبي جعفر الثاني عليه السلام ولم يحفظ عنه رواية عن الرضا ولا عن أبي جعفر عليهما السلام»^٢.
له كتب^٣، عد في أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام^٤، ثم ذكروا إنه قد يغلط جماعة، في الإسناد من إبراهيم بن هاشم إلى حماد بن عيسى، فيتوهمونه حماد بن عثمان، وهو غلط، فإن إبراهيم بن هاشم لم يلق حماد بن عثمان، بل حماد بن عيسى^٥.

-
- ١ - ذكر في كتب السنة فقالوا عنه: حماد بن عيسى بن عبيدة بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة الجهني الواسطي، وقيل البصري. ويقال له غريق الجحفة، لأنه حجَّ فغرق في سيل بوادي الجحفة سنة ثمان ومائتين. وله نيف وتسعون سنة. محدث، فقيه. روى له الترمذي وابن ماجه. ضعفه أبو داود وأبو حاتم، والدارقطني، ولم يتركه وابن ماكولا، وابن الجوزي، والذهبي، وابن حجر، وهو بين الأمر في الضعفاء.
- ترجم له الحاكم فقال: " دجال يروي أحاديث موضوعة، وقال ابن حبان في " المجروحين " : يروي عن ابن جريج وعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أشياء مقلوبة تتخايل إلى من هذا الشأن صناعته أنها معمولية، لا يجوز الاحتجاج به " ، وقال بن معين شيخ صالح روى عن جعفر بن محمد وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي، وسفيان الثوري، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، ومعمر بن راشد، وموسى بن عبيدة الزبيدي أحاديث مناكير، له كتاب النوادر، كتاب الزكاة، كتاب الصلاة، ومنافع الأعضاء من الإنسان والحيوان. انظر: الوافي بالوفيات: ج ٤/ ٣١٨، كتاب الضعفاء: ج ١/ ٧٤، معجم المؤلفين: ج ٤/ ٧٣، من له رواية في الكتب الستة: ج ١/ ٣٥٠، ميزان الاعتدال: ج ١/ ٥٩٨، تهذيب الكمال للمزي: ج ٧/ ٢٨١، موسوعة أقوال الدارقطني: ج ١١/ ٢٨٤، المؤلف والمختلف: ج ٣/ ١٥١٥، الجرح والتعديل: ج ٣/ ١٤٥، المجروحين: ج ١/ ٢٥٣، تهذيب التهذيب: ج ٣/ ١٦.
- ٢ - رجال النجاشي: ١٤٢ رقم ٣٧٠، الخلاصة: ٥٦ رقم ٢.
- ٣ - الفهرست: ٦١ رقم ٢٣١.
- ٤ - رجال الطوسي: ١٧٤ رقم ١٥٢ و ٣٤٦ رقم ١.
- ٥ - سماء المقال في علم الرجال: ج ١/ ٢٦٥.

٧. أبان بن عثمان^١:

هو: أبان بن عثمان الأحمر البجلي مولاهم، أصله كوفي، كان يسكنها تارة والبصرة تارة وقد أخذ عنه أهلها: أبو عبيدة معمر بن المثنى^٢ وأبو عبدالله محمد بن

١ - ذكر في كتب السنة فقالوا هو: أبان بن عثمان الأحمر كوفي يروى عن أبان بن تغلب. روى عنه أهل الكوفة يخطئ وبهم، تكلم فيه، ولم يترك بالكلية. وأما العقيلي فاتهمه. وقال ابن حجر في اللسان: "ولم أر في كلام العقيلي ذلك، وإنما ترجم له وساق من طريق احمد بن محمد بن أبي نصر السكوني عنه عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن بن عباس حدثني علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ: عرض نفسه على قبائل العرب الحديث بطوله قال العقيلي: "ليس له أصل ولا يروى من وجه يثبت إلا شيء يروى في مغازي الواقدي وغيره مرسلًا"، وقال الأزدي لا يصح حديثه وقال ياقوت في معجم الأدباء: أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤي البجلي مولاهم يكنى أبا عبد الله ذكره الطوسي في مصنفه الإمامية وكان أصله من الكوفة وتردد إلى البصرة وأخذ عنه أبو عبيدة ومحمد ابن سلام وأكثر عنه في طبقات الشعراء ولم يعرف من مصنفاته إلا كتابه الكبير في المبتدأ والبعث والمغازي والوفاة والردة، وكان أدبياً عالماً بالأنساب، وذكره الطوسي في رجال الشيعة وقال حمل عن جعفر بن محمد وموسى بن جعفر، وقال محمد بن أبي عمير كان أبان من احفظ الناس بحيث انه يرى كتابه فلا يزيد حرفاً على رأس المائتين، انظر: ميزان الاعتدال: ج ١/١٠، ضعفاء العقيلي: ج ١/٣٧، ثقات ابن حبان: ج ٨/١٣١، لسان الميزان: ج ١/٢٤، معجم الأدباء: ج ١/٩.

٢ - هو: معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي البصري، النحوي اللغوي مولى بني عبيد الله بن معمر التيمي تيم بن مرة بن كعب، ولد في سنة عشر ومئة، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري، حدث عن: هشام بن عروة، ورؤبة بن العجاج، وأبي عمرو بن العلاء وطائفة، ولم يكن صاحب حديث، حدث عنه: علي بن المديني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عثمان المازني، وعمر بن شبة، وعلي بن المغيرة الاثرم، وأبو العيلاء وعدة حدث ببغداد بجملة من تصانيفه، وقال يعقوب بن شيبة: سمعت علي بن المديني ذكر أبا عبيدة، فأحسن ذكره، وصحح روايته، وقال: كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء الصحيح، وقال يحيى بن معين: ليس به بأس، قال المبرد: كان هو والأصمعي متقاربين في النحو، وكان أبو عبيدة أكمل القوم، وكان لا يقيم البيت إذا أنشده، ويخطئ إذا قرأ القرآن نظراً، قال الحافظ لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة قدم بغداد أيام الرشيد وقرأ عليه بما بعض كتبه وله كتاب في مثالب العرب وكتاب في مثالب أهل البصرة ويقال إن أباه كان يهودياً، مات سنة ثمان ومئتين وعمره ثمان وتسعون سنة. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ج ١/٢٦، سير أعلام النبلاء: ج ٩/٤٤٥ - ٤٤٧.

سلام^١، وأكثرها الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام، روي عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، له كتاب حسن كبير يجمع المبتدأ والمغازي والوفاة والسقيفة والردة^٢، وكان أبان بن عثمان من الناووسية^٣، قال الكشي: « إن العصابة أجمعت على تصحيح ما يصح عن أبان بن عثمان والإقرار له بالفقه^٤ والأقرب عندي قبول روايته، وإن كان فاسد المذهب للإجماع المذكور، وقال بن داود: « قد ذكر أصحابنا أنه كان ناووسياً فهو بالضعفاء أجدر لكن ذكرته هنا لثناء الكشي عليه وإحالة على الإجماع المذكور^٥ ».

١- هو: محمد بن سلام العلامة، أبو عبد الله الجمحي، وولاهم لقدماء بن مطعون، كان عالماً أخبارياً، أديباً بارعاً، حدث عن: مبارك بن فضالة، وحماد بن سلمة، وأبي عوانة، وطبقتهم، حدث عنه: أحمد بن زهير، وثعلب، وأحمد بن علي الآبار، وعبد الله بن أحمد، وأبو خليفة، وغيرهم، صنف كتاب "طبقات الشعراء" وتوفي سنة اثنتين وثلاثين، وعاش نيفاً وتسعين سنة، سير أعلام النبلاء: ج ١٠/١٠٥١ - ٦٥٢.

٢ - رجال النجاشي: ١٣ (٨)، الفهرست: ٥٩ - خلاصة الأقوال: ٧٤.

٣ - الناووسية: وهم الذين قالوا إن جعفر بن محمد عليهما السلام حيّ لم يموت ولا يموت حتى يظهر ويولي أمور الناس، وأنه هو المهدي وزعموا أنهم رووا عنه أنه قال: "إن رأيتم رأسي قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه، فإنني أنا صاحبكم" وأنه قال لهم: "إن جاءكم من يخبركم عني أنه غسلني وكفني فلا تصدقوه، فإنني صاحبكم" وهذه الفرقة تسمى الناووسية، وسميت بذلك لرئيس لهم من أهل البصرة يقال له فلان بن فلان الناووس، وقال عبد القاهر: هم أتباع رجل من أهل البصرة كان ينتسب إلى "ناووس" بها وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق بنصّ الباقر عليه وأنه المهدي المنتظر.

وقال الشهرستاني قريباً منه؛ غير أنه قال: «هم أتباع رجل يقال له ناووس». انظر: فرق الشيعة: ٧٨. الفرق بين الفرق: ٦١، الملل والنحل: ج ١/١٦٦.

٤ - رجال الكشي: ٣٥٢، الرقم: ٦٦٠ - ٢ - عنونه الشيخ في رجاله: ٢٢، الرقم: ١٣.

٥ - أثنى عليه الكشي في عنوان: تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبد الله الصادق عليه السلام، رجال ابن داود: ٣٠.

ثانياً: مشايخ القمي الذين رووا عن الكاظم والرضا ومنهم :

١ - الحسن بن محبوب السراد الكوفي^٢:

يقول علماء الشيعة: الحسن بن محبوب، هو: ابن وهب بن جعفر بن وهب، وكان وهب عبداً سندياً مملوكاً لجرير بن عبد الله البجلي وكان زرادا فصار إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وسأله أن يبتاعه من جرير، فكره جرير أن يخرج من يده، فقال: الغلام حر قد أعتقته فلما صح عتقه صار في خدمة أمير المؤمنين عليه السلام، ومات الحسن بن محبوب في آخر سنة أربع وعشرين ومئتين، وكان من أبناء خمس وسبعين سنة، وكان آدم شديد الأدمة أنزع سناً خفيف العارضين ربعة من الرجال يجمع من وركه الأيمن.

وعن أحمد بن علي القمي السلوي، قال: حدثني الحسن بن خرزاد، عن الحسن بن علي بن النعمان، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إن الحسن بن محبوب الزراد أتانا عنك برسالة، قال: صدق، لا تقل الزراد، بل قل السراد إن الله تعالى يقول: ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ سبأ: ١١، قال نصر بن الصباح: ابن محبوب لم يكن يروي عن ابن فضال، بل هو أقدم من ابن فضال وأسن، وأصحابنا يتهمون ابن محبوب

١ - السراد : يقال: سَرَدَ الشيء سَرْدًا وسَرَدَهُ وأسَرَدَهُ ثقبه والسَّرَادُ والمِسْرَدُ المُثَقَّبُ والمِسْرَدُ اللسان والمِسْرَدُ النعل المخصوصة اللسان والسَّرْدُ الخُرُّ في الأديم والتَّشْرِيدُ مثله، والزَّرَادُ: هو السَّرَادُ، وقيل السراد: صانع الخلق. انظر: لسان العرب: ج٣/ ٢١١ - المعجم الوسيط: ج١/ ٨٨٣. معجم مقاييس اللغة: ج٣/ ١٢٣.

٢ - ذكر في كتب السنة فقالوا: الحسن بن محبوب بن وهب بن جعفر ابن وهب السراد، أو الزارد، أبو علي: البجلي مولاهم فقيه إمامي. (١٤٩ - ٢٢٤هـ) من أهل الكوفة. له كتب، من تصانيفه: علل الحديث، البلدان، فضائل القرآن، التاريخ، (النوادر) نحو ألف ورقة، و(التفسير) و(الفرائض) و(المشيخة) و(الحدود) ، روى عن جعفر الصادق رحمه الله تعالى والحسن بن صالح بن حي وجعفر بن سالم وحنان بن سدير وصالح بن زرارة وعبادة بن صهيب في آخرين روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى ومعاوية بن حكيم ويونس بن علي العطار ومحمد بن سيرين وابن أبي الخطاب وآخرون انظر: لسان الميزان: ج٢/ ٢٤٨ الفهرست لابن النديم: ٢٢١، الأعلام للزركلي: ج٢/ ٢١٢، معجم المؤلفين: ج٣/ ٢٧٣.

في روايته عن ابن أبي حمزة، وسمعت أصحابنا يقولون أن محبوباً أبا حسن كان يعطي الحسن بكل حديث يكتبه عن علي بن رئاب درهما واحداً.

هو: كوفي، ثقة. روى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، وروى عن ستين رجلاً من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، وكان جليل القدر، ويعد في الأركان الأربعة في عصره وله كتب كثيرة، منها: كتاب المشيخة، كتاب الحدود، كتاب الديات، كتاب الفرائض، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، كتاب النوادر نحو ألف ورقة، وزاد ابن النديم كتاب التفسير، كتاب العتق، رواهما أحمد بن محمد بن عيسى وغير ذلك^١

٢ - صفوان بن يحيى البجلي^٢ :

قال النجاشي: «صفوان بن يحيى أبو محمد البجلي يباع السابري^٣، كوفي، ثقة ثقة، عين. روى أبوه عن أبي عبد الله عليه السلام، وروى هو عن الرضا عليه السلام، وكانت له عنده منزلة شريفة، ذكره الكشي في رجال أبي الحسن موسى عليه السلام، وقد توكل للرضا وأبي جعفر عليهما السلام، وسلم مذهبه من الوقف، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة،

١ - اختيار معرفة الرجال: ج ٢/ ٨٥١، الفهرست: ٩٦ - ٩٧، رجال الطوسي: ٣٣٤ (٤٩٧٨)، خلاصة الأقوال: ٩٧، أعيان الشيعة: ج ٢٣/ ٥١ - ٥٧.

٢ - لم يذكر في كتب السنة، غير ما ذكره الزركلي من أنه توفي ٢١٠ هـ، الأعلام: ج ٢/ ٤٣.

٣ - السابري: "كل رقيق سابري ومنه المثل "عرض سابري" أي رقيق ليس بمحقق. يقوله: من يعرض عليه الشيء عرضاً لا يبالغ فيه لأنه أي السابري من أجود الثياب يُرْعَب فيه بأدنى عرض. قال الشاعر:
بمنزلة لا يشتكي السِّلَّ أهلها ... وعيش كمثل السابري رقيق
والأصل فيه الدُّورع السابريَّة منسوبة إلى سابور .

والسابريُّ: تَمَّرٌ جيِّدٌ طيِّبٌ. يقال: أجودُ تمر الكوفة الترسبان والسابريُّ. والسابريُّ: دُرْعٌ دقيقة النَّسجِ في إحكام صنعة منسوبة إلى الملك سابور، قيل نسبة إلى (سابور) كورة من كور فارس ومدينتها شهرستان".

انظر: لسان العرب: ج ٤/ ٣٤٠ - تاج العروس: ج ١/ ٢٩١٨ - المصباح المنير: ج ١/ ٢٦٣ - المعجم الوسيط: ج ١/ ٨٥٧.

وكان من الورع والعبادة على ما لم يكن عليه أحد من طبقته رحمه الله. وصنف ثلاثين كتاباً، كما ذكر أصحابنا. يعرف منها الآن: كتاب الوضوء، كتاب الصلاة، كتاب الصوم، كتاب الحج، كتاب الزكاة، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، كتاب الفرائض، كتاب الوصايا، كتاب الشراء والبيع، كتاب العتق والتدبير، كتاب البشارات والنوادر.

أخبرنا علي بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن الحسن عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الزيات، عن صفوان بسائر كتبه. مات صفوان بن يحيى رحمه الله سنة عشر ومائتين^١.

قال الطوسي: «وكان يصلي كل يوم وليلة خمسين ومائة ركعة، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر، ويخرج زكاة ماله في كل سنة ثلاث مرات، وذلك أنه اشترك هو وعبدالله بن جندب وعلي بن النعمان في بيت الله الحرام، فتعاقدوا جميعاً إن مات واحد منهم يصلي من بقي بعده صلواته ويصوم عنه ويحج عنه ويذكي عنه ما دام حياً^٢، فمات صاحبه وبقي صفوان بعدهما، وكان يفي لهما بذلك، كان يصلي عنهما و يصوم عنهما ويحج عنهما ويذكي عنهما، وكل شيء من البر والصلاح يفعله لنفسه كذلك يفعل عن صاحبه. وقال له بعض جيرانه من أهل الكوفة - وهو بمكة -: يا أبا محمد احمل لي إلى المنزل دينارين، فقال له: إن جمالي مكررة قف حتى استأمر فيه جمالي. وروى عن أبي

١ - رجال النجاشي: ١٩٧ - ١٩٨ .

٢ - بئست البدعة هذه أين ذلك من قول النبي ﷺ: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " صحيح ابن حبان: كتاب الجنائز، باب المريض وما يتعلق به: ج ٧ / ٢٨٦ (٣٠١٦)، سنن النسائي: كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة على الميت: ج ٦ / ٢٥١ (٣٦٥١)، سنن الترمذي: كتاب الأحكام، باب الوقف: ج ٣ / ٦٦٠ (١٣٧٦)، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وفي صحيح مسلم: «إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا»: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب كراهية تمني الموت لضر نزل به: ج ٨ / ٦٥ (٦٩٩٥)، مسند أحمد بن حنبل: ج ٢ / ٣١٦ (٨١٧٤) مسند أبي هريرة ؓ.

الحسن الرضا وأبي جعفر عليه السلام، وروى عن أربعين رجلاً من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام»^١
وذكروا أن أبا عمرو الكشي قال:

« أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن صفوان بن يحيى بياع السابري
والإقرار له بالفقه»^٢ و ذكر النجاشي والحر العاملي، أنه كان واقفياً ثم رجع^٣.

وقال محمد الأردبيلي: «مذهبه من الوقف وجماعة من الواقفة بذلوا له مالاً كثيراً
وكانت له منزلة من الزهد»^٤.

وفي رجال الكشي: عن محمد بن إسماعيل بن بزيع «أن أبا جعفر كان يخبرني بلعن
صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان، فقال: إنهما خالفاً أمري قال: فلما كان من قابل
قال: أبو جعفر لمحمد بن سهل تول صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان فقد رضيت عنهما
...!!»^٥.

ويعلق الخوئي على هذه الرواية قائلاً: « لا بد من حمل هذه الرواية على التقية^٦
ونحوها كما حملنا الروايات الواردة في ذم زرارة...»^٧.

١ - الفهرست: ١٤٥ - ١٤٦.

٢ - خلاصة الأقوال: ١٧٠.

٣ - رجال النجاشي: ١٣٩، خاتمة الوسائل: ٢١٨.

٤ - جامع الرواة: ج ١ / ٤١٣.

٥ - رجال الكشي: ٤٢٤، تنقيح المقال: ج ٢ / ١٠٠، ولا يستبعد أن يكون رضاه عنهم زيادة مختلقة من بعض
الشيعة فهم يتفننون في صنع الكذب واختلاق الروايات.

٦ - كما هو ديدنه إذا استعصى عليه الأمر فر إلى إدعاء التقية.

٧ - معجم رجال الحديث: ج ٩ / ١٣٢.

٣- النضر بن سويد^١

قال النجاشي: «نضر بن السويد الصيرفي: كوفي، ثقة، صحيح الحديث، انتقل إلى بغداد له كتاب نوادر رواها عنه جماعة. أخبرنا أبو عبدالله بن شاذان، قال: حدثنا علي بن حاتم، قال: حدثنا الحميري، عن أبيه، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن أبيه، عن نضر بن سويد، بكتابه»^٢ وعده الطوسي في رجاله من أصحاب الكاظم^٣.

ويعلق الخوئي على ما ذكره النجاشي بقوله: «بقي هنا شيء: وهو أن النجاشي ذكر في طريقه إلى كتاب نضر رواية محمد بن عيسى بن عبيد، عن أبيه، عنه. ولكن الشيخ - يقصد الطوسي - ذكر رواية محمد بن عيسى عنه بلا واسطة، والظاهر أن ما ذكره الشيخ هو الصحيح، لتأييده بما ذكره الصدوق في المشيخة^٤، ويؤكد ذلك أن عيسى بن عبيد لم نظفر له له برواية، لا عن النضر بن سويد، ولا عن غيره، ولم يرو عنه ابنه محمد بن عيسى ولا غيره، فالظاهر أنه ليس من الرواة»^٥.

وقال أيضاً: «وروى عن عمرو بن شمر، وروى عنه إبراهيم بن هاشم. تفسير القمي: سورة الفاتحة، في تفسير قوله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم). وطريق الصدوق إليه: محمد بن الحسن عليه السلام، عن محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن نضر بن سويد، والطريق كطريق الشيخ إليه صحيح»^٦.

١ - ذكره ابن حجر في اللسان عند ذكره لبشر الكتاني فقال: «بشير الكتاني ذكره أبو عمرو الكشي في رجال الشيعة من الرواة عن جعفر الصادق عليه السلام، ومن مناكيره ما رواه النضر بن سويد عن يحيى بن عمران عنه عن جعفر في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ العنكبوت: ٨ قال: الرسول صلى الله عليه وآله أحد الوالدين فقال له محمد بن عجلان فمن الآخر قال علي» لسان الميزان: ج ٢/٤٠.

٢ - رجال النجاشي: ٤٢٧ (١١٤٧)، وذكره نصر بن سويد الصيرفي بدلاً من نضر، وانظر أيضاً في: خلاصة الأقوال - العلامة الحلي: ٢٨٣، الفهرست: ٢٥٤ (٧٧٢)، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٨ / ٧٥ (١٥٥٨٠).

٣ - رجال الطوسي: ٣٤٥ (٥١٤٧).

٤ - الفهرست: ٣٣٦ (٧٧٢).

٥ - معجم رجال الحديث: ج ٢٠ / ١٦٦ - ١٦٧ (١٣٠٧٤).

٦ - المرجع السابق، ونفس الصفحة.

ومن الملاحظ على ما سبق أن القمي اعتمد في رواياته على رجال وثقهم هو في مقدمته - حتى في حالة لم تثبت المقدمة له فقد وثق الرجال في بعض كتب الشيعة كما ترى - وهم في الحقيقة كذابون وضّاعون، دجالون، أو مجاهيل، ولم تثبت في الحقيقة عدالتهم في كتب السنة أو حتى في كتب الشيعة، ورغم ذلك قد أكثر القمي من النقل عنهم في كتابه، بل واعتمد على رواياتهم في تفسيره مع عدم ثبوت شرط العدالة فيهم، لأن الشيعة لا تعرف هذا الشرط بله أن تعمل به.

فهذا يعني أن روايات الشيعة المنسوبة لأئمة أهل البيت أغلبها مكذوبة عليهم لأن رواياتهم لا يتوفر فيهم شرط العدالة، وأن من ألفها من علماء الشيعة كانوا يروون عن الكذابين والضعفاء والمجاهيل، ونجد الدليل على ذلك عند الحر العاملي حين يقول: «ومثله يأتي في رواية الثقات؛ الأجلة - كأصحاب الإجماع، ونحوهم - عن الضعفاء، والكذابين، والمجاهيل، حيث يعلمون حالهم، ويروون عنهم، ويعملون بحديثهم، ويشهدون بصحته»^١، ويضيف أيضا فيقول: «ومن المعلوم - قطعاً - أن الكتب التي أمروا عليهم السلام بالعمل بها كان كثير من رواياتها ضعفاء ومجاهيل، وكثير منها مراسيل»^٢، فهل يبقى بعد هذا الكلام الصريح تصديق لادعاءات الشيعة أنهم يمثلون مدرسة أهل البيت؟ وأنهم يحافظون على روايات الأئمة، كيف يكون ذلك وروايتهم مجموعة من الضعفاء والكذابين والمجاهيل عند علمائهم وثقاتهم، بل عند أصحاب الإجماع أيضاً؟ وكيف يحفظ دين أهل البيت من روايتهم عن أئمة أهل البيت مجموعة من الكذابين والضعفاء والمجاهيل؟؟.

وأضف إلى ذلك كثرة السقط في الإسناد، وكثرة اشتراك الأسماء فأنت كما تلاحظ إما أن تتعدد الأسماء وصاحبها واحد أو يشترك في المسمى عدة رواة، بعضهم ضعيف أو مجهول، والبعض ربما يكون ثقة، وأيضاً اختلاف الروايات في الكتب وسأضرب مثلاً على ذلك بعد تتبع عدة أسانيد للروايات فوجدت الأمر على هذا النحو فقد روى

١ - الوسائل: ج ٣٠ / ٢٠٦ .

٢ - المرجع السابق : ٢٤٤ .

الطوسي بسنده عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن أبي القاسم، عن أبي عبدالله. التهذيب: الجزء ١٠، باب الحد في السرقة والخيانة، الحديث ٤٠٥. ولكن في الكافي: الجزء: ٧، كتاب الحدود ٣، باب حد القطع ٣٦، الحديث ٥، القاسم بدل أبو القاسم.

وروى أيضا بسنده، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله. التهذيب: الجزء ٥، باب دخول الكعبة، الحديث ٩٥٦، ولكن في الكافي: الجزء ٤، كتاب الحج ٣، باب دخول الكعبة ٢٠٢، الحديث ٧، عبدالله بن سنان بدل ابن مسكان .

وروى أيضا بسنده، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن النضر بن سويد، عن جميل بن دراج، عن أبي عبدالله . التهذيب: الجزء ٤، باب قضاء شهر رمضان، الحديث ٨٤٩، ورواها في الاستبصار: الجزء ٢، باب المتطوع بالصوم . . . ، الحديث ٣٩٦، إلا أن فيه : النضر بن شعيب، بدل النضر بن سويد.

وهذا غيظ من فيض من هذه الاختلافات في النقول والاختلافات في الأسماء، وسقوط الأسانيد وغير ذلك، والسؤال المطروح الآن

هل يوثق بهذه الروايات بعد ذلك ؟

لا أجد إلا إجابة واحدة وهي معلومة للجميع.

ويرجع السبب في هذه الاختلافات - بحسب رأبي - إلى عدم وجود مرجع

صحيح يستقى منه النقل، والتخبط يمنا ويسرة لتلقي المرويات عن الأئمة.

والحقيقة التي لا يعلمها الكثير أن الشيعة الإمامية ليس لهم حديث واحد صحيح من طريق رواتهم متصل السند إلى رسول الله ﷺ، فضلاً عن أئمة أهل البيت، كما أن الشيعة لا يعلمون شيئاً عن علم مصطلح الحديث، والجرح والتعديل كما هو الشأن عند أهل السنة، وهو علم - كما هو معلوم - يعتني بفحص الروايات الحديثية، ومعرفة مدى اتصال سندها وصدق وضبط وعدالة رجالها وخلو تلك الروايات من الشذوذ والعلة، بل

الأمر أوسع من ذلك، فلو أننا طبقنا قواعد هذا العلم الذي يعمل به أهل السنة على مرويات الشيعة لما سلمت لهم رواية واحدة بما في ذلك الروايات المنسوبة لأئمة آل البيت، فكيف إذا تعلق الأمر بالروايات المنسوبة للنبي ﷺ. والدليل على ذلك ما روى محمد بن يعقوب الكليني في كتابه الكافي قال: «عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة قال: قلت لأبي جعفر الثاني (الجواد) عليه السلام: جعلت فداك إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وكانت التقيّة شديدة فكنتموا كتبهم ولم ترو عنهم فلما ماتوا صارت الكتب إلينا فقال: حدثوا بما فيها حق». ١

فهذا دليل في الكافي كاف للدلالة على أن هذه المرويات ليس لها أصل أو إسناد وإنما هي كتب مات أصحابها - ولا يعلم من هم أصحابها - ولا بأي طريقة وصلتهم، ثم يقال لهم حدثوا بما فيها حق، ثم بعد ذلك يحدثون بها ويقال هكذا: قال جعفر الصادق! قال العسكري! قال محمد الباقر! قال علي بن أبي طالب! قال الحسين! قال موسى! قال المهدي المنتظر!. أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان تنسب لرسول الله ﷺ ولأئمة أهل البيت، وعلى أساسها يكفر ويلعن ويسب أصحاب وزوجات محمد ﷺ، ثم يقولون هذه روايات عن الثقات، عن علمائنا ومشايخنا.

ومما يلفت النظر في هذه الأسانيد أنها كلها أسانيد "معننة" وليست هناك رواية واحدة بـ "حدثنا - أخبرنا أو سمعنا" وغير ذلك من الألفاظ التي تثبت أو تفيد اللقاء أو السماع مما يطمئن له القلب في صحة أخذه عن الراوي، سواء كان عن الأئمة أو عن الرسول ﷺ.

كما أن المتفحص لكتب الشيعة يجد أنهم ليس لديهم إلا بضعة كتب في علم الرجال، وهي كتب ضعيفة ومختصرة جداً، ولا تجدي نفعاً في باب ذكر الرجال ومعرفة

١- الكافي: ج ١ / ٥٣ (١٥). كتاب فضل العلم، باب: رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب، قال المجلسي: مجهول، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ١ / ١٨٢ - ١٨٣.

أحوالهم ومدى عدالتهم أو ضبطهم، فهي عبارة عن ذكر أسماء المصنفين أو الرواة ليس فيه جرح أو تعديل يشفي الصدور إلا نادراً .

يقول الفيض الكاشاني: «في الجرح والتعديل وشرائطهما اختلافات وتناقضات واشتباهاً لا تكاد ترتفع بما تطمئن إليه النفوس كما لا يخفي على الخبير بها»^١.

وعليه نقول إذا لم يكن عندهم علم بالرجال فلماذا يذكرون أسانيد الروايات؟. ونجد الجواب عند الحر العاملي أيضاً وهو جواب مضحك قليلاً، بحيث أرجع سبب لجوء علماء الشيعة لذكر أسانيد روايتهم فقط للتبرك، ودفع تعيير العامة لهم - يقصد أهل السنة -، وليس لأجل معرفة الرجال، ومعرفة ضبطهم وعدالتهم من كذبهم وافتراءهم. فهو يقول: «إننا كثيراً ما نقطع في حق كثير من الرواة أنهم لم يرضوا بالافتراء في رواية الحديث، والذي لم يعلم ذلك منه، يعلم أنه طريق إلى رواية أصل الثقة الذي نقل الحديث منه، والفائدة في ذكره مجرد التبرك باتصال سلسلة المخاطبة اللسانية، ودفع تعيير العامة الشيعة بأن أحاديثهم غير معنونة بل منقولة من أصول»^٢!!

هكذا يخبرنا الحر العاملي بكل بساطة، أنهم يوردون أسانيد رواياتهم (قال فلان، عن فلان، عن فلان...) من أجل تجنب تعيير وتهكم أهل السنة على الشيعة كونهم لا يتوفرون على أسانيد في رواياتهم، وأيضا يذكرونها لأجل البركة وإن كانت أسانيد مصنوعة ولا يعرف حال رجالها من ضبط أو عدالة.

بل أكثر من هذا يصرح "الحر العاملي" أن علماء الشيعة يعملون بالأحاديث الضعيفة عندهم ويتركون الصحيحة، وذلك لثبوت صحة تلك الأحاديث الضعيفة من غير طريق السند، ولا أدري كيف تثبت صحة الروايات عندهم بطريق آخر غير اعتبار صحة السند !!

١ - الوافي: المقدمة الثانية ج ١: ١١.

٢ - الوسائل: ج ٣٠ / ٢٥٨.

يقول الحر العاملي: « وكثيرا ما يعتمدون على طرق ضعيفة، مع تمكنهم من طرق أخرى صحيحة وذلك ظاهر في صحة تلك الأحاديث، بوجوه آخر من غير اعتبار الأسانيد»^١.

كما أنه قد روت كتب الأئمة المعتمدة عندهم اعتراف أئمتهم بالكذب عليهم ووضع الحديث، حتى قال جعفر الصادق: «إن الناس قد أولعوا بالكذب علينا... وإني أحدثهم بالحديث، فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا ومجئنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكلّ يجب أن يدعى رأساً»^٢.

وروي الكشي عن ابن سنان قال: «قال أبو عبد الله: إنا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين {أصدق من برأ الله من بعد رسول الله} ^٣!، وكان الذي يكذب عليه عبد الله بن سبأ، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي، قد ابتلي بالمختار، ثم ذكر أبا عبد الله الحارث الشامي، وبنان، فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين، ثم ذكر المغيرة بن سعيد، فقال: إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا، أو عاجز الرأي كفانا الله مؤنة كل كذاب، وأذاقهم الله حر الحديد»^٤.

١ - مرجع سابق: ج ٣٠ / ٢٥٦ ، - أقول : كنت أجهل الطريقة التي يثبت بها صحة الحديث من ضعفه عند الشيعة غير اعتبار السند، حتى ظفرت بقول للمحقق الخوئي ينص فيه على اعتبار الحس لتوثيق الرواية فهم يعرضون الإسناد على الحس فإذا قبله فهو صحيح، وإن لم يقبله فهو ضعيف أو ما شابهه فيقول : " فلا بد من الأخذ بروايته وذلك لبناء العقلاء على الأخذ بكل خير ثقة يجهل أن يكون عن حس !! " معجم رجال الحديث: ج ٤ / ٢٩٨ ، وعلى هذا الاعتبار.

٢ - بحار الأنوار: ج ٢ / ٢٤٦ .

٣ - كلام فيه نظر، فأين الأنبياء السابقين وأين مرثم الصديقة، وأبو بكر الصديق، وغيرهم ..

٤ - رجال الكشي: ٢٥٧ - ٢٥٨ .

وجاء أيضاً في كتبهم، رواية تصف الرواة الذين التصقوا بجعفر الصادق، قال الكشي: «قال يحيى بن عبد الحميد: قلت لشريك^١: إن أقواماً يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف الحديث، فقال: أخبرك القصة، كان جعفر بن محمد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً فاكتنفه قوم جهال، يدخلون ويخرجون من عنده ويقولون حدثنا جعفر بن محمد، ويحدثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر، ليستأكلوا الناس بذلك، ويأخذوا منهم الدراهم، كانوا يأتون من ذلك بكل منكر فسمعت منهم العوام، فمنهم من هلك ومنهم من أنكر»^٢.

ورغم ذلك فأنت ترى أن الروايات التي تنقل عن جعفر رغم أنها من روايات الكذابين، تقبل من الشيعة بل هي جزء مهم من عقائدهم، وأيضاً بسبب هذه الروايات أعرضوا عن روايات الصحابة رضي الله عنهم الصحيحة، ووثقوا هؤلاء الذين اكتنفوا جعفر فقالوا «روى عن الإمام الصادق أربعة آلاف راو بدون استثناء»^٣.

١ - شريك بن عبد الله بن أبي شريك الحارث بن أوس، القاضي أبو عبد الله النخعي الكوفي الفقيه؛ أحد الأعلام، كان مولده ببخارى سنة خمس وتسعين للهجرة، وتولى القضاء بالكوفة ثم بالأهواز، وتوفي يوم السبت مستهل ذي القعدة سنة سبع وسبعين ومائة بالكوفة، وكان عادلاً في قضاائه كثير الصواب سريع الجواب، قال أبو داود: شريك ثقة يخطى على الأعمش، وقال معاوية بن صالح: سألت ابن حنبل عنه فقال: كان عاقلاً صدوقاً محدثاً عندي، وكان شديداً على أهل الريب والبدع. وقال النسائي: ليس به بأس؛ قال لشيخ شمس الدين: استشهد به البخاري، وخرج له مسلم متابعه، واحتج به النسائي وغيره، وروى له الأربعة، والنخعي: بفتح النون والخاء المعجمة وبعدها عين مهملة، هذه النسبة إلى النخع، وهي قبيلة كبيرة من مذحج. الوافي بالوفيات: ج ٥/ ٢٠٤، وفيات الأعيان: ج ٢/ ٤٦٨.

٢ - رجال الكشي: ٢٠٨ - ٢٠٩.

٣ - وسائل الشيعة: ج ٢٠/ ٧٢، الذريعة: ج ٢/ ١٢٩.

هذا على الرغم من شكوى أبي عبدالله من كثرة الكذابين عليه، بل ويذكر أنه لا يوجد له من هؤلاء الذين يدعون التشيع ولا سبعة عشر رجلاً من شيعته كما ورد ذلك في الكافي^١.

وقد اعترف بعض رجالات الشيعة بهذا الوضع فقال هاشم معروف الحسني^٢: «وكان من أخطر الدخلاء على التشيع جماعة تظاهروا بالولاء لأهل البيت واندسوا بين الرواة وأصحاب الأئمة مدة طويلة من الزمن، استطاعوا خلالها أن يتقربوا من الإمامين الباقر والصادق، واطمأن إليهم جمع من الرواة، فوضعوا مجموعة كبيرة من الأحاديث، ودسوها بين أحاديث الأئمة»^٣.

١ - أصول الكافي: ج ٢ / ٢٤٢، ٢٤٣ (٤). ونص الرواية هي: «محمد بن الحسن وعلي بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبدالله ابن حماد الأنصاري، عن سدير الصيرفي قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: والله ما يسعك القعود، فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك والله لو كان لأمر المؤمنين عليهم السلام ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي، فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف، قال: مائة ألف؟ قلت: نعم، ومائتي ألف قال: مائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا، قال: فسكت عني ثم قال: يخف عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع قلت: نعم فأمر بحمار وبغل أن يسرجا، فبادرت فركبت الحمار، فقال: يا سدير أترى أن تؤثرني بالحمار؟ قلت: البغل أزين وأنبل قال: الحمار أرفق بي فنزلت فركب الحمار وركبت البغل فمضينا فحانت الصلاة، فقال: يا سدير انزل بنا نصلي، ثم قال: هذه أرض سبخة لا تجوز الصلاة فيها فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعى جداء، فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر» باب الإيمان والكفر، باب في قلة عدد المؤمنين، قال المجلسي: «ضعيف. مرآة العقول: ج ٩ / ٢٨٧ - ٢٨٨».

٢ - هو: هاشم معروف الحسني ولد في بلدة جناتا قضاء صور في جبل عامل (لبنان) عام ١٩١٩م، وهاجر إلى النجف وتلمذ على يد علمائها وفقهائها ونال مرتبة سامية في الفقه والأصول. بعد ذلك عاد إلى لبنان وتولى القضاء الشرعي وتدرج حتى صار عضواً في المحكمة الشرعية الجعفرية العليا. كانت حياته مليئة بالبحث والدرس والتأليف، حتى أنه يستحق أن يقال عنه بأنه أغنى المكتبة الإسلامية عموماً والإمامية خصوصاً، إلى جانب كبار الكتاب كالشهيد الصدر ومطهري وغيرهم. توفي في ١٩ أيار ١٩٨٣ الموافق ١٤٠٣ هـ. مع علماء النجف الأشرف محمد الغروي: ج ٢ / ٢٣.

٣ - الموضوعات في الآثار والأخبار: ١٤٨.

ويقول أيضاً في موضع آخر: «إن الغلاة الحاقدين على الأئمة والهداة، لم يتركوا باباً من الأبواب إلا ودخلوا منه لإفساد أحاديث الأئمة، والإساءة إلى سمعتهم، وبالتالي رجعوا إلى القرآن لينفثوا عن طريقه سمومهم ودسائسهم، لأنه الكلام الوحيد الذي يتحمل ما لا يتحملة غيره، ففسروا مئات الآيات بما يريدون، وألصقوها بالأئمة الهداة زوراً وتضليلاً»^١.

ثم تراه يبين المستوى الذي وصل إليه الوضع على الأئمة فيقول: «كما وضع قصاص الشيعة مع ما وضعه أعداء الأئمة عدداً كبيراً من هذا النوع للأئمة الهداة، ولبعض الصلحاء الأتقياء، في حين أن الأئمة كانوا في غنى عن كل ذلك، وقد لعنوا كل من يضعهم فوق مستوى الإنسان، وبغير المنزلة التي وضعهم الله بها»^٢ ومن مقاييس الإمامية في توثيق الرجال أن الإمامية تحكم على من زعم أنه رأى المهدي المنتظر - الذي لم يوجد أصلاً - بالعدالة والصدق، يقول المامقاني: «تشرف الرجل برؤية الحجة، بعد غيبته، فنستشهد بذلك على كونه في مرتبة أعلى من مرتبة العدالة ضرورة»^٣.

فالإمامية تحكم على من زعم أنه رأى الإمام الغائب بالعدالة والصدق وفي المقابل هم لا يعتمدون مثل هذا الحكم فيمن صاحب رسول الله ﷺ وتشرف برؤيته، وجاهد معه، وبذل المهج وكل نفيس غال من أجل رفع هذا الدين، لا يعتمدون رواياتهم، ولا يشفع لهم عند الإمامية ثناء الله ورسوله عليهم، بل وثناء الأئمة عليهم، فقد روى الكليني عن ابن حزم قال: قلت لأبي عبد الله: «فأخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ صدقوا على محمد أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا»^٤.

١ - المرجع السابق: ٢٥٣.

٢ - المرجع السابق: ١٦٥.

٣ - تنقيح المقال: ج ١/ ٢١١.

٤ - الكافي: ج ١/ ٦٥ (٣)، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، قال المجلسي: حسن. مرآة

العقول: ج ١/ ٢١٦.

ومن مقاييسهم في توثيق الرجال أيضاً، زعمهم توثيق من أكثر الرواية عن الأئمة دون النظر إلى صحة الرواية، وصدق نسبتها إلى الإمام، ويستندون في ذلك إلى رواية مزعومة عندهم تقول على لسان أحد أئمتهم: «اعرفوا منازل الناس على قدر رواياتهم عنا»^١. فهم يوثقون من أكثر من الكذب والافتراء على أهل البيت بدعوى كثرة الرواية عنهم وهكذا نجد التخبط في الآراء والكذب والافتراء مسمى لعلم أئمة آل البيت أو دين آل البيت وهم من ذلك براء، فلعنة الله على من افتري عليهم الكذب، ولعنة الله على من افتري على صحابة رسول الله ﷺ الكذب.

١ - الكافي: ج ١/ ٥٠ (١٣)، كتاب فضل العلم، باب النوادر. ونص الرواية: «محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن ابن سنان، عن محمد بن عمران العجلي، عن علي بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اعرفوا منازل الناس على قدر رواياتهم عنا» قال المجلسي: ضعيف. مرآة العقول: ج ١/ ١٧٠.

المبحث الرابع:

التفسير بالمأثور عند القمي، وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: التفسير بأقوال الصحابة.

المطلب الرابع: أسباب النزول.

المطلب الخامس: القراءات.

المطلب السادس: الإسرائيليات والموضوعات.

المطلب الأول:

تفسير القرآن بالقرآن

في الحقيقة إن الشيعة الإمامية ليس لهم منهج ثابت في تفسير القرآن، فمعنى التفسير بالمأثور عندهم هو تفسير القرآن بالأخبار والروايات الواردة عندهم عن آل البيت دون الرجوع إلى القرآن نفسه، فتفسير القرآن بالقرآن عند الشيعة - بغض النظر عن ندرته في كتبهم - ليس بالمفهوم المتفق عليه عندنا، وإنما يمكن أن يطلق عليه تجاوزاً تفسير بالنظائر القرآنية، هذا في حال إن صحت الأقوال التي يأتون بها، وتفسير القمي على أنه من التفاسير بالرواية إلا أنه لم يعتمد هذه القاعدة عنده فمن النادر أن تجده يفسر القرآن بالقرآن، ولقد تبعت التفسير كاملاً فلم أجد إلا نموذجاً واحداً له وهو :

عند قوله تعالى: ﴿ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ﴾ الأنعام: ١٤٣، قال: « فهذه التي أحلها الله في كتابه في قوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ الزمر: ٦ ثم فسرها في هذه الآية فقال: من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين... »^١

ويمكن أن يأتي عند تفسيره لبعض الآيات بمعان من اختياره أو لنصرة مذهبه، ثم يحاول الاستدلال عليها من القرآن، فيأتي بآية أخرى يحتج بها على ذلك وقد يكون فيه تكلف ملحوظ لا يمكن قبوله، ومن ذلك عند قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَدَاكَ يُنْظَرُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ الحج: ١٥

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٢٢٥ .

قال: « ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي يجعل بينه وبين الله دليلا والدليل على أن السبب هو الدليل قول الله في سورة الكهف: ﴿وَأَيِّنُّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (٨٤) ﴿فَأَنْبَعُ سَبَبًا﴾

الكهف: ٨٤ - ٨٥ ، أي دليلاً ، ﴿ ثُمَّ لِيَقْطَع ﴾ ، أي يميز والدليل على أن القطع هو التمييز قوله: ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَيْ عَشَرَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا ﴾ الأعراف: ١٦٠ أي ميزناهم فقوله: ثم ليقطع أي يميز ، ﴿ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ أي حيلته والدليل على أن الكيد هو الحيلة قوله: ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ يوسف: ٧٦ أي حيلنا له حتى حبس أخاه وقوله يحكي قول فرعون: ﴿ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوْنَا صَفَاً ﴾ طه: ٦٤ أي حيلتكم قال فإذا وضع لنفسه سبباً وميز دله على الحق، فأما العامة فإنهم رَووا في ذلك أنه من لم يصدق بما قال الله فليلق حبلاً إلى سقف البيت ليختنق»^١

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ الحاقة: ١ - ٣ تجده يقول: « الحاقة الحذر لنزول العذاب والدليل على ذلك قوله: ﴿ وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ غافر: ٤٥ »^٢

وعند قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴾ الزخرف: ٧٨ قال: « ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ ﴾ يعني بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴾ والدليل على أن الحق ولاية أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ -

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٥٤-٥٥، ومعنى الآية: « من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله، فإن أصله من السماء، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وآله الوحي الذي يأتيه فليظن هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل.

وروي أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان، دعاهم النبي صلى الله عليه وآله إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف، وقالوا: لا يمكننا أن نسلم لأننا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود، فلا يميزونا ولا يُرَوُّونا فنزلت هذه الآية «. جامع البيان: ج ١٨ / ٥٨٣، تفسير البغوي: ج ٥ / ٣٧٠ - ٣٧١.

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ٣٧١، وليس هذا هو المعنى الصحيح ، وإنما الحاقة اسم من أسماء يوم القيامة يقول ابن كثير: « الحاقة من أسماء يوم القيامة؛ لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد؛ ولهذا عَظَّمَ تعالى أمرها فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾؟ الحاقة: ٣ « تفسير ابن كثير: ج ٨ / ٢٠٨ .

يعني ولاية علي، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين - آل محمد حقهم - نارا^١»

ورغم أن تفسير القرآن بالقرآن هو من أصح الطرق لتناول التفسير إلا أن القمي لا يعتمد في تفسيره، بل ينجح إلى تقديم رأيه في اختيار المعاني للآية على موافقة معاني القرآن لها، وهذا يدل على مدى خطئه في تناول التفسير، حيث أقصى عن نفسه السبيل الصحيحة في التفسير .

١ - المرجع السابق: ٢٦٣، والآية في المصحف: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ الكهف : ٢٩ ، والآيات ليس لها أي تعلق بعلي عليه السلام، فالأولى جاءت في سياق الحديث عن بعض مشاهد يوم القيامة، وذكر سبب شقوة من شقى فيه فيقول الحافظ ابن كثير: "ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال: ﴿ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بيناه لكم ووضحناه وفسرناه، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴾ أي: ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه، وتصعد عن الحق وتأباه، وتبغض أهله، فعودوا على أنفسكم بالملامة، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة" . تفسير ابن كثير: ج٧/٢٤١، فأين من ذلك القول بأن الآية نزلت في ولاية علي عليه السلام كما قال ؟

أما الآية الأخرى، فالمقصود بالحق هنا هو الدين الحق يقول ابن جرير الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم، الحق أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والخذلان، ويده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد، فيؤمن، ويضل من يشاء عن الهدى فيكفر، ليس إلي من ذلك شيء، ولست بطارد لهواكم من كان للحق متبعا، وبالله وبما أنزل علي مؤمنا، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نار أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته." جامع البيان: ج ١٨ / ٩ - ١٠، والمعنى واضح مفهوم لا يحتاج إلى مثل هذه التأويلات المخلة، ولكن نعوذ بالله من الخذلان .

المطلب الثاني:

تفسير القرآن بالسنة

المقصود بتفسير القرآن بالسنة عند أهل السنة، هو ما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث وآثار تناول فيها ﷺ بعض الآيات بالتفسير أو الإيضاح، وهذا فيما أشكل على الصحابة رضي الله عنهم، فإذا أردنا تفسير القرآن بالسنة بحثنا في الأقوال المأثورة عن النبي ﷺ لا غيره في التفسير، وهذه ثاني الطرق الصحيحة التي يعتمد عليها في تناول التفسير .

والأمر مختلف تماماً عند الشيعة فمعنى السنة عندهم له معنى أوسع من ذلك، فالسنة التي يفسر بها القرآن عندهم، تشمل كل ما ورد عن النبي ﷺ والأئمة الإثني عشر من أقوال في تفسير القرآن، ولا يعني انضمامهم إلى النبي ﷺ في هذا العلم بمناسبة أنهم من آل البيت فقط، أو أن بعضهم من الصحابة الذين يقبل قولهم من باب توثيقهم أو تعديلهم أو أمانتهم في النقل، في هذا العلم وغيره، وإنما يذهل الإنسان عندما يعرف اعتقاد الشيعة في هذا المضمار ونظرتهم للأئمة على أنهم هم المناطون بتفسير القرآن دون غيرهم، وأن عندهم علم كل شيء وأنهم معصومون عن الخطأ والزلل والنسيان، وأنهم الناطقون عن النبي ﷺ في تفسير القرآن، بل الناطقون عن الله ﷻ وكل ذلك - بحسب زعمهم - يؤهلهم إلى تفسير القرآن والوقوف على المعنى الصحيح دون غيرهم فلا يؤخذ التفسير إلا منهم، حتى وإن كان النقل عنهم غير صحيح أو بأسانيد ملفقة أو روايات موضوعة عن كذابين أو أفاكين أو وضاعين، بل قد يرد قول النبي ﷺ بذاته إذا جاء من غير طريق الأئمة حتى لو صح الإسناد أو النقل، وهاك القمي يتكلم عن ذلك فيقول: «ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم وأوجب ولايتهم ولا يقبل عمل إلا بهم وهم الذين وصفهم الله تبارك وتعالى وفرض سؤالهم والأخذ منهم فقال: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣، فعلمهم عن رسول الله وهم الذين قال في كتابه وخاطبهم في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

الحج: ٧٧، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتبيكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا - القرآن - ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا - أنتم يا معشر الأئمة - شهداء على الناس "فرسول الله صلى الله عليه وآله شهيد عليهم وهم شهداء على الناس فالعلم عندهم والقرآن معهم ودين الله وَعَلَيْكَ الذي ارتضاه لأنبيائه وملائكته ورسله منهم يقتبس وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: "ألا إن العلم الذي هبط به آدم عليه السلام من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين عندي وعند عترة خاتم النبيين فأين يتاه بكم بل أين تذهبون" ^١ وقال أيضاً أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته: "ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: "إني وأهل بيتي مطهرون فلا تسبقوهم فضلوهم ولا تتخلفوا عنهم فتزلوا ولا تحالفوهم فتجهلوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم هم أعلم الناس كبارا وأحلم الناس صغارا فاتبعوا الحق وأهله حيث كان..." ^٢.

وقال أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ الدخان: ٤ ، قال: « فيها يفرق) في ليلة القدر (كل أمر حكيم) أي يقدر الله كل أمر من الحق ومن الباطل وما يكون في تلك السنة وله فيه البداء والمشية يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء ويلقيه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويلقيه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأئمة عليهم السلام حتى ينتهي ذلك إلى صاحب الزمان عليه السلام، ويشترط له ما فيه البداء والمشية والتقديم والتأخير» ^٣.

١ - ذكره المجلسي في بحار الأنوار: ج ٢ / ١٠٠ (٥٩) ، ج ٩٢ / ٨٠ (٧٠) ، ج ٩٩ / ٢.

٢ - تفسير القمي: ج ١ / ١٦-١٧.

٣ - المرجع السابق: ج ٢ / ٢٦٤ ، وبغض النظر عن الخطأ في تفسير الآية وعن نسبة البداء لله وَعَلَيْكَ - تعال الله عن ذلك، فانظر كيف أن الوحي ينتقل من الله وَعَلَيْكَ إلى النبي ﷺ ثم ينتقل - بزعمهم - إلى علي عليه السلام ثم إلى الأئمة من بعده فالوحي - عندهم - مازال متصلاً من السماء ولم ينقطع، وكلام الأئمة هو قول عن الله وَعَلَيْكَ.

وإذا كان هذا اعتقادهم في الأئمة ، فعلى هذا يكون تفسير القمي كله مفسر بالسنة - على حد زعمهم - والحقيقة أن هذا التفسير-الذي يزعمون نسبه إلى الأئمة - هو تفسير مختلف فيه الصحيح والسقيم والأخير هو الغالب، وأغلب الروايات فيه منسوبة إلى جعفر الصادق "أبي عبد الله"، ثم أبوه محمد الباقر في روايات أقل منه، ثم القليل من الروايات منسوبة إلى علي الرضا، وموسى الكاظم، وأقل منها منسوب إلى علي بن الحسين "زين العابدين"، وإلى جده أمير المؤمنين، أما الأقوال التي نسبوها إلى النبي ﷺ في هذا التفسير فقليلة جداً، ولها ثلاثة أحوال:

- إما أن تكون منسوبة من أحد الأئمة إليه ﷺ وهي في الغالب مرسله وطابعها الوضع أو التلفيق.

- أو قد تكون شواهد يأتون بها على أقوالهم، ليبرروا كلامهم، وهي أيضاً إما موضوعة أو ملفقة .

- أو تكون محكية عن النبي ﷺ بدون أي إسناد.

فمن الأول / قول القمي عند قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى ﴾ البقرة: ٢٦٢ ، فإنه قال الصادق عليه السلام قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم آذاه بالكلام أو منّ عليه فقد أبطل الله صدقته «^١

وعند قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِينَ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥ ، فانه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري بي إلى السماء رأيت قوما يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت من هؤلاء يا جبرائيل؟

١ - المرجع السابق: ج ١/٩٩ ، لم أجد له أصلاً في كتب السنة .

قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»^١.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَأَزْرُقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ النساء: ٥ ، المعروف العدة، قال علي بن إبراهيم: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله "شارب الخمر لا تصدقوه إذا حدث ولا تزوجوه إذا خطب ولا تعودوه إذا مرض ولا تحضروه إذا مات ولا تأتمنوه على أمانة فمن أئتمنه على أمانة فأهلكها فليس على الله أن يخلف عليه ولا أن يأجره عليها، لأن الله يقول ولا تؤتوا السفهاء أموالكم وأي سفيه أسفه من شارب الخمر"^٢.

وقال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ مريم: ٨٧، فإنه حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن سليمان بن جعفر عن أبيه عن أبي عبد الله عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته، قلت: يا رسول الله وكيف يوصي الميت عند الموت؟ قال: إذا حضرته الوفاة واجتمع الناس إليه قال: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني أعهد إليك في دار الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأن الجنة حق وأن

١ - المرجع السابق: ج ١/١٠٠، وروي قريباً من ذلك في كتب السنة عن أبي سعيد الخدري في حديث المعراج وفيه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه: "قال: ثم مضت هنية فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت، كلما نحض أحدهم خر يقول: اللهم لا تقم الساعة قال: وهم على سابلة آل فرعون قال: فتجيء السابلة فتطأهم قال: فسمعتهم يضحجون إلى الله سبحانه. قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، دلائل النبوة للبيهقي: ج ٢/ ٢٧٢ (٦٧٧)، تهذيب الآثار للطبري: ج ٦/ ٢٦٧ (٢٧٦٦).

٢ - تفسير القمي: ج ١/ ١٣٩، والحديث موضوع ذكره في تنزيه الشريعة المرفوعة فقال: «حديث من شرب الخمر بعد أن حرمها الله على لساني فليس له أن يزوج إذا خطب ولا يشفع إذا شفع ولا يصدق إذا حدث ولا يؤتمن على أمانة فإن أؤتمن على أمانة فأكلها أو استأكلها فليس لصاحبها على الله أن يأجره ولا يخلف عليه، تنزيه الشريعة المرفوعة: ج ٢/ ٢٣٢.

النار حق وأن البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق وأن الدين كما وصفت وأن الإسلام كما شرعت وأن القول كما حدثت وأن القرآن كما أنزلت وأنك أنت الله الملك الحق المبين جزى الله محمداً خيراً الجزاء وحي الله محمداً وآله بالسلام اللهم يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا وليي في نعمتي يا إلهي وإله آبائي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين فإنك إن تكلني إلى نفسي كنت أقرب من الشر وأبعد من الخير وأسير في الفتن وحدي فأنس في القبر وحشتي واجعل لي عهداً يوم ألقاك منشوراً ثم يوصي بحاجته وتصديق هذه الوصية في سورة مريم في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^١.

وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوقَنكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ السجدة: ١١، فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "لما أسري بي إلى السماء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه كهيئة الحزين، فقلت من هذا يا جبرائيل؟ فقال: هذا ملك الموت مشغول في قبض الأرواح..."^٢.

١ - تفسير القمي: ج ٢/٣٠، لم أجد لهذا الحديث أصلاً وكل ما وجدته أنه كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله هذا الدعاء: «يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي يا إلهي وإله آبائي لا تكلني إلى نفسي فأقرب من الشر وأتباع من الخير وأنسني في قبوري من وحشتي واجعل لي عهداً يوم القيامة مسئولاً (أخرجه الحاكم في تاريخه عن ابن عمر) وأخرجه أيضاً: الديلمي: ج ٥/٢٦٧، (٨١٤٥). والرافعي: ج ٣/١٤٠. جامع الأحاديث: ج ٢٣/٣١٠، وفي كنز العمال: ج ٢/٣٥٧ (٣٩٠٩)، ج ٢/٨٠٨ (٥١٢٥).

٢ - تفسير القمي: ج ٢/١٤٥، والحديث موضوع وهذا نصه: «ثم مررت بملك آخر جالس على كرسي، فإذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه وبيده لوح من نور مكتوب ينظر فيه لا يلتفت عنه يميناً ولا شمالاً، مقبل عليه فقلت له: "من هذا يا جبريل قال: هذا ملك الموت دائب في قبض الأرواح وهو أشد الملائكة عملاً، فقلت: يا جبريل إن كل من مات من ذوي الأرواح أو هو ميت فيما بعد أهذا يقبض روحه؟ قال: نعم، قلت: أفيراهم أينما كانوا ويشهدهم بنفسه، قال: نعم، فقلت: كفى بالموت طامة، فقال جبريل: إن ما بعد الموت أطم وأعظم» ، اللآلي المصنوعة: ج ١/٦٣.

وعند قوله تعالى: « ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا رِبَّهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّبِينَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴾ الزمر: ٢٠ ، قال: فانه حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن محمد بن إسحاق عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير هذه الآية فقال: لماذا بنيت هذه الغرف يا رسول الله؟ فقال: يا علي، تلك غرف بناها الله لأولياؤه بالدر والياقوت والزبرجد سقوفها الذهب محبوكة بالفضة لكل غرفة منها ألف باب من ذهب على كل باب منها ملك موكل به وفيها فرش مرفوعة بعضها...^١ .

أما أمثلة الشواهد التي يأتون بها فمثل قول علي بن إبراهيم عند قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٣ ،

قال: « من قتل مؤمناً على دينه لم تقبل توبته، ومن قتل نبياً أو وصي نبي فلا توبة له لأنه لا يكون له مثله فيقاد به، وقد يكون الرجل بين المشركين واليهود والنصارى يقتل رجلاً من المسلمين على أنه مسلم فإذا دخل في الإسلام محاه الله عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: "الإسلام يجب ما كان قبله" أي يمحو، لأن أعظم الذنوب عند الله هو الشرك بالله فإذا قبلت توبته في الشرك قبلت فيما سواه^٢ .

١ - تفسير القمي : ج ٢ / ٢١٧ ، لم أجد له أصلاً في كتب السنة .

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ١٥٥ ، الرواية ليس لها أصلاً وإنما ملفقة من عدة روايات، فقد روى الإمام أحمد بإسناد حسن في قصة تأخر إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: ثم تقدمت فقلت يا رسول الله : "أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي - ولم اذكر ما تأخر- فقال لي يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها فبايعته" مسند أحمد بن حنبل: ج ٤ / ١٩٨ ، سنن البيهقي الكبرى: ج ٩ / ١٢٣ . وعن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: " أن تجعل لله نداً وهو خلقك". أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، سورة البقرة: ج ٤ / ١٦٢٦ (٤٢٠٧)، وسورة الفرقان : صحيح البخاري : ج ٤ / ١٧٨٤ (٤٤٨٣) ، صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه: ج ٥ / ٢٢٣٦ (٥٦٥٥) ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب كون الشرك أقيح الذنوب وبيان أعظمها: ج ١ / ٦٣ (٢٦٧) .

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿الْأَيْمَانُ يَتَنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ هود: ٥، « يقول يكتُمون ما في صدورهم من بغض علي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إن آية المنافق بغض علي" فكان قوم يظهرن المودة لعلي عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله ويسرون بغضه»^١.

أما المحكي عن النبي ﷺ فمثل قوله: « عند قوله تعالى: ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ طه: ٢، فإنه حدثني أبي عن القاسم بن محمد عن علي بن أبي بصير عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلى قام على أصابع رجله حتى تورمت فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ طه﴾ ، بلغة طي يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى»^٢.

وأيضاً قوله: « عند قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ كَرُؤُوسًا أُولِي أجنحةٍ مثنى وثلاث وربع﴾ فاطر: ١، قال الصادق عليه السلام: خلق الله الملائكة مختلفة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرائيل وله ستمائة جناح على ساقه الدر مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء والأرض»^٣.

١ - المرجع السابق: ج ١/ ٣٢٢، الحديث موضوع مروى في تنزيه الشريعة المرفوعة: ج ١/ ١٥٤، وبنحوه روى الآجري في الشريعة فقال: « حدثنا ابن أبي داود قال: حدثنا عباد بن يعقوب الرواحي قال: حدثنا أبو يزيد العكلي، عن هشام بن سعد، عن أبي عبد الله المكي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاث من كن فيه فليس مني ولا أنا منه، بغض علي بن أبي طالب، ونصب لأهل بيتي، ومن قال الإيمان كلام» الشريعة للآجري: ج ٤/ ٢٠٢ (١٥٠٠).

٢ - المرجع السابق: ج ٢/ ٣٢، لم أجد له أصلاً في كتب السنة.

٣ - المرجع السابق: ج ٢/ ١٨١، لم أجد لهذه الرواية أصلاً في كتب السنة، والرواية الموجود بلفظ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيْلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتْمَائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاقُوتِ وَالذُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ. معتلى. مسند أحمد: ج ٨/ ٣٤٨ (٣٨٢١)، مسند عبدالله بن مسعود

وبلفظ آخر في باب أفراد مسلم، في الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: "عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة: ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ النجم: ١٣، قال جبريل وعن عبدالله بن مسعود قال رأى جبريل في صورته وله ستمائة جناح"، باب أفراد مسلم: ج ٣/ ٢٠٥ (٢٦٠٥).

المطلب الثالث:

التفسير بأقوال الصحابة

تفسير الصحابة للقرآن أحد أهم منابع التفسير الصحيح وذلك لأنهم عرفوا اللغة، وشاهدوا نزول القرآن، لذلك كان الأخذ منهم من أولى ضرورات التفسير السليم.

أما لدى الشيعة فعامية مفسريهم مجتمعون على إسقاط أقوال الصحابة والتابعين في التفسير وهذا الأصل منبثق عن المعتقد السابق وثمره له، فما دام تفسير القرآن محصوراً في الأئمة فلا قيمة لتفسير غيرهم أياً كان، خاصة إذا كان من الصحابة المتهمين في نظرهم بتحريف القرآن، فهم كبقية المسلمين ليسوا بمعصومين ولا حجة في أقوالهم، إلا إذا وافقت معتقدتهم ولو من وجه بعيد، أو كانت آثاراً موضوعة على ما سنرى، فإنهم يحتجون بها، والقمي وهو منساق مع معتقدات قومه تراه يحتج بأقوال بعض الصحابة أمثال ابن عباس وابن مسعود وجابر بن عبد الله وحتى عن عائشة ؓ جميعاً، ولا أستطيع القول بأن أقوالهم وافقت آراء الشيعة ولذلك أتوا بها للاستشهاد، ولكن أجزم بأن غالبها منسوب إليهم، وأبرؤهم مسبقاً من القول بهذه المعتقدات، ولكن لا أدري كيف يأتي القمي بهذه الأقوال ويقبلها، ولا أدري كيف تقبل هذه الروايات عند الشيعة رغم أن القاعدة عندهم ألا يقبل إلا قول الإمام المعصوم، فكيف تقبل روايات ابن عباس، ويزيد بن معاوية مثلاً مع أنه مطعون عندهم وليس معصوماً، وكيف تقبل رواية عائشة وهي امرأة وليست معصومة، وهو يأتي بروايات عن علي ؓ - وإن كانت قليلة - ولكن ليس على أنه أحد الصحابة الكرام وإنما على أنه إمام معصوم وقوله له نفس حجية قول الرسول ﷺ أو ربما أكبر من ذلك، وربما كان كلامه، كقول الله ﷻ - تعال الله عن ذلك - ومن أمثلة ذلك لدى القمي:

أولاً : أمثلة من روايات عن علي ؓ ، فعند قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ

وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر: ٤٣ ، قال: « قال أمير المؤمنين ؓ: في كتابه الذي كتبه إلى شيعته يذكر فيه خروج عائشة إلى البصرة وعظم خطأ طلحة والزبير فقال: " وأي خطيئة أعظم مما أتيا، أخرجنا زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله من بيتها وكشفا

عنها حجاباً ستره الله عليها وصاناً حلالتهما في بيوتهما، ما أنصفاً لا الله ولا لرسوله من أنفسهما، ثلاث خصال مرجعها على الناس في كتاب الله البغي والمكر والنكث، قال الله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ يونس: ٢٣ وقال: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ الفتح: ١٠ وقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر: ٤٣ وقد بغيا علينا ونكثا بيعتي ومكرا بي "١".

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ﴾ الأحزاب: ٤، «قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف إنسان إن الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه فيحب هذا ويبغض هذا فأما محبنا فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه فمن أراد أن يعلم حبنا فليمتحن قلبه فان شاركه في حبنا حب عدونا فليس منا ولسنا منه والله عدوهم وجبرائيل وميكائيل والله عدو للكافرين»^٢.

وعند قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِيْ جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ق: ٢٤ قال: «حدثنا أبو القاسم الحسيني قال: حدثنا فرات بن إبراهيم قال: حدثنا محمد بن أحمد بن حسان قال: حدثنا محمد بن مروان عن عبيد بن يحيى عن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام في قوله: ﴿أَلْقِيَا فِيْ جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة في صعيد

١ - تفسير القمي: ج ٢/ ١٨٤ - ١٨٥. لم أجد لهذه الرواية التي جاء بها القمي أصل، عند الشيعة والسنة على حد سواء، غير ما نقله المجلسي عنه في بحار الأنوار: ج ٣٢ / ١٠٧. حتى أن الكليني لم ينقلها عنه في الكافي، ولم تروى عن علي عليه السلام في نهج البلاغة، ولأدري من أين اكتسبها.

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٤٩. وليس هذا المعنى الصحيح للآية، ولا المخاطب بها هو النبي صلى الله عليه وآله ولا علي عليه السلام على الإطلاق وإنما تفسيرها كما جاء عند ابن كثير "وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ فقال بعضهم: هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالثنائية، كما روي عن الحجاج أنه كان يقول: يا حرسى، اضربا عنقه، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلما أدى الشهيد عليه، أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير." تفسير ابن كثير: ج ٧ / ٤٠٢.

واحد كنت أنا وأنت يومئذ عن يمين العرش، ثم يقول الله تبارك وتعالى لي ولك قوما فألقيا من أبغضكما وكذبكما في النار»^١.

ثانياً: رواية - وهي الوحيدة- عن عائشة رضي الله عنها،

فعند قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ البقرة: ٢٨٠، قال: «فإنه حدثني أبي عن السكوني عن مالك بن مغيرة عن حماد بن سلمة عن جده عن سعيده بن المسيب عن عائشة أنها قالت: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ما من غريم ذهب بغريمه إلى وال من ولاية المسلمين واستبان للوالي عسرته إلا برئ هذا المعسر من دينه وصار دينه على والي المسلمين فيما في يديه من أموال المسلمين"، قال عليه السلام: ومن كان له على رجل مال أخذه ولم ينفقه في إسراف أو في معصية فعسر عليه أن يقضيه فعلى من له المال أن ينظره حتى يرزقه الله فيقضيه، وإن كان الإمام العادل قائماً فعليه أن يقتضي عنه دينه لقول رسول الله صلى الله عليه وآله من ترك مالا فلورثته ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الإمام ما ضمنه الرسول، وإن كان صاحب المال موسراً تصدق بماله عليه أو تركه فهو خير له لقوله: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٨٠»^٢.

ثالثاً: رواية عن يزيد بن معاوية رضي الله عنه:

١ - تفسير القمي: ج ٢/٣٠٠.

٢ - المرجع السابق: ج ١/١٠١، لم ترد عن عائشة رضي الله عنها هذه الرواية عند أهل السنة، وليس ذلك التفسير الصحيح للآية وإنما تفسيرها كما أورده ابن جرير الطبري فقال: "قال أبو جعفر: والصواب من القول في قوله: "وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة"، أنه معني به الغرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهم عليهم ديون قد أرتؤا فيها في الجاهلية، فأدركهم الإسلام قبل أن يقبضوها منهم، فأمر الله بوضع ما بقي من الربا بعد ما أسلموا، وبقبض رؤوس أموالهم، ممن كان منهم من غرمائهم موسراً، أو إنظار من كان منهم معسراً برؤوس أموالهم إلى ميسرتهم، فذلك حكم كل من أسلم وله ربا قد أرتى على غريم له، فإن الإسلام يبطل عن غريمه ما كان له عليه من قبيل الربا، ويلزمه أداء رأس ماله - الذي كان أخذ منه، أو لزمه من قبل الإبراء إليه، إن كان موسراً. وإن كان معسراً، كان منظره برأس مال صاحبه إلى ميسرته، وكان الفضل على رأس المال مبطلا عنه. غير أن الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا، وإياهم عنى بها، فإن الحكم الذي حكم الله به: من إنظاره المعسر برأس مال المرابي بعد بطول الربا عنه، حكم واجب لكل من كان عليه دين لرجل قد حل عليه، وهو بقضائه معسر: في أنه منظر إلى ميسرته، لأن دين كل ذي دين، في مال غريمه، وعلى غريمه قضاؤه منه، جامع البيان: ج ٦/٣٣ - ٣٤.

وقوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ آل عمران: ٧، قال: « فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن يزيد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، قال: "قلت جعلت فداك إن أبا الخطاب كان يقول فيكم قولاً عظيماً، قال وما كان يقول؟ قلت إنه يقول إنكم تعلمون علم الحلال والحرام والقرآن"، قال: علم الحلال والحرام والقرآن يسير في جنب العلم الذي يحدث في الليل والنهار" ^١.

رابعاً: رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه: فعند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ التوبة: ٧٤، قال: « من قتل رسول الله صلى الله عليه وآله ﷺ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ التوبة: ٧٤ فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وبقي بها محرم والنصف من صفر لا يشتكي شيئاً ثم ابتداء به الوجع الذي توفي فيه صلى الله عليه وآله.

فحدثني أبي عن مسلم بن خالد عن محمد بن جابر عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله لما رجعت من حجة الوداع: "يا ابن مسعود قد قرب الأجل ونعيت إليّ نفسي فمن لذلك بعدي؟ فأقبلت أعد عليه رجلاً رجلاً، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: ثكلتك الثواكل فأين أنت من علي بن أبي طالب لم لا تقدمه على الخلق أجمعين، يا ابن مسعود إنه إذا كان يوم القيامة رفعت لهذه الأمة أعلام، فأول الأعلام لوائي

١ - تفسير القمي: ج ١ / ١٠٥، وهذا أحد أهم معتقدات الشيعة، أن أئمتهم لديهم علم كل شيء ومن ذلك ما بويه الكليني في الكافي فقال: إن الأئمة عليهم السلام ورثة الأنبياء والأوصياء الذين قبلهم: ج ١ / ٢٢٣. باب إن الأئمة إذا شأؤوا أن يعلموا علموا: ج ٢ / ٢٥٨، وشبيهه من ذلك بوب المجلسي في بحاره فقال: إنهم عليهم السلام خزان الله على علمه وحمله عرشه: ج ٢٦ / ١٠٩، أن عندهم عليهم السلام جميع علوم الملائكة والأنبياء وأنهم أعطوا ما أعطاه الله الأنبياء عليهم السلام وأن كل أمام يعلم جميع علم الإمام الذي قبله ولا يبقى الأرض بغير عالم: ج ٢٦ / ١٥٩، وأنهم عليهم السلام يعلمون جميع الألسن واللغات ويتكلمون بها: ج ٢٦ / ١٩٠.

الدعوة من الحسين "وأصلح لي ذريتي" لكان ذريته كلهم أئمة ولكن سبقت الدعوة
أصلح لي في ذريتي فمنهم الأئمة عليهم السلام واحد فواحد فثبت الله بهم حجته^١
سادساً: من رواياته عن ابن عباس ؓ:

ف عند قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةٌ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ محمد: ١٨

«فإنه حدثني أبي عن سليمان بن مسلم الخشاب عن عبدالله بن جريح المكي عن
عطاء بن أبي رباح عن عبدالله بن عباس قال: "حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجة
الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثم أقبل علينا بوجهه فقال: ألا أخبركم بأشراط الساعة؟
وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رحمة الله عليه، فقال: بلى يا رسول الله! فقال صلى الله عليه
وآله: إن من أشراط القيامة إضاعة الصلوات وإتباع الشهوات، والميل إلى الأهواء وتعظيم
أصحاب المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في

١- المرجع السابق: ج ٢/ ٢٧٢-٢٧٣، قال ابن كثير في تفسير الآية: "وهذا عام في كل من قال هذا، ومن
زعم أنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر فقوله ضعيف؛ لأن عبدالرحمن بن أبي بكر أسلم بعد ذلك وحسن
إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا يحيى بن أبي زائدة، عن إسماعيل بن
أبي خالد، أخبرني عبد الله بن المديني قال: إني لفي المسجد حين خطب مروان، فقال: إن الله أرى، أمير المؤمنين
في يزيد رأياً حسناً، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر عمر، فقال عبدالرحمن بن أبي بكر: أهركلية؟! إن أبا
بكر والله ما جعلها في أحد من ولده، ولا أحداً من أهل بيته، ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده.
فقال مروان: ألسنت الذي قال لوالديه: أف لكما؟ فقال عبدالرحمن: ألسنت ابن اللعين الذي لعن رسول الله ﷺ
أباك؟ قال: وسمعتهما عائشة فقالت: يا مروان، أنت القائل لعبدالرحمن كذا وكذا؟ كذبت، ما فيه نزلت، ولكن
نزلت في فلان بن فلان. ثم انتحب مروان، ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتهما، فجعل يكلمها حتى
انصرف". تفسير ابن كثير: ج ٧/ ٢٨٣، وقد رواه البخاري بإسناد آخر ولفظ آخر، فقال: كان مروان على
الحجاز، استعمله معاوية بن أبي سفيان، فخطب وجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له
عبدالرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه. فدخل بيت عائشة، رضي الله عنها، فلم يقدروا عليه، فقال مروان:
إن هذا الذي أنزل فيه: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُفٍ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ﴾ الأحقاف: ١٧
فقال عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عُذْرِي. صحيح البخاري: ج
٤/ ١٨٢٧ (٤٥٥٠)، كتاب التفسير، سورة الأحقاف.

الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره، قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان إن عندها يليهم أمراء جوراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأمناء خونة، فقال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله! قال صلى الله عليه وآله: إي والذي نفسي بيده يا سلمان إن عندها يكون المنكر معروفا والمعروف منكرا ويؤمن الخائن ويخون الأمين ويصدق الكاذب ويكذب الصادق، قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: إي والذي نفسي بيده يا سلمان! فعندها تكون إمارة النساء ومشاورة الإماء وعود الصبيان على المنابر ويكون الكذب طرفاً والزكاة مغرمًا والفيء مغنماً ويجفو الرجل والديه وير صديقه، ويطلع الكوكب المذنب، قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة ويكون المطر قيظا ويغيظ الكرام غيظا ويحتقر الرجل المعسر فعندها تقارب الأسواق، إذ قال هذا لم أبع شيئاً وقال هذا لم أربح شيئاً، فلا ترى إلا ذاما لله، قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده... الخ، وهذا معنى فقد جاء أشراتها»^١

وعند قوله تعالى: ﴿فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ الدخان: ٥٩ قال: «أي انتظر إنهم منتظرون. حدثنا سعيد بن محمد قال: حدثنا بكر بن سهيل عن عبدالغني بن سعيد عن موسى بن عبدالرحمن عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿بَلِسَانَكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥٨) يريد ما يسر من نعمة الجنة وعذاب النار يا محمد ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الدخان: ٥٨ يريد لكي يتعظ المشركون ﴿فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ تهديد من الله ووعيد وانتظر إنهم منتظرون»^٢.

سابعاً: ورواية عن عمار بن ياسر رضي الله عنه: عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ النمل: ٨٢، قال: «قال أبو

١- تفسير القمي: ج ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٢.

٢- المرجع السابق: ج ٢ / ٢٦٧.

عبد الله عليه السلام قال: رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقظان آية في كتاب الله قد أفسدت قلبي وشككتني قال عمار: وأي آية هي؟ قال قول الله: "وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض" ... الآية فأبي دابة هي؟ قال عمار: والله ما أجلس ولا أكل ولا أشرب حتى أريكها: فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل تمرًا وزيداً، فقال له يا أبا اليقظان: هلم فجلس عمار وأقبل يأكل معه، فتعجب الرجل منه، فلما قام عمار قال له الرجل سبحان الله يا أبا اليقظان حلفت أنك لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى ترينها، قال عمار قد أريتكمها إن كنت تعقل^١.

ثامناً : من رواياته عن سلمان الفارسي رضي الله عنه،

عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾ الزخرف: ٥٧ ، قال: « قال: فإنه حدثني أبي عن وكيع عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن أبي الأعز عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ^٢ قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في أصحابه إذ قال انه يدخل عليكم الساعة شبيه عيسى بن مريم فخرج بعض من كان جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليكون هو الداخل، فدخل علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال الرجل لبعض أصحابه: "أما يرضى محمد أن فضل علينا حتى يشبهه بعيسى بن مريم والله لأهتنا التي كنا نعبدها في الجاهلية أفضل منه"، فأنزل الله في ذلك المجلس: "ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يضحون"^٣ فحرفوها يصدون، (وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون إن علي إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبي إسرائيل)^٤ ، فمحي اسمه عن هذا الموضع^١ .

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٧٢ .

٢ - لاحظ أنه ترضى عن سلمان دون بقية الأصحاب وهذا إما لأنه فارسي، وإما لاعتقادهم أنه لم يرتد بعد النبي صلى الله عليه وآله ، ولذلك فعند قوله تعالى: ﴿وَالسَّاقِطُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُحْجِرِينَ وَالْأَنْصَارُ﴾ التوبة: ١٠٠ ، قال: "وهم النقباء أبو ذر والمقداد وسلمان وعمار ومن آمن وصدق وثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام" تفسير القمي: ج / ٣٠٣ .

٣ - والآية في المصحف : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾ الزخرف: ٥٧ .

٤ - والآية في المصحف : ﴿وَقَالُوا أَآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ الزخرف: ٥٨ .

تاسعاً : رواية عن أبي ذر رضي الله عنه ،

قال: « كَلَّا لِيُبَدَّنَ فِي الْحَطْمَةِ » الهمة: ٤ ، والحطمة النار التي تحطم كل شيء ثم قال: (وما أدراك) يا محمد (ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة) قال: تلتهب على الفؤاد، قال: "أبو ذر رضي الله عنه بشر المتكبرين بكبي في الصدور وسحب على الظهر رضي الله عنه إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ الهمة: ٨ ، قال: مطبقة ، فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ الهمة: ٩ قال: إذا مدت العمد أكلت والله الجلود (كان والله الخلود)»^٢

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٢٥٩ ، وهذا من تحريف الشيعة الإمامية للقرآن، وليس لعلني رضي الله عنه تعلق بالآية فسياق الآية في عيسى عليه السلام وجاء في تفسيرها عند ابن جرير الطبري فقال: " وقوله: وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا يقول تعالى ذكره: ولما شبه الله عيسى في إحدائه وإنشائه إياه من غير فحل بآدم، فمثله به بأنه خلقه من تراب من غير فحل، إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ إذا قومك يا محمد من ذلك يضحون ويقولون: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذة إلها نعبده، كما عبت النصارى المسيح، وقوله تعالى ذكره: مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا يقول تعالى ذكره: ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ولا قالوا لك هذا القول إلا جدلا وخصومة يخاصمونك به بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ يقول جل ثناؤه: ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق (بل هم قوم خصمون) يلتمسون الخصومة بالباطل " جامع البيان : ج ٢١ / ٦٢٤ ، ٦٢٨ .

أما ما جاء من ناحية القراءة فقد ذكر ذلك فقال: "واختلفت القراء في قراءة قوله: يَصِدُّونَ فقرأته عامة قراء المدينة، وجماعة من قراء الكوفة: "يُضْدُونَ" بضم الصاد. وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة (يَصِدُّونَ) بكسر الصاد.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين ذلك إذا قرئ بضم الصاد، وإذا قرئ بكسرها، فقال بعض نحويي البصرة، ووافقه عليه بعض الكوفيين: هما لغتان بمعنى واحد، مثل يشد ويشد، ويئنم ويئنم من النيمة، وقال آخر: منهم من كسر الصاد فمجازها يضحون، ومن ضمها فمجازها يعدلون، وقال بعض من كسرها: فإنه أراد يضحون، ومن ضمها فإنه أراد الصدود عن الحق.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد، ولم نجد أهل التأويل فرقوا بين معنى ذلك إذا قرئ بالضم والكسر، ولو كان مختلفا معناه، لقد كان الاختلاف في تأويله بين أهله موجودا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين، ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله: يضحون ويجزعون، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب". جامع البيان : ج ٢١ / ٦٢٦ ، ٦٢٥ .

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ٤٤٣ .

عاشراً : ومن روايات التابعين التي جاء بها ، بعض الروايات عن علي بن الحسين (زين العابدين) - وهو هنا لا يأتي بها على أنها لأحد التابعين ، فإنه لم يشر إلى أحد من التابعين في تفسيره، وإنما يأتي بها على أنه أحد الأئمة المعصومين - ومن ذلك عند قوله:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾

فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿ الزمر: ٦٨ ، قال: « فإنه حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن محمد ابن النعمان الأحول عن سلام بن المستنير عن ثوير بن أبي فاختة عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: ما شاء الله، فقيل له فأخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرئيل فيهبط إلى الأرض ومعه الصور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض قال: فإذا رأت الملائكة إسرئيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط إسرئيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رآه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق ومات إلا إسرئيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله، قال: فيقول الله لإسرئيل: يا إسرئيل مت فيموت إسرئيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله ثم يأمر الله السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿١٠﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١١﴾ الطور: ٩ - ١٠ ، يعني تبسط وتبدل الأرض غير الأرض يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلا بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت من قبله جهوري يسمع أقطار السماوات

والارضين "من الملك اليوم" فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبار مجيباً لنفسه: "الله الواحد القهار وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي".^١

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ المائدة: ٢٧ ، قال: « فإنه حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن هشام بن سالم عن أبي حمزة الثمالي عن ثوير بن أبي فاختة قال: "سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يحدث رجلاً من قريش قال: لما قرب ابنا آدم القربان، قرب أحدهما أسمن كبش كان في ظانئته وقرب الآخر ضعفاً من سنبل، فقبل من صاحب الكبش وهو هاييل ولم يتقبل من الآخر، فغضب قاييل فقال لهاييل: "والله لأقتلنك"، فقال هاييل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) لِيْنُ بَسَطَتْ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ المائدة: ٢٧ - ٣٠ ، فلم يدر كيف يقتله حتى جاء إبليس فعلمه، فقال: "ضع رأسه بين حجرين ثم اشدخه"، فلما قتله لم يدر ما يصنع به فجاء غرابان فأقبلا يتضاربان حتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر الذي بقي الأرض بمخالبه ودفن فيها صاحبه، قال قاييل: ﴿قَالَ يَوَلِيَّيْهِ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةً أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ المائدة: ٣١ ، فحفر له حفيرة ودفنه فيها فصارت سنة يدفنون الموتى، فرجع قاييل إلى أبيه فلم ير معه هاييل، فقال له آدم: "أين تركت ابني؟" قال له قاييل: "أرسلتني عليه راعياً؟" فقال آدم: "انطلق معي إلى مكان القربان" وأوجس قلب آدم بالذي فعل قاييل، فلما بلغ المكان استبان قتله، فلعن آدم الأرض التي قبلت دم هاييل!! وأمر آدم أن يلعن قاييل ونودي قاييل من السماء لعنت كما قتلت أخاك ولذلك لا تشرب الأرض الدم، فانصرف آدم فبكى على هاييل أربعين يوماً وليلة فلما جزع عليه شكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه إني واهب لك ذكراً يكون خلفاً من هاييل،

فولدت حواء غلاماً زكياً مباركاً، فلما كان اليوم السابع أوحى الله إليه يا آدم إن هذا الغلام هبة مني لك فسمه هبة الله، فسماه آدم هبة الله^١.

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون: ١٠٠، قال: «وقال علي بن الحسين عليهما السلام: إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران»^٢.

ومما حكي عن الحسن بن علي ما رواه الصادق عنه عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى: ٣ «قال الصادق عليه السلام: لما أدخل علي بن الحسين عليه السلام علي يزيد نظر إليه، ثم قال: يا علي بن الحسين وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم فقال علي بن الحسين عليهما السلام كلا ما فينا هذه نزلت وإنما نزلت فينا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^{٢٢} لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ الحديد: ٢٢ - ٢٣ "فنحن الذين لا نأسوا على ما فاتنا من أمر الدنيا ولا نفرح بما أوتينا»^٣.

والحقيقة كما ترى أن كل ما جاء به القمي على أنه رواية رواها أحد الصحابة، ليس لها أصل ولا هي رواية ثابتة أو معروفة، وإنما هو كلام ملفق من تلفيق الشيعة الإمامية وهدفهم من ذلك أحد أمرين:

الأول: أثبات أنهم يروون عن بعض الصحابة.

والثاني: إبراز مذهبهم وأن الصحابة يوافقونهم عليه ويقولون برأيهم، وهذا الذي يدعونه إنما هي حيلة يحتالون بها على ضعفاء العقول والجهال من بني جلدتهم، فأقوال الصحابة ثابتة ومعروفة عند أهل السنة، وحاشا الصحابة أن يقولوا بمثل هذه الافتراءات.

١ - المرجع السابق: ج ١/ ١٧٣.

٢ - المرجع السابق: ج ٢/ ٦٩.

٣ - المرجع السابق: ج ٢/ ٢٥٠.

المطلب الرابع:

أسباب النزول عند القمي

لا شك في أن معرفة سبب النزول له قيمة عظيمة في فهم المعنى الصحيح للآية، بشرط النقل الصحيح والنص الصريح ممن شاهدوا التنزيل .

يقول الواحدي: « ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار.

أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الواعظ قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد ابن حامد العطار ... عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "اتقوا الحديث إلا ما علمتم، فإنه من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب على القرآن من غير علم فليتبوأ مقعده من النار" ^١ والسلف الماضون رحمهم الله كانوا من أبعد الغاية احترازاً عن القول في نزول الآية.

أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبد الله المخلدي قال: ... حدثنا أبو عمير عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن» ^٢.

والمتصفح لتفسير القمي يرى أنه مولع بذكر أسباب النزول، وهذا ليس لإحراز الفائدة من معرفة التفسير الصحيح للآية، ولكنه من باب تطويعه لنصرة المذهب وإثبات المعتقد، ولا يغيب عن الذهن معتقده الذي ذكرناه سابقاً وهو: "أن ثلث القرآن نزل فيهم، وثلثه في عدوهم"، فمن هذا المنطلق يكمن معرفة اهتمامه بسبب النزول وذكره، وإن كان في قليل من الآيات يأتي السبب صحيحاً متفقاً مع ما رواه أهل السنة وذلك تقيية منه

١ - أخرجه أحمد في مسنده بسند ضعيف، مسند أحمد بن حنبل: ج ١ / ٣٢٣ (٢٩٧٦)، مسند عبد الله بن عباس .

٢ - أسباب نزول القرآن: ج ١ / ١.

لتغطية ما هو مغلوط أو غير صحيح، فلا تعجب إذا رأيت القمي يشير إلى بعض الآيات بأنها نزلت في علي عليه السلام أو في أحد من ذريته، وإن كانت هذه الآيات نزلت قبل مولدهم، أو أنها آية مستقبلية، أو ربما تتكلم عن غيبات اليوم الآخر، أو كانت في الأمم السابقة، وكذلك القول فيما نزل في أعدائهم، فرما قال إن هذه الآية نزلت في بني أمية أو في فلان أو غيره، والآية تحكي قصة أقوام لم يعرفوا بني أمية ولا أسلافهم .

ومن صور ما هو صحيح عنده :

- ما ذكره في سبب النزول عند قوله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ

مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ النساء: ٤٦ ، «قال نزلت في اليهود»^١

- وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ

تُغِضُوا فِيهِ﴾ البقرة: ٢٦٧، قال: «فإنه كان سبب نزولها أن قوماً كانوا إذا صرموا النخل عمدوا إلى أرذل تمرهم فيتصدقون بها، فنهاهم الله عن ذلك، فقال: "ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيته" أي أنتم لو دفع ذلك إليكم لم تأخذوه»^٢.

وأمثلة ما ادعى أنه نزل فيهم، ما ذكر عند قوله تعالى :

١ - تفسير القمي: ج ١ / ١٤٨ .

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ١٠٠، ذكر ابن حجر في العجائب قريباً من ذلك فقال: «عن البراء قال: "نزلت فينا هذه الآية كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرة نخله وقتله فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام إذا جاع أحدهم أتى القنو فضربه فيسقط من البسر و التمر ما يأكله، وكان أناس ممن لا يرغب في الخير يجيء أحدهم بالقنو فيه الحشف وبالقنو فيه الشيص وبالقنو وقد انكسر فيعلقه، قال فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ البقرة : ٢٦٧ « العجائب في بيان الأسباب: ج ١ / ٦٢٣ .

﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا

الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ البقرة: ١٨٩، قال: «نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام لقول رسول الله صلى الله عليه وآله "أنا مدينة العلم وعلي عليه السلام باهما ولا تدخلوا المدينة إلا من باهما"». ^١

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٧٧، وسبب النزول الذي ذكره موضوع، ذكره الحافظ عن جابر مرفوعاً، ثم قال: «الحديث منكر» لسان الميزان: ج ١ / ١٩٧.

وقال ابن الجوزي: فيه عمر بن اسماعيل بن محالد: متروك ليس بثقة، الضعفاء والمتروكون: ج ٢ / ٢٠٥. وقال ابن عدي: «هذا حديث منكر موضوع» الكامل في الضعفاء: ج ١ / ١٩٢.

يقول العجلوني في كشف الخفاء: "أنا مدينة العلم وعلي باهما" رواه الحاكم في المستدرک والطبراني في الكبير وأبو الشيخ في السنة وغيرهم كلهم عن ابن عباس مرفوعاً مع زيادة فمن أتى العلم فليأت الباب، ورواه الترمذي وأبو نعيم وغيرهما عن علي بلفظ أن النبي صلى الله عليه وآله قال: "أنا دار الحكمة وعلي باهما"، وهذا حديث مضطرب غير ثابت كما قاله الدارقطني في العلل، وقال الترمذي منكر، وقال البخاري ليس له وجه صحيح، ونقل الخطيب البغدادي عن يحيى ابن معين أنه قال إنه كذب لا أصل له، وقال الحاكم في الحديث الأول إنه صحيح الإسناد لكن ذكره ابن الجوزي بوجهيه في الموضوعات، ووافقه الذهبي وغيره وقال أبو زرعة كم خلق افتضحوا فيه، وقال أبو حاتم ويحيى بن سعيد لا أصل له لكن قال في الدرر نقلاً عن أبي سعيد العلائي الصواب أنه حسن باعتبار تعدد طرقه لا صحيح، ولا ضعيف، فضلاً أن يكون موضوعاً، وكذا قال الحافظ ابن حجر في فتوى له، قال وبسطت كلامهما في التعقبات على الموضوعات. انتهى، وقال في اللآلئ بعد كلام طويل والحاصل أن الحديث ينتهي بمجموع طريقي أبي معاوية وشريك إلي درجة الحسن المحتج به. انتهى، وقال ابن دقيق العيد: لم يثبتوه، وقيل أنه باطل وهو مشعر بتوقفه فيما قالوه من الوضع، بل صرح العلائي بذلك فقال وعندي فيه نظر ثم بين ما يشهد لكون أبي معاوية حدث به عن ابن عباس وهو ثقة حافظ يحتج بأفراده كابن عيينة وأضرابه قال فمن حكم على الحديث مع ذلك بالكذب فقد أخطأ وليس هو من الألفاظ المنكرة التي تأبها العقول بل هو كحديث أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، فليس الحديث بكذب لا سيما وقد أخرج الديلمي بسند ضعيف جدا عن ابن عمر أنه قال: علي بن أبي طالب باب حطة فمن دخل فيه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً، وأخرجه أيضاً عن أبي ذر رفعه بلفظ علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي حبه إيمان وبغضه نفاق والنظر إليه رافة، ورواه أيضاً عن ابن عباس رفعه أنا ميزان العلم وعلي كفتاه والحسن والحسين خيوطه، وروى الديلمي بلا إسناد عن ابن مسعود رفعه أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي باهما، وروي أيضاً عن أنس مرفوعاً أنا مدينة العلم وعلي باهما ومعاوية حلقته، قال في المقاصد وبالجملة فكلها ضعيفة وألفاظ أكثرها ركيكة، وأحسنها حديث ابن عباس بل هو حسن، وقال النجم كلها ضعيفة واهية، وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم من حديث حبشي بن جنادة مرفوعاً: "علي مني وأنا من علي لا يؤدي عني إلا أنا أو علي"، وليس في هذا كله ما يقدح في إجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم على أن أفضل الصحابة بعد = النبي صلى الله عليه وآله على

- وأيضاً مما ذكره من هذا الجانب، عند قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أجرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٠، قال: «وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ﴾ قال: نزلت في آل محمد وأشياهم»^١.

- وعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ التوبة: ١١١، قال: «نزلت في الأئمة فالدليل على أن ذلك فيهم خاصة حين مدحهم وحلاهم ووصفهم بصفة لا يجوز في غيرهم فقال: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَبْدُونَ

الإطلاق أبو بكر ثم عمر وقد قال ابن عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وآله حي أفضل هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر وعمر وعثمان فيسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فلا ينكره، بل ثبت عن علي نفسه أنه قال خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ثم عمر ثم رجل آخر، فقال له ابنه محمد بن الحنفية ثم أنت يا أبت فقال ما أبوك إلا رجل من المسلمين كشف الخفاء: ج ١ / ٢٠٣ : ٢٠٥.

وسبب النزول الصحيح المعروف هو ما ذكره الواحدي، حيث قال فيما أسنده: «من طريق شعبة عن أبي إسحاق سمعت البراء يقول: "كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها فجاء رجل فدخل من قبل بابه فكأنه غير بذلك فنزلت هذه الآية " متفق عليه، رواه البخاري عن أبي الوليد، ورواه مسلم عن بندار عن غندر عن شعبة. أسباب النزول: ج ١ / ٣٢.

ومن طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر كانت قريش تدعى الحمس وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام، فبينما رسول الله في بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري، فقالوا: يا رسول الله إن قطبة بن عامر رجل فاجر وإنه خرج معك من الباب، فقال: ما حملك على ما صنعت، فقال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت، فقال: إني أحمس، قال: إن ديني دينك. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَكَيْسَ الْبِرِّ يَأْتِ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ البقرة: ١٨٩، أسباب النزول: ج ١ / ٣٣.

قال ابن حجر: حديث جابر أخرجه ابن خزيمة و الحاكم وهو على شرط مسلم ولكن اختلف في إرساله ووصله، وحديث البراء له شاهد قوي وله عدة متابعات مرسله، العجاب في بيان الأسباب: ج ١ / ٤٥٦. وشتان بين هذا السبب والسبب الذي ذكره، ولكن الذي حده على قوله هذا كذبه ومحاولته لإثبات ما يدعونه من أن علي عنده ألف باب من أبواب العلم لا يعلمها إلا هو، كما يدعون.

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٢٤٧، والآية ليست خاصة في معينين وإنما هي عامة، قال أبو جعفر: ويعني بذلك: والذين يعملون بما في كتاب الله وأقاموا الصلاة بمحدودها، ولم يضيعوا أوقاتها إنا لا نضيع أجر المصلحين. يقول تعالى ذكره: فمن فعل ذلك من خلقي، فإني لا أضيع أجر عمله الصالح. جامع البيان: ج ١٣ / ٢١٦.

الْحَمِيدُونَ السَّيِّئُونَ الزَّكِيُّونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴿التوبة: ١١٢﴾ ، فالأمرون بالمعروف هم الذين يعرفون
المعروف كله صغيره وكبيره ودقيقه وجليه والناهون عن المنكر هم الذين يعرفون المنكر كله
صغيره وكبيره والحافظون لحدود الله هم الذين يعرفون حدود الله صغيرها وكبيرها ودقيقها
وجليها ولا يجوز أن يكون بهذه الصفة غير الأئمة عليهم السلام^١.

- وعند قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿الرعد: ٢٣ - ٢٤﴾
«قال نزلت في الأئمة عليهم السلام وشيعتهم الذين صبروا»^٢.

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٠٥ - ٣٠٦ ، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: "قال عبد الله بن رواحة
لرسول الله ﷺ اشترط لربك ولنفسك ما شئت؟ قال: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، واشترط لنفسي
أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة قالوا: ربح البيع لا تقبل ولا
نستقبل" فنزلت. لباب النقول: ج ١ / ١١٥.

أما الآية الأخرى فليس فيها سبب للنزول مذكور لأن الآية عامة في المسلمين المهاجرين منهم والأنصار والذين
اتبعوهم بإحسان، يقول ابن جرير الطبري عند هذه الآية: «والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ
من المهاجرين، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم وأوطانهم والأنصار، الذين نصرؤا رسول الله ﷺ
على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله والذين اتبعوهم بإحسان، يقول: والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله
ورسوله، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، طلب رضا الله رضي الله عنهم ورضوا عنه. رضي الله عن جميعهم
لما أطاعوه، وأجابوا نبيّه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيّه ورضي عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار،
والذين اتبعوهم بإحسان، لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه، وإيمانهم به وبنبيه ﷺ وأعد لهم جنات تجري
تحتها الأنهار، يدخلونها خالدون فيها، لا يموتون فيها أبداً، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ذلك الفوز العظيم.»
جامع البيان: ج ١٤ / ٤٣٤ - ٤٣٩.

٢ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٦٦.

- وأما ما يخص الذرية من أسباب النزول: فكما ذكر عند قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ﴾ التوبة: ٣٣، قال: «فإنها نزلت في القائم من آل محمد وهو الذي ذكرناه مما تأويله بعد تنزيهه»^١.

- وقوله أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ يَكْتُمِبُ الَّذِينَ آمَنُوا مَن رَّزَقَدْنَا مِنكُمْ عَنِ دِينِهِ فَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا أَن يُرَىٰ إِلَيْهِمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ المائدة: ٥٤ «قال هو مخاطبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين غصبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ المائدة: ٥٤، نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه»^٢.

- وأما ما ذكر أنه نزل فيهم وفي أعدائهم: فعند قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ٤٧، قال: «فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام والثالث - يقصد عثمان رضي الله عنه -، وذلك أنه كان بينهما منازعة في حديقة فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نرضى برسول الله صلى الله عليه وآله فقال: عبدالرحمن بن عوف له لا تحاكمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه يحكم له عليك، ولكن حاكمه إلى ابن أبي شيبه اليهودي فقال لأمر المؤمنين عليه السلام: لا أرضى إلا بابن شيبه اليهودي، فقال ابن شيبه له: تأتمنون محمداً على وحي السماء وتتهمونه في الأحكام فأنزل الله على رسوله: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ

١ - المرجع السابق: ج ١ / ٢٨٨.

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ١٧٧-١٧٨.

مُدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَرْءٌ أُرْسِلَهُمْ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿النور: ٤٨ - ٥٠﴾^١.

وما نزل في أعدائهم - على حد زعمه - فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الأعراف: ٤٠ ، قال: « فإنه حدثني أبي عن فضالة عن أبان بن عثمان عن ضريس عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في طلحة والزبير والجمل جملهم»^٢.

- ومنه أيضاً ما جاء عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبِنَعُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ النساء: ١٣٩ «قال: نزلت في بني أمية حيث خالفوا نبيهم على أن لا يردوا الأمر في بني هاشم»^٣.

- ومن ذلك أيضاً ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ الأنفال: ٥٨ ، نزلت في معاوية لما خان أمير المؤمنين عليه السلام «^٤.

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٨٣ ، وهذا من افتراءه على الصحابة عليهم السلام فقد ذكر السيوطي والواحدي في أسباب النزول، ما يخالف ذلك فقال السيوطي: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ النور: ٤٨... الآية ، أخرج ابن أبي حاتم من مرسل الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محق أذعن وعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سيقضي له بالحق وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أعرض، فقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية، لباب النزول للسيوطي: ج ١ / ١٤٥ ، وقال الواحدي: " قال المفسرون: هذه الآية والتي بعدها في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمداً يحيف علينا "، أسباب النزول للواحدي: ج ١ / ٢٤٥.

٢ - تفسير القمي: ج ١ / ٢٣٤.

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ١٦٣.

٤ - المرجع السابق: ج ١ / ٢٧٧ ، وليس معاوية من نزلت الآية بحقه وإنما روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: دخل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: قد وضعت السلاح وما زلت في طلب القوم فاحرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ الآية، لباب النقول: ج ١ / ١٠٦.

وأما ما ذكره هنا عن أبي ذر وعثمان بن عفان ؓ فهو أمر غريب لم أسمع به فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ البقرة: ٨٤ ، قال: «إنما نزلت في أبي ذر رحمة الله عليه وعثمان بن عفان وكان سبب ذلك لما أمر عثمان بنفي أبي ذر إلى الريذة!! دخل عليه أبو ذر وكان عليلاً متوكفاً على عصاه وبين يدي عثمان مئة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النواحي وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسمها فيهم، فقال أبو ذر لعثمان: ما هذا المال؟ فقال عثمان مئة ألف درهم حملت إلي من بعض النواحي أريد أن أضم إليها مثلها ثم أرى فيها رأيي فقال أبو ذر يا عثمان: أيهما أكثر مئة ألف درهم أو أربعة دنانير؟ فقال عثمان: بل مئة ألف درهم، قال: أما تذكر أنا وأنت وقد دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله عشياً فرأيناه كئيباً حزينا فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام، فلما أصبحنا أتينا فرأيناه ضاحكاً مستبشراً فقلنا له: بأبائنا وأمهاتنا دخلنا إليك البارحة فرأيناك كئيباً حزينا ثم عدنا إليك اليوم فرأيناك فرحاً مستبشراً، فقال: نعم، كان قد بقي عندي من فئ المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها وخفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسمتها اليوم واسترحت منها، فنظر عثمان إلى كعب الأخبار، وقال له: يا أبا إسحاق ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة، هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟ فقال: لا ولو اتخذ لينة من ذهب ولينة من فضة ما وجب عليه شيء، فرجع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب، ثم قال له: يا ابن اليهودية الكافرة ما أنت والنظر في أحكام المسلمين قول الله أصدق من قولك حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ التوبة: ٣٤ - ٣٥ ، فقال عثمان: يا أبا ذر إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك ولولا صحبتك لرسول الله لقتلتك، فقال: كذبت يا عثمان أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لا يفتنونك يا أبا ذر ولا يقتلونك وأما عقلي فقد بقي منه ما أحفظه حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك وفي قومك فقال وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله في وفي قومي؟ قال: سمعته يقول إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثون

رجلاً صيروا مال الله دولاً وكتاب الله دغلاً وعباده حولاً والفاستقين حزباً والصالحين حرباً فقال عثمان: يا معشر أصحاب محمد هل سمع أحد منكم هذا من رسول الله فقالوا لا ما سمعنا هذا من رسول الله فقال: عثمان أذع علياً فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان: يا أبا الحسن، أنظر ما يقول هذا الشيخ الكذاب، فقال أمير المؤمنين: مه ، يا عثمان لا تقل كذاب فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر" فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: صدق أبو ذر وقد سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله، فبكى أبو ذر عند ذلك فقال: ويلكم كلكم قد مد عنقه إلى هذا المال ظننتم أني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم نظر إليهم فقال: من خيركم فقالوا: من خيرنا، فقال: أنا فقالوا: أنت تقول أنك خيرنا!، قال: نعم خلفت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الجبة وهو عني راض، وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرة والله سائلكم عن ذلك ولا يسألني، فقال عثمان: يا أبا ذر أسألك بحق رسول الله صلى الله عليه وآله إلا ما أخبرتني عن شيء أسألك عنه فقال أبو ذر والله لو لم تسألني بحق محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً لأخبرتك فقال: أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها فقال: مكة حرم الله وحرم رسول الله أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت، فقال: لا ولا كرامة لك قال المدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا ولا كرامة لك فسكت أبو ذر فقال عثمان: أي البلاد أبغض إليك أن تكون فيها، قال: الربذة التي كنت فيها على غير دين الإسلام فقال عثمان: سر إليها فقال أبو ذر: قد سألتني فصدقتك وأنا أسألك فاصدقني قال: نعم قال أخبرني لو بعثتني في بعث من أصحابك إلى المشركين فأسروني فقالوا لا نفديه إلا بثلاث ما تملك، قال: كنت أفديك قال: فإن قالوا لا نفديه إلا بنصف ما تملك قال: كنت أفديك قال: فإن قالوا لا نفديه إلا بكل ما تملك، قال: كنت أفديك قال أبو ذر: الله أكبر قال حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً "يا أبا ذر وكيف أنت إذا قيل لك أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها فتقول مكة حرم الله وحرم رسوله أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت فيقال لك لا ولا كرامة لك، فتقول فالمدينة حرم رسول الله فيقال لك: لا ولا كرامة لك ثم يقال لك فأبي البلاد أبغض إليك أن تكون فيها فتقول الربذة التي كنت فيها على

- أما ما ذكره في حق عائشة، زوج النبي رضي الله عنها، فهو الإفك بعينه واسمع ماذا يقول عند الآيات التي نزلت في تبرئتها مما قاله المنافقون أمثاله فيها، فقد جعلها هي التي جاءت بالإفك، وليست المتهمه به، فعند قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» النور: ١١، قال: فإن العامة رووا أنها نزلت في عائشة وما رميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية وما رمتها به عائشة المنافقة.

حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن فضال قال: حدثنا عبدالله بن بكير عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليهما السلام يقول: لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله حزن عليه حزناً شديداً فقالت عائشة ما الذي يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريج!!، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وأمره بقتله فذهب علي عليه السلام إليه ومعه السيف وكان جريج القبطي في حائط وضرب علي عليه السلام باب البستان فأقبل إليه جريج ليفتح له الباب فلما رأى علياً عليه السلام عرف في وجهه الغضب فأدبر راجعاً ولم يفتح الباب فوثب علي عليه السلام على الحائط ونزل إلى البستان واتبعه وولى جريج مدبراً فلما خشي أن

=بالشام حاجة فابعث إلى أبي ذر فكتب إليه عثمان أن اقدم علي فقدم وقال ابن بطال إنما كتب معاوية يشكو أبا ذر لأنه كان كثير الاعتراض عليه والمنازعة له وكان في جيشه ميل إلى أبي ذر فأقدمه عثمان خشية الفتنة لأنه كان رجلاً لا يخاف في الله لومة لائم وقال المهلب وكان هذا من توقيف معاوية له إذ كتب فيه إلى السلطان الأعظم لأنه متى أخرجته كانت وصمة عليه، قوله فكثرت علي الناس حتى كأنهم لم يروني وفي رواية الطبري أنهم كثروا عليه يسألونه عن سبب خروجه من الشام قال فخشي عثمان على أهل المدينة خشية معاوية على أهل الشام وقال ابن بطال ولما قدم أبو ذر المدينة اجتمع عليه الناس يسألونه عن القصة وما جرى بينه وبين معاوية فلما رأى أبو ذر ذلك خاف أن يعاتبه عثمان في ذلك فذكر له كثرة الناس وتعجبهم من حاله كأنهم لم يروه قط فقال له عثمان: "إن كنت تخشى وقوع فتنة فاسكن مكاناً قريباً من المدينة" فنزل الريزة وهو معنى قوله: "إن شئت تنحيت" من التنحي وهو التباعد وفي رواية الطبري فقال له: تنح قريباً قال: والله لن أدع ما كنت أقوله، وفي رواية ابن مردويه من طريق ورقاء عن حصين بلفظ فو الله لا أدع ما قلت: قوله ولو أمروا علي من التأمير قوله حبشياً وفي رواية ورقاء عبداً حبشياً أراد لو أمر الخليفة عبداً حبشياً لسمعت أمره وأطعت. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ج ١٣ / ٢٥٤ - ٢٥٥، أما ما ذكره المسعودي في مروج الذهب: ج ١ / ٣٠٨ - ٣٠٩، واليعقوبي في تاريخ اليعقوبي: ج ١ / ١٧٥، فليس بحق لأن تشيعهم أمر مشهور ومعروف.

يرهقه صعد في نخلة وصعد علي عليه السلام في أثره فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء فانصرف علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إذا بعثني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمى في الوتر أم أثبت؟ قال: فقال لا بل اثبت، فقال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال ولا ما للنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله الحمد لله الذي يصرف عنا سوء أهل البيت ^١

وبنفس هذا الهدف البغيض أورد سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات: ٦، قال: «فإنها نزلت في مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام وكان سبب ذلك أن عائشة قالت: لرسول الله صلى الله عليه وآله إن إبراهيم ليس هو منك وإنما هو من جريح القبطي فإنه يدخل إليها في كل يوم، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لأمرير المؤمنين عليه السلام: خذ السيف واتي برأس جريح فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام السيف ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنك إذا بعثني في أمر أكون فيه كالسفود المحماتة في الوبر فكيف تأمرني أثبت فيه أو أمض على ذلك؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: بل تثبت، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى مشربة أم إبراهيم فتسلق عليها فلما نظر إليه جريح هرب منه وصعد النخلة فدنا منه أمير المؤمنين عليه السلام وقال له أنزل، فقال له يا علي! اتق الله ما هنا أناس، إني محبوب ثم كشف عن عورته، فإذا هو محبوب، فأتي به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما شأنك يا جريح! فقال: يا رسول الله إن القبط يجبون حشمتهم ومن يدخل إلى أهلهم والقبطيون لا يأنسون إلا بالقبطيين فبعثني أبوها لأدخل إليها وأخدمها وأونسها فأنزل الله عليه السلام: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ﴾ الآية، وفي رواية عبد الله بن موسى عن أحمد ابن رشيد عن مروان بن مسلم عن عبد الله بن بكير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقتل القبطي وقد علم أنها قد كذبت عليه، أو لم يعلم وإنما دفع الله عن القبطي القتل بتثبت علي عليه السلام؟

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٧٥.

فقال بلى قد كان، والله أعلم ولو كانت عزيمة من رسول الله صلى الله عليه وآله القتل ما رجع علي ﷺ حتى يقتله، ولكن إنما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله لترجع عن ذنبها، فما رجعت ولا اشتد عليها قتل رجل مسلم بكذبها^١.

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ٢٩٣ - ٢٩٤، وحادثة الإفك، واقعة مشهورة ومعروفة أنها كانت في عائشة رضي الله عنها وأن القرآن نزل في تبرئة ساحتها، وسبب نزول هذه الآيات أفاضت به كتب أهل السنة وممن روى هذا البخاري في صحيحه فقال: «حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت من كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضها وإن كان بعضهم أوعى له من بعض.

قالوا: قالت عائشة كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة فالفين آذن ليلة بالرحيل فقممت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيمنت منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأني وكان رأني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فحمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقممت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول قالت: فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي بن سلول. قال عروة: أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه. وقال عروة أيضا لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى وإن كبر ذلك يقال له عبد الله بن أبي ابن سلول .

قال عروة : "كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يرييني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول (كيف تيكم). ثم ينصرف فذلك يرييني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نكته فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت: وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: "تعس مسطح" فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلت وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك قالت: فازددت مرضاً علي مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: (كيف تيكم). فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي يا أمته ماذا يتحدث الناس؟ قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيفة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت فقلت سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة أشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة أهلك ولا نعلم ألا خيرا. وأما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: (أي بريرة هل رأيت شيء يرييك). قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله قالت فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبدالله ابن أبي وهو على المنبر فقال: (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي). قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرک فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال: لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت. فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت: وأصبح أبوي عندي قد بكيت ليلتين ويوما ولا يرقأ لي دمع لا أكتحل بنوم حتى إني لأظن أن البكاء فلق كبدي فينا أبوي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس قالت لم يجلس

- وقوله أيضاً في حقها رضي الله عنها عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾^١ الأحزاب: ٥٣، قال: «فإنه كان سبب نزولها أنه لما أنزل الله ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^٢ الأحزاب: ٦، وحرم الله نساء النبي على المسلمين غضب طلحة، فقال: يحرم محمد علينا نساءه ويتزوج هو نساءنا لعن أمات الله محمدا لنفعلن كذا وكذا... فأنزل الله (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما. إلى قوله - إن تبدوا شيئا^٣ « ولم ينته سبب النزول إلى هنا ولكن انظر إلى تكملة الإفك ، فعند قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَاتَاهُمَا﴾^٤ التحريم: ١٠، يقول: «والله ما عني

عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: (أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أملت بذنب فاستغفري الله وتوبتي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه). قالت عائشة فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال، فقال أبي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي أجيب رسول الله ﷺ فيما قال، قالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أبي منه بريئة لتصدقني فو الله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾^٥ يوسف: ١٨. ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم أبي حينئذ بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها فو الله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو في يوم شات كم ثقل القوم الذي أنزل عليه قالت فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أو كلمة تكلم بها أن قال: (يا عائشة أما والله فقد برك). فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله ﷻ قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾. العشر الآيات « صحيح البخاري: ج ٤ / ١٥١٧ (٣٩١٠)

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ١٧٠.

بقوله فخانتاهما إلا الفاحشة وليقيم الحد على فلانة فيما أتت في طريق وكان فلان يجبهها فلما أرادت أن تخرج إلى... قال لها فلان لا يحل لك أن تخرجي من غير محرم فزوجت نفسها من فلان»^١.

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ٣٦٢ .

المطلب الخامس:

القراءات عند القمي

علم القراءات علم عظيم جليل الشأن، انفردت به أمة محمد ﷺ عن الأمم السابقة وهذا العلم لا يؤخذ إلا بالتواتر عن النبي ﷺ، وهو من الأصول الثابتة عند أهل السنة لمعرفة وجوه تفسير الآية، ولا يصمد قول من قال إن هناك قراءات جديدة لم تعرف إلا الآن أمام سيل الأسانيد المتواترة لقراء الأمة المعروفين والتي تواترت القراءات عنهم ﷺ، أما لدى القمي فالقراءات نادرة جداً ولا يعتمد على شيء منها في تفسير الآية وإنما يوردها فقط لنصرة مذهبه، فهي في الغالب غير صحيحة أو غير معروفة وقلة منها صحيحة متواتر، وإنما يأتي بالصحيح في مقابل المفتري، لذر التراب في الأعين، حتى يلتبس على الجاهل بعلم القراءات الخبيث من الطيب.

ومن أمثلة القراءات الصحيحة عنده: ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ وَتَجْتَنُّونَ مِنَ

الْجِبَالِ بِيُوتًا قَرَاهِينَ ﴾ الشعراء: ١٤٩، قال: «أي حاذقين ويقراً فرهين أي بطرين»^١

ومن القراءات الشاذة التي أتى بها: عند قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكُم مِّنَ الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدِ الْمَشْرِقِيِّ وَالْمَغْرِبِيِّ وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كُلِّ مَسْجِدٍ وَالْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ أُولَٰئِكَ سَمِعُوا لِقَاءَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ عَدِيدٌ ﴾ الحج: ٢٧،

قال: « وقرئ يأتون من كل فج عميق »^٢

وعند قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ الواقعة: ٨٢، قال: «حدثني أبو

عبد الرحمن السلمي أن علياً عليه السلام قرأ بهم الواقعة "وتجعلون شكركم أنكم تكذبون" فلما انصرف قال: إني قد عرفت أنه سيقول قائل لم قرأ هكذا قرأتها لأني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأها كذلك، وكانوا إذا أمطروا قالوا أمطرتنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله "وتجعلون

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٩٩، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن زنجلة: "قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين بغير ألف أي أشرين بطرين من خير وقال مجاهد: معجبين بصنعتكم وعن الحسن أمين، وقرأ الباقر فارهين أي حاذقين بنحتها قال: الفراء هما لغتان مثل طمع وطامع". حجة القراءات: ج ١ / ٥١٩.

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ٥٨، قال أبو حيان في البحر المحيط: "وقرأ عبدالله وأصحابه والضحاك وابن أبي عمير يأتون غلب العقلاء الذكور في البداءة برجال تفضيلاً للمشاة إلى الحج". تفسير البحر المحيط: ج ٨ / ٢١٤.

شكركم إنكم تكذبون" حدثنا علي بن الحسين عن أحمد بن أبي عبدالله عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ قال: بل هي وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»^١.

أما القراءات التي لا أصل لها التي أتى بها لخدمة مذهبه ونصرة معتقده فعند قوله تعالى: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ الرحمن: ٤٣، قال: «وقرأ أبو عبدالله عليه السلام هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها ولا تموتان فيها ولا تحيان" يعني زريقاً وحبتر»^٢.
وأيضاً عند موضع آية الكرسي قال: «وأما آية الكرسي فإنه حدثني أبي عن الحسين ابن خالد أنه قرأ أبو الحسن الرضا عليه السلام: (الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم)»^٤.

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٣٢٨ ، وذكر قريباً منه أبو حيان فقال: « وقرأ عليّ وابن عباس: وتجعلون شكركم، وذلك على سبيل التفسير لمخالفته السواد. وحكى الهيثم بن عدي: أن من لغة أزد شنؤه ما رزق فلان فلاناً، بمعنى: ما شكره. قيل: نزلت في الأنواء، ونسبة السقيا إليها، والرزق: المطر، فالمعنى: ما يرزقكم الله من الغيب. وقال ابن عطية: أجمع المفسرون على أن الآية تويخ للقائلين في المطر، هذا بنوء كذا وكذا، وهذا بنوء الأسد، وهذا بنوء الجوزاء، وغير ذلك» تفسير البحر المحيط: ج ١ / ٢١٦.

٢ - يعني أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

٣ - تفسير القمي: ج ٢ / ٣٢٣.

٤ - المرجع السابق: ج ١ / ٩٢، وأنت ترى إن هذه القراءة ملفقة من عدة آيات، أولاً: ألم، وهي فاتحة البقرة، ثم بداية آية الكرسي ثم تخلل ذلك آية في سورة طه وهي قوله: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ طه: ٦، ثم بعد ذلك جزء من آية في سورة الحشر وهي: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ الحشر: ٢٢، ثم بعد ذلك يختتم بجزء آخر من آية الكرسي، وإذا سألت لماذا ركبت هذه الآية هكذا قالوا: إنما على حسب ترتيب النزول وكذبوا والله، فلو كانت على ترتيب النزول لتقدمت سورة طه لأنها مكية، ولكنه الميل إلى الهوى.

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ الجمعة: ١١، قال: «عن أبي عبدالله عليه السلام قال: "نزلت وإذا رأوا تجارة أو لهوا انصرفوا إليها وتركوك قائماً"»^١.

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ العصر: ٢، قال: «وقرأ أبو عبدالله عليه السلام والعصر إن الإنسان لفي خسر وإنه فيه إلى آخر الدهر»^٢.

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ٣٤٩، وهي قراءة غير معروفة .

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ٤٤٢ قراءة غير معروفة .

المطلب السادس:

الإسرائيليات والموضوعات.

من المؤلف في تفاسير الشيعة أن تجد فيها مواضع مشبوهة من الإسرائيليات والموضوعات والقصص الغريبة، وذلك لعدم اعتمادها في الأصل على التفسير الصحيح المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ في النقل بل تعتمد في طرحها على روايات تطلق عليها تفسير آل البيت، وهذه الروايات في الغالب لا تكون عن آل البيت كما يدعون وإنما تكون موضوعة أو مفتراة عليهم وإنما اعتمدوا عليها لمجرد الرأي والهوى والتعصب لمذهبهم، وهذا هو حال تفسير القمي، فهو مليء بمثل هذه الأمور، فتجده يأتي بكثير من الإسرائيليات المنقولة عن بعض الكتب، وأيضاً يأتي بقتض موضوعات وبأشياء غريبة وعجبية ليس لها أصل ولا تعلق بالآية، وهو لا يتورع أن يسرد قصصاً تفوح منها رائحة الكذب والوضع وذلك من أجل أن يخدم مذهبه أو يثبت بعض مزاعمه في علي ﷺ أو في أحد من ذريته وهم من هذا الإنفك البين براء، والملاحظ على هذه النقول هو إضفاء مسحة شيعة عليها يجعلها مسندة إلى أحد الأئمة أو أن يعلق الإمام الراوي للخبر بأن هذا الخبر له تعلق بالشيعة على ما سوف نرى.

وهذه نماذج مما يحتويه التفسير ولا أريد أن أكثر منها حتى لا يصاب القارئ بالملل والنفور.

أولاً: نماذج لما تعرض له من إسرائيليات:

ومثل ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي

يَأْتِ بِصِيرًا وَآتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يوسف: ٩٣.

قال: «فإنه حدثني أبي عن علي بن مهزيار عن إسماعيل السراج عن يونس بن يعقوب عن المفضل الجعفي عن أبي عبدالله ﷺ قال: "قال: أخبرني ما كان قميص يوسف؟ قلت لا أدري، قال: إن إبراهيم لما أوقدت له النار أتاه جبرائيل بثوب من ثياب الجنة فألبسه إياه فلم يصبه معه حر ولا برد، فلما حضر إبراهيم الموت جعله في تيممة وعلقه على

إسحق^١ وعلقه إسحق على يعقوب فلما ولد ليعقوب يوسف علقه عليه فكان في عنقه حتى كان من أمره ما كان فلما أخرج يوسف القميص من التميمة وجد يعقوب ريحه وهو قوله ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَفَنِّدُونِ﴾ يوسف: ٩٤: وهو ذلك القميص الذي أنزل من الجنة، قلت له: جعلت فداك فيلما من صار ذلك القميص؟ فقال إلى أهله، ثم قال: كل نبي ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى محمد عليه وآله السلام وكان يعقوب بفلسطين وفصلت العير من مصر فوجد يعقوب ريحه وهو من ذلك القميص الذي أخرج من الجنة ونحن ورثته صلى الله عليه وآله^٢»

ومن ذلك أيضاً ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقَت الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَّاكُ بَجَزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الصفات: ١٠٥.

قال: «فإن إبراهيم عليه السلام حين أفاض من عرفات بات على المشعر الحرام وهو فرع فرأى في النوم أن يذبح ابنه إسحاق وقد كان إسحاق حج بوالدته سارة فلما انتهى إلى منى رمى الجمرة هو وأهله وأمر أهله فسارت إلى البيت واحتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى فاستشار ابنه وقال كما حكى الله ﴿يَبْنِيْ اِنِّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اِنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ الصفات: ١٠٢ فقال الغلام كما حكى الله، أمض كما أمرك الله به: ﴿يَتَأْتِ اَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ سَاءَ اَللّٰهُ مِنَ الصّٰبِرِيْنَ﴾ وسلما لأمر الله، وأقبل شيخ فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟ قال أريد أن أذبحه فقال سبحان الله! تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين! فقال إبراهيم: إن الله أمرني بذلك فقال ربك ينهاك عن ذلك وإنما أمرك بهذا الشيطان، فقال له إبراهيم: ويلك إن الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به والكلام الذي وقع في أذني فقال: "لا والله ما أمرك بهذا إلا الشيطان" فقال إبراهيم: "لا والله لا

١ - يحاول إثبات صحة معتقدتهم في جواز تعليق التمام، يقول المجلسي: "ثم للقائلين بالسحر والعين اختلاف في جواز الاستعانة بالرقى والعود، وفي جواز تعليق التمام، وفي جواز النفث والمسح. ولكل من الطرفين أخبار وآثار، والجواز هو الأرجح، والمسألة بالفقهييات أشبه". بحار الأنوار: ج ٦٠/٣٩.

٢ - تفسير القمي: ج ١/٣٥٥، لاحظ كيف ينسب أمر القميص إلى الشيعة في محاولة منه إلى صبغ الخير بأصل من أصول التشيع وهو كون الأنبياء من قبل آمنوا بعلي وذريته.

أكلمك" ثم عزم إبراهيم على الذبح، فقال: "يا إبراهيم إنك إمام يقتدى بك وإنك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم فلم يكلمه وأقبل إلى الغلام فاستشاره في الذبح فلما أسلما جميعاً لأمر الله قال الغلام: "يا أبت خمر وجهي وشد وثاق" فقال إبراهيم: "يا بني الوثاق مع الذبح لا والله لا أجمعهما عليك اليوم" فرمى له بقرطان الحمار ثم أضجعه عليه وأخذ المدينة فوضعها على حلقة ورفع رأسه إلى السماء ثم انتحى عليه المدينة فقلب جبرائيل المدينة على قفاها واجتر الكبش من قبل ثبير^١ وأثار الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي من مسيرة مسجد الخيف: ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٠٥) إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ **الْبَلْتَوُ الْمُؤْمِنُ** ﴿الصفات: ١٠٥ - ١٠٦﴾^٢.

١ - ثبير: من أعظم جبال مكة بينها وبين عرفة، سمي ثبيراً برجل من هذيل مات في ذلك الجبل فعرف الجبل به واسم الرجل ثبير، معجم البلدان: ج ١ / ٤٤٦.

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ١٩٨، تأمل موافقته لهذا الخبر وعدم اعتراضه عليه على الرغم من أن الثابت في الذبيح أنه إسماعيل وليس إسحاق، وما أحسن ما قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره، عند قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الصفات: ١٠١، حيث قال: "وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام؛ فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم عليه السلام، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم: أن إسماعيل وُلِدَ لإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه السلام تسع وتسعون سنة. وعندهم: أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيداً، وفي نسخة أخرى: بكره، فأحجموا ها هنا كذباً وبهتاناً إسحاق، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أحجموا إسحاق لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى مكة، وهذا تأويل وتحريف باطل، فإنه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له غيره، وأيضاً فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضاً، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بغلام حلیم وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ الصفات: ١١٢، ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ الحجر: ٥٣، وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ هود: ٧١، أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل، وقد قدمنا أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً؟! تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج ٤ / ١٤ وما بعدها.

ثانيا: نماذج لما تعرض له من الموضوعات :

ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ﴾ محمد: ١، قال: «أخبرنا أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد عن الحسن بن العباس الحريشي عن أبي جعفر عليه السلام قال: " قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد والناس مجتمعون بصوت عال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ﴾ فقال له ابن عباس: يا أبا الحسن لم قلت ما قلت؟ قال قرأت شيئا من القرآن، قال لقد قتته لأمر، قال: نعم إن الله يقول في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر: ٧، أفتشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله أنه استخلف فلانا؟ قال: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلا إليك، قال: فهلا بايعتني؟ قال: اجتمع الناس عليه فكنت منهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام كما اجتمع أهل العجل على العجل هاهنا فنتم ومثلكم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون»^١.

- ومنه كذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَعْتَبَ (٥) فَانْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى﴾ عيس: ١ - ٧، قال: «نزلت في عثكن^٢ وابن أم مكتوم وكان ابن أم مكتوم مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان أعمى، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أصحابه وعثكن عنده، فقدمه رسول الله صلى الله عليه وآله عليه فعبس وجهه وتولى عنه فأنزل الله عبس وتولى يعني عثكن أن جاءه الأعمى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾، أي يكون طاهرا أزكى ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ قال يذكره رسول الله صلى الله عليه وآله ثم خاطب عثكن فقال: ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْتَبَ (٥) فَانْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾، قال:

١ - يقصد أبو بكر رضي الله عنه.

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ٢٧٦ .

٣ - يقصد عثمان رضي الله عنه .

أنت إذا جاءك غني تتصدى له وترفعه ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ﴾ ، أي لا تبالي زكيا كان أو غير زكي إذا كان غنيا ، ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴾ يعني ابن أم مكتوم^١.

- ومن ذلك أيضاً: ﴿ وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا ۝١ ۞ فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ﴾ العاديات: ١ - ٢ .

قال: «حدثنا جعفر بن أحمد عن عبد الله بن موسى قال: حدثنا الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا ۝١ ۞ فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ﴾ ، قال هذه السورة نزلت في أهل وادي الياض قال: "قلت وما كان حالهم وقصتهم؟ قال: إن أهل وادي الياض اجتمعوا اثني عشر ألف فارس وتعاهدوا وتعاهدوا وتوثقوا على أن لا يتخلف رجل عن رجل ولا يخذل أحد أحدا ولا يفر رجل عن صاحبه حتى يموتوا كلهم على حلف واحد، أو يقتلوا محمداً صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فنزل جبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله وأخبره بقصتهم وما تعاهدوا عليه وتوثقوا وأمره أن يبعث فلاناً إليهم في أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "يا معشر المهاجرين والأنصار إن جبرئيل أخبرني أن أهل وادي الياض اثني عشر ألف فارس قد استعدوا وتعاهدوا وتعاهدوا أن لا يغدر رجل لصاحبه ولا يفر عنه ولا يخذله حتى يقتلوني وأخي علي بن أبي طالب وقد أمرني أن أسير إليهم فلاناً في أربعة آلاف فارس فنخذوا في أمركم واستعدوا لعدوكم وانفضوا إليهم على اسم الله وبركته يوم الاثنين إن شاء الله تعالى " فأخذ المسلمون عدتهم وتهيئوا وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فلاناً بأمره وكان فيما أمره به أنه إذا رأيهم أن يعرض عليهم الإسلام فإن

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ٣٩٨ ، والقصة المعروفة أن الذي عيس وتولى هو الرسول صلى الله عليه وآله فعن عائشة قالت: أنزل ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يقول: "يا رسول الله أرشدني" وعند رسول الله صلى الله عليه وآله رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول أتري بما تقول بأسا فيقال لا، ففي هذا أنزل. قال أبو عيسى هذا حديث غريب .

وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أنزل ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة، قال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد، سنن الترمذي: ج ٥ / ٤٣٢ .

٢ - يقصد أبو بكر رضي الله عنه.

تابعوه وإلا واقعهم فيقتل مقاتليهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم ويخرب ضياعهم وديارهم، فمضى فلان ومن معه من المهاجرين والأنصار في أحسن عدة وأحسن هيئة يسير بهم سيرا رقيقا حتى انتهوا إلى أهل وادي اليباس، فلما بلغ القوم نزول القوم عليهم ونزل فلان وأصحابه قريبا منهم، خرج إليهم من أهل وادي اليباس مائتا رجل مدججين بالسلاح، فلما صادفوهم قالوا لهم: من أنتم ومن أين أقبلتم وأين تريدون؟ ليخرج إلينا صاحبكم حتى نكلمه، فخرج إليهم فلان في نفر من أصحابه المسلمين فقال لهم: أنا فلان صاحب رسول الله، قالوا ما أقدمك علينا؟ قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أعرض عليكم الإسلام فإن تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون لكم ما لهم وعليكم ما عليهم وإلا فالحرب بيننا وبينكم، قالوا له: أما اللات والعزى لولا رحم بيننا وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم فارجع أنت ومن معك وارجحوا العافية فإنما نريد صاحبكم بعينه وأخاه علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال فلان لأصحابه: "يا قوم! القوم أكثر منكم أضعافاً وأعد منكم وقد ناءت داركم عن إخوانكم من المسلمين فارجعوا نعلم رسول الله صلى الله عليه وآله بحال القوم"، فقالوا له جميعاً: "خالفت يا فلان قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أمرك به فاتق الله وواقع القوم ولا تخالف رسول الله صلى الله عليه وآله"، فقال: "إني أعلم ما لا تعلمون الشاهد يرى ما لا يرى الغائب" فانصرف وانصرف الناس أجمعون، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمقالة القوم وما رد عليهم فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "يا فلان خالفت أمري ولم تفعل ما أمرتك وكنت لي والله عاصياً فيما أمرتك" فقام النبي صلى الله عليه وآله وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "يا معشر المسلمين إني أمرت فلانا أن يسير إلى أهل وادي اليباس وأن يعرض عليهم الإسلام ويدعوهم إلى الله فإن أجابوه وإلا واقعهم وإنه سار إليهم وخرج إليه منهم مائتا رجل فإذا سمع كلامهم وما استقبلوه به انتفخ صدره ودخله الرعب منهم وترك قولي ولم يطع أمري، وإن جبرئيل أمرني عن الله أن أبعث إليهم فلاناً مكانه في أصحابه في أربعة آلاف فارس فسر يا فلان على اسم الله ولا تعمل كما عمل أخوك فإنه قد عصى الله

وعصاني، وأمره بما أمر به الأول فخرج وخرج معه المهاجرون والأنصار الذين كانوا مع الأول يقتصد بهم في سيرهم حتى شارف القوم وكان قريباً منهم بحيث يراهم ويرونه، وخرج إليهم مائتا رجل فقالوا له ولأصحابه مثل مقاتلهم للأول فانصرف وانصرف الناس معه وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عدة القوم وجمعهم ورجع يهرب منهم.

فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر محمداً صلى الله عليه وآله بما صنع هذا وأنه قد انصرف وانصرف المسلمون معه، فصعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأخبر بما صنع هذا وما كان منه وأنه قد انصرف وانصرف المسلمون معه مخالفاً لأمرى عاصياً لقولي، فقدم عليه فأخبره مثل ما أخبره به صاحبه فقال له: "يا فلان عصيت الله في عرشه وعصيتني وخالفت قولي وعملت برأيك ألا قبح الله رأيك، وإن جبرئيل عليه السلام قد أمرني إن أبعث علي بن أبي طالب في هؤلاء المسلمين وأخبرني أن الله يفتح عليه وعلى أصحابه، فدعا علياً عليه السلام وأوصاه بما أوصى به الأول والثاني وأصحابه الأربعة آلاف فارس وأخبره أن الله سيفتح عليه وعلى أصحابه، فخرج علي عليه السلام ومعه المهاجرون والأنصار فسار بهم سيراً غير سير فلان وفلان وذلك أنه أعنف بهم في السير حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب وتحفى دوابهم فقال لهم: لا تخافوا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرني بأمر وأخبرني أن الله سيفتح عليّ وعليكم فأبشروا فإنكم على خير وإلى خير، فطابت نفوسهم وقلوبهم وساروا على ذلك السير والتعب حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونهم ويراهم، أمر أصحابه أن ينزلوا وسمع أهل وادي اليباس بقدم علي بن أبي طالب وأصحابه فأخرجوا إليه منهم مائتي رجل شاكين بالسلاح، فلما رآهم علي عليه السلام خرج إليهم في نفر من أصحابه فقالوا له: من أنتم ومن أين أنتم ومن أين أقبلتم وأين تريدون؟ قال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأخوه ورسوله إليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكم إن آمنتم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم من خير وشر، فقالوا له إياك أردنا وأنت طلبتنا قد سمعنا مقاتلك وما عرضت علينا هذا ما لا يوافقنا فخذ حذرنا واستعد للحرب العوان واعلم أنا قاتلوك وقتلوا أصحابك والموعود فيما بيننا وبينك غدا ضحوة، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينكم.

فقال لهم علي عليه السلام : ويلكم ! تهددوني بكثرتكم وجمعكم ! فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فانصرفوا إلى مراكزهم وانصرف علي عليه السلام إلى مركزه فلما جنه الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابهم ويقضموها ويسرجوا فلما انشق عمود الصبح صلى بالناس بغلس ثم أغار عليهم بأصحابه فلم يعلموا حتى وطأهم الخيل فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم وسي ذراريهم واستباح أموالهم وخرب ديارهم وأقبل بالأسارى والأموال معه، ونزل جبرئيل عليه السلام فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما فتح الله بعلي عليه السلام وجماعة المسلمين، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين وأعلمهم أنه لم يصب منهم إلا رجلين، ونزل فخرج يستقبل علياً في جميع أهل المدينة من المسلمين حتى لقيه على ثلاثة أميال من المدينة، فلما رآه علي عليه السلام مقبلاً نزل عن دابته ونزل النبي صلى الله عليه وآله حتى التزمه وقبل ما بين عينيه، فنزل جماعة المسلمين إلى علي عليه السلام حيث نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وأقبل بالغنيمة والأسارى وما رزقهم الله به من أهل وادي اليابس، ثم قال جعفر بن محمد عليه السلام: ما غنم المسلمون مثلها قط إلا أن يكون من خير فإنها مثل ذلك»^١.

-
- ١ - خبير: الموضع المذكور في غزاة النبي صلى الله عليه وآله، وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير .
وأما لفظ خبير فهو بلسان اليهود الحصن ولكون هذه الحصون سميت خيابر، وقد فتحها النبوة صلى الله عليه وآله كلها في سنة سبع عنوة نازلهم رسول الله صلى الله عليه وآله قريباً من شهر ثم صالحوه على حقتن دما ثمهم وترك الذرية على أن يخلوا بين المسلمين وبين الأرض والصفراء والبيضاء والبزة إلا ما كان منها على الأجساد وأن لا يكتموه شيئاً ثم قالوا: يا رسول الله إن لنا بالعمارة والقيام على النخل علماً فأقرنا فأقرهم وعاملهم على الشطر من التمر والحب، وقال أقركم ما أقركم الله فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه ظهر فيهم الزنا وتعبثوا بالمسلمين فأجلاهم إلى الشام وقسم خبير بين من كان له فيها سهم من المسلمين وجعل لأزواج النبي صلى الله عليه وآله فيها نصيباً . معجم البلدان: ج ٢ / ١٩٥ .
- ٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ٤٣٥، والقصة موضوعة لتنصر مذهبهم في إثبات مخالفة الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وعصيانهم أمره إلا علي عليه السلام جميعاً، وهذا محض كذب وافتراء .

ثالثاً: القصص الغريبة العجيبة التي جاء بها في تفسيره ومن ذلك:

ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿الْمُرْتَرَّ أَنَّ اللَّهَ يُسَيِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَتْ كُلُّ قَدِّعِلْمٍ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ النور: ٤١ .

قال: « فإنه حدثني أبي عن بعض أصحابه يرفعه إلى الأصبع بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن لله ملكاً في صورة الديك الأملح الأشهب برأته في الأرض السابعة وعرفه تحت العرش له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب فأما الجناح الذي بالمشرق فمن ثلج وأما الجناح الذي بالمغرب فمن نار فكلما حضر وقت الصلاة قام الديك على برأته ورفع عرفه من تحت العرش ثم أمال أحد جناحيه على الأرض يصفق بهما كما يصفق الديكة في منازلكم فلا الذي من الثلج يطفي النار ولا الذي من النار يذيب الثلج، ثم ينادي بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وأن وصيه خير الوصيين سبوح قدوس رب الملائكة والروح، فلا يبقى في الأرض ديك إلا أجابه وذلك قوله: "والطير صفات كل قد علم صلاته وتسبيحه" ^١.

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ يس: ١٣، قال: «فإنه حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن مالك بن عطية عن أبي حمزة الشمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن تفسير هذه الآية فقال: "بعث الله رجلين إلى أهل مدينة إنطاكية فجاءهم بما لا يعرفون فغلظوا عليهما فأخذهما وحبسوهما في بيت الأصنام، فبعث الله الثالث فدخل المدينة فقال: أرشدوني إلى باب الملك، قال: فلما وقف على باب الملك قال: أنا رجل كنت أتعبد في فلاة من الأرض وقد أحبيت أن أعبد إله الملك فأبلغوا كلامه الملك، فقال: أدخلوه إلى بيت الآلهة فأدخلوه فمكث سنة مع صاحبيه، فقال بهذا ينقل قوم من دين إلى دين بالحدق أفلا رفقتما ثم قال لهما: لا تقرا بمعرفتي ثم أدخل على الملك، فقال له الملك بلغني أنك كنت تعبد إلهي فلم أزل وأنت أخي فأسألني حاجتك! قال: ما لي حاجة أيها الملك، ولكن رأيت رجلين في بيت الآلهة فما بالهما؟ قال الملك: هذان

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ٨٢.

رجلان أتياي ببطلان ديني ويدعواني إلى إله سماوي، فقال أيها الملك فمناظرة جميلة فإن يكن الحق لهما اتبعناهما وإن يكن الحق لنا دخلا معنا في ديننا، فكان لهما ما لنا وعليهما ما علينا قال فبعث الملك إليهما فلما دخلا إليه قال لهما صاحبهما ما الذي جئتما به؟ قالوا جئنا ندعو إلى عبادة الله الذي خلق السماوات والأرض ويخلق في الأرحام ما يشاء ويصور كيف يشاء وأنبت الأشجار والأمطار وأنزل القطر من السماء".

قال: "فقال: لهما إلهكما هذا الذي تدعوان إليه وإلى عبادته إن جئنا بأعمى يقدر أن يرده صحيحا؟ قالوا إن سألناه أن يفعل فعل إن شاء، قال: أيها الملك علي بأعمى لم يبصر قط قال: فأتى به، فقال لهما: ادعوا إلهكما أن يرد بصر هذا، فقاما وصليا ركعتين فإذا عيناه مفتوحتان وهو ينظر إلى السماء، فقال: أيها الملك علي بأعمى آخر، قال: فأتى به قال فسجد سجدة ثم رفع رأسه فإذا الأعمى الآخر بصير، فقال: أيها الملك حجة بحجة علي بمقعد، فأتى به فقال لهما: مثل ذلك فصليا ودعوا الله فإذا المقعد قد أطلقت رجلاه وقام يمشي، فقال: أيها الملك علي بمقعد آخر فأتى به فصنع به كما صنع أول مرة فانطلق المقعد، فقال: أيها الملك قد أوتينا بحجتين وأتينا بمثله ولكن بقي شيء واحد فان هما فعلاه دخلت معهما في دينهما ثم قال: أيها الملك بلغني أنه كان للملك ابن واحد ومات فإن أحياه إلهما دخلت معهما في دينهما، فقال له الملك: وأنا أيضا معك، ثم قال لهما قد بقيت هذه الخصلة الواحدة قد مات ابن الملك فادعوا إلهكما فيحييه، قال: فخرا إلى الأرض ساجدين لله وأطالا السجود ثم رفعا رأسيهما وقالا للملك: ابعث إلى قبر ابنك تجده قد قام من قبره إن شاء الله، قال فخرج الناس ينظرون فوجدوه قد خرج من قبره ينفذ رأسه من التراب، قال: فأتي به الملك فعرف أنه ابنه، فقال له: ما حالك يا بني؟ قال: كنت ميتا فرأيت رجلين من بين يدي ربي الساعة ساجدين يسألانه أن يحييني فأحياني، قال: تعرفهما إذا رأيتهما قال: نعم، قال: فأخرج الناس جملة إلى الصحراء فكان يمر عليه رجل رجل فيقول له أبوه انظر فيقول لا، لا. ثم مروا عليه بأحدهما بعد جمع كثير، فقال: هذا أحدهما وأشار بيده إليه ثم مروا أيضا بقوم كثيرين حتى رأى صاحبه الآخر فقال: وهذا الآخر، قال: فقال النبي صاحب الرجلين: أما أنا فقد آمنت بإلهكما وعلمت أن ما

بالقوم فلما انصرف، قال الله له: سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله أخذت على ذلك عهدنا ومواثيقنا، قال نافع: صدقت يا أبا جعفر، فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ إبراهيم: ٤٨ بأي أرض الذي تبدل؟ فقال أبو جعفر عليه السلام بجبزة بيضاء يأكلون منها حتى يفرغ الله من حساب الخلائق، فقال: نافع إنهم عن الأكل لمشغولون، فقال أبو جعفر عليه السلام: أهم حينئذ أشغل أو وهم في النار؟ فقال نافع: بل وهم في النار، قال عليه السلام: فقد قال الله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ الأعراف: ٥٠، ما شغلهم إذ دعوا الطعام فأطعموا الزقوم، ودعوا بالشراب فسقوا الحميم، فقال: صدقت يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وبقيت مسألة واحدة، قال: وما هي؟ قال: أخبرني عن الله متى كان؟ قال ويلك أخبرني متى لم يكن حتى أخبرك متى كان، سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ثم قال عليه السلام: يا نافع أخبرني عما أسألك عنه، فقال: هات يا أبا جعفر، قال عليه السلام: ما تقول في أصحاب النهروان؟ قال فإن قلت إن أمير المؤمنين قتلهم بحق فقد ارتددت أي رجعت إلى الحق وإن قلت أنه قتلهم باطلاً فقد كفرت، قال فولى عنه وهو يقول أنت والله اعلم الناس حقاً حقاً، ثم أتى هشام بن عبد الملك فقال له ما صنعت؟ قال دعني من

١ - نهروان: هي ثلاث نهروانات الأعلى والأوسط والأسفل، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة منها إسكاف وجرجايا والصفافية ودير فني وغير ذلك وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع الخوارج مشهورة. وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب، وهو نهر مبتدؤه قرب تامراً أو حلوان، وهو الآن خراب ومُدُنُه وقراه تلال يراها الناس بها والحيطان قائمة وكان سبب خرابه اختلاف السلاطين وقتال بعضهم بعضاً في أيام السلجوقية، وكان أيضاً في ممر العساكر فجلا عنه أهله واستمر خرابه وقد استشأم الملوك من تجديده حفر نهره وزعموا أنه ما شرع فيه أحد إلا مات قبل تمامه، وبقي على حاله وكان من أجمل نواحي بغداد وأكثرها دخلاً وأحسنها منظراً وأبهاها مخبراً، معجم البلدان: ج ٤ / ٢٦٠.

كلامك هو والله أعلم الناس حقاً حقاً وهو ابن رسول الله حقاً حقاً ويحق لأصحابه أن يتخذوه نبياً^١

وعند قوله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ النجم: ١٤ - ١٥

قال: «كانت فاطمة عليها السلام لا يذكرها أحد لرسول الله صلى الله عليه وآله إلا أعرض عنه حتى آيس الناس منها، فلما أراد أن يزوجه من علي أسر إليها، فقالت: يا رسول الله أنت أولى بما ترى غير أن نساء قريش تحدثني عنه أنه رجل دحداح البطن طويل الذراعين ضخم الكراديس أنزع عظيم العينين لمنكبيه مشاشاً كمشاش البعير ضاحك السن لا مال له، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة! أما علمت أن الله أشرف على الدنيا فاختارني على رجال العالمين نبياً ثم اطلع أخرى فاختار علياً على رجال العالمين وصياً ثم اطلع فاختارك على نساء العالمين، يا فاطمة! إنه لما أسري بي إلى السماء وجدت مكتوباً على صخرة بيت المقدس "لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بوزيره ونصرته بوزيره" فقلت لجبرئيل ومن وزيري؟ فقال علي بن أبي طالب، فلما انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت مكتوباً عليها "إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي محمد صفوتي من خلقي أيدته بوزيره ونصرته بوزيره" فقلت لجبرئيل ومن وزيري؟ قال علي بن أبي طالب.

فلما جاوزت سدرة المنتهى انتهيت إلى عرش رب العالمين فوجدت مكتوباً على كل قائمة من قوائم العرش "أنا الله لا إله إلا أنا محمد حبيبي أيدته بوزيره ونصرته بوزيره" فلما دخلت الجنة رأيت في الجنة شجرة طوبى أصلها في دار علي وما في الجنة قصر ولا منزل إلا وفيها فرع منها أعلاها أسفاط حلل من سندس وإستبرق يكون للعبد المؤمن ألف ألف سفظ، في كل سفظ مائة ألف حلة ما فيها حلة تشبه الأخرى على ألوان مختلفة، وهو ثياب أهل الجنة وسطها ظل ممدود كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله يسير الراكب في ذلك الظل مسيرة مائة عام فلا يقطعه وذلك قوله: ﴿وَوَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أسفلها ثمار أهل الجنة وطعامهم متدلل في بيوتهم يكون في القضييب منها مائة لون من الفاكهة مما رأيتم في دار الدنيا ومما لم تروه وما سمعتم به وما لم تسمعوا مثلها، وكلما يجتني منها شيء

١ - المرجع السابق: ج ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧.

نبت مكانها أخرى لا مقطوعة ولا ممنوعة، ويجري نهر في أصل تلك الشجرة ينفجر منها الأثمار الأربعة، نهر من ماء غير آسن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ونهر من عسل مصفى.

يا فاطمة إن الله أعطاني في علي سبع خصال: هو أول من ينشق عنه القبر معي، وأول من يقف معي على الصراط فيقول للنار خذي ذا وذري ذا، وأول من يكسى إذا كسيت، وأول من يقف معي على يمين العرش وأول من يقرع معي باب الجنة، وأول من يسكن معي عليين، وأول من يشرب معي من الرحيق المختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون...»^١.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الطور: ٢١ قال: «حدثني أبي عن سليمان الديلمي عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن أطفال شيعتنا من المؤمنين تربيههم فاطمة عليها السلام»^٢.

وعند قوله تعالى: ﴿ فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ الروم: ٣٨. قال: «... فرجع أبو بكر إلى منزله وبعث إلى عمر فدعاه ثم قال: أما رأيت مجلس علي منا اليوم، والله إن قعد مقعدا مثله ليفسدن أمرنا فما الرأي؟ قال عمر: الرأي أن تأمر بقتله، قال: فمن يقتله؟ قال: خالد بن الوليد، فبعثنا إلى خالد فأتاهما فقالا: نريد أن نحملك على أمر عظيم، قال: حملاني ما شئتما ولو قتل علي بن أبي طالب، قال: فهو ذاك، فقال خالد: متى أقتله؟ قال: أبو بكر إذا حضر المسجد فقم بجنبه في الصلاة فإذا أنا سلمت فقم إليه فاضرب عنقه، قال: نعم فسمعت أسماء بنت عميس ذلك وكانت تحت أبي بكر فقالت: لجاريتها اذهبي إلى منزل علي وفاطمة فاقريهما السلام وقولي لعلي إن الملائكة يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فجاءت الجارية إليهما فقالت لعلي عليه السلام: إن أسماء بنت عميس تقرأ عليكما السلام وتقول إن الملائكة يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج أني لك من الناصحين، فقال علي عليه السلام: قولي لها إن الله يحول بينهم وبين ما يريدون.

١ - تفسير القمي: ج ٢/٣١٣ - ٣١٥.

٢ - المرجع السابق: ج ٢/٣٠٩.

ثم قام وتهيأ للصلاة وحضر المسجد ووقف خلف أبي بكر وصلى لنفسه وخالد بن الوليد إلى جنبه ومعه السيف، فلما جلس أبو بكر في التشهد ندم على ما قال وخاف الفتنة وشدة علي وبأسه، فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلم حتى ظن الناس أنه قد سها، ثم التفت إلى خالد فقال يا خالد لا تفعل ما أمرتك به السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا خالد ما الذي أمرك به؟ قال أمرني بضرب عنقك، قال وكنت تفعل؟ قال إي والله لولا أنه قال لي لا تفعل لقتلتك بعد التسليم، قال فأخذه علي عليه السلام فضرب به الأرض واجتمع الناس عليه فقال عمر يقتله ورب الكعبة فقال الناس: يا أبا الحسن الله الله بحق صاحب هذا القبر فخلى عنه، قال فالتفت إلى عمر وأخذ بتلابيبه وقال: يا بن الصهاك لولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وكتاب من الله سبق لعلمت أينما أضعف ناصراً وأقل عدداً ثم دخل منزله»^١

هذه القصص الخرافية التي أشار إليها القمي في تفسيره ، لا تدل إلا على جهالته وخفة عقله، وعدم معرفته الجيدة بحال الصحابة ومحبهم بعضهم بعضاً، وبتفانيهم في إعلاء شأن الإسلام والأمة الإسلامية ولو كانت هناك منافسة في الخلافة كما يدعي، لتزلزلت أركان الدولة الإسلامية وسقطت منذ البداية كما هو مشاهد في كثير من الدول والأمم السابقة المسلمة وغير المسلمة، ولكن ثبات الدولة ومضيها في نشر الإسلام وفتحها الفتوحات في مشارق الأرض ومغاربها هو أعظم دليل على قوة الصحابة ورباطة جأشهم واتحادهم على كلمة واحدة، هي كلمة الحق .

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٣٥ - ١٣٦، والملاحظ أن القمي لم يعلق على أيّ من هذه القصص سواء بذكر أنها موضوعة أو إسرائيلية أو نحو ذلك وهذا يدل على أنه موافق لكل ما ذكره، حتى وإن كان لا أصل له في الحقيقة، والسبب واضح في عدم رفض هذه الأقوال أو تضعيفها في كونه منذ البداية وضع لها صبغة شيعية فأسند القول بها إلى أحد الأئمة، ولذلك صعب عليه التعليق عليها .

المبحث الخامس:

التفسير بالرأي عند القمي وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالباطن.

المطلب الثاني: اللغة والبلاغة.

المطلب الثالث: تفسير المبهمات.

المطلب الرابع: أسلوب الجري.

المطلب الأول:

تفسير القرآن بالباطن

يعتمد القمي في تفسيره على التأويل الباطني اعتماداً أساسياً، فلا يترك ساحة ولا لائحة في الآية إلا اغتنمها في نصرة المذهب أو في إثبات معتقد من معتقدات المذهب، وإذا قلبت في صفحات التفسير يسترعيك أنه لا تمر على صفحة إلا وبها شاردة أو واردة من التفسير الباطني الخاطئ المفترى على أئمة أهل البيت، ومعتمده في ذلك كله، ما روي عن جابر الجعفي قال: "سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألت ثانياً فأجابني بجواب آخر، فقلت جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم! فقال لي: يا جابر إن للقرآن بطناً وللبطن بطناً وظهراً وللظهر ظهراً، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كل متصل ينصرف على وجوه"^١.

فهو يعتقد - كما هو معتقد الشيعة - أن للقرآن معان باطنة تختلف مع معانيه الظاهرة، وبالطبع لا يعرف هذه البواطن إلا الأئمة فهم لديهم علم كل شيء ولا يحيط أحد بعلمهم، فهو علم لديني قد ورثوا بعضه من النبي صلى الله عليه وآله والآخر علموه من الوحي والإلهام، وهذه المعاني الباطنة الإيمان بها واجب كالإيمان بالمعاني الظاهرة، وبالتالي فلا يجوز ردها أو الوقوف عندها حتى وإن كانت لا تمثل الواقع المشاهد أو المفهوم من الآية، مثل أن يوصف علي عليه السلام، بالبعوضة أو النحل أو غيرها من المسميات، وتفسير الجبت والطاغوت بالأول والثاني، يقصد بهما أبا وبكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما .

والتفسير الباطني عنده انتحى فيه إلى منحيين :

الأول: كل آية فيها وصف للمؤمنين أو جزاء أو تبشير للمؤمنين، أو متعلق ذلك جعلها في علي أو الأئمة من ذريته.

١ - بحار الأنوار: ج ٩١/٨٩، باب في قول علي عليه السلام ما من آية نزلت في بر أو بحر أو سهل أو جبل إلا وقد عرفته (٣٧) .

الثاني: كل آية فيها وصف للظالمين أو الكافرين أو المنافقين، أو الخائنين أو تنذر بجزاء لهم، أو متعلق ذلك جعلها في أعدائهم من أهل السنة، والصحابة رضي الله عنهم. وللتعرف على هذين المنحيين سأضرب فقط أمثلة لكل نوع، لأن التفسير مليء به ولا أستطيع حصر ما به من تأويل باطني.

فمن الأول: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ إبراهيم: ٢٤ - ٢٥ .

فحدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي جعفر الأحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال سألته عن قول الله "مثل كلمة طيبة الآية" قال الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله أصلها نسبه ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة علي بن أبي طالب عليه السلام وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام وثمرتها الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهم السلام وشيعتهم ورقها وإن المؤمن من شيعتنا ليموت فتسقط من الشجرة ورقة وإن المؤمن ليولد فتورق الشجرة ورقة قلت رأيت قوله: ﴿ تُوْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ قال يعني بذلك ما يفتنون به الأئمة شيعتهم في كل حج وعمرة من الحلال والحرام^١.

وعلى العكس تماماً من ذلك في أعدائهم، فقال بعد هذا الموضع:

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ إبراهيم: ٢٦ قال: «ثم ضرب الله لأعداء محمد مثلاً فقال ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٧١، والآية عامة ليست في علي وفاطمة وأولادهما يقول ابن كثير: "قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وهو المؤمن، ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ يقول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن، ﴿ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء. وهكذا قال الضحاك، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة وقتادة وغير واحد: إن ذلك عبارة عن المؤمن، وقوله الطيب، وعمله الصالح، وإن المؤمن كالشجرة من النخل، لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت، وصباح ومساء. "تفسير ابن كثير: ج ٤ / ٤٩١.

خَيْبَتِهِ أَجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿ إبراهيم: ٢٦، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: كذلك الكافرون لا تصعد أعمالهم إلى السماء وبنو أمية لا يذكرون الله في مجلس ولا في مسجد ولا تصعد أعمالهم إلى السماء إلا قليل منهم^١.

وأيضاً من المنحى الأول: قوله عند قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ النحل: ٦٨ - ٦٩. قال: «حدثني أبي عن الحسن بن علي الوشاء عن رجل عن حريز بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ قال: "نحن النحل التي أوحى الله إليها" ﴿ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ أمرنا أن نتخذ من العرب شيعة ﴿ وَمِنَ الشَّجَرِ ﴾ يقول من العجم ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ يقول من الموالي، والذي ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ العلم الذي يخرج منا إليكم^٢.

وعند قوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ الحجر: ٨٧.

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٧١. وأيضاً الآية هنا عامة ليس لها تعلق ببني أمية، ثم إن الآية نزلت قبل وجود بني أمية بعدة سنين. والتفسير الصحيح للآية: يقول ابن كثير: وقوله: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْبَتٍ كَشَجَرَةٍ خَيْبَةٍ ﴾ هذا مثل كفر الكافر، لا أصل له ولا ثبات، وشبه بشجرة الحنظل، تفسير ابن كثير: ج ٤ / ٤٩٣.

٢ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٨٩، وهذه الآية تمثل معجزة فذة من معجزات الله في هداية هذا المخلوق الضعيف، واستنفاره في جماعات لعمل داؤوب يفيد الإنسان فبقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: "المراد بالوحي هاهنا: الإلهام والهداية والإرشاد إلى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها، ومن الشجر، ومما يعرشون. ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها وورصها، بحيث لا يكون بينها خلل، ثم أذن لها تعالى إذنا قدرها تسخيراً أن تأكل من كل الثمرات، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى لها مذلة، أي: سهلة عليها حيث شاءت في هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة، والأودية والجبال الشاهقة، ثم تعود كل واحدة منها إلى موضعها وبيتها، لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة، بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل، فتبني الشمع من أجنحتها، وتقوي العسل من فيها وتبيض الفراخ من دبرها، ثم تصبح إلى مراعيها.. " تفسير ابن كثير: ج ٤ / ٥٨١ - ٥٨٢.

قال: «أخبرنا أحمد بن إدريس قال: حدثني أحمد بن محمد عن محبوب بن سيار عن سورة بن كليب عن أبي جعفر عليه السلام قال: نحن المثاني التي أعطاها الله تعالى نبينا ونحن وجه الله الذي نتقلب في الأرض بين أظهركم من عرفنا فأمامه اليقين ومن جهلنا فأمامه السعير»^١.

وعند قوله: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ۚ ﴿١٢﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُلِّلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۚ ﴾ عبس: ١٣ - ١٧.

﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ۚ ﴿١٢﴾ مَرْفُوعَةٍ ﴾ ، قال: عند الله ﴿ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ ، قال بأيدي الأئمة، ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُلِّلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۚ ﴾ ، قال هو أمير المؤمنين قال ما أكفره أي ماذا فعل فأذنب حتى قتله «^٢.

وأما ما يمثل المنحى الثاني عنده فعند قوله تعالى: ﴿ هَذَا نِ حَصَمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ الحج: ١٩

﴿ هَذَا نِ حَصَمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيهِمْ ﴾ قال: نحن وبنو أمية، قلنا: صدق الله ورسوله وقال بنو أمية: كذب الله ورسوله ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني بني أمية ﴿ قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ ﴾ إلى قوله ﴿ وَهُمْ مَّقْلَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴾ الحج: ٢١ قال: تغشاه النار فتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ﴿ وَهُمْ مَّقْلَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴾ قال: الأعمدة التي يضربون بها ضرباً بتلك الأعمدة»^٣.

١ - تفسير القمي: ج ١/ ٣٨٠، عن أبي سعيد بن المعلى قال: مر بي النبي صلى الله عليه وآله وأنا أصلي فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيت فقال: "ما منعك أن تأتي. فقلت: كنت أصلي فقال: ألم يقل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾. ثم قال: (ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد). فذهب النبي صلى الله عليه وآله ليخرج من المسجد فذكرته فقال: ﴿ أَلَمْ يَدْعُوا رَبَّكَ تَبَتُّ لَكَ الْعِصْمَةُ ﴾. هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته، صحيح البخاري: ج ٤/ ١٧٣٨ (٤٤٢٦) كتاب التفسير، سورة الحجر.

٢ - تفسير القمي: ج ٢/ ٣٩٨.

٣ - المرجع السابق: ج ٢/ ٥٥.

وعند قوله تعالى: ﴿أَوْ كُظِّمْتَ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مُّظْلِمَةٌ فَوْقَ بَعْضِهَا إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾^١ النور: ٤٠ ، قال: «حدثنا محمد بن همام عن محمد بن مالك عن محمد بن الحسين الصايغ عن الحسن بن علي عن صالح بن سهل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله ﴿أَوْ كُظِّمْتَ﴾ فلان وفلان^٢ ﴿فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ يعني نعثل^٣ ﴿مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ طلحة وزير ﴿مُظْلِمَةٌ فَوْقَ بَعْضِهَا﴾ معاوية ويزيد وفتن بني أمية ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ﴾ في ظلمة فتنهم ﴿لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ يعني إماماً من ولد فاطمة عليها السلام، فماله من نور فماله من إمام يوم القيامة يمشي بنوره»^٣.

وكل هذه الأقوال إنما هي أقوال مكذوبة ومختلقة ليس لها أصل، والمعروف أن الشيعة الإمامية من أكذب الفرق وأضلهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق أهل العلم بالنقل، والرواية، والإسناد، على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب.

قال الشافعي: لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة.

وقال محمد بن سعيد الأصبهاني: سمعت شريكاً يقول: احمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة؛ فإنهم يضعون الحديث، ويتخذونه ديناً»^٤.

١ - يقصد: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

٢ - يقصد: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٣ - المرجع السابق: ج ٢/ ٨١ - ٨٢.

٤ - منهاج السنّة: ١/ ٥٩.

المطلب الثاني:

اللغة والبلاغة

استخدام القمي للغة والاهتمام بها لم يكن من أولويات اهتماماته القوية، فهو في بعض الأحيان يشير إلى معاني بعض الكلمات التي تشكل، وبعض الأحيان لا يذكر معناها أو المقصود منها، وما يذكره من معان كثيرا ما يكون لنصرة مذهبه، وربما استخدم الشعر ليدل على قصة معينة أو ليستدل به على معنى أرادته، وسأمثل لبعض هذه الأمور من واقع التفسير، ولكن الجدير بالذكر أن القمي لم يستطع أن يخفي عجمته الواضحة في الكتابة وركاكة أسلوبه في كثير من المواضع، فهو ربما أتى بصيغة غير فصيحة تنم عن ضعفه في اللغة العربية، وتعبير بوضوح عن عجمته، وثقل لسانه في العربية، وأيضاً يأتي بمعان لا توافق المعنى الحقيقي للآية، ثم أنه لم يستخدم البلاغة أبداً، ولم يشر إلى شيء من الأمور البلاغية في القرآن، ويعفى عنه في ذلك خاصة كونه راوياً للتفسير، وليس مؤلفاً متعمقاً في آياته يرتشف من رحيق إعجازه البلاغي.

وهذه بعض النماذج لما جاء به في تفسيره:

أولاً: قد يذكر المعنى الصحيح أو القريب من الصحيح: فعند قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [فاطر: ١٢] ، قال: «فالأجاج: المر»^١.

وأيضاً عند قوله: ﴿ فَأَلْهَمُوا الْإِلَهَ نِعْمًا وَلَدًا وَقَدُّ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَيَشْرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٤] .

١ - تفسير القمي: ج ٢/١٨٣، وهذا المعنى صحيح ذكر في كتب اللغة نحو: " (الأجاج) ما يلذع الفم بمرارته أو ملوحته، الأجاج بالضم من الأجاج وهو تلهب النار فكل ما يحرق الفم من مالخ ومُر أو حار فهو أجاج" تاج العروس: ج ١/١٣٢٦، المعجم الوسيط: ج ١/١٣، باب الهمزة. وانظر أيضا: تهذيب اللغة: ج ٤/٦٢، لسان العرب: ج ٢/٢٠٥.

قال: «وقوله: ﴿فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ قال: العابدين»^١.

١ - أو قد يكون المعنى غير صحيح: فعند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ فصلت: ٢٢، قال: «والجلود: الفروج»^٢.
وأيضاً من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الأعراف: ١٣٤، قال: «الرجز وهو الثلج ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا جزعا شديداً وأصابهم ما لم يعهد قبله»^٣.

- وأيضاً من ذلك عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ الأنعام: ٩٥، قال: «الحب: "ما أحبه" والنوى: "ما ناء عن الحق"، وقال أيضاً الحب أن يفلق العلم من الأئمة والنوى ما بعد عنه»^٤.

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٥٩، ذكر في لسان العرب معنى قريب من ذلك فقال: "وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ قال: المَطْمَئِنِّينَ وقيل هم المَوَاضِعُونَ وكذلك قال في قوله: وَأَخْبِتُوا إِلَى رَبِّهِمْ، أي تَوَاضَعُوا وقال الفراء: "أَي تَخَشَّعُوا لِرَبِّهِمْ قال والعَرَبُ تَجَعَلُ إِلَى فِي مَوْضِعِ اللّام وفيه خَبْتَةٌ أَي تَوَاضَعُ وَأَخْبِتَ لِلَّهِ خَشَعَ وَأَخْبِتَ تَوَاضَعَ وكلاهما من الحَبْتِ وفي التنزيل العزيز: فَتُخْبِتُ لَهُ قُلُوبُهُمْ، فسره ثعلب بأنه التواضع وفي حديث الدعاء: واجْعَلْنِي لَكَ مُخْبِتًا أَي خاشعاً مطيعاً، والإخْبَاتُ الخُشُوعُ والتَّوَاضُعُ وفي حديث ابن عباس: فيجعلها مُخْبِتَةً مُنِيبَةً وأصل ذلك من الحَبْتِ المَطْمَئِنِّينَ من الأَرْضِ" لسان العرب: ج ٢ / ٢٧، فالخشوع والتواضع من لوازم العبادة، ولذلك فالمعنى قريب.

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ٢٣٦، ولم يأت تفسير الجلود بالفروج في اللغة .

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ٢٤٠، ولم يأت تفسير الرجز بالثلج، وإنما جاء تفسيرها إما بالعذاب فذكر ابن جرير عند هذه الآية: "ولما وقع عليهم الرجز"، ولما نزل بهم عذاب الله، وحلّ بهم سخطه". جامع البيان: ج ١٣ / ٧٠.
أو جاء تفسيرها بالطاعون، فجاء في الصحيحين: عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّاعُونِ «الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ». صحيح مسلم: ج ٧ / ٢٦، صحيح البخاري: ج ٦ / ٢٥٥٧.

٤ - تفسير القمي: ج ١ / ٢١٨، وهذا المعنى كما ترى غير صحيح وإنما أتى به لخدمة المعتقد ومحاولة إثبات أن العلم عند الأئمة.

- ومن ذلك ما افتراه عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ التكويد: ٨ - ٩ ، قال: «عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، قال: من قتل في مودتنا والدليل على ذلك قوله لرسوله: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى»^١.

ثانياً: استخدامه للشعر وهو قليل بل نادر جداً وكلها جاءت لخدمة المذهب ومن ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَن يُسْأَلَ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ القلم: ١٢ - ١٣، قال: «الخير أمير المؤمنين عليه السلام، معتد أي اعتدى عليه وقوله (عتل بعد ذلك زعيم) قال: العتل عظيم الكفر والزيم الدعي، وقال الشاعر:

زيم تداعاه الرجال تداعيا كما زيد في عرض الأدم الأكارع»^٢

ومن ذلك أيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ الحج: ٤٥ قال: «قوله: (بئر معطلة) هي التي لا يستسقى منها وهو الإمام الذي قد غاب فلا يقتبس منه العلم "والقصر المشيد" هو المرتفع وهو مثل لأمر المؤمنين عليه السلام والأئمة وفضائلهم المشرفة على الدنيا وهو قوله (ليظهره على الدين كله) وقال الشاعر في ذلك:

بئر معطلة وقصر مشرف مثل لآل محمد مستطرف

فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى والبئر علمهم الذي لا ينزف»^٣

- ومن ذلك ما ذكره لإثبات بعض القصص التي يدعي وقوعها نحو ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ الحج: ٦٠، قال: «قوله: (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) فهو رسول الله صلى الله عليه وآله لما أخرجته قريش من مكة وهرب منهم إلى الغار وطلبوه ليقتلوه فعاقبهم الله

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ٤٠١، وهذه جاء بها أيضاً لخدمة المذهب.

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ٣٦٧ .

٣ - المرجع السابق: ج ٢ / ٥٩ - ٦٠.

يوم بدر فقتل عتبة وشيبة والوليد وأبو جهل وحنظلة بن أبي سفيان وغيرهم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله طلب بدمائهم فقتل الحسين وآل محمد بغيا وعدوانا وهو قول يزيد حين تمثل بهذا الشعر:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل^١
وأيضاً قد يأتي ببعض الكلمات الغريبة.

- ومن ذلك عند قوله: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّ لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ ﴾
الروم: ٣٩، قال: «فإنه حدثني أبي عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الربا ربا إن أحدهما حلال والآخر حرام»^٢.

- وعند قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ آل عمران: ١٤٦، يقول: «كأي من نبي قاتل محمد قاتل معه ربيون كثير والربيون الجموع الكثيرة والربوة الواحدة عشرة آلاف»^٣.

١ - المرجع السابق: ج ٦١/٢.

٢ - المرجع السابق: ج ١٢٧/٢.

٣ - المرجع السابق: ج ١/١٢٧. وهل معنى ذلك أن "الربيون" جمع ربوة. لا يعرف هذا المعنى في كتب اللغة.

- وعند قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۗ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ۗ ﴾ يوسف: ٥٥ ، قال: «يعني على الكناديج^١ والأنابير^٢ فجعله عليها»^٣.
- وعند قوله: ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۗ ﴾ آل عمران: ١٧، قال: « وهم الدعآؤون »^٤.

١ - كندج: الكندجة خشبة عظيمة يستخدمها الباني في بناء الجدران والطاقان وهي من اصطلاح البنائين، والكنديج: أو "الكنْدُوج" بالفتح: شبه مخزن من تراب أو خشبة توضع فيه الحنطة ونحوها، معرب كندو بالفارسية، تاج العروس: ج ١/١٤٩٠، القاموس المحيط: ج ١/٢٦٠، وانظر أيضاً قطر المحيط: ج ٢/١٨٨٦.

٢ - الأنبار من الطعام واحد، والجمع: الأنابير. وقيل الأنابير بالفارسية الأهرآء سميت بذلك لأن أهرآء الملك كانت فيها ومنها كان يرزق رجاله، التنبيهات على أغاليط الروآء: ج ١/١١، معجم ما استعجم: ج ١/١٩٧. والهريء: بيت ضخم يجمع فيه طعام السُلطان، والجميع الأهرآء. قلت: أحسب الهريء معرَّباً دخيلاً في كلامهم، تهذيب اللغة: ج ٢/٣٦٤.

٣ - تفسير القمي: ج ١/٣٤٨.

٤ - المرجع السابق: ج ١/١٠٦، أتى بهذا اللفظ الغريب ولم يذكر قياماً ولا صلاة ولا تسبيحاً لأنهم لا يعتقدون في صحة قيام الليل.

المطلب الثالث:

تفسير المبهمات.

يقول ابن منظور: «وَأَسْتَبَّهَمَ الْأَمْرُ إِذَا اسْتَعْلَقَ فَهُوَ مُسْتَبَّهَمٌ وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ "كَانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ كَشَفَهَا" يُرِيدُ مَسْأَلَةً مُعْضِلَةً مُشْكِلَةً شَاقَّةً سَمِيَتْ مُبْهَمَةً لِأَنَّهَا أُجْمِتَ عَنِ الْبَيَانِ فَلَمْ يُجْعَلْ عَلَيْهَا دَلِيلٌ وَمِنْهُ قِيلَ لِمَا لَا يَنْطِقُ بِحَيْمَةٍ»^١.

ولقد جاء شيء من هذه المبهمات في القرآن، والمرجع في معرفتها النقل المحض ولا مجال للرأي فيه، ولا يبحث عن مبهم أخبر الله باستثاره بعلمه كقوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠^٢.

وللإبهام أسباب منها: «الأول: أن يكون أجهم في موضع استغناء ببيانه في آخر في سياق الآية .

والثاني: أن يتعين لاشتهاره كقوله: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ البقرة: ٣٥، ولم يقل حواء لأنه ليس له غيرها.

الثالث: قصد الستر عليه ليكون أبلغ في استعطافه.

الرابع: ألا يكون في تعيينه كثير فائدة كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ البقرة: ٢٥٩ ، والمراد بها بيت المقدس.

الخامس: التنبيه على التعميم وهو غير خاص بخلاف ما لو عين كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ

يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ النساء: ١٠٠ .

السادس: تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ

وَالسَّعَةِ﴾ النور: ٢٢ ، والمراد الصديق ﷺ .

١ - لسان العرب: ج ١٢/٥٦ (بهم) .

٢ - الإتقان في علوم القرآن: ج ١/٤٠٣ .

السابع: تحقيره بالوصف الناقص كقوله: ﴿إِنَّكَ شَانِعُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر: ٣ والمراد فيها العاصي بن وائل^١.

ولقد أتى القمي بتفسير لبعض المبهمات في تفسيره غالبها غير صحيح يعتمد فيها على النقل من الإسرائيليات والموضوعات ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ البقرة: ٧٣ قال: «... ثم قالوا: ما تأمرنا يا نبي الله فأوحى الله تعالى إليه قل: لهم اضربوه ببعضها وقولوا من قتلك؟ فاحذوا الذنب فضربوه به وقالوا: من قتلك يا فلان فقال: فلان بن فلان ابن عمي»^٢.

ولكن جاء عن ابن جرير الطبري رد هذا التفسير فقال: «والصواب من القول في تأويل قوله ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ عندنا: أن يقال: أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتل ببعض البقرة ليحيا المضروب. ولا دلالة في الآية ولا خبر تقوم به حجة، على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتل به. وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ، وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف، وغير ذلك من أبعاضها. ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله.»^٣ وهذا هو الرأي الصواب، لا ما ذكر، لأن مسألة معرفة البعض الذي ضرب به القتل لا تؤثر في فهم معنى الآية بشيء، فإذا لا جدوى من معرفته ولا طائل ورائه.

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ البقرة: ٢٣٧، قال: «﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الولي والأب ولا يعفوان إلا بأمرها»^٤.

١ - البرهان في علوم القرآن: ج ١ / ١٥٦ - ١٦٠.

٢ - تفسير القمي: ج ١ / ٦٠.

٣ - جامع البيان: ج ٢ / ٢٣١.

٤ - تفسير القمي: ج ١ / ٨٦.

- ومما ذكره في هذه المسألة عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ البقرة: ٢٦٠ ، قال: « فأخذ إبراهيم عليه السلام الطاووس والديك والحمام والغراب »^١.
- وأجاب على قوله هذا ابن كثير فقال: « اختلف المفسرون في هذه الأربعة: ما هي؟ وإن كان لا طائل تحت تعيينها، إذ لو كان في ذلك مُتَّهَم لنص عليه القرآن »^٢.
- وعند قوله تعالى: ﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه: ١٢، قال: « كانتا من جلد حمار ميت »^٣.
- وذكر ابن كثير ما يؤيد هذا القول فقال: « قال علي بن أبي طالب، وأبو ذر، وأبو أيوب، وغير واحد من السلف: كانتا من جلد حمار غير ذكي »^٤.
- ولكن لابن جرير الطبري رأي آخر في هذه المسألة - وهو الأصح في نظري- فقال: « أن الله تعالى أمره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان واديا مقدساً. وإنما قال ذلك، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، وإن في قوله: ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ بعقبه دليلاً واضحاً، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا. »^٥.
- وأكتفي بهذه الأمثلة فالقمي غير مكثّر في عرض هذه المبهمات، ولكن كما ترى فإنه دائماً لا يأتي بالصواب في هذه الناحية بسبب اعتماده في النقل على التفسيرات الموضوعية والإسرائيليات، ولا يعتمد على النقل الصحيح، الذي ينقل عن النبي صلى الله عليه وآله عن طريق أصحابه رضي الله عنهم.

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٩٨.

٢ - تفسير القرآن العظيم: ج ١ / ٦٨٩.

٣ - تفسير القمي: ج ٢ / ٣٣.

٤ - تفسير القرآن العظيم: ج ٥ / ٢٧٦.

٥ - جامع البيان: ج ١٨ / ٢٧٩.

المطلب الرابع: أسلوب الجري

هذا الأسلوب من أساليب الشيعة التي انفردت به عن غيرها، فهو لا يوجد عند غيرهم من الطوائف، ومفاده كما ذكر بعضهم أنه مروى عن أبي جعفر: «إذا سمعت الله ذكر قوماً من هذه الأمة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدونا»^١.

ومعتقد الشيعة قاطبة أن القرآن الكريم نزل فيهم وفي أئمتهم وفي أعدائهم، وفي ضوء هذا المعتقد وجه مفسرو الشيعة الآيات القرآنية، فإن ذكرت قوماً سابقين بخير فالمراد بهم الأئمة وأتباعهم وهكذا، وإن كان ما ذكر في الآيات شراً فهو في أعدائهم بلا ريب، وهذا ما يطلقون عليه لفظ الجري، وكل ذلك بهدف خدمة معتقدتهم.

ولقد اتبع القمي هذا الأسلوب في التفسير وأشار إليه في أكثر من موضع منها :

- عند قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الجاثية: ٢٣، قال: «نزلت في قريش وجرت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام واتخذوا إماماً بأهوائهم»^٢.

- وعند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الجاثية: ٢٤، قال: «فهذا ظن شك، ونزلت هذه الآية في الدهرية وجرت في الذين فعلوا ما فعلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام»^٣.

- وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ النساء: ٦١،

١ - تفسير الصافي: ج ٦/١ نقلاً عن التفسير والمفسرون : ج ١/١٥٦.

٢ - تفسير القمي: ج ٢/٢٦٩.

٣ - المرجع السابق ونفس الصفحة.

- قال : « وهم أعداء آل محمد كلهم جرت فيهم هذه الآية »^١.
- ومن ذلك أيضاً عند قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ
- نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج: ٣٩ ، قال : «نزلت في علي وجعفر وحمزة ثم جرت»^٢.
- غير أنه في بعض الآيات قد يشير إلى بعض الصفات ويصفها وصفا صحيحاً ومن ذلك ما رواه عند قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: ٣ ، قال: « هو رد على من يستحل التمتع بالزواني والتزويج بمن وهن المشهورات المعروفات في الدنيا لا يقدر الرجل على تحصينهن، ونزلت هذه الآية في نساء مكة كن مستعلنات بالزنا سارة وحنمة والرباب كن يعنين بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فحرم الله نكاحهن، وجرت بعدهن في النساء من أمثالهن»^٣.
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ النساء: ١٤٥ ، قال : نزلت في عبدالله بن أبي وجرت في كل منافق ومشرك»^٤.
- وأيضاً مما ذكر في هذا الجانب عند قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^{١٠٣}
- الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف: ١٠٣ - ١٠٤ ، قال علي ابن إبراهيم : « نزلت في اليهود و جرت في الخوارج »^٥.

١ - المرجع السابق : ج ١ / ١٥٠ .

٢ - المرجع السابق : ج ٢ / ٥٩ .

٣ - تفسير القمي : ج ٢ / ٧١ - ٧٢ .

٤ - المرجع السابق : ج ١ / ١٦٤ .

٥ - المرجع السابق: ج ٢ / ٢٠ .

الفصل الثاني:

المآخذ العقديّة في تفسير القمي . وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: موقفه من فرية تحريف القرآن .

المبحث الثاني: عقيدة الإمامة والولاية .

المبحث الثالث: عصمة الأئمة.

المبحث الرابع: عقيدته في تجريح الصحابة.

المبحث الخامس: التقية.

المبحث السادس: البداء.

المبحث السابع: عقيدة المهدي والغيبة والرجعة.

المبحث الأول:

فرية تحريف القرآن

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: أصل الفرية عند الشيعة.

المطلب الثاني: موقف القمي منها والرد عليه.

قبل أن أبدأ في عرض مسألة تحريف القرآن عند المصنف أود أن أقف على حقيقة هذه الفرية عند الشيعة الإمامية وهل كل الشيعة الإمامية تقول بهذا الأمر أم لا ؟ لأن القائل بهذه الفرية في كتاب ربنا بعد ما جاءت النصوص الصريحة على حفظ القرآن وصيانته ليس من جانب البشر وإنما حفظه من جانبه عز وجل، فقد قال جل وعلا: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١﴾
 لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ فصلت: ٤١ - ٤٢ ، وقال أيضاً : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿ الحجر: ٩ .

وبعد هذا التأكيد من الله سبحانه وتعالى في كتابه فمن قال بهذه الفرية ليس من الإسلام في شيء ، لأنه :

أولاً: أنكر نصاً صريحاً في القرآن بحفظ الكتاب .

وثانياً: أنكر قدرة الله وصدق وعده بحفظ الكتاب .

ونعود إلى سؤالنا السابق : ما هو موقف الشيعة الإمامية من هذه القضية ؟

وهل جميع الشيعة الإمامية متفقون على وقوع هذه الفرية ؟

أترك الإجابة لنصوص علمائهم في كتبهم المعتمدة المعتمدة عندهم، وأبدأ بمؤلف طالما وسم بأنه من الفرقة المعتدلة وأن كتابه من الكتب المعتدلة عندهم، - وأنا لا أمس جانب الاعتدال فيه - وإنما فقط أزيح الستار عن هذا الاعتدال حتى تبين الحقائق .

فأبدأ بكتاب مجمع البيان للطبرسي، المشهور باعتداله عند أهل السنة، وبأنه أحد ثلاثة أو أربعة من أعلام الشيعة الإمامية نفوا القول بتحريف القرآن، بل إنه صرح في مقدمة تفسيره بنفي القول بتحريف القرآن، فقال: «فإن القرآن الكريم بحمد ذاته معجزة من حيث انعدام قدرة البشر على الإتيان بمثله، ومعجزة بجمعه هكذا، وترتيبه من قبل بعض الصحابة، وعدم تحريفه

وزيادته ونقصانه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿ القيامة: ١٧ ، وبقائه بصورته كما كان ويكون، إلى يوم القيامة، وحفظه أيضاً، فلم يتفق لأمر

تاريخي أو كتاب سماوي مثل ما اتفق للقرآن الكريم، بالبقاء على صورته بدون أي تغيير، كما وعد الله تعالى في قوله في سورة الحجر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^١. وإذا تصفحت الكتاب يملكك العجب والدهشة مما تراه وتقرأه، يقول الطبرسي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ البقرة: ٢١١: «والتبديل: هو أن يحرف، أو يكتم، أو يتأول على خلاف جهته، كما فعلوه في التوراة والإنجيل، وكما فعلوه مبتدعة الأمة في القرآن !!»^٢. ولم يكتف بذلك فتراه يحاول أن يثبت هذه الفرية في صورة قراءة منسوبة لآل البيت، أو لأحد الصحابة، ولكن هذه الآيات التي يذكرها هي عين الآيات التي يقف عندها الإمامية ويدعون تحريفها فمن ذلك قوله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ٣٣، «في قراءة آل البيت: "وآل محمد على العالمين"»^٣، ثم قال بعد ذلك ما يؤيد قبوله لهذه القراءة:

«ويجب أن يكون اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح سواء كان نبياً أو إماماً»^٤.

ويقول في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ آل عمران: ١٢٣، «وروي عن بعض الصادقين - يقصد أحد الأئمة - أنه قرأ "وأنتم ضعفاء"،

١ - تفسير مجمع البيان : ج ١ / ٦ .

٢ - المرجع السابق : ج ٢ / ٦٢ .

٣ - المرجع السابق : ج ٣ / ٦٢ ، وانظر ماذا يقول القمي عند هذه الآية لتعلم أن المقصد واحد "وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ فلفظ الآية عام ومعناه خاص وانما فضلهم على عالمي زمانهم وقال العالم عليه السلام: نزل "وآل عمران وآل محمد على العالمين" فأسقطوا آل محمد من الكتاب". تفسير القمي: ج ١ / ١٠٨ .

٤ - المرجع السابق ، ونفس الصفحة .

وقال لا يجوز وصفهم بأنهم أذلة وفيهم رسول الله ، وكان صاحب راية رسول الله ببدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وصاحب راية الأنصار سعد بن معاذ^١ .
وسكوته وعدم اعتراضه على القراءة الثانية يدل على قبوله لها، رغم أن هذا الموضع بعينه قد ذكره علي بن إبراهيم القمي في موضع يدل على تحريف القرآن وبنفس الصيغة^٢ .
وبنفس المنهج تراه يقول عند قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الأنفال: ١،
«وقد صح أن قراءة آل البيت : "يسألونك الأنفال"»^٣ .
وأنت تراه قد صرح بصراحة بالغة عن صحة هذه القراءة، رغم أن هذه الآية وهذه القراءة يستشهد بها الشيعة علي الخمس .

ونختم هذا النقل بمثال يدل بصراحة ظاهرة عن موقفه من هذه الفرية، فعند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ التوبة: ٧٣، يقول: «وروي في قراءة أهل البيت "جاهد الكفار بالمنافقين"، قالوا: لأن النبي لم يكن يقاتل المنافقين، وإنما كان يتألفهم لأن المنافقين لا يظهرون الكفر، وعلم الله بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرون الإيمان»^٤ .

وقد يبدو الأمر مقبولاً بهذه القراءة من وجه إلا أن المقصد الحقيقي لهذه القراءة هو ما تبثه كتب الشيعة حول صحابة رسول الله ﷺ من نفاقهم في حياته، وكفرهم من بعده ، فالمقصود من هذه القراءة أن الله قد أمر النبي ﷺ أن يجاهد الكفار بالمنافقين الذين هم غالب الصحابة - ما عدا قلة كما هو معتقدهم - وهذا يتصادم مع حقيقة الصحابة ﷺ ، ويناقض صريح القرآن الذي ترضى عنهم ومدحهم في أكثر من موضع .

١ - المرجع السابق: ج ٤ / ١٨٨ .

٢ - تفسير القمي: ج ١ / ١٢٩، قال: "قال أبو عبد الله عليه السلام ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله ﷺ و إنما نزل: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم ضعفاء) ."

٣ - مجمع البيان: ج ٩ / ٩٩ .

٤ - المرجع السابق: ج ٨ / ١٢٨ .

فهذه مجرد إشارات على وقوع الرجل فيما نفاه من قبل في مقدمته وكأنه قد ناقض نفسه، فاتبع آراء قومه، ولم يعف نفسه من ورود هذه الفرية، رغم أن وجودها قليل إلى حد ما في كتابه بالنسبة إلى كتب غيره من بني قومه .

والطبرسي في هذا إنما سلك مسلك شيخه أبي جعفر الطوسي، - فورد في التبيان: «ثم إن أمين الإسلام الطبرسي صاحب (مجمع البيان) الذي حدا فيه حدو شيخ الطائفة في (التبيان)»^١ - فإن الأخير نفى أيضاً وقوع تحريف القرآن في مقدمة تفسيره فقال: «أما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها والنقصان منه، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة، من جهة الخاصة والعامة، بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الأحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً، والأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنه يمكن تأويلها ولو صحت لما كان ذلك طعنا على ما هو موجود بين الدفتين، فإن ذلك معلوم صحته، لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه»^٢.

هذا ما قاله الطوسي في مقدمة كتابه، الذي نفى فيه وقوع التحريف في القرآن، ولكن عند تصفح الكتاب نرى أنه يناقض نفسه أيضاً مثل تلميذه، ولكن لا يأتي بالفرية صريحة وإنما يعمد إلى إلصاقها بقراءة الأئمة أو بقراءة ابن مسعود وهو منها براء .

١ - التبيان: ج ١ / المقدمة ٦٤ .

٢ - التبيان: ج ١ / ٣ ، وهذا الكلام فيه نظر وغير مقبول من عدة أمور :

أولاً : أنه لم يصدر من أهل السنة والجماعة أي نص يدل على وقوع التحريف في القرآن كما يدعي . ولم يقل أحد من السلف أو الخلف بذلك والكل مقرّ بحفظ القرآن وأن ما بين أيدينا من الكتاب هو عين ما نزل على النبي ﷺ قبل وفاته .
ثانياً : أننا لسنا بحاجة إلى افتراء هذه الفرية، ولاتلحقنا بها أي استفادة، بل تعتبر من أكبر المطاعن في الدين، أما الشيعة فهم من بث هذه الفرية في كتبهم وهم من أيدها وادعاها كما سنرى، بل هم المستفيدون من الطعن في الدين وفي صحابة رسول الله ﷺ، إذ لما لم يجدوا لمذهبهم دليل صحيح يركنوا إليه عمدوا إلى تشويه الدين، وأول هذه الخطى ادعاء أن القرآن أسقط منه بعض الآيات الخاصة بالولاية والآيات التي في فضائل آل البيت .
ثالثاً : إدعائه بأن أحاديث الأحاد لا توجب علماً ولا عملاً، والحقيقة غير ذلك، ولا أرى الدخول في مثل هذه المسألة هنا ، ولكن تفصيلها في كتب الحديث مصطلحه .

فتجده عند قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ آل عمران: ١٢٣ ، يقول : «وروي عن بعض السلف الصالح - يعني أحد الأئمة - أنه قرأ "وأنتم ضعفاء" قال: ولا يجوز وصفهم بأذلة، وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله»^١. وهو نفس الموضع السابق عند تلميذه، وهو هنا يؤيد ويختار القراءة الأخرى وهي غير معروفة، ولا مقروء بها، ويترك القراءة الصحيحة .

وتراه في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ غافر: ٢٠ ، يقول: «وفي قراءة ابن مسعود "يقص بالحق" ولم يقرأ به أحد. وقوله "يقضى بالحق" يدل على بطلان قول من يقول: إن الظلم والجور بقضاء الله، لأن ذلك كله ليس بحق»^٢

ويقول في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ الأحزاب: ٢٥ ، «قيل: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام وهي قراءة ابن مسعود، وكذلك هو في مصحفه، في قتله عمرو بن عبد ود وكان ذلك سبب هزيمة القوم»^٣

والحقيقة أن كل ما قاله هو من افتراءات بني قومه ، وليس من الحقيقة في شيء ، وابن مسعود براء من هذه القراءة المنسوبة إليه ، فهي قراءة لم يقرأ بها أحد كما أثبت هو سابقاً وليست معروفة إلا عندهم .

ثم نرى الطوسي الذي يتظاهر بإنكار التحريف في التبيان، يثبت في غيره وقوع هذا التحريف فتجده في تهذيب الأحكام - وهو من كتب الأصول عند الشيعة الإمامية - يروي بسنده عن الهيثم بن عروة التميمي قال: « سألت أبا عبد الله عن قوله تعالى:

١ - التبيان: ج ٢ / ٥٧٨ - ٥٧٩ .

٢ - المرجع السابق: ج ٤ / ١٥٤ . وهذه القراءة تؤيد معتقد الشيعة في أن الخير والشر ليس بقضاء الله ولذا هم لا يقبلون كلمة " يقض " ويستبدلوها بكلمة " يقص " ، والصحيح عند أهل السنة أن " الخير والشر بتقدير الله ﷻ ؛ لأنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بقضاء الله وقدره، لا بد من الإيمان بذلك ، فالله ﷻ خلق الخير والشر لحكمة ﴿ وَبَلَّوْكُمْ بِالْثَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ الأنبياء: ٣٥ ، يتميز بذلك أهل الإيمان والتوحيد ولانقياد الله ، عن أهل الكفر

والشرك والإلحاد، ولو لم يكن هناك خير لما حصل التمييز. شرح العقيدة الطحاوية: ج ١ / ١٨٦

٣ - التبيان: ج ٨ / ٣٣١ ، وهي كما ترى قراءة شيعية .

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^٦ المائدة: ٦ فقال: ليس هكذا تنزيلها إنما هي فاغسلوا وجوهكم وأيديكم من المرافق، ثم أمر يده من مرفقه إلى أصابعه^١ والمعلوم من مذهب الشيعة أنهم يغسلون أيديهم بدءاً من المرافق وليس انتهاءً إليها، وهذا اعتماداً على هذه الرواية التي يرويها الطوسي في أحد كتب الأصول عندهم^٢. وأيضاً تجده في كتابه الغيبة يذكر هذا الدعاء: «اللهم جدد ما محي من دينك وأحي به ما بدل من كتابك»^٣.

وأيضاً تجده يروي في ذكر في يوم عاشوراء فيقول: «اللهم إن كثيراً من الأمة ناصبت المستحفظين من الأئمة، وكفرت بالكلمة وعكفت على القادة الظلمة، وهجرت الكتاب والسنة، وعدلت عن الحبلين اللذين أمرت بطاعتهما، والتمسك بهما فأماتت الحق وجارت عن القصد ومالأت الأحزاب، وحرقت الكتاب، وكفرت بالحق لما جاءها وتمسكت بالباطل لما اعترضها...»^٤

والحاصل أن الطوسي يعتقد بمثل ما يعتقد غيره من الإمامية في وقوع التحريف في الكتاب .

ثم ننتقل إلى علم آخر من أعلامهم وهو شيخ الطوسي الملقب عندهم بالمفيد، فتراه يعلن صراحة - وليس موارد كما فعل تلميذه - بتحريف القرآن فيقول: «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى - من منظورهم - من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه الظالمون فيه من الحذف والنقصان»^٥.

وقال أيضاً: «واتفقوا أن أئمة الضلال - يقصد الصحابة رضي الله عنهم - خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأجمعت

١ - تهذيب الأحكام للطوسي: ج / ٥٧، نقلها عنه الحر العاملي في وسائل الشيعة: ج ١ / ٣٨٥

٢ - انظر في هذا الموضوع الفصل الثالث من هذا البحث: ٤٧٤

٣ - الغيبة، للطوسي: ١٧٠ .

٤ - مصباح المجتهد للطوسي: ٧٨٤ .

٥ - المرجع السابق: ٩١ .

المعتزلة، والخوارج، والزيدية والمرجئة، وأصحاب الحديث - يقصد أهل السنة - على خلاف الإمامية في جميع ما عدناه»^١.

ومن شيوخ الإمامية الذين أنكروا وقوع هذه الفرية ابن بابوية القمي الملقب عندهم بالصدوق وهو شيخ المفيد السابق، فنجده يقول: «اعتقدنا أنّ القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه محمد هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، وليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة، ومن نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر فهو كاذب»^٢.

ولكن لم تسلّم هذه المقولة من التناقض كما هو حال الإمامية، فتجده يقول في كتابه الخصال: «يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون على الله ﷻ: المصحف والمسجد والعترة، يقول المصحف: "يارب حرفوني ومزقوني...".»^٣.

وتراه في موضع آخر يقول: «عن أبي عبد الله ﷺ عن آبائه صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله ﷻ اختار من الأيام الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، واختارني على جميع الأنبياء، واختار مني علياً وفضله على جميع الأوصياء، واختار من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين الأوصياء من ولده، ينفون عن التنزيل تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل المضلين، تأسعهم قائمهم وهو ظاهرهم وهو باطنهم»^٤.

ويلاحظ مما سبق مدى الاختلاف والتناقض بين أقوال الشيعة فطائفة تصرح بوقوع هذا التحريف وأخرى تنفي وقوعه مع اعتقاد داخلي بوقوعه، وهذا الاختلاف في الرأي يقع بين الشيخ وتلميذه، فأنت ترى أن الصدوق ينفي حدوثه، ثم يأتي تلميذه المفيد فيصرح بحدوثه، ثم يأتي الطوسي تلميذ المفيد فينفي ذلك أيضاً، ولعل هذا الاضطراب الذي وقع بين آراء الشيعة الإمامية هو السبب الذي دفع الميرزا النوري الطبرسي من وضع كتابه "فصل

١ - أوائل المقالات: ٤٨ . ٤٩ .

٢ - الاعتقادات: ١٠١-١٠٣ .

٣ - الخصال: ج ١ / ١٧٤ - ١٧٥ .

٤ - كمال الدين وقام النعمة: ٢٨١ .

الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب^١، وهذا الكتاب كما هو ظاهر من اسمه وضع أساساً لإثبات وقوع هذه الفرية في كتاب الله عند الشيعة الإمامية، وهذا ما يمثل بجدارة معتقدتهم في تحريف القرآن، وصاحب هذا الكتاب هو أحد علماء الشيعة المبجل عندهم، وصاحب الأصول المعتبرة عندهم وهو مستدرك الوسائل، وكتابه هذا يقع في ثلاث مقدمات وباين:

ذكر في المقدمة الأولى: نبذ مما جاء في جمع القرآن وجامعه وسبب جمعه وزمانه، ... وأبرز معتقد الشيعة الراسخ بأنه لم يجمع القرآن كما أنزل إلا علي ﷺ فذكر لإثبات هذا عدة روايات منها:

ما رواه الكليني عن أبي جعفر، قال: «ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده»^٢.

ومنها أيضاً: ما رواه الصدوق في عقائده - لاحظ أن هذا الصدوق نقل عنه نفي وقوع هذه الفرية - «أن أمير المؤمنين علي جمع القرآن فلما جاء به فقال: هذا كتاب ربكم كما أنزله على نبيكم لم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف^٣، فقالوا: لا حاجة لنا فيه عندنا مثل الذي عندك، فانصرف وهو يقول: فنبذوه...»^٤.

١ - حصلت على نسخة إلكترونية من الكتاب، وأثبت ذلك لأن الشيعة تنكر مقصد هذا الكتاب فتدعي أن مؤلفه وضعه خصيصاً لنفي وقوع هذه الفرية في القرآن، وليرد على القائلين بها، لا ليثبتها. ويدعون عدم اطلاعنا على الكتاب باعتباره غير منشور وأنا نروج لفرية مفتراة على الكتاب وعلى مؤلفه، والحقيقة عكس ذلك تماماً فالكتاب كله محمول إثبات وقوع هذه الفرية وذكر أسماء من قال بها من الشيعة، والجدير بالذكر أنه أفرد ما يقرب من سبع صفحات ليذكر فيها فقط أسماء القائلين بهذه الفرية من الشيعة، ولم يرد اسم واحد من تلك الأسماء من أهل السنة مع ادعاء الشيعة أن أهل السنة هم القائلون بهذه الفرية وليسوا هم.

٢ - كتاب فصل الخطاب: ورقة ٢.

٣ - تأمل العبارة التي توحى بالنقص أو الزيادة فيما عندهم من كتاب .

٤ - المرجع السابق: ورقة ٥.

ثم ينتقل إلى المقدمة الثانية وهي: "في بيان أقسام الاختلاف والتغيير إما بالزيادة أو بالنقصية^١ أو بالتبديل إما مع اختلاف المعنى أو مع بقاءه وربما يجتمع بعضها مع بعض" وذكر فيها أمثلة لما ادعاه وقومه أنه محرف منها: إسقاط لفظ "علي" في مواضع وكلمة "ولا يحدث" بعد قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ الْحَج: ٥٢

أما المقدمة الثالثة: فجعلها في "ذكر أقوال علمائهم في تغيير القرآن وعدمه" وجاء في هذه المقدمة بأسماء من قال بوقوع هذه الفرية في القرآن ومألت أسماءهم عدة صفحات تصل إلى أكثر من سبع صفحات، حتى إنه قال: إن هذا مما أجمعت عليه الطائفة إلا من شذ.

أما الباب الأول: فهو في التدليل على وقوع التحريف في القرآن.

والباب الثاني: فهو في الرد على أدلة المنكرين للتحريف.

وعلماء الشيعة لا يستطيعون التفوه بهذا الاعتقاد الضال لأنهم «على دين من كتبه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله»^٢.

ولأن الروايات التي تطعن عندهم في القرآن مستفيضة على حد كلام شيخهم المفيد ومتواترة ومطبق على صحتها عندهم على حد كلام السيد نعمة الله الجزائري الذي يقول: «الثالث: أن تسليم تواترها عن الوحي الإلهي وكون الكل قد نزل به الروح الأمين يقضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً مع أن أصحابنا رضوان الله عليهم قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها - يقصد صحة وتصديق الروايات التي تذكر بأن القرآن محرف - ، نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي^٣ وحكموا بأن ما بين دفتي المصحف هو القرآن المنزل لا غير ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل»^٤.

١ - هكذا مكتوبة، ومراده النقصان.

٢ - أصول الكافي: ج ٢/٢٢٢.

٣ - أما الشريف المرتضى فهو معتزلي أكثر منه شيعي والمعتزلة لم يقولوا بالتحريف، والصدوق والطبرسي قد علمت سابقاً بأنهم قالوا بالتحريف ولكن لم يشتهر عنهم.

٤ - الأنوار النعمانية: ج ٢/٣٥٧.

ثم يعلل ويدفع عنهم عدم قولهم بالتحريف فيقول: «والظاهر أن هذا القول - أي إنكار التحريف - إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها سد باب الطعن عليها بأنه إذا جاز هذا في القرآن فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه مع جواز حقوق التحريف لها»^١. ويمضي نعمة الله الجزائري فيقرر أن أيادي الصحابة امتدت إلى القرآن وحرفته وحذفت منه الآيات التي تدل على فضل الأئمة فيقول: «ولا تعجب من كثرة الأخبار الموضوععة - يقصد الأحاديث التي تروي مناقب وفضائل الصحابة عليهم السلام - فإنهم بعد النبي صلى الله عليه وآله قد غيروا وبدلوا في الدين ما هو أعظم من هذا كتغييرهم القرآن وتحريف كلماته وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والأئمة الطاهرين وفضائح المنافقين وإظهار مساويهم كما سيأتي بيانه في نور القرآن»^٢.

ويأتي الجزائري بمرطقة الشيعة المشهورة عندهم بأن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا علي عليه السلام وأن القرآن الصحيح عند المهدي وأن الصحابة ما صحبوا النبي صلى الله عليه وآله إلا لتغيير دينه وتحريف القرآن فيقول: «قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين عليه السلام بوصية من النبي صلى الله عليه وآله، فبقي بعد موته ستة أشهر مشغلا بجمعه، فلما جمعه كما أنزل أتى به إلى المتخلفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزل، فقال له عمر بن الخطاب: لا حاجة بنا إليك ولا إلى قرآنك، عندنا قرآن كتبه عثمان!!، فقال لهم علي: لن تروه بعد اليوم ولا يراه أحد حتى يظهر ولدي المهدي عليه السلام. وفي ذلك القرآن - يقصد القرآن الذي عند المهدي - زيادات كثيرة وهو حال من التحريف، وذلك أن عثمان قد كان من كتاب الوحي لمصلحة رآها صلى الله عليه وآله وهي أن لا يكذبه في أمر القرآن بأن يقولوا إنه مفتري أو إنه لم ينزل به الروح الأمين كما قاله أسلافهم، بل قالوه أيضا وكذلك جعل معاوية من الكتاب قبل

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ٣٥٨، وهذا الكلام من الجزائري يعني أن قولهم - أي المنكرين للتحريف - ليس عن عقيدة بل صرح أنه لأجل مصالح أخرى أو تقية كما هو ديدنهم .

٢ - هكذا وجدتها مكتوبة، ويقصد بها مساوئهم .

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ٩٧، والمقصود في "نور القرآن" هو فصل في كتاب "الأنوار النعمانية" لكن الظاهر أن هذا الفصل حذف من الكتاب في طبعات متأخرة لخطوته.

٤ - انظر سوء أدبه مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله .

٥ - لاحظ وتأمل المغالطات التاريخية، فهل كتب عثمان القرآن!، وهل وقع ذلك في زمن أبي بكر صلى الله عليه وآله جميعاً.

موته بستة أشهر لمثل هذه المصلحة أيضا وعثمان وأضرابه ما كانوا يحضرون إلا في المسجد مع جماعة الناس فما يكتبون إلا ما نزل به جبرائيل عليه السلام. أما الذي كان يأتي به داخل بيته عليه السلام فلم يكن يكتبه إلا أمير المؤمنين عليه السلام لأن له المحرمة!! دخولا وخروجاً فكان ينفرد بكتابة مثل هذا، وهذا القرآن الموجود الآن في أيدي الناس هو خط عثمان، وسموه الإمام وأحرقوا ما سواه أو أخفوه، وبعثوا به زمن تخلفه إلى الأقطار والأمصار ومن ثم ترى قواعد خطه تخالف قواعد العربية!!

وقد أرسل عمر بن الخطاب زمن تخلفه إلى علي عليه السلام بأن يبعث له القرآن الأصلي الذي هو ألفه وكان عليه السلام يعلم أنه طلبه لأجل أن يحرقه كقرآن ابن مسعود أو يخفيه عنده حتى يقول الناس: إن القرآن هو هذا الكتاب الذي كتبه عثمان لا غير فلم يبعث به إليه وهو الآن موجود عند مولانا المهدي عليه السلام مع الكتب السماوية وموارث الأنبياء ولما جلس أمير المؤمنين عليه السلام على سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه.^٢

كما لم يقدر على النهي عن صلاة الضحى، وكما لم يقدر على إجراء المتعتين متعة الحج ومتعة النساء^٣، وقد بقي القرآن الذي كتبه عثمان حتى وقع إلى أيدي القراء فتصرفوا فيه بالمد والإدغام والتقاء الساكنين مثل ما تصرف فيه عثمان وأصحابه وقد تصرفوا في بعض الآيات تصرفاً نفرت الطباع منه وحكم العقل بأنه ما نزل هكذا^٤.

١ - وتأمل هنا أيضاً للمغالطات التاريخية.

٢ - هذا الكلام من الجزائري الشيعي هو جواب لكل من يسأل نفسه لماذا لم يظهر علي عليه السلام القرآن الأصلي وقت خلافته، ولماذا أخفاه إذا كان يجوزته قرآن غير هذا القرآن، وهل "إظهار الشنعة عن من سبقه!!" أولى من ترك الأمة بأسرها في ضلال تنخبط من دون قرآن صحيح؟ بل إن الشنعة على من يقول على علي عليه السلام مثل هذا الكلام ويذمه بمثل هذه الأفعال ويرميه بمثل هذه الاتهامات.

٣ - يصفون علي عليه السلام هنا بأنه تستر على الحقيقة وأنه حابي وحامل "المخالفين" بزعمهم على حساب الدين وإظهار الحق، فهم يسيئون لعلي أكثر مما يمدحونه وما كان علي عليه السلام ليحب عن إظهار الحق أو يخشى في الله لومة لائم.

٤ - المرجع السابق: ج ٢/٣٦٠ - ٣٦٢.

ولنشأة هذه الفرية بداية وأصلها يرجع إلى ما يسمونه كتاب سليم بن قيس الذي تعتبره الشيعة أول كتاب لهم، أو يطلقون عليه "أبجد الشيعة" فقال محقق الكتاب في المقدمة: «كتاب سليم أول مؤلف في الإسلام»^١.

وقد وصفه بأنه «كتاب مشهور شهد الموافق والمخالف بأنه كتاب معروف معتبر عند الشيعة، وقد رووا فيه أحاديث مما يدل على اشتهاار الكتاب وتداول نسخه طيلة أربعة عشر قرناً»^٢.

قال عبد الحسين^٣: «وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم أو رواه عن الأئمة خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من كتب الأصول التي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت وأقدمها وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها وتعول عليها...»^٤.

وبعد هذه التراكيب السابقة عن الكتاب انظر ما جاء فيه عن القرآن وجمعه - على ما يدعي واضع الكتاب أنه - على لسان علي عليه السلام وأنه حوار بينه وبين طلحة: «يا أبا الحسن، شيء أريد أن أسألك عنه: رأيتك خرجت بثوب محتوم عليه فقلت: "يا أيها الناس، إني لم أزل مشغولاً برسول الله صلى الله عليه وآله، بغسله وتكفينه ودفنه. ثم شغلت بكتاب الله حتى جمعته، فهذا كتاب الله مجموعاً لم يسقط منه حرف"، فلم أر ذلك الكتاب الذي كتبت وألفت. ولقد رأيت عمر بعث إليك - حين استخلف - أن ابعث به إلي، فأبيت أن تفعل. فدعا عمر الناس، فإذا شهد اثنان على آية قرآن كتبها وما لم يشهد عليها غير رجل واحد رماها ولم يكتبه وقد قال عمر - وأنا أسمع - : "إنه قد قتل يوم اليمامة رجال كانوا يقرؤون

١ - كتاب سليم بن قيس: ١٣.

٢ - المرجع السابق: ٢١.

٣ - هو: عبد الحسين شرف الدين الموسوي الإمامي ولد في الكاظمية، ودرس في النجف، ثم عاد إلى جبل عامل سنة ١٣٢٩هـ وعمره وقتئذ الثانية والثلاثين، وسافر إلى مصر والتقى بشيخ الأزهر وقتها الشيخ سليم البشري، وألف مراجعاته، مات سنة ١٣٧٧هـ. أعيان الشيعة: ج٧/٤٥٧.

٤ - المراجعات: ٣٠٧، نقلاً عن روضات الجنات .

قرآنا لا يقرأه غيرهم فذهب"، وقد جاءت شاة إلى صحيفة - وكتاب عمر يكتبون - فأكلتها وذهب ما فيها، والكاتب يومئذ عثمان فما تقولون ؟
وسمعت عمر يقول وأصحابه الذين ألفوا ما كتبوا على عهد عثمان: "إن الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، والنور ستون ومائة آية، والحجرات تسعون آية" فما هذا ؟ وما يمنعك - يرحمك الله - أن تخرج إليهم ما قد ألفت للناس ؟ وقد شهدت عثمان حين أخذ ما ألف عمر فجمع له الكتاب وحمل الناس على قراءة واحدة ومزق مصحف أبي بن كعب وابن مسعود وأحرقهما بالنار. فما هذا ؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا طلحة، إن كل آية أنزلها الله في كتابه على محمد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطي بيدي، وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله وكل حلال أو حرام أو حد أو حكم أو أي شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة عندي مكتوب بإملاء رسول الله وخط يدي حتى أرش الخدش. قال طلحة: كل شيء من صغير أو كبير أو خاص أو عام، كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو مكتوب عندك ؟ قال: نعم، وسوى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله أسر إلي في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب. ولو أن الأمة منذ قبض الله نبيه اتبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم رغدا إلى يوم القيامة.

يا طلحة، أأست قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله حين دعا بالكتف ليكتب فيها ما لا تضل الأمة ولا تختلف، فقال صاحبك ما قال: "إن نبي الله يهجر" فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم تركها ؟ قال: بلى، قد شهدت ذلك. قال: فإنكم لما خرجتم أخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وبالذي أراد أن يكتب فيها وأن يشهد عليها العامة. فأخبره جبرائيل: "أن الله عز وجل قد علم من الأمة الاختلاف والفرقة"، ثم دعا بصحيفة فأملى علي ما أراد أن يكتب في الكتف وأشهد على ذلك ثلاثة رهط: سلمان وأبا ذر والمقداد، وسمى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر الله بطاعتهم إلى يوم القيامة. فسماني أولهم ثم ابني هذا - وأدنى بيده إلى الحسن - ثم الحسين ثم تسعة من ولد ابني هذا - يعني الحسين - .

كذلك كان يا أبا ذر وأنت يا مقداد؟ فقاموا وقالوا: نشهد بذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال طلحة: والله لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لأبي ذر: "ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر ولا أبر عند الله"، وأنا أشهد أنهما لم يشهدا إلا على حق، ولأنت أصدق وأثر عندي منهما. ثم أقبل عليه السلام على طلحة فقال: اتق الله يا طلحة وأنت يا زبير وأنت يا سعد وأنت يا ابن عوف، اتقوا الله وآثروا رضاه واختاروا ما عنده ولا تخافوا في الله لومة لائم، قال طلحة: ما أراك - يا أبا الحسن - أجبني عما سألتك عنه من أمر القرآن ألا تظهره للناس؟ قال عليه السلام: يا طلحة، عمداً كفت عن جوابك. قال: فأخبرني عما كتب عمر وعثمان، أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟ قال عليه السلام: بل هو قرآن كله، إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة، فإن فيه حجتنا وبيان أمرنا وحقنا وفرض طاعتنا. فقال طلحة: حسبي، أما إذا كان قرآنا فحسبي. ثم قال طلحة: فأخبرني عما في يديك من القرآن وتأويله وعلم الحلال والحرام، إلى من تدفعه ومن صاحبه بعدك؟ قال عليه السلام: إلى الذي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أدفعه إليه. قال: من هو؟ قال: وصيي وأولى الناس بالناس بعدي، ابني هذا الحسن، ثم يدفعه ابني الحسن عند موته إلى ابني هذا الحسين، ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين، حتى يرد آخرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه. وهم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقونه ولا يفارقهم^١.

فأصل هذه الفرية جاءت في هذا الكتاب وبعدها تسلفت إلى كتب الشيعة، ولكن المعروف من كتب الشيعة أن سليم بن قيس، وكتابه مطعون فيهما عندهم فهذا السيد هاشم معروف الحسني، يعلق على رواية وقع سليم بن قيس في سندها فيقول: «ويكفي هذه الرواية عيباً أنها من مرويات سليم بن قيس وهو من المشبوهين المتهمين بالكذب»^٢. وقال في كتاب آخر: «وثقه جماعة - أي سليم - وضعفه آخرون وادعى جماعة من المحدثين أن الكتاب المعروف بكتاب سليم بن قيس، من الموضوعات وأطالوا الحديث حوله

١ - كتاب سليم بن قيس: ٢٠٩ - ٢١٢.

٢ - الموضوعات في الآثار والأخبار: ١٨٤.

وحول كتابه، وجاء فيه أن الأئمة الثلاثة عشر وأن محمد بن أبي بكر وعظ أباه عند الموت مع أنه كان في حدود الستين»^١.

وذكر الحر العاملي أن بعض علماء الشيعة حكموا بوضع كتاب سليم بن قيس^٢. وهذا وحده كاف لإسقاط الكتاب الذي يعتبر أجد الشيعة، وأحد أصولهم التي يرجعون إليها.

ودليل آخر يسقط به الكتاب: أنه لم يروه عن سليم هذا إلا أبان بن عيَّاش، وهذا الأخير متفق على ضعفه وسقوطه فقد قال فيه محمد بن علي الأردبيلي: «تابعي ضعيف لا يلتفت إليه وينسب أصحابنا وضع كتاب سليم بن قيس إليه»^٣.

وفي ترجمة سليم بن قيس: «ينسب إليه الكتاب المشهور وهو موضوع بدليل أنه قال: إن محمد بن أبي بكر وعظ أباه عند موته، وقال فيه: إن الأئمة الثلاثة عشر مع زيد، وأسانيده مختلفة لم يروه عنه إلا أبان بن عيَّاش وفي الكتاب مناكير مشتهرة وما أظنه إلا موضوعاً»^٤.

والمأمل لكل هذه المجريات والحوارات يستيقن أن كتاب سليم بن قيس كتاب موضوع من قبل أعداء الإسلام الذين تأمروا على هدم معالم الدين وأسسها التي تتمثل بالقرآن والسنة وبما أن الصحابة ؓ هم من نقل لنا هذه الأسس فكان من المهم لديهم التشكيك في عدالتهم ؓ وبذلك يهدم الإسلام بالكلية إذا انهدم ركنه الأصيلان القرآن والسنة.

فإذا فرية تحريف القرآن ليست مقالة لبعض الشيعة أو إرهابات لبعض الكتاب وإنما هي عقيدة ودين، يقرون به ويؤمنون بها على تفاوت بينهم في البوح بهذا الأمر

١ - دراسات في الحديث والمحدثين: ١٩٧.

٢ - خاتمة الوسائل: ٢١٠.

٣ - في جامع الرواة: ج ١ / ٩.

٤ - كتاب الرجال لأبن داوود: ٤٦٠ نقلاً عن الغضائري.

فمنهم من تغلبه التقية فلا يستطيع النطق بهذه الفرية^١، ومنهم من تشتاق نفسه لتخرج بعض ما خبيء تحت العمامة، فيستبيح لها عذراً بالنطق ببعض المرطقات السابقة، ومنهم اليوم الذين يرمون أهل السنة بهذه الفرية، فيدعون أنهم هم القائلون بها وأنها مثبتة في كتبهم مشيرين في ذلك إلى بعض الأحاديث أو الآثار التي وردت عن طائفة من السلف في معرض الكلام عن بعض الآيات المنسوخة، فيلبسون الحق بالباطل، فيئس ما يصنعون.

وقد يطرأ سؤال على الذهن، إذا كانت الشيعة تقول بهذه الفرية فما موقفهم من هذا القرآن الذي بين أيدينا، لماذا يقرأ الشيعة القرآن مع أنه محرف - على حد زعمهم - ويجب عن ذلك أحدهم فيقول: « فإن قلت كيف جاز القراءة في هذا القرآن مع ما لحقه من التغيير، قلت قد روي في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين عليه السلام فيقرأ ويعمل بأحكامه^٢ ».

ولك أن تتعجب من هذا الوصف، أمة بأسرها تائهة ضالة جاهلة تنتظر خروج صاحب الزمان بقرآن كان من شأنه أنه هداية للعالمين، يخبأ في حوزة شخص واحد وتمر الأجيال والأزمان ولا يخرج صاحب الزمان، ويترك الناس هكذا ..، إذاً ما كانت الفائدة من نزول القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وآله ما كانت الفائدة من إرسال الرسول صلى الله عليه وآله حتى يترك الناس كالرعاع بلا راع وبلا منهج أو دستور؟

هل يعقل هذا أيها الشيعة !!؟

١ - يقول نعمة الله الجزائري محدثاً الشيعة من الإفصاح عن التقية: "وليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين، ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب، لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر، والملل المنحرفة عن قبلتنا، وإبطال هذا العلم الظاهر، الذي قد استكان له الموافق والمخالف بوقوع الاصطلاح على الائتمار لهم والرضا بهم، ولأن أهل الباطل في القدم والحديث أكثر عدداً من أهل الحق". الأنوار النعمانية: ج ١/٢٤٩.

٢ - المرجع السابق: ج ٢/٣٦٣.

المطلب الثاني:

موقف علي بن إبراهيم القمي من هذه الفرية.

عندما نتأمل تفسير القمي ونقلب صفحاته نجد أن الرجل يمثل بحق مذهب الشيعة الإمامية بكل ما تتضمنه هذه الكلمة، وقد أخلص إلى هذا المذهب أيما إخلاص، ولا أشك في أنه عقد هذا التفسير محاولة منه واجتهاداً لإثبات كل أصول هذا المذهب، والتدليل عليها من القرآن، وطالما أنه يعتقد كل ما يعتقد قومه فقد اعتقد بتحريف القرآن مثلهم، ولكنه لم يعترف بهذا الاعتقاد صراحة وإنما أقر به ضمناً من خلال تفسيره لبعض الآيات، فكان مثبتاً له من منظور عملي.

فقد أتى بالآيات التي يعتقد هو وقومه بتحريفها، وبثبت أنها إنما أنزلت كما يذكر، ويأتي بأيمان لبعض الأئمة على نزولها كما أرادوا لها ذلك، مع استخدام عبارات توحى بأنها نقصت أو زادت عن أصل نزولها كما سنرى.

و التحريف في القرآن بهذا المفهوم عند القمي ينقسم إلى قسمين:

١ - تحريف تنزيل: وهي الآيات التي يرى فيها نقصاً أو زيادة في بعض الكلمات، بما يوافق معتقده.

٢ - تحريف ترتيب أو تبديل: وهي الآيات التي يراها جاءت في غير ترتيبها في المصحف، على النحو الذي يروونه، وهو الترتيب على حسب النزول.

وسأعرض هنا أمثلة من تفسيره تدلل على كل قسم منهما :

أولاً : نماذج على تحريف التنزيل :

امتلاً التفسير بهذا النوع من التحريف وهو مقسم بدوره إلى أنواع منها:

١ - أنه دائماً ما يضيف كلمة - آل محمد حقهم - بعد كل عبارة تتضمن كلمة -

ظلموا، أو الظالمون أو ما شابهها ومن أمثلة ذلك :

■ حدثنا محمد بن عبد الله عن أبيه عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان

عن عمار بن مروان عن منخل بن جميل البرقي عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو

جعفر عليه السلام: "نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا" وقال الظالمون لآل محمد حقهم إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً^١

■ وقوله: ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ الصافات: ٢٢ قال: "الذين ظلموا آل محمد حقهم وأزواجهم"^٢.

■ قال علي بن إبراهيم عند قوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آَمَنُمْ بِهِ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ يونس: ٥١، أي صدقتم في الرجعة، فيقال لهم: (الآن) تؤمنون يعني بأمر المؤمنين عليهم السلام (وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا آل محمد حقهم ذوقوا عذاب الخلد)^٣.

■ وقال أيضاً: « قرأ أبو عبد الله عليه السلام إن الذين كفروا وظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً^٤ ».

■ قوله: «... ثم ذكر آل محمد (عليهم السلام) وشيعتهم المهتدين فقال: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا) ثم ذكر أعداءهم ومن ظلمهم فقال: (وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم أي منقلب ينقلبون) هكذا والله نزلت^٥ ».

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٨٨ والآية في المصحف: ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ الفرقان: ٨.

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٩٥.

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ٣١٣، والآية في المصحف: ﴿ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ يونس: ٥١.

٤ - المرجع السابق: ج ١ / ١٦٦، والآية في المصحف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٣٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ النساء: ١٦٨ - ١٦٩.

٥ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٠١، والآية في المصحف: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ الشعراء: ٢٢٧.

■ وقال: «فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا . آل محمد حقهم _ رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون»^١ .
ويعلق محقق الكتاب على عبارة القمي فيقول: وتفسير هذه الكلمة كما في تفسير الإمام العسكري أنه قيل لهم بالانقياد لولاية الله ولولاية محمد صلى الله عليه وآله وعلي وآلهما الطيبين، وأنهم لما لم ينقادوا وظلموا حق الله وحق محمد صلى الله عليه وآله أنزل الرجز عليهم من السماء. والآية كما هو معروف في بني إسرائيل وليست في المسلمين !!
٢- عمد إلى إضافة اسم "علي" في بعض الآيات ويدعي أنها كشطت أو محيت من الأصل وذلك نحو:

- قوله: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ النساء: ١٦٦، فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما أنزلت "لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً"^٢
- قوله: «ثم خاطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّضِرُوا اللَّهُ يَنْضُرْكُمْ وَيُؤْتِنَا أَقْدَامَكُمْ﴾ محمد: ٧ فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّاهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾ محمد: ٨ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ محمد: ٩ حدثنا جعفر بن أحمد قال حدثنا عبد الكريم بن عبد الرحيم عن محمد بن علي بن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله في علي . إلا أنه كشط الاسم . فأحبط أعمالهم»^٣
- وذكر أيضاً: «"وان يريدوا خيانتك في علي فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم"»^٤ .

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٥٩، والآية في المصحف: ﴿فَدَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ البقرة: ٥٩ .

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ١٦٦ .

٣ - المرجع السابق: ج ٢ / ٢٧٧ .

٤ - المرجع السابق: ج ١ / ٢٦٨ .

● قوله: « ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ النحل: ٢٤ »
 يعني أكاذيب الأولين، حدثني جعفر بن أحمد قال حدثنا عبدالكريم بن عبدالرحيم عن
 محمد بن علي عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول
 في قوله: ﴿ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ يعني أنهم لا يؤمنون بالرجعة أنها حق ﴿ قُلُوبُهُمْ
 مُنْكَرَةٌ ﴾ يعني أنها كافرة ﴿ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل: ٢٢، يعني أنهم عن ولاية علي
 مستكبرون، ﴿ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾
 النحل: ٢٣ عن ولاية علي، وقال نزلت هذه الآية هكذا "وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم في
علي قالوا أساطير الأولين" ^١.

٣- عمد إلى تغيير أو إضافة أو ترتيب بعض الكلمات في داخل الآية، ومن ذلك:

○ قوله: «رجع إلى رواية علي بن إبراهيم في قوله "أن تكون أئمة هي أزكى من أئمتكم، فقيل يا ابن رسول الله نحن نقرؤها (هي أربي من أمة) قال ويحك وما أربي؟ وأوماً بيده بطرحها» ^٢.

○ قال: «حدثني أبي عن حماد عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزلت "فإن تنازعتم في شئ فارجعوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم" ^٣.

○ وقوله: « ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ آل عمران: ١٢٣، قال أبو عبدالله عليه السلام ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وإنما نزل "لقد نصركم بيدر وأنتم ضعفاء" ^٤.

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٨٥.

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ٣٩١.

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ١٤٩، والآية في المصحف: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩.

٤ - المرجع السابق: ج ١ / ١٢٩.

○ قوله: « ﴿التِّي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ الأحزاب: ٦، قال: نزلت وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم، فجعل الله المؤمنين أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل رسول الله أباهم لمن لم يقدر أن يصون نفسه ولم يكن له مال وليس له على نفسه ولاية فجعل الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله الولاية على المؤمنين من أنفسهم»^١.

قوله عند قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الرعد: ١١، «فإنها قرئت عند أبي عبد الله صلوات الله عليه فقال: لقاريها أستمع عربياً فكيف تكون المعقبات من بين يديه؟ وإنما للعقب من خلفه، فقال الرجل: جعلت فداك كيف هذا؟ فقال: إنما نزلت "له معقبات من خلفه ورفيق من بين يديه يحفظونه بأمر الله" ومن ذا الذي يقدر أن يحفظ الشيء من أمر الله وهم الملائكة الموكلون بالناس»^٢. وهذه المحاولة منه تشعر بأن هناك نقصاً في التنزيل وهو يحاول تعديله، على اعتبار أن القرآن نقص، ولكن هناك موضعان صرح فيهما أن فيهما زيادة على خلاف المواضع السابقة وهي:

١- قوله: « ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ البقرة: ١٠٦، فقوله نسها أي نتركها ونترك حكمها فسمى الترك بالنسيان في هذه الآية وقوله "أو مثلها" فهي زيادة إنما نزل "نأت بخير مثلها»^٣.

٢- قوله: « ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ الأحزاب: ٧، قال: هذه الواو زيادة في قوله ومنك، وإنما هو منك ومن نوح، فأخذ الله الميثاق لنفسه على الأنبياء، ثم أخذ لنبيه ﷺ على الأنبياء والأئمة، ثم أخذ الأنبياء على رسوله ﷺ»^٤.

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ١٥١.

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ٣٦١.

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ٦٨.

٤ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٥٢.

ثانياً : نماذج على تحريف التبديل أو الترتيب : منها

❖ وقوله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ هود: ١٧، فإنه حدثني أبي عن يحيى بن أبي عمران عن يونس عن أبي بصير والفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما نزلت أفمن كان على بينة من ربه، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى أولئك يؤمنون به فقدموا وأخروا في التأليف^١

❖ وأما قوله: « ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَلْ مِمْتًا بِمَا خَلَّ أَيَّامَهُ ﴾ » آل عمران: ١٦١، فإن هذه نزلت في حرب بدر، وهي مع الآيات التي في الأنفال في أخبار بدر، وقد كتبت في هذه السورة - سورة آل عمران - مع أخبار أحد^٢.

❖ وقوله: « ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ النساء: ٤٠، معطوفة على قوله: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ النساء: ٣٦^٣

❖ قوله: «فلما دخل رسول الله المدينة نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ولا يخرج معك إلا من به جراحة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله منادياً ينادي يا معشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج ومن لم يكن به جراحة فليقيم، فأقبلوا يضمون جراحاتهم ويداؤونها فأنزل الله على نبيه: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ^٤ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١٠٤، وهذه الآية في سورة النساء ويجب أن تكون في هذه السورة^٤. يقصد سورة آل عمران.

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٢٥.

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ١٣٣ - ١٣٤.

٣ - المرجع السابق: ج ١ / ١٤٧.

٤ - المرجع السابق: ج ١ / ١٢٥.

أقول: لا يحتاج الأمر إلى كثير عناء لأثبت عدم تحريف القرآن، فمن المعلوم أن الله قد حفظ كتابه من أي تبديل أو تحريف زيادة أو نقصان فإن كل مسلم يقرأ قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ٢، لا يشك في أن الكتاب لا ريب هدى وهداية للمتقين، وأي ريب ينفي عنه إذا جاز عليه التحريف بالزيادة أو النقصان، ويؤكد في أكثر من موضع على انتفاء الريب فيه فيقول: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يونس: ٣٧ ، ولذلك يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢

ويقول أيضاً: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٧ ، فإذا علمنا أن القرآن هو أصل كل أصول الدين، وأيقنا بذلك تهافت القول بتحريفه، وتصاغر القائلون بذلك وتضائلوا، وعلم أنه قول زور ومحض افتراء. ومن المعلوم أيضاً أن الأمة لم تطلق القرآن إلا بالتواتر فلا يعلم قرآنية الآية إلا بالتواتر الثابت لدى الأمة.

ومن المعلوم والمسلم به عند المسلمين هو أن ترتيب الآيات توقيفي من النبي ﷺ لا دخل للصحابة في ذلك^١، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما ترتيب الآيات فهو منزل منصوص

١ - أخرج الإمام أحمد في المسند، بإسناد حسن، عن عثمان بن أبي العاص قال: "كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره، ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من السورة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم كما قدموا سورة على سورة، لأن ترتيب الآيات مأمور به نصاً، وأما ترتيب السور فمفوض إلى اجتهادهم...»^١، ولقد كان الرسول ﷺ إذا أوحى إليه آيات من القرآن أمر الكتبة بكتابتها وأملاها عليهم، وعارضهم بها^٢، وكان أيضاً يعارض جبريل بالقرآن كل عام، حتى جاء العام الذي قبض فيه فعارضه جبريل بالقرآن مرتين^٣، وشهد بعض الصحابة العرضة الأخيرة، وعلموا بذلك الثابت من القرآن والمنسوخ منه فكان محفوظاً في صدور الرجال وفي الرقاع حتى قبض النبي ﷺ، ثم سخر

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠٠﴾

النحل: ٩٠، مسند الإمام أحمد: ج ٤ / ٢١٨ (١٧٩٤٧) مسند الشاميين .

ومما يدل أيضاً على عدم اجتهاد الصحابة في ترتيب الآيات، وجود آيتان في عدة النساء في المتوفى عنها زوجها، وكانتا في الترتيب الناسخة أولاً ثم المنسوخة في القرآن الموجود بين أيدينا الآن، ولقد سئل عثمان رضي الله عنه عن ذلك فأجاب بما أخرجه البخاري في صحيحة في كتاب التفسير: "عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان بن عفان: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ ﴾ البقرة: ٢٤٠ نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي، لا أغير شيئاً من مكانه" صحيح البخاري: ج ٤ / ١٦٤٦ / ٤٢٥٦، كتاب التفسير، باب: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ ﴾، ويعلق الشيخ الزرقاني على ذلك قائلاً: "فهذا حديث أبلغ من الصبح في إثبات أن هذه الآية في مكانها مع نسخها توقيفي، لا يستطيع عثمان باعترافه أن يتصرف فيه، لأنه لا مجال للرأي في مثله" مناهل العرفان: ج ١ / ٣٤٨ .

١ - مجموع الفتاوى: ج ١٣ / ٣٩٦، ما جاء من قوله في ترتيب سور القرآن على ما هو عليه الآن فاختلف فيه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن ترتيب سور القرآن على ما هو عليه الآن توقيفي، وأنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر من الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام عن ربه ﷻ. كترتيب الآيات .

القول الثاني: إن ترتيب السور اجتهادي من فعل الصحابة .

القول الثالث: إن ترتيب بعض السور كان توقيفياً، وبعضها كان باجتهاد الصحابة ﷺ، ولكل قول دليله، وأرجحها القول الأول، وهو قول أبي بكر بن الأنباري، والكرماني وأبي جعفر النحاس، وابن الحصار وغيرهم، للتوسع انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج ١ / ٢٥٧، وما بعدها.

٢ - ويدلل على ذلك ما رواه الطبراني: عن الزهري، عن ابن سليمان بن زيد بن ثابت، عن أبيه، عن جده زيد بن ثابت، قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ، وكان يشتد نفسه ويعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم يسرى عنه، فأكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى يثقل، فإذا فرغت قال: «اقرأ» فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، وفي رواية: "فأخرج به إلى الناس" المعجم الكبير للطبراني: ج ٥ / ٥٨ - ٥٩ (٤٧٥٥ - ٤٧٥٦).

٣ - روى مسلم قال: «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وحدثنا عبدالله بن نمير، عن زكرياء، ح وحدثنا ابن نمير، حدثنا أبي، حدثنا زكرياء، عن فراس، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ، فلم يغادر

الله أبا بكر رضي الله عنه بجمعه في مصحف^١ حرصاً منه ومن الصحابة رضي الله عنهم على عدم ضياعه أو فقد جزء منه، ثم نسخ عثمان رضي الله عنه مصحف أبي بكر رضي الله عنه إلى عدد من المصاحف وأرسل بهذه الصحف إلى الآفاق، واتفقت الأمة على تلقي ذلك منهم بالقبول بما فيهم علي رضي الله عنه، ولم تثبت الآثار الصحيحة أي اعتراض لعلي رضي الله عنه على ذلك، ولو حدث ذلك لُعلم، ولمسمعه القاصي والداني، أما ما تدعيه الشيعة الإمامية من أن علياً رضي الله عنه قد جمع القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله على ترتيب النزول^٢، وأنه احتفظ به عنده^٣، وغير ذلك من أخبار إنما هي روايات

منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «مرحبا بابنتي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسر إليها حديثاً فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضاً... حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثني " أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراي إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقا بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثم إنه سارني، فقال: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة، فضحكت لذلك» وهو جزء من حديث طويل انظر: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله: ج ٧/١٤٣ (٦٤٦٨) .

١ - وذلك ما رواه البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقاء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا تهتمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهم فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ التوبة: ١٢٨، حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها، صحيح البخاري: ج ٤/١٩٠٧ (٤٧٠١) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

٢ - يقول عبد الرزاق نوفل: "لو أنه جمع على حسب ترتيب نزوله، لفهم بعض الناس أن آياته خاصة بحدوثها، أو أنه حلول وقتيه للمشكلات التي كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وآله فحسب والله تعالى يريد كتابه عاماً خالداً لا يختص بعصر دون عصر، ولا بقوم دون قوم، لذلك اقتضت الحكمة بأن يرتب ترتيباً يحقق هذا العموم، وهذا الخلود، ويتعد عن الترتيب الزمني الذي نزل به الحكمة كانت مناسبة لنزوله". القرآن والعلم الحديث: ١٤ .

٣ - روى ابن سعد قال: "أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب وابن عون عن محمد - يقصد ابن سيرين - قال: نبئت أن علياً أبطأ عن بيعة أبي بكر فلقبه أبو بكر فقال: أكرهت إمارتي؟ فقال: لا، ولكنني آليت بيمين أن لا أرتدي

موضوعة لا يصح منها شيء ، وما كان لعلي أن يخفي القرآن الصحيح عن الأمة ولا أن يترك الأمة تضل من بعد وفاة النبي ﷺ ، وقد جاهد وقاتل في سبيل نصرته الحق ونصرة الدين زمناً طويلاً بصحبة النبي ﷺ ، فكيف لا ينكر على من يحاول هدم الدين ، فالأمة جميعاً تعلم أن الدين قائم على أساس حفظ القرآن من الزيادة والنقصان ، فبثبوتها تثبت أصول الدين جميعاً ، وبانهياره تنهار هذه الأصول جميعاً .

أما اتهام أهل السنة بعقيدة التحريف فتهمة باطلة عارية عن الدليل ولا تحمل من دافع سوى التعصب واللحاجة ، والحقد البغيض ومحاولة إشغال الخصم بالرد عليهم ، وكل ما في جعبتهم من حجاج هي روايات يحملونها على التحريف ، ثم يلصقونها بأهل السنة ، بينما يستلزم النقاش العلمي إثبات التهمة من نص كلام المتهم لا من خلال روايات طالما صرح علماء أهل السنة أنها من باب الناسخ والمنسوخ ، فنحن نؤمن أن من القرآن آيات نسخت تلاوتها ، كما قال تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٦ ، ولكن فرق بين النسخ وبين ما يدعونه من التحريف ، فالنسخ من فعل الخالق ، بينما التحريف من فعل المخلوق ، أما أن أحداً من أهل

بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن! قال: فرعموا أنه كتبه على تنزيله. قال محمد: فلو أصيب ذلك الكتاب كان فيه علم؛ قال ابن عون: فسألت عكرمة عن ذلك الكتاب فلم يعرفه "طبقات بن سعد: ج ٢/٣٣٨. وإنما روي أجمع القرآن يعني: أتم حفظه فإنه يقال للذي يحفظ القرآن قد جمع القرآن، المصاحف لابن أبي داود: ج ١/٣٤.

١ - من هذه الروايات: ما رواه البيهقي في سننه الكبرى، عن ابن عباس قال: "قال عمر ﷺ قد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول القائل ما نجد الرجم في كتاب الله ﷻ فيضلوا بترك فريضة انزلها الله ﷻ ألا وإن الرجم حق إذا أحسن الرجل وقامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف فقد قرأناها، الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده - رواه البخاري في الصحيح عن علي بن عبد الله ورواه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة وغيره عن ابن عيينة - (أخبرنا) أبو نصر بن قتادة أنبأ أبو منصور العباس بن الفضل الضروري ثنا أحمد بن نجرة ثنا سعيد بن منصور ثنا حماد بن زيد بن عاصم بن بحدلة عن زر بن حبيش قال: قال لي أبي بن كعب ﷺ كأين تعد أو كأين تقرأ سورة الأحزاب قلت ثلاث وسبعين آية قال: قط لقد رأيتها وإنما لتعدل سورة البقرة وان فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم "السنن الكبرى للبيهقي: باب ما يستدل به على أن السبيل هو جلد الزانيين ورجم الثيب: ج ٨/٢١١ (١٦٦٨٨)، مسند الإمام أحمد: ج ٥/١٣٥ (٢١٢٤٥) مسند الأنصار، بإسناد ضعيف.

السنة - علماء أو عامة - له قول ينص به على وقوع التحريف في القرآن فهذا لا أثر له، ونحن لا نستند في اتهام الشيعة على رواياتهم فقط، بل نعتد في ذلك على نصوص أقوال علمائهم المصراحة بذلك تصريحاً تاماً، إضافة إلى رواياتهم التي لا تقبل التأويل كما رأيت. وأنا لا أريد الوقوف والبحث في أسانيد الروايات التي نقل بها الشيعة هذه الافتراءات، فالناظر لها من أول وهلة يرى أنها في الغالب بدون إسناد وإن كانت فهي أسانيد مرسله، والمعروف عن أسانيد الشيعة أنها ضعيفة أو موضوعة تحمل أسماء رجال كذابين أو ضاعين أو ضعفاء، ولا تستحق عناء البحث، ولا جدوى من معرفتها، ثم إن أمراً خطيراً مثل الزيادة أو النقص في القرآن لا يقبل مناقشته عن طريق تلك الأسانيد، بعد أن وصل إلينا القرآن غضاً كما أنزل من الصحابة رضي الله عنهم سلفاً عن خلف، وآخر عن أول نقلاً مستفيضاً منتشراً متواتراً صحيحاً.

فأقول إذن لتلك الفرقة إنه لا يسعها إلا أن تتسردب في غياهب الحب بعد تلك

الفضيحة على الملائ: ﴿ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ آل عمران: ١١٩.

ومجمل القول: أن الاعتقاد بجواز حدوث تحريف في القرآن يؤدي إلى تعطيل الدين وتخريبه، فنحتاج إلى نبي جديد يأتي بكتاب جديد ليس محرفاً يهيمن على هذا الكتاب ويشهد له أو عليه، وهذا مخالف لأصل ختم النبوة، فالله تعالى حفظ الكتاب لأنه ختم النبوة، فلا حاجة لبعث نبي جديد.

وهناك إشارة أخيرة أختتم بها هذا المبحث، وهي ما علاقة الشيعة بتحريف القرآن؟

ولماذا هم الطائفة الوحيدة التي تدعي هذه الفرية؟

وللإجابة على هذه الأسئلة يجب أن نعلم أن أصول الشيعة مبنية على دعاوى واهية، فهي لم تقم على صريح القرآن وكذلك فروعهم لم تقم على صحيح السنة، وهم مدركون تماماً عجزهم عن إثبات أصولهم بواسطة القرآن، فالقرآن صرح بوضوح تام بذكر مسائل دون الإمامة - على اعتبار أنها أصل عندهم - بكثير، كالوضوء والطهارة والزواج والطلاق، فكان قولهم بوقوع التحريف في القرآن، بمثابة غيمة أو مظلة تستظل تحتها هذه الأصول، ويدعون أن ما سقط أو حرف منه هو نصوص تلك الأصول، لأن وجود القرآن كاملاً يجرهم إذا طولبوا بالدليل على ما يثبت أصولهم من النصوص القرآنية الصريحة .

ويكفيهم خزيماً أنهم لا يستطيعون أن يعترفوا بهذه الفرية على الملأ، وتراهم يصرحون بها في حال وينكرونها في حال آخر، فمثلاً يذكرونها في كتاب، وينكرونها في آخر، يصرحون بها في المجالس الخاصة، وينكرونها في وسائل الإعلام على الملأ "تقية"، وهذا يعني أنهم لو علموا أن لهم على ذلك حجة لما اختفوا بها بهذا الاختفاء.

المبحث الثاني: معتقد الإمامة والولاية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصل هذه العقيدة عند الشيعة.

المطلب الثاني: موقف القمي منها والرد عليه.

المطلب الأول:

أصل الإمامة عند الشيعة.

تعريف الإمامة:

الإمامة في اللغة هي التقدم تقول أمّ القوم وأمّ بهم: تقدمهم فالإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا على ضلال مبين، ويطلق الإمام على الخليفة وعلى العالم المقتدى به وعلى من يؤتم به في الصلاة^١ والإمامة عند الشيعة الإمامية من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها، وهي عندهم من أجلّ الأمور بعد النبوة، بل هي منصب إلهي كالنبوة، وربما أرفع من مرتبة النبوة. روى الكليني في الكافي أنه: «بني الإسلام على خمس الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية»^٢ وهذا الحديث معتبر عند الإمامية فهو موثق كالصحيح .

ويمكن أن يطرأ هنا سؤال أنه كيف تكونت هذه الفكرة عند الإمامية وليس لها أصل سابق في الإسلام؟

والحقيقة نجدها عند الشيعة فلقد اعترفت كتبهم بأن عبد الله بن سبأ كان أول من أشهر القول بفرض إمامة "علي" عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وتبرأ منهم، وأشاع القول بأن الإمامة هي وصية من النبي ومحصورة بالوصي، وإذا تولها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، وهذا ما أقره شيوخ الإمامية بعد ذلك فنجد ابن بابويه القمي،

١ - انظر: مادة (أمّ) في لسان العرب: ج ١٢ / ٢٢، المصباح المنير: ج ١ / ٢٣، القاموس المحيط: ١٣٩١ - ١٣٩٢.

٢ - أصول الكافي: ج ٢ / ١٨ كتاب الإيمان والكفر باب: دعائم الإيمان (٣) قال المجلسي: موثق كالصحيح، مرآة العقول: ج ٧ / ١٠١.

الملقب بالصدوق يسجل عقائد الإمامية في القرن الرابع الهجري فيقول بأنهم: «يعتقدون بأن لكل نبي وصياً أوصى إليه بأمر الله»^١.
وكما قال ابن سبأ بالوصية لعلي عليه السلام جاء فيما بعد من عممها في مجموعة من أولاده، فقد روى الكشي في رجاله: «بأن شيطان الطاق هو الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين من أهل البيت، ولما علم زيد بن علي بذلك أرسل إليه ليقف على حقيقة الإشاعة»^٢.
ومن نصوصهم في الإمامة، ما رواه الكليني في الكافي عن الصادق فقال: «أثاني الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية، لا تصح واحدة إلا بصاحبها»^٣.
وعلى ذلك فإن من أنكر الإمامة متعمداً عند الشيعة الإمامية فهو كافر وإن لم يتعمد فهو زنديق لأن الإمامة عندهم بمنزلة النبوة، يقولون ذلك في كتبهم: «الأئمة بمنزلة رسول الله إلا أنهم ليسوا بأنبياء، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله»^٤.

١ - عقائد الصدوق: ١٠٦ .

٢ - هو: محمد بن علي بن النعمان أبو جعفر الأحول، ت: ١٦٠ هـ وهو من معاصري هشام بن الحكم، شيخ الرافضة، وقد نسب إليه القول بأن الله لا يعلم شيئاً حتى يكون، وضلالات أخرى كثيرة، وهو من غلاة الشيعة: انظر فرق الشيعة للنوبختي: ٧٨، رجال الكشي: ١٨٥، الملل والنحل: ج ١ / ١٨٦ .

٣ - رجال الكشي: ١٨٦، أصول الكافي: ج ١ / ١٧٤ .

٤ - أصول الكافي: كتاب الإيمان والكفر باب دعائم الإسلام: ج ٢ / ١٨ (٤)، قال المجلسي: مجهول. والأثافي: جمع الأثنية بالضم والكسر، وهي الأحجار التي توضع عليها القدر وأقلها ثلاثة وإنما اقتصر في هذا الحديث على هذه الثلاث لأنها أهمهن، واشترط صحة الصلاة والزكاة بالولاية ظاهر. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٧ / ١٠٢ .

٥ - المرجع السابق: ج ١ / ٢٧٠ (٧)، كتاب الحجّة باب: في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهية القول فيهم بالنبوة، قال المجلسي: ضعيف، ويدل على أنه لا يحل للأئمة عليهم السلام ما يخص حلها بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الزائد على الأربع، والموهوبة وأشباههما، واشترك سائر الخصائص بينه وبينهم صلوات الله عليهم، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ج ٣ / ١٦١ .

ويقول أيضاً نقلاً عن الأئمة: «لا يسع الناس إلا معرفتنا ولا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً ومن أنكرنا كان كافراً»^١.

وعلى هذا فقد أفتى مرجع الإمامية في العصر الحديث أبو القاسم الخوئي، بجواز غيبة أهل السنة!! كيف؟ اسمع ماذا يقول: «حرمة الغيبة مشروطة بالإيمان، ثم إن ظاهر الأخبار اختصاص حرمة الغيبة بالمؤمن، والمراد من المؤمن هنا من آمن بالله وبرسوله وبالمعاد وبالأئمة الاثني عشر - أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم الحجة المنتظر - ، ومن أنكر واحداً منهم جازت غيبته ...»^٢.

وإذا كانت الإمامة بهذه المنزلة من الدين - عندهم - فلا بد أن الآيات القرآنية الدالة عليها تكون صريحة صراحة تامة، تقطع بصحة هذا المعتقد، وبكونه ركناً في الإيمان، كما هو واقع في النبوة والأنبياء عموماً فتجد نصاً صريحاً في القرآن يقول: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ النساء: ١٦٣ ، وواقع في نبوة محمد ﷺ خصوصاً فهذا هو القرآن يقول: ﴿تُحَمَّدَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ الفتح: ٢٩ فهل يوجد في القرآن آيات صريحة في الإمامة عموماً وفي إمامة علي ﷺ خصوصاً ثم في التنصيب على الأئمة الأحد عشر الآخرين من بعده؟

قمت بعمل استقراء للآيات التي يزعم الشيعة أنها أدلة على أصل الإمامة، فوجدتها نحواً من عشرين آية، وأتيت ببعضها هنا كشواهد مثل:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤ .

١ - المرجع السابق: ج ١ / ١٨٧، كتاب الحجة ، باب: فرض طاعة الأئمة، قال المجلسي: ضعيف على المشهور، مرآة العقول: ج ٢ / ٣٣٢.

٢ - مصباح الفقاهة: ج ١ / ٣٢٣ .

قوله: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴾ آل عمران: ٦١

قوله: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩

وقوله: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥

قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣

وقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رٰكِعُونَ ﴾ المائدة: ٥٥

وقوله: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ المائدة: ٦٧ .

وقوله: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام: ٣٨

وقوله: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ ﴾ التوبة: ١١٩ .

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلٰى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩

وقوله: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاثٍ بِأُمَّهَاتِهِمْ ﴾ الإسراء: ٧١ .

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ الفرقان: ٧٤ .

وقوله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ القصص: ٦٨ .

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ السجدة: ٢٤ .

- وقوله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فاطر: ٣٢ .
- وقوله : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ يس: ١٢ .
- وقوله : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٣٣ .
- وقوله : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ الشورى: ٢٣ .
- وقوله : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ الإنسان: ٨ .

وأنت كما ترى فهذه النصوص بعيدة كل البعد عن معنى الإمامة التي اصططلحوا على تعريفها، وإن أي قارئ للقرآن لا يمكن أن يحظر بباله هذا المعنى وهو يقرأ هذه الآيات، فلا توجد بينها آية صريحة يمكن اعتبارها دليلاً في هذا الموضوع، ورغم ذلك هم متمسكون بكونها أدله صريحة صحيحة على عقيدتهم في الإمامة، وهذا ما نبجده متوفراً بكثرة لا توصف في تفسير القمي على ما سنرى.

وبما أن هذه الآيات لا تدل على "الإمامة" بنفسها لعدم صراحتها، فكان لا بد من إسنادها بالروايات، فيكون الاستدلال بالروايات وليس بالآيات لأنه لا يفهم من الآية ما تنبئ به الرواية، أو تفسير الآيات تفسيراً باطنياً دون دليل على ذلك، وكلا الأمرين - الروايات والتفسير - لا تصلح دليلاً في أصول الدين لأن العقائد تحتاج إلى نصوص صريحة من القرآن كمثله قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ البقرة: ٢٥٥، وقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ الفتح: ٢٩، وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٣، وقوله في إبراهيم: ﴿ وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ البقرة: ١٢٤، وفي داوود: ﴿ يٰ دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ ص: ٢٦، فقد صرح إبراهيم بالإمامة ولداود بالخلافة، فأين قوله: "يا علي" إني جاعلك للناس إماماً!!؟

وهم أيضاً يستدلون بأحاديث من السنة ليس لأنهم يؤمنون بالسنة ولكن ليوهموا العوام أن أدلتهم وأصولهم معروفة لدى أعدائهم لكنهم ينكرونها فتجدهم يستشهدون بأحاديث

موجودة في كتب السنة إما ضعيفة أو موضوعة، وربما كان الحديث صحيحاً في أصله ولكن وضعت له زيادات، وقد ينقص منه ويهدب على حسب الحال حتى يؤيد مذهبهم، فهو تفصيل للحديث على حسب الطلب ومن ذلك ما يستشهدون به مما يسمونه حديث الغدير، وحديث الثقلين، وحديث الكساء وغيرها على ما سوف نرى في المباحث التالية.

المطلب الثاني:

موقف علي بن إبراهيم القمي من معتقد الإمامة.

لا عجب من اعتناق القمي لهذه العقيدة فهي من لوازم المذهب عندهم، ولذلك فهم يرون أن أغلب آيات القرآن إنما نزلت في علي أو في الأئمة أو لتنصر معتقدتهم في الإمامة - بزعمهم - ولذلك روى القمي أثراً منسوباً إلى أبي جعفر "محمد الباقر" « أن القرآن نزل أثلثاً: ثلث فينا وفي أحبائنا، وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا، وثلث سنة ومثل»^١، هكذا ينظرون إلى القرآن ليس على أنه كتاب هداية، وإنما هو كتاب مبارزة بينهم وبين أعدائهم، يحمل قصصهم وهمومهم وأتراحهم، ولذا ملأ القمي تفسيره بما يعلل هذا المعتقد بسخف الكلام وسماجة الأفهام حتى إنك لتعجب من كثرة هذا السخف الذي ملت منه النفوس ولفظته العقول.

وأعرض عليك بعض النماذج التي جاء بها ليثبت هذا المعتقد ولا أخاله إلا أثبت ضعف عقله وقلة فهمه ومن ذلك:

الموضع الأول: قوله: « ثم ذكر المؤمنين المقرين بولاية آل محمد عليهم السلام بقوله ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ النساء: ٥٧، ثم خاطب الأئمة عليهم السلام، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾، قال فرض الله على الإمام أن يؤدي الأمانة إلى الذي أمره الله من بعده ثم فرض على الإمام أن يحكم بين الناس بالعدل فقال: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ النساء: ٥٨، ثم فرض على الناس طاعتهم فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ النساء: ٥٩، يعني أمير المؤمنين

عليه السلام»^٢.

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٤١١ .

٢ - تفسير القمي: ج ١ / ١٤٩ .

ولا أدري من أين فهم القمي كل هذه العبارات فالآيات عامة في المؤمنين وولاية أمورهم، يقول ابن جرير الطبري، عند هذه الآيات: « يعني بقوله جل ثناؤه: "والذين آمنوا وعملوا الصالحات"، والذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وصدّقوا بما أنزل الله على محمد مصدّقاً لما معهم من يهود بني إسرائيل وسائر الأمم غيرهم "وعملوا الصالحات"، يقول: وأدّوا ما أمرهم الله به من فرائضه، واجتنبوا ما حرّم الله عليهم من معاصيه، وذلك هو "الصالح" من أعمالهم .

أما الآية التي تليها فقال عندها: اختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ فقال بعضهم: عني بها ولاية أمور المسلمين. ثم ذكر الأقوال في ذلك فقال: "عن زيد بن أسلم قال: نزلت هذه الآية: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، في ولاية الأمر. وقال غيره نزلت في الأمراء خاصة". وقال علي ﷺ - كلمات أصاب فيهن - : "حقّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدّي الأمانة، وإذا فعل ذلك، فحقّ على الناس أن يسمعوا، وأن يُطيعوا، وأن يجيبوا إذا دُعوا".

وقال آخرون: الذي خوطب بذلك النبي ﷺ في مفتاح الكعبة، أمر بردها على عثمان بن طلحة.

ونقل عن ابن جريج قوله في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ قال: نزلت في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، قبض منه النبي ﷺ مفاتيح الكعبة، ودخل به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح. قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قول من قال: هو خطاب من الله لولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من وُلوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، والقسمة بينهم بالسوية. يدل على ذلك

ما وَعَظَ بِهِ الرَّعِيَّةَ فِي ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩، فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الراعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة»^١.

إذاً فالآية فيها توجيه عام للأمة من الرعية وولاية أمورهم بأن يؤدي كل ولاية الأمر ما ائتمنوا عليه من أمور تجاه الرعية فإذا فعلوا ذلك كان من حقهم عليهم السمع والطاعة، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وليس المقصود هنا بالطاعة هم الأئمة المعصومون، لأن لفظ "أولي الأمر" مشترك بين العلماء والأمراء، وكل تابع مأمور يجب عليه طاعة ولي أمره دون اشتراط أن يكون من الأئمة المعصومين أو من غيرهم، هذا فضلاً عن كونها غير صريحة في إثبات إمامة علي عليه السلام أو أحد من ذريته، فإذا الآية لا تصلح دليلاً للإمامية على إمامتهم، فبطل الاستدلال بها.

الموضع الثاني: قوله: «﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ المائدة: ٣»، قال ذلك لما نزلت ولاية أمير المؤمنين وأما قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣ .

فإنه حدثني أبي عن صفوان بن يحيى عن العلاء عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال: آخر فريضة انزلها الله "الولاية" ثم لم ينزل بعدها فريضة»^٢.

وأتساءل ما علاقة الإمامة والولاية بهذه الآية عموماً، ثم ما علاقتها بأمر المؤمنين خصوصاً، فنظرة سريعة إلى كامل الآية تكشف عن موضوعها يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَحْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

١ - جامع البيان: ج ٨ / ٤٨٨ - ٤٩٢ .

٢ - تفسير القمي: ج ١ / ١٧٠ .

وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَحْصَةِ عَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ المائدة: ٣ .

فما علاقة الإمامة بتحريم هذه الأشياء، ثم إن الآية لم يذكر فيها أمر الإمامة على الإطلاق، فكيف يقال إنها نزلت "لما نزلت ولاية أمير المؤمنين"، وأين النص في الآية على ذلك، وأين النص على أن "آخر فريضة انزلها الله الولاية" من الآية، أو من غيرها، بل وأين النص على أن الولاية فريضة!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

واسمع إلى معنى الآية عند شيخ المفسرين ابن جرير الطبري حيث يقول: « القول في

تأويل قوله: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ ، قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: "اليوم يبس الذين كفروا من دينكم"، الآن انقطع طمع الأحزاب وأهل الكفر والحدود، أيها المؤمنون، من دينكم أن تتركوه فترتدوا عنه راجعين إلى الشرك، فإن قال قائل: وأي يوم هذا اليوم الذي أخبر الله أن الذين كفروا يبسوا فيه من دين المؤمنين؟

قيل: ذكر أن ذلك كان يوم عرفة، عام حج النبي ﷺ حجة الوداع، وذلك بعد دخول

العرب في الإسلام.

قال ابن جرير ذلك يوم عرفة، في يوم الجمعة، لما نظر النبي ﷺ فلم ير إلا موحدًا، ولم ير مشركًا، حمد الله، فنزل عليه جبريل عليه السلام: "اليوم يبس الذين كفروا من دينكم"، أن يعودوا كما كانوا.

القول في تأويل قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المائدة: ٣ قال أبو جعفر:

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: يعني جل ثناؤه بقوله: "اليوم أكملت لكم دينكم"، اليوم أكملت لكم، أيها المؤمنون، فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إياكم ونهيي، وحلالي وحرامي، وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي، وتبياني ما بينت لكم منه بوحبي على لسان رسولي، والأدلة التي نصبته لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم، فأتممت لكم جميع ذلك، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم. قالوا: وكان ذلك في يوم عرفة، عام حج النبي

﴿ حجة الوداع. وقالوا: لم ينزل على النبي ﷺ بعد هذه الآية شيء من الفرائض، ولا تحليل شيء ولا تحريمه، وأن النبي ﷺ لم يعيش بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة^١. فمن هنا نرى أنه لا علاقة للآية بأمر إمامة علي عليه السلام أو غيره، ولا يفهم ذلك من نص الآية أو من سياقها، ثم لو كانت الولاية أو الإمامة آخر ما افترضه الله على المسلمين، فلماذا لم ينص عليها صراحة، حتى يتبين للمسلمين الأمر، خاصة أن النبي ﷺ لم يعيش بعد هذه الآيات إلا قليلاً، فكان الأصل أن تنزل الآية شافية كافية مبينة دالة على ما يدعونها من الإمامة أو الولاية لأن أمر الإمامة - بزعمهم - أهم من أمر هذه المحرمات التي ذكر تحريمها على وجه التفصيل، فهل يرون أن الشارع يبين تفصيلات أمور تعتبر من الفروع ويتغافل - إن صح التعبير - عن أمر يعتبر من أصول الدين وأركانه حاشاه وكلا .

الموضع الثالث: وقوله: ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ التغابن: ٨، حدثنا علي بن الحسين عن جعفر بن أبي عبدالله عن الحسن بن محبوب عن أبي أيوب عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله: فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا، فقال يا أبا خالد: النور والله الأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل وهم والله نور الله في السماوات والأرض، يا أبا خالد! لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار وهم والله ينورون قلوب المؤمنين ويحجب الله نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد! لا يجبننا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلماً لنا فإذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر^٢»

بداية: بغض النظر عن ألفاظ الرواية التي تفوح منها رائحة الوضع، فكلها مبالغات لا تنطلي إلا على عامي ضعيف العقل، أو سخييف الفهم، وأين ذلك من قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ النور: ٣٥ ، ثم بعد ذلك هل المقصود بالنور في هذه الآية نور

١ - جامع البيان: ج ٩ / ٥١٦ - ٥١٨ .

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ٣٥٥ .

الإمام؟ وهل يصلح أن يدعي أحد من البشر أنه نور الله أو نور السموات والأرض؟ وأخيراً هل الأئمة أنزلوا أم كانوا على الأرض!!؟

بالتأكيد إن أي عاقل يستطيع أن يجيب عن هذه الأسئلة، حتى لو كان تلميذاً صغيراً خلف مقاعد الدراسة، فالمعلوم أن المقصود بالنور الذي أنزله الله: هو كلام الله القرآن، يقول ابن جرير الطبري عند تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى ذكره: فصَدَّقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْمَكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ، وَبِإِخْبَارِهِ إِيَّاكُمْ أَنْكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ مَمَاتِكُمْ، وَأَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ بَلَائِكُمْ تَنْشُرُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ، وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا يَقُولُ: وَآمَنُوا بِالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا، وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ»^١.

أما بقية الجمل الأخرى، الموضوعة والمنسوبة لمحمد الباقر _ أبي جعفر - فهي كلمات لا تلفظ من عاقل ولا يستسيغها مؤمن، ولا دليل عليها لا من كتاب الله ﷻ ولا من سنة رسول الله ﷺ .

الموضع الرابع: عند قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ يس: ١٢، أي في كتاب مبين وهو محكم، وذكر ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أنا والله الإمام المبين أبين الحق من الباطل وورثته من رسول الله صلى الله عليه وآله^٢.
أولاً: الإمام لفظ مشترك بين ثلاثة معان:

- ١- القدوة: نحو قوله تعالى لإبراهيم: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ البقرة: ١٢٤.
 - ٢- الكتاب: كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ قال الحسن: في كتاب مبين.
 - ٣- الطريق: كقوله: ﴿وَلِيَّتُهُمَا لِيَأْمُرَ مُبِينٍ﴾ الحجر: ٧٩.
- وهو الإمام: بمعنى الصقع في الأرض، وجمعه أئمة، فأصل معنى اللفظ ما يؤتم به ويتبع^٣.

١ - جامع البيان: ج ٢٣ / ٤١٩ .

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ١٨٧ .

٣ - مختار الصحاح: ج ١ / ٢٠ ، باب الألف .

وبما إن هذه الألفاظ مشتركة المعاني - أي تحمل أكثر من معنى في أصل اللغة - فلا بد أن يكون مراد المتكلم حين استعمالها أو وضعها في جملة ما، معنى واحداً محدداً من معانيها، وهذا المعنى المراد لا بد أن يكون في كلام المتكلم به ما يدل عليه ويخصه دون غيره من المعاني المشتركة، وهو ما يسمى بالقرينة، وإلا لم يكن الكلام فصيحاً مبيناً بل مبهماً مشكلاً، وعلى هذا فإذا نظرنا لسياق الآية وجدنا ما يدلنا على المقصود من لفظ "إمام" وهو كلمة "أحصيناه" إذا المعنى المقصود هو: الكتاب إذاً فإمام مبین هنا ليس كما فسره القائل بمعنى الإمام: أي شخص يفسر ويبين، وهذا يدل على أن هذه الرواية موضوعة لأن كلاً من ابن عباس، وعلى بن أبي طالب عليه السلام، وعرب خلص، يعرفون اللغة تمام المعرفة، ولا يلتبس عليهم مفهومها ولقد نزل القرآن أمامهم وفهموا معانيه وعرفوا مراميها، أما الذي نسب هذه العبارات لهما فإنه أعجمي التبست عليه المعاني والألفاظ ولم يدر ما مدلولاتها .

ثم لا حظ التناقض البين في النص فبعد أن فسر الإمام بالكتاب - كما هو معلوم عند السلف - رجع فانقلب على وجهه وأتى بالرواية التي يقسم فيها الإمام، بأنه هو الإمام، فأبى تناقض هذا، وهذا التناقض سمة تجدها متكررة عند القمي في تفسيره .

الموضع الخامس: عند قوله تعالى: « ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ الشورى: ١٣

قوله: (شرع لكم في الدين) مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وآله (وما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك . يا محمد . وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين) أي تعلموا الدين يعني التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت والسنن والأحكام التي في الكتب، والإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام (ولا تفرقوا فيه) أي لا تختلفوا فيه ﴾.

نلاحظ هنا أنه أدخل الولاية في مفردات الدين وجعلها من الأصول التي يجب تعلمها كالتوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج ... وغيرها، ولكن فاته أمر مهم ينكشف منه عوار هذا المعتقد، وهو أن كل أصل من هذه الأصول معروف ومشهور عند المسلمين مدلول عليه بالقرآن في أكثر من موضع وبالسنة في أكثر من رواية^١، فمثلاً: يقول تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ١٨ ويقول: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

البقرة: ٤٣ ، ويقول: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ البقرة: ١٩٦ ، ويقول: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي

أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ

فَلْيَصُمْهُ ﴾ البقرة: ١٨٥ ، وغيرها من الآيات التي تثبت الأحكام الخاصة بأصول الدين،

وبسننه، وواجباته.

فأين الآيات التي صرح فيها بالولاية ...؟! !

ثم أين النص الذي حص فيه علي ﷺ بالولاية؟! !

١ - ومن أدلة السنة ما رواه البخاري عن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان)، صحيح البخاري: ج ١٢/١ (٨) كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس .

وأيضاً ما رواه عن طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : خمس صلوات في اليوم والليلة فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال رسول الله ﷺ : وصيام رمضان. قال: هل علي غيره؟ قال: لا إلا أن تطوع . قال وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة قال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع . قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد علي هذا ولا أنقص قال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق. صحيح البخاري: ج ١/ ٢٥ (٤٦) كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام .

وما رواه عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور ، صحيح البخاري: ج ٢/ ٥٥٣ (١٤٤٧) كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور. وغير ذلك من الآثار الدالة على أركان الدين ولا يوجد من بينها نص على الإمامة ولا وصية بها .

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ١١١.
 ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
 هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص: ٥٠.

إذا فلا توجد أية قرينة تدل على الولاية في هذه الآية لا من قريب ولا من بعيد، وإنما جاء في تفسير الآية وصية الله لنا بأن نقيم الدين ولا نتفرق ونختلف فيه: « قال ﷺ: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ﴾ الشورى: ١٣ بَيَّنَّ وَسَنَ لَكُمْ، ﴿ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ وهو أول أنبياء الشريعة. قال مجاهد: أوصيناك وإياه يا محمد دينًا واحدًا. ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ من القرآن وشرائع الإسلام، ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ الشورى: ١٣ واختلفوا في وجه الآية: فقال قتادة: تحليل الحلال وتحريم الحرام. وقال الحكم: تحريم الأمهات والبنات والأخوات.

وقال مجاهد: لم يبعث الله نبيًا إلا وصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة له، فذلك دينه الذي شرع لهم.

وقيل: هو التوحيد والبراءة من الشرك، وقيل: هو ما ذكر من بعد، وهو قوله: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة^١.

الموضع السادس: وعند قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابَهُ ﴾ الحاقة: ١٩، أما قوله: (فأما من أوتي كتابه بيمينه) فإنه قال الصادق عليه السلام: كل أمة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم وهو قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ الأعراف: ٤٦ "وهم الأئمة" ﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ ﴾ فيعطون أولياءهم كتابهم بيمينهم فيمرون إلى الجنة بلا حساب، ويعطون أعداءهم كتابهم بشمالهم فيمرون إلى النار

١ - تفسير البغوي: ج ٧ / ١٨٦ - ١٨٧.

بلا حساب فإذا نظر أولياؤهم في كتابهم يقولون لإخوانهم: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ -
فَيَقُولُ هَؤُمَّ أُفٍّ وَأُفٍّ وَكُنِيَئَهُ ﴾^١ .

نناقش في هذا النموذج عدة ملاحظات:

١- أنه جاء بعبارة: "كل أمة يحاسبها إمام زمانها" من أين استقى هذه المعلومة،
والمعروف بالضرورة أن الله ﷻ هو الذي يحاسب الجميع، ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
النساء: ١٤١ وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يَنْفَعُ فِي
الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ الأنعام: ٧٣ .

وهو الذي يسألهم ويجازيهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم الذي ليس له إمام من
الأئمة أو لم يعاصره إمام ما وضعه؟ من الذي يحاسبه؟ أو ربما لا يحاسب!!.

ثم هل يأتي كل إمام مع أهل زمانه كما يأتي كل نبي مع أمته، وهل تقسم الأمة
أوزاعاً طائفة مع علي ﷺ، وطائفة مع الحسن وأخرى مع الحسين، ... وهكذا، ورسول
الله في ذلك الموقف يكاد يضيع، ولا يكاد يرى لقلّة عدد أتباعه، خاصة وأن غالبهم -
كما تزعم الشيعة - قد ارتدوا عن دينه، أهذا هو مقتضى تفسير هذه الآية!!

٢- ثم قال: "ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم" وأقحم آية الأعراف
ليدلل على ما أراد من أن الأئمة هم الذين يحاسبون الناس، على الرغم أن معنى الآية لا
يدل على ما ينشده.

ثم ما هي السيمة التي يعرف بها الأئمة أتباعهم وأولياؤهم وكيف يميز كل إمام أولياءه
ليحاسبهم؟ وكيف يميزون بين الأولياء والأعداء؟

وما مدى دلالة الآية على ذلك وما هي القرينة التي تدل على أن الأئمة يفعلون

ذلك؟

١ - تفسير القمي: ج ٢/٣٧٢ .

لا شيء من ذلك تدل عليه الآية، ما هي بكل بساطة إلا أوهام وخواطر، فالآية بكل بساطة بعيدة كل البعد عن هذا التأويل الباطل.

واستمع إلى التأويل الصحيح الصريح لأهل السنة: { يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ } على الله، قال الكلبي: لا يخفى على الله منكم شيء وذلك قوله ﷺ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِكَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُومٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴾ الحاقة: ١٩ تعالوا اقرءوا كتابيه الهاء في "كتابه" هاء الوقف^١.

فلم يذكر هنا وجود الأئمة في الموقف للسؤال ولا للمحاسبة، أو لمناولة الكتب، أو للمجازاة أو لأي أمر من ذلك.

وحقيقة الأمر أن الإمامة ما هي إلا نظرية كلامية لا أكثر ولا أقل، فإن الشيعة تدعي على لسان الإمام الباقر وهو يقسم: « والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم إلا فيها إمام يهتدى به إلى الله وهو حجته على عباده ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة الله على عباده»^٢.

والشيعة تزعم أن هناك ثلاث ضرورات لنصب الأئمة المعصومين بعد النبي ﷺ

- ١- بقاء كثير من الحقائق والتعاليم الإلهية وأحكام الدين - على حد زعمهم - دون تبين.
- ٢- الحظر من تحريف تعاليم النبي ﷺ وحفظ دين الله ﷻ .
- ٣- إمكانية وجود مسائل وموضوعات جديدة في العصور اللاحقة، فيحتاج الناس إلى من يرشدهم إليها.^٣

١ - تفسير البغوي: ج ٨ / ٢١١ .

٢ - الكافي: ج ١ / ١٧٩ (٨)، كتاب الحجة، باب: إن الأرض لا تخلو من حجة، قال المجلسي: مجهول، مرآة العقول: ج ٢ / ٢٩٧ .

٣ - زعامة الأمة - جعفر السبحاني - : ٢٤ .

هذه هي الضرورات التي من أجلها - بزعم الشيعة - نصب الله الأئمة، ولكن إذا نظرنا إلى هذه العوامل^١، نرى أنها عوامل دائمة وباقية ومستمرة لا تختص بوقت معين، ولذلك كان من اللازم أنه بعد وفاة النبي ﷺ من وجود إمام معصوم - بزعمهم - في كل عصر من العصور حتى يقوم بهذه الأعباء إلى يوم القيامة .

إذاً كيف نعلل ونبرر حصر الأئمة المعصومين في اثني عشر إماماً فقط ليس في هذا تناقض واضح إذا كانت العوامل السابقة مستمرة وأبدية كيف تخصي الإمامة بهذا العدد القليل، ثم أيضاً لا بد أن يثبت ضرورة حضور الأئمة المعصومين في جميع العصور وحتى يوم القيامة وليس فقط وجودهم، ولذلك فإن غيبة الإمام الثاني عشر - إن صح - لا تكون مبررة على أي نحو من الأنحاء، ونحن الآن نرى ألفاً ومئتي عام - على الأقل - مضت لم يوجد فيها أثر لحضور أي إمام معصوم، أو تواجده بين الناس في المجتمع، بل إن الناس لا يملكون أي قدرة للوصول إليه - وهذا بحد ذاته نقض واضح لمعتقد الإمامة - فما هو مصير الناس في عصر الغيبة إذن، ومن الذي سيمنع الدس والتحريف، ومن الذي سيبين الحقائق التي لم يتم بيانها؟! وأيضاً من الذي سيبين أحكام الحوادث والموضوعات المستجدة للناس؟ - لأن الشيعة لا تأخذ بالقياس في الأحكام - .

وإذا كان حفظ تعاليم الدين ضرورة وكان الهدف من نصب الإمام المعصوم هو منع تحريف الدين وفي الوقت ذاته الحيلولة دون زوال تلك التعاليم، فلماذا لم تحفظ تلك التعاليم من قبل الأئمة السابقين؟

أم أن الأئمة لم يستطيعوا أن يؤدوا واجبهم المنوط بهم؟ ثم كيف يستطيع الإمام الغائب أن يحول دون الدس والتحريف وحفظ تعاليم الدين عندما لا يكون لدى الناس قدرة على الوصول إليه؟

وعلى ذلك نقول إن دعوى غيبة الإمام، وعدم حضور أي إمام معصوم بين الناس، تناقض دعوى ضرورة وجود أئمة معصومين بعد النبي ﷺ فلا حاجة لهم إذا، بدليل: أن الدين باق

١ - هذا من باب مجارات الخصم .

مع عدم وجودهم أصلاً، فإن الله ﷻ تكفل بحفظ دينه وكتابه، وقيام الصحابة رضي الله عنهم بحفظ سنة النبي ﷺ .

فالمسلم في أصوله يرجع إلى القرآن نفسه، وفي الفروع إذا أشكل عليه أمر يرجع إلى العلماء، وهذا هو الواقع الحتمي للجميع، حتى الشيعة الإمامية إنما يقلدون العلماء وليس الأئمة. فقولهم بضرورة وجود إمام محض خيال لم يستفيدوا منه شيئاً لا في دين ولا في دنيا، وهكذا سقط الاحتجاج وبطل الاستدلال على وجود أصل "الإمامة" وبطلت الإمامة من الأساس، وتبين للجميع أنه لا شيء في الدين اسمه الإمامة - على مفهوم الشيعة - لعدم وروده في القرآن بالنصوص القطعية المحكمة، ولا أساس له فيه إلا الظنون والاحتمالات، ولا حاجة له في الحياة العملية، وأنه ليس لهم به من علم إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً .

المبحث الثالث: معتقد عصمة الأئمة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصل هذا المعتقد عند الشيعة.

المطلب الثاني: موقف القمي منها والرد عليه.

المطلب الأول:

أصل معتقد عصمة الأئمة عند الشيعة.

تعريف: عصمة الإمام:

مسألة عصمة الإمام لها أهمية كبرى عند الشيعة، فهي من المبادئ الأولية في كيانهم الاعتقادي.

والعصمة في كلام العرب: تعني المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، واعتصم فلان بالله إذا امتنع به.^١

أما معنى العصمة عند الشيعة فيختلف بحسب أطوار التشيع وتطوراتها، يقول القاضي عبد الجبار: « إن القول بعصمة الإمام وأنه لا يجوز عليه الخطأ والزلل في حال من الأحوال ولا يلحقه سهو ولا غفلة ، لم يعرف في عصر الصحابة والتابعين لهم إلى زمن هشام بن الحكم حيث ابتدع هذا القول »^٢.

لكن يظهر أن مذهب الشيعة في عصمة الأئمة قد استقر على ما قرره شيخ الشيعة في زمنه "المجلسي" في قوله: « اعلم أنّ الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة - عليهم السلام - من الذنوب - صغيرها وكبيرها - فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا الخطأ في التأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه »^٣.

فالمجلسي يسبغ على أئمة العصمة من كافة الأوجه المتصورة: العصمة من المعصية كلها - صغيرة أو كبيرة - العصمة من الخطأ، والعصمة من السهو والنسيان.

وهذه الصورة للعصمة التي يرسمها المجلسي، ويعلن اتفاق الشيعة عليها لم تتحقق فنجد أن بعض أئمة الإمامية وعلمائهم ينكرون نفي السهو عن الأئمة، حيث قيل للرّضا

١ - لسان العرب: ج ٢ / ٤٠٣ ، (عصم)، وللزيادة أنظر: القاموس المحيط: ج ١ / ١٤٧٠ (فصل العين)، تاج

العروس: ج ١ / ٧٨١٩، (فصل العين)، الصحاح في اللغة: ج ١ / ٤٧٥ (عصم).

٢ - تثبيت دلائل النبوة: ج ٢ / ٥٢٨ .

٣ - بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٢٠٩، (باب عصمتهم ولزوم عصمة الإمام).

- وهو الإمام الثامن الذي تدعي الشيعة عصمته - : إنَّ في الكوفة قوماً يزعمون أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يقع عليه السَّهو في صلاته، فقال: كذبوا - لعنهم الله - إنَّ الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو^١.

لا شك أن إنكاره عليهم أشد وأعظم، كما يمكن أن يؤخذ من هذا النص تأخر شيوع هذا الاتجاه عن عصر الرضا.

أيضاً ذكر المجلسي إنكار ذلك من بعض شيوخهم أمثال: الصدوق، محمد بن بابويه القمي وشيخه ابن الوليد^٢.

ويقول أحد علماء الشيعة: « نعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل، والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمداً وسهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو، والخطأ، والنسيان لأن الأئمة حفظة الشرع، والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضيها أن نعتقد بعصمة الأئمة، بلا فرق!!^٣ ».

وقال ابن بابويه القمي: « ... ومن نفى عنهم - أي الأئمة - العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم ومن جهلهم فهو كافر^٤ ».

ويدعي الشيعة إجماعهم في ذلك الأمر واجتماعهم هذا منقوض بسبب مخالفة شيعة القرن الرابع لهم، وترى المجلسي يحتار وهو يرى النصوص التي تخالف إجماع أصحابه كثيرة فقال: « المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب خلا من شذ منهم على عدم الجواز^٥ ».

ورغم أن كتاب الله، ليس فيه ذكر للأئمة الإثني عشر أصلاً فضلاً عن عصمتهم،

١ - بحار الأنوار: ج ٢٥٠/٢٥٠. باب إن الأئمة من ذرية الحسين وأن الإمامة بعده في الاعقاب ولا تكون في أخوين .

٢ - المرجع السابق: ج ١٧/ ١٠٨. باب سهوه ونومه ﷺ .

٣ - عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر: ٩١.

٤ - اعتقادات الصدوق: ١٠٨، وأنت تلاحظ التناقض في آرائهم فالمجلسي أثبت إنكار الصدوق في كتابه، ثم إن الصدوق يثبت تأييده للعصمة في كتابه، وأنت حائر فلا تدري أيا تأخذ وأياً تدع .

٥ - بحار الأنوار: ج ٢٥١/٢٥١. باب إن الأئمة من ذرية الحسين وأن الإمامة بعده في الاعقاب ولا تكون في أخوين.

إلا أن الشيعة الإمامية تتعلق بالقرآن لتقرير العصمة، ويتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ بَيْعَتَهُمْ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤.

يقول الطبرسي عند هذه الآية: « وقوله: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة: ١٢٤ قال مجاهد: العهد الإمامة، وهو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام، أي: لا يكون الظالم إماماً للناس. فهذا يدل على أنه يجوز أن يعطي ذلك بعض ولده إذا لم يكن ظالماً، لأنه لو لم يرد أن يجعل أحداً منهم إماماً للناس، لوجب أن يقول في الجواب: لا، أو "لا ينال عهدي ذريتك" .

وقال الحسن: معناه أن الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيراً، وإن كانوا قد يعاهدون في الدنيا، فيوفى لهم. وقد كان يجوز في العربية أن يقال: "لا ينال عهدي الظالمون"، لأن ما نالك فقد نلته. وقد روي ذلك في قراءة ابن مسعود. واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح، لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذي هو الإمامة ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه، وإما لغيره. فإن قيل: إنما نفى أن يناله ظالم في حال ظلمه، فإذا تاب لا يسمى ظالماً، فيصح أن يناله؟ فالجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفى أن يناله، فقد حكم عليه بأنه لا ينالها. والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت، فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم، وإن تاب فيما بعد»^١.

وأيضاً يستدلون بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣ ، ويطلقون عليها آية التطهير.

١ - تفسير مجمع البيان: ج ١/٣٧٧ - ٣٧٨، وهذا الكلام مخالف لنص القرآن: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة: ٣٩ ، فالمعروف في الشرع والعرف واللغة أن من كفر أو ظلم ثم تاب أو أصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم، لأن الإسلام يجب ما قبله، وقد يكون التائب من الظلم أفضل ممن لم يقع فيه" انظر في ذلك منهاج السنة لابن تيمية: ج ١/٣٠٢-٣٠٣.

يقول أحدهم محاولاً إثبات العصمة عن طريق دلالة الآية: « فالعصمة شرط في الإمامة والآلهية، وقد انحصرت العصمة في الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأئمة الاثني عشر عليهم السلام!!، للإجماع على عدم عصمة غيرهم، ودلالة آية التطهير على عصمة علي والحسن والحسين عليهم السلام، ودلالة النصوص المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عصمة جميع الأئمة الاثني عشر عليهم السلام!!

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب: ٣٣ ، وقد دلت الآية الشريفة على عصمة أهل البيت عليهم السلام، فإن إرادة تطهيرهم إرادة تكوينية لا محالة، إذ الإرادة التشريعية بالطهارة عن الرجس بمعنى التكليف بالطهارة لا يختص بأهل البيت، بل يعم جميع المكلفين. مضافاً إلى أن الإرادة التشريعية تتعلق بفعل المكلف، وقد تعلقت الإرادة في الآية بفعل الله سبحانه وتعالى وهو: إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم منه. وإراداته تعالى التكوينية لا تتخلف عن المراد، فقد قال عز من قائل: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ يس: ٨٢^١

ويستدلون أيضاً بما يسمونه حديث الكساء، وهذا نص الحديث عند أهل السنة: «عن أم سلمة: أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة برة في خزيرة^٢ فدخلت عليه فقال لها ادعي زوجك وابنك قالت فجاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة على دكان تحته كساء له خيربي قالت وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله ﷻ هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم هؤلاء

١ - شهبات حول الشيعة، أبو طالب التحليل التبريزي: ١١١ - ١١٣ .

٢ - الخزيرة: لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وقيل: هي حسا من دقيق ودسم . وقيل: إذا كان من دقيق فهي حريرة، وإذا كان من نخالة فهو خزيرة. النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٢ / ٢٨ (باب الخاء والزاي) .

أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله، قال: إنك إلى خير إنك إلى خير^١.

وهذا الحديث كما ترى لا يدل على العصمة التي يدعونها وغاية الأمر أن الرسول ﷺ ضم فاطمة وعلي والحسن والحسين إلى أهل البيت ودعا لهم بهذا الدعاء ليدخلهم الله في هذه المكرمة بفضل دعائه لهم . كما سنرى في المطلب الثاني .

عصمة الأئمة لماذا؟؟

إذا سألنا بعد هذا الكم من الأخبار لماذا تدعي الشيعة عصمة الأئمة ؟ من المعروف أن الشيعة الإمامية يحاولون إضفاء صبغة شرعية على ما يزعمونه من أقوال لأئمتهم، وهذه الصبغة لا يؤيدها نص قرآني صريح ولا حديث نبوي صحيح، لذا عمدوا إلى إضفاء الصبغة اللاهوتية - كما فعلت النصارى واليهود بأحبارهم - حتى يكون مصدر التلقي عند هؤلاء الأئمة إنما هو من مصدر إلهي وهو الوحي، الذي هو ليس بوحى الشريعة لأنه مختص فقط بالأنبياء وإنما هو علم لدني، بالإضافة إلى مصدر نقلي وهي كتب ومدونات ينقلها الإمام إلى من ينص عليه.

ويساعد على تقبل هذا الأمر وصفهم بأنهم معصومون كعصمة الأنبياء بل ربما أكثر لأن الأنبياء ربما أخطأوا أو نسوا أو سهوا أما الأئمة عند الإمامية فلا يجوز لهم ذلك، فيتقبل السامع لمروياتهم على أنها دين منزل متلقى من معصوم ، وبذلك يتخلص الإمامية من مشكلة وجود نصوص ليس لها أدلة معروفة، أو متناقضة، أو تخالف نصوصاً صريحة وصحيحة من القرآن والسنة الصحيحة، وينظلي مثل هذا الهراء على العوام، والجهال أو ضعاف العقول، أما أهل العلم الراسخون فيعلمون أن هذا محض افتراء وأنه مخالف لنصوص كثيرة من الكتاب والسنة على ما سنرى بعد ذلك .

١ - مسند الإمام أحمد: ج ٦ / ٢٩٢ (٢٦٥٥١) باقي مسند الانصار، وعلق شعيب الأرنؤوط عليه فقال: حديث صحيح وله ثلاثة أسانيد: الأول: ضعيف لإبهام الراوي عن أم سلمة والثاني: إسناده صحيح والثالث: ضعيف لضعف شهر بن حوشب.

المطلب الثاني:

موقف القمي من معتقدتهم في عصمة الأئمة.

قلنا قبل ذلك باعتراف القمي لمذهب قومه بجدارة ولذلك فهو أيضاً يعتنق هذا المعتقد في الأئمة وعصمتهم، ولذا تجده بين فينة وأخرى يظهر هذا الاعتقاد فيقول على سبيل المثال: « عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ قال: نزلت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وآله علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم ألبسهم كساءاً خبيرياً ودخل معهم فيه ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي {الذين وعدتني فيهم ما وعدتني} اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً" نزلت هذه الآية فقالت: أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله، قال أبشري يا أم سلمة إنك إلى خير، وقال أبو الجارود: قال زيد بن علي بن الحسين عليه السلام: إن جهالاً من الناس يزعمون أنه إنما أراد بهذه الآية أزواج النبي وقد كذبوا وأثموا لو عني بها أزواج النبي لقال: ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيراً، ولكن الكلام مؤثماً كما قال واذكرن ما يتلى في بيوتكن ولا تبرجن ولستن كأحد من النساء»^١.

كما ترى فإن هذه الآية لها تعلق بآل البيت، وفيها ذكر لإرادة التطهير من الذنوب، لذا فإن الشيعة استغلوا هذه الملابس فانتزعوا الآية من الأزواج المطهرات، وخصوها بأصحاب الكساء، ثم أخذوا منها دليلاً على عصمتهم، وعمموا ذلك في الاثني عشر من أئمتهم.

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ١٦٨.

ونص الحديث كما أسلفنا في الصفحة السابقة وما بين المعكوفتين زيادة عن نص الحديث، وانظر إليه يحاول أن يثبت إن الآية نزلت إثر الدعاء، والمعلوم أن الآية سبقت الدعاء.

وطالما أن هذا النص - أي الآية - لا يدل بنفسه على مبتغاهم عمدوا إلى إسناده بالرواية - كما هو ديدنهم في محاولة إثباتهم لعقائدهم - لعلها تأتي بالمطلوب، ولكن الحقيقة أن الرواية التي أتوا بها ناقضت المطلوب على ما سنرى، ولنا أن نسأل هنا سؤالاً:

هل المقصود بالآية علي وفاطمة وابنيهما ﷺ فقط؟

نزلت الآية في بيت النبي ﷺ والمقصود بـ"آل البيت" علي ما هو معروف عند العرب، هم من يسكنون البيت من زوجة وعيال، ويدل على ذلك أيضاً إضافة البيت إلى أزواج النبي وتكرار ذلك في الآيات، فقال: وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ، وقال أيضاً: وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ، وإذا اتفقنا على أنهن القانتات في البيت إذا تنفق على أنهن المعنيات بقوله: لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، أي المعني هنا بالتطهير هن أزواج النبي ﷺ ، وإذا علمنا أن الحديث كان بعد نزول الآية - وهو ما يحاول الشيعة التغافل عنه- وأن هذه القصة ليست هي سبب نزول الآية بل إن سبب النزول كما رواه البخاري: « أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: "إني ذاكرك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك" قالت:- وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفرقه- قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتَن تَرْضَيْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا ... إلى قوله: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب: ٢٩ . قالت: "فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت" .^١

فلما استقر أمرهن تحت رسول الله ﷺ أخبرهن بحكمهن وتفضيلهن دون سائر النساء ثم كلفهن تكليفاً شاقاً ينسجم مع مكانتهن التي بينها هن، ولذلك كان لا بد من مكافئة يصدرها هن تبعث على الأخذ بتلك التكاليف وهن من مشقتها، وأيضاً تنسجم مع مكانتهن ومنزلتهن من النبي ﷺ فأتى بهذه الجملة التعليلية، التي تبعث على النشاط والسرور هن. ولا يشك أحد في أن هذه الجملة تخصهن، لأن سياق الآيات كلها فيهن كما ترى:

١ - صحيح البخاري: ج ٤/١٧٩٦ (٤٥٠٧) كتاب التفسير، باب سورة الأحزاب.

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتَنَ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا فَمَعَالِيكَ أُمْتَعَكُنَّ
 وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتَنَ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
 لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ
 لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُورْتَهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَ كَأَحَدٍ
 مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتَنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
 فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾
 وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
 فلايات السابقة واللاحقة فيهن - رضي الله عنهن - ولا أجد مبرراً أو قرينة لصرف
 الآيات عنهن إلى علي وفاطمة وابنيهما وتخصيصها بهم .

وأيضاً لما ذكره الحافظ ابن كثير فقال: «وقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
 الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣ ، وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في
 أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما
 وحده على قول أو مع غيره على الصحيح.

وروى ابن جرير الطبري: عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
 لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة،
 وهكذا روى ابن أبي حاتم قال: "حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن الحباب،
 حدثنا حسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا
 يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.
 فإن كان المراد أنهن كنَّ سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط
 دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك:

منها ما رواه الإمام أحمد قال: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا علي بن زيد، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: "الصلاة يا أهل البيت، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾".^١

ثم أتى بعدد من الروايات من بينها ما سقنا سابقاً ثم علق على ذلك فقال: فإن في بعض أسانيدنا نظراً، ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فإن سياق الكلام معهن؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشَاءُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.^٢

ثم لما كان من حب النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعلي والحسن والحسين فأراد أن يلحقهما بهذا الفضل فدعى لهم بهذا الدعاء، وأشركهم مع أهل بيته في هذه المنحة الربانية، ولكن زعم الشيعة أن معنى هذه الآية منصرف إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقط دون بيت النبوة فهذا فيه سوء أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يجرد بيت النبوة من هذا الفضل وهذه المزية، ويصبح بيت النبوة تابعاً لبيت علي وليس متبوعاً.

فإذا المخصوص بالآية أولاً نساء النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل غيرهن معهن إذا صحت الروايات ودلت على ذلك، ولكن إذا قبلنا أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين رضي الله عنهم داخلون في منحة هذه الآية، وذلك بسبب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم، فهل يدخل فيها أيضاً تسعة أئمة معهم، وهل نصت الآية أو ذكر الحديث شيئاً عن ذلك؟ ثم لماذا هم من ذرية الحسين فقط وليسوا من ذرية الحسن رضي الله عنه، مع أن التطهير كان للثنتين، والحسن كما هو معلوم أفضل من الحسين

١ - المسند: ج ٣/٢٥٩ (١٣٧٥٤) مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، وسنن الترمذي: ج ٥/٣٥٢ (٣٢٠٦) كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب. وقال الترمذي، "حديث حسن".

٢ - تفسير ابن كثير: ج ٦/٤١٠ - ٤١٥.

ولقد امتدحه النبي ﷺ فقال: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^١.

ثم هناك سؤال آخر هل لفظي التطهير وإذهاب الرجس تعني العصمة؟
ما معنى التطهير؟

يقال في اللغة: «(طهر) الطاء والهاء والراء أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على نقاءٍ وزوالِ دَنَسٍ. ومن ذلك الطُّهُرُ: خلاف الدَّنَسِ. والتَطَهُّرُ: التنزُّه عن الذمِّ وكلِّ قبيح. وفلانٌ طاهر الثَّياب، إذا لم يدنَس. ويقال: ثيابُ بني عوفٍ طَهَّارَى نقيَّةٌ، والتَطَهُّرُ: التَّنَزُّهُ والكفُّ عن الإثمِّ ومالا يحمد.. و المِطْطَهَّرِينَ " يعني به تَطَهِيرَ النَّفْسِ »^٢.

وعلى هذا فالمعنى اللغوي ليس له علاقة بين التطهير وعصمة الأئمة بالمعنى الذي تحاول أن تثبته الشيعة .

ثم إذا كانت الآية فيها دلالة على العصمة كانت نساء النبي ﷺ موصوفات بهذه العصمة قبل غيرهن، وإذا لم تكن فغيرهن أولى بانتفاء العصمة منهم.
ثم إن حديث الكساء السابق ينقض الادعاء بالعصمة، لأن المدعو لهم (علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ) إما أن يكونوا معصومين قبل الدعاء، أو لم يكونوا معصومين، وصاروا معصومين بعده .

فإن كانوا معصومين من الأساس فلا داعي للدعاء لهم بالعصمة، لأنه لغو لا فائدة منه، وإن لم يكونوا من قبل كذلك انتقضت العصمة لأن غير المعصوم - حسب قواعد الإمامية - لا يكون معصوماً بعد إذ لم يكن، وإنما المعصوم يولد معصوماً، لأن العصمة التي أثبتوها كونية تلازم المعصوم منذ خلقته وولادته.

١ - صحيح البخاري ج ٢ / ٩٦٢ (٢٥٥٧)، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ: (ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين).

٢ - المحيط في اللغة: ج ١ / ٢٩٦، تهذيب اللغة: ج ٢ / ٢٩٦، تاج العروس: ج ١ / ٣١١٥، مقاييس اللغة: ج ٣ / ٣٣٤ .

وأيضاً مما استشهد به القمي في ذلك عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجن: ٢٧ ، قال في قلبه العلم ومن خلفه الرصد يعلمه علمه ويزقه العلم زقا ويعلمه الله إلهاماً، والرصد التعليم من النبي صلى الله عليه وآله ﴿لِيَعْلَمَ﴾ النبي ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ﴾ بما لدى الرسول من العلم ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدْدًا﴾ الجن: ٢٨ ما كان وما يكون منذ يوم خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة من فتنة أو زلزلة أو خسف أو قذف أو أمة هلكت فيما مضى أو تهلك فيما بقي، وكم من إمام جائر أو عادل يعرفه باسمه ونسبه ومن يموت موتاً أو يقتل قتلاً، وكم من إمام مخذول لا يضره خذلان من خذله، وكم من إمام منصور لا ينفعه نصرته من نصره^١ .

ومن المجمع عليه بين أهل الإسلام، أن الله استأثر بعلم الغيب، فلا يُطَّلَع على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسله المبلغين عنه ونص على ذلك نصاً صريحاً في القرآن، فقال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجن: ٢٦ - ٢٧ ، وأولوا العزم من الرسل يتبرأون من دعوى علم الغيب، لكن الشيعة يزعمون أن أئمتهم يعلمون الغيب، وبالغوا في ذلك كأشد ما تكون المبالغة، فادعأؤهم معرفة الإمام ما كان وما يكون منذ يوم خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة، إدعاء باطل ومبالغ فيه، ولقد جاءت الآيات متتابعة وصريحة في أن معرفة الغيب إنما لله وحده، وإذا أراد لأحد من رسله معرفة بعضه تفضل عليه بجزء من ذلك وليس كله يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فاطر: ٣٨ ، ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الحجرات: ١٨ ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ النمل: ٦٥ .

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٣٨٠ .

وحتى لا يظن أن النبي ﷺ يعلم الغيب فيقول له : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٨ ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ الأنعام: ٥٩ .

وهكذا فالآيات دالة على عدم اطلاع أحد سواء من الرسل أو غيرهم على الغيب فكيف ينسب إلى الإمام معرفة ذلك ومن أين له، ولم يصرح بأن الله أطلع أحداً على مطلق الغيب لا نبي مرسل ولا ملك مقرب .

يقول ابن جرير الطبري عند تفسيره لهذه الآيات: « وقوله: ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ الجن: ٢٦ - يعني بعالم الغيب: عالم ما غاب عن أبصار خلقه، فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحداً، فيعلمه أو يريه إياه إلا من ارتضى من رسول، فإنه يظهره على ما شاء من ذلك، فعن ابن عباس، قوله: ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٧ ، فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه، وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره.

وقوله: ﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ الجن: ٢٧ يقول: فإنه يرسل من أمامه ومن خلفه حرساً وحفظة يحفظونه.

فعن الضحاك : ﴿ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ الجن: ٢٧ قال: كان النبي ﷺ إذا بعث إليه الملك بالوحي بعث معه ملائكة يجرسونه من بين يديه ومن خلفه، أن يتشبه الشيطان على صورة الملك.

وقوله: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبِّهِمْ﴾ الجن: ٢٨ ، اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ فقال بعضهم: عني بذلك رسول ﷺ وقالوا: معنى الكلام: ليعلم رسول الله ﷺ أن قد أبلغت الرسل قبله عن رها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ليعلم المشركون أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ليعلم محمد أن قد بلغت الملائكة رسالات ربهم.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم؛ وذلك أن قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ من سبب قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسَلُّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجن: ٢٧ وذلك خبر عن الرسول، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبراً عنه.

وقوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ الجن: ٢٨ يقول: وعلم بكل ما عندهم، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ الجن: ٢٨ ، يقول: علم عدد الأشياء كلها، فلم يخف عليه منها شيء.

فعن سعيد بن جبیر أنه قال في هذه الآية: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسَلُّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الجن: ٢٧ ليعلم أن قد أبلغوا رسالت ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً الجن: ٢٧ - ٢٨ ، قال: ليعلم الرسل أن ربهم أحاط بهم، فبلغوا رسالاتهم^١.

هذا هو التأويل الصحيح المراد من هذه الآيات، أما ما ذكره القمي فغير مقبول لا شرعاً ولا عقلاً .

وأمر عصمة الإمام مردود عليه من عدة نواحي :

أولها: من القرآن، فإن القرآن أثبت لكثير من الأنبياء الوقوع في الذنب والخطأ وهم بلا شك أفضل من أئمة الشيعة، فكيف تنفي الشيعة عن أئمتهم الوقوع في الذنب ويثبتته الله ﷻ على رسله.

ثانياً: أن كتبهم قد صرحت بنفي العصمة ففي نهج البلاغة - وهو الكتاب الذي تعتبره الشيعة: "أخ القرآن الكريم في التبليغ والتعليم، وفيه دواء كل عليل وسقيم، ودستور للعمل بموجبات سعادة الدنيا وسيادة دار النعيم^١ - ما يأتي :

- ١- يقول: علي ﷺ للناس: ... ولا أَنهَأَكُم عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُم عَنْهَا^٢.
- ٢- ويقول: فَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقَ أَنْ أُخْطِئَ ...^٣.

فهو ﷺ لم يدع ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطئ بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ فأين العصمة؟! وهل كذب حين أعلن ذلك على الملأ؟ أم أنهم هم الكذابين؟ ثم أنتقل إلى الصحيفة السجادية: التي يقول عنها أغا بزرك: "هي من المتواترات"^٤. ويقول مغنية في تفسيره الكاشف: "الصحيفة السجادية التي تعظمها الشيعة وتقدس كل حرف منها"^٦.

فلننظر ماذا يقول الإمام المعصوم عندهم علي زين العابدين: « .. فَهَلْ يَنْفَعُنِي، يَا إِلَهِي، إِفْرَارِي عِنْدَكَ بِسُوءٍ مَا اكْتَسَبْتُ وَهَلْ يُنْجِينِي مِنْكَ اعْتِرَافِي لَكَ بِقِيحِ مَا اِزْتَكَبْتُ أَمْ أُوجِبَتْ لِي فِي مَقَامِي هَذَا سُخْطُكَ أَمْ لَزِمَنِي فِي وَقْتِ دُعَايِ مَثُوكَ. سُبْحَانَكَ، لَا أَيْأَسُ مِنْكَ وَقَدْ فَتَحْتَ لِي بَابَ التَّوْبَةِ إِلَيْكَ، بَلْ أَقُولُ مَقَالَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُسْتَحْفِ بِحُرْمَةِ رَبِّهِ. الَّذِي عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ فَجَلَّتْ، وَأَذْبَرَتْ أَيَّامُهُ فَوَلَّتْ »^٧.

١ - الذريعة: ج ١٤/١١١ .

٢ - نهج البلاغة: الخطبة (١٧٥) .

٣ - المرجع السابق: خطبة (٢١٦) .

٤ - نسبة إلى "الإمام السجاد" وهو علي بن الحسين زين العابدين .

٥ - الذريعة: ج ١٥/١٨ .

٦ - الكاشف: ج ١٠/٥١٥ .

٧ - دعاؤه ﷺ (١٢) في الاعتراف وطلب التوبة إلى الله تعالى : ٧٥ .

ويقول أيضاً في نفس الدعاء: « أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا تَوْبَةً نَادِمٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، مُشْفِقٍ مِمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ، خَالِصِ الْحَيَاءِ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ. عَالِمٍ بِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ لَا يَتَعَاظَمُكَ، وَأَنَّ التَّحَاوُزَ عَنِ الْإِثْمِ الْجَلِيلِ لَا يَسْتَصْعِبُكَ...»^١.
 وأيضاً قوله: «وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا فَصَّرْتُ فِيهِ، وَأَسْتَعِينُ بِكَ عَلَى مَا عَجَزْتُ عَنْهُ ...»^٢.
 وأيضاً يقول في غيره من الدعاء: «... هَذَا مَقَامٌ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ، وَقَادَتْهُ أَرْزَمَةُ الْخَطَايَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطاً، وَتَعَاطَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَغْرِيراً...»^٣.

فها هو الإمام زين العابدين يثبت الذنوب لنفسه فهل هو كاذب؟؟
 لم أجد دليلاً من كلامه ينفي عن نفسه الذنوب، كما تدعي الشيعة.
 ثم هو ذا المجلسي صاحب أكبر كتاب في روايات الأئمة ماذا يذكر: عن الإمام الكاظم قوله: « رب عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت لأكهمتني، وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزتك لأصممتني»^٤.
 هاهو الكاظم يقول: عصيتك .. وعصيتك .. وعصيتك ...
 واعلم أن المجلسي قد أورد بعض الأجوبة الباردة على مثل هذه الروايات فقال:
 «قيل: اعترفهم بالذنب كان تواضعاً .. - إلا أن المجلسي نفسه أبدى عدم قناعته بهذا الجواب - وأقول: وكذلك لا يستقيم ذلك في كل الروايات كقول علي " .. فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقَ أَنْ أُخْطِيءَ، فَاَلْمَقَامُ هُنَا لَيْسَ مَقَامُ تَوَاضَعٍ، فَهُوَ يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَمْدُوهُ بِالْمَشُورَةِ فِي أُمُورِهِ.

- وقيل: اعترفهم بالذنب كان لتعليم الناس كيف يتوبون ويستغفرون!!
 فرد هو على ذلك بأنهم يقولون هذه الأدعية في خلواتهم بين يدي رب العالمين .
 وأقول: وأيضاً لا يستقيم هذا مع الروايات التي تثبت (الخطأ) و (طلب المشورة)

١ - المرجع السابق: ٧٧ .

٢ - المرجع السابق: ٧٨ .

٣ - مِنْ دُعَاءِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) (٣١) فِي ذِكْرِ التَّوْبَةِ وَطَلَبِهَا: ١٥٢ .

٤ - بحار الأنوار: ج ٢٥/٢٠٣، باب عصمتهم ولزوم عصمة الإمام .

- ثم إن المجلسي فكر وقدر .. حتى توصل إلى إجابة يرى أنها قوية جداً وأنها من فتوحات الله عليه، وملخص الإجابة - أنهم يستغفرون من المباحات كالأكل والشرب والنكاح ومثل ذلك...»^١.

وأقول : سبحان الله ..

الله ﷻ حين يحل لعباده أموراً، هل يجب أن يستغفروا الله منها، وهل ينسبون لأنفسهم فعل الكبائر والخطايا والإسراف في حق أنفسهم بمجرد أنهم فعلوا هذه الأمور المباحة؟؟

ونحن ننزههم من فعل الكبائر التي وردت في أدعيتهم، وأقول هذه أدعية مختزعة مكدوبة عليهم، وإنما نحن نحتج على القوم بما يؤمنون به .

١ - بحار الأنوار: ج ٢٥ / ٢٠٣ - ٢٠٤ . باب عصمتهم ولزوم عصمة الإمام .

المبحث الرابع : عقيدة التقية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصل هذا المعتقد عندهم.

المطلب الثاني: موقف القمي منه والرد عليه.

المطلب الأول:

إثبات معتقد التقية عند الشيعة الإمامية.

عقيدة التقية عند الشيعة:

التقية كما عرفها المفيد هي: «كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين»^١. والمعنى: أنه يتعين على الشيعي أن يكتنم الحق - وهو دين الشيعة - ولا يظهره لأهل السنة - لأنهم المعنيون بقوله "المخالفين" - بل عليه أن يظهر أنه على دينهم حتى لا يأتي دينه الضرر.

وعرفها أحد علمائهم بقوله: «التقية.. أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك»^٢.

وهذا التعريف للتقية لا ينطبق على حالات التقية عندهم وسنرى أنهم يقولون بالتقية في غير مجال الضرورة والحاجة الشرعية أو في غير وقوع ضرر.

والأمر الثابت: أن التقية في الإسلام رخصة عند الضرورة العارضة ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾ آل عمران: ٢٨ وقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ النحل: ١٠٦.

وسنحاول إبراز تلك المعاني من خلال نصوصهم، لأن أمثلة تلك العقيدة ليست بالكثرة عند القمي على اعتبار أنه اتقى أن يصرح بمعتقده في التقية.

١ - شرح عقائد الصدوق: ٢٦١.

٢ - الشيعة في الميزان - محمد جواد مغنية: ٤٨.

لماذا التقية عند الشيعة ؟

لجأت الشيعة إلى استعمال التقية وجعلها عقيدة لازمة للشيعة لتحقيق عدة أمور:
 أولاً: لما كانت خلافة الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ؓ جميعاً، غير معتبرة عند الشيعة
 ولا مرضية لهم، ولما كان علي ؓ بايعهم وتابعهم على ذلك، وهم يرون أن من بايعهم
 وتابعهم ووقف في معسكرهم كافر، لجأوا إلى هذه العقيدة كتبرير لفعل علي بن أبي طالب
 ومبايعته لهم وجهاده معهم، فقالوا: إنما كان ذلك منه ؓ تقية!!
 ثانياً: أن الأئمة عندهم معصومون لا يخطئون ولا ينسون ولا يسهون، فإذا ثبت عنهم

أمر يخالف ما أصلوه في دينهم قالوا: إنما صدر ذلك منهم على سبيل التقية!

ثالثاً: من المسلّمات التي يعترف بها الجميع ولا يمكن إنكارها أن أي إمام من أئمة
 الشيعة - ابتداءً من علي ؓ وحتى الإمام الحادي عشر الحسن العسكري - لم يعلن أحد
 منهم أبداً في أي جمع للمسلمين أو في أي مناسبة من مناسبات الحج أو في أي اجتماع
 يعقده المسلمون، لم يعلنوا عن مسألة الإمامة. وهذه العقيدة هي أساس المذهب الشيعي وهي
 تعد في المذهب الشيعي مثل عقيدة التوحيد والرسالة - أي الإيمان بالله الواحد ورسالة محمد
 ﷺ - فهي أساس نجات الإنسان في الآخرة - على حد قولهم -.

فإذا سألتهم لماذا لم يُعلن عن عقيدة الإمامة عن طريق الأئمة في أي محفل أو لماذا لم
 نسمع بذلك صراحة من أي إمام؟ أجابوا بجواب مضحك،

قالوا: تقية!!

أي أن الإمام لم يصرح بهذا الأمر العظيم لأنه كان خائف!!

وهذا الجواب يتنافى مع ما هو معروف عن كثير من من يدعون أنهم أئمتهم مثل: علي
 والحسن والحسين ؓ وغيرهم من الشجاعة والجرأة وبذل النفس في سبيل إعلاء كلمة الحق .

وكذلك يتنافى مع معتقدتهم في كون الإمام مؤيداً من عند الله، وأنه حجة الله على
 عباده، وإنما كان سبب إمامته هو المحافظة على الدين وهداية الناس إلى طريق الحق.

إذاً فكيف يخاف الإمام المؤيد ومن من يخاف ؟

سؤال ليس له إجابة عندهم، أو ربما له إجابة مضحكة كسابقه.

متى بدأ العمل بهذا المعتقد ؟

من خلال مطالعة كتب الشيعة يفهم أن الكتابات الخاصة بالتقية بدأت عند بعض أهل الكوفة الذين كانوا تحت تأثير توالييف وشائعات عبد الله بن سبأ وأتباعه المقربين في القرن الأول الهجري، غير أن الأمر لم يأخذ صيغة المعتقد الديني إلا في أواسط القرن الثاني الهجري زمن الإمام الباقر والإمام جعفر الصادق، وفي ذلك الوقت بدأت المؤلفات الدينية للمذهب الشيعي الاثني عشري ووضع أساسها، وقد وضعت عقيدة التقية آنذاك لإنقاذ عقيدة الإمام والمذهب الشيعي برمته.

ما هي عقيدة التقية ؟

يتعين على الشيعة طبقاً لهذه العقيدة أن يعملوا طوال حياتهم بخلاف ضمائرهم وخلاف عقيدتهم. وعلى كل حال فهذه العقيدة وجدت لكي تنقذ سلوك جميع الأئمة وأسلوب عملهم من النقد والانهيار ومن هنا أصبحت من لوازم عقيدة الإمامة.

ولكن الأثر العملي للتقية لا يزال يؤدي دوره الخطير في جوانب عديدة منها:

أولاً: أن عقيدة التقية استغلها دعاة التفرقة بين الأمة، والزنادقة المستترون بالتشيع استغلوها لإبقاء الخلاف بين المسلمين، وذلك برد الأحاديث الصحيحة في معناها التي وردت عن الأئمة ووافقت ما عند الأمة وروتها كتب الشيعة نفسها ردها بحجة أنها تقية لموافقتها لما عند أهل السنة، فإذا جاء حديث يثني على الصحابة قالوا إن هذا تقية، وإقرار أئمتهم بالخلافة القائمة في عصرهم يقولون إنه تقية، وصلح الحسن هو عندهم تقية وهكذا فضلاً عن الفروع الفقهية إذ يردون الأحاديث التي توافق ما عليه أهل السنة وتخالف شذوذهم يردونها بحجة التقية لأنها وافقت إجماع المسلمين^١.

ومن الأمثلة لتأثير التقية العملي عندهم أنهم قالوا عن تزويج علي ؑ ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب ؑ - تلك التي هي من أقوى الدلائل على كمال الحب والولاء بين الصحب والآل - قالوا إن هذا من باب التقية.

١ - مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، د. ناصر الغفاري : ج ١ / ٣١٧ - ٣٢٦ بتصرف .

فقد عقد الحر العاملي في وسائل الشيعة باباً في هذا بعنوان: (باب جواز مناكحة الناصب عند الضرورة والتقية)^١ ومما جاء فيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في تزويج أم كلثوم فقال: "إن ذلك فرج غضبناه"»^٢.

كما أورد في هذا الباب تزويج رسول الله صلى الله عليه وآله ابنتيه لعثمان رضي الله عنه وعده من باب التقية. «قال أبو جعفر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله زوج منافقين أبا العاص بن ربيع وسكت عن الآخر»^٣. أي لم يصرح الإمام باسم عثمان تقية وخوفاً فجعلوا الرسول صلى الله عليه وآله يتصف بهذه الصفة القبيحة، ولم يتق الرسول من عثمان حتى يزوجه ابنتيه؟ كان يكفيه أن يرده، أو أن يمتنع من ذلك، ولا يضره هذا الفعل، كما فعل أبو بكر وعثمان مع عمر رضي الله عنه إثر عرضه عليهما الزواج بابنته حفصة، ولم يضره أو يضرهما الرض.

ثانياً: أنهم جعلوا عقيدة التقية هي المخرج من الاختلاف والتناقض في أخبارهم وأحاديثهم، فإن ظاهرة التناقض في أحاديثهم وأقوالهم وآرائهم كانت من أقوى الدلائل على أنها من عند غير الله^٤ كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢ .

ولهذا كان ذلك الاختلاف الكثير في أخبارهم من أسباب ترك بعض الشيعة للتشيع كما اعترف بذلك الطوسي فقال: «ذاكرني بعض أصحابي أن أحاديث أصحابنا وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وإيثاره ما يضاده ولا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينفيه، حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا، وذكروا أنه لم يزل شيوخكم السلف والخلف يطعنون على مخالفيهم بالاختلاف الذي يدينون الله تعالى به ويشنعون عليهم بافتراق

١ - وسائل الشيعة: ج ٢٠ / ٥٦١ .

٢ - وسائل الشيعة: ج ٢٠ / ٥٦١، و الكافي: ج ٥ / ٣٤٦ (١)، كتاب النكاح، باب تزويج أم كلثوم، قال المجلسي: حسن، مرآة العقول: ج ٢٠ / ٤٢ .

٣ - وسائل الشيعة: ج ٢٠ / ٥٦٢ .

٤ - حوارات عقلية ، د. أحمد الغامدي : ٩٩ وما بعدها .

كلمتهم في الفروع، ويذكرون أن هذا مما لا يجوز أن يتعبد به الحكيم، ولا أن يبيح العمل به العليم، وقد وجدناكم أشد اختلافاً من مخالفيكم وأكثر تبايناً من مباينيكم، ووجود هذا الاختلاف منكم مع اعتقادكم بطلان ذلك دليل على فساد الأصل»^١

ثالثاً: أنهم قالوا بعصمة الأئمة وأنهم لا ينسون ولا يسهون ولا يخطئون مع أن الناس حفظوا عنهم ما يخالف ذلك، وينافي عصمتهم فقالوا بالتقية للمحافظة على دعوى عصمة الأئمة تلك العصمة التي بسقوطها تسقط قيمة أقولهم وبالتالي يسقط مذهب الشيعة ولهذا قالوا: «إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً وهما القول: بالبداء وإجازة التقية»^٢.

رابعاً: جعلت التقية وسيلة للكذب على الأئمة، فيردون-مثلاً- كلام الإمام الباقر أو جعفر الصادق الذي سمعه مجموعة من الناس بحجة أنه قد حضره بعض السنة فاتقى في كلامه ويقبلون ما ينقله الكذبة أمثال "جابر الجعفي" بحجة أنه لم يحضر مجلسه أحد يتقيه فما ينقله غلاة الروافض والزندقة عن أئمة أهل البيت مقبول عندهم، وما ينقله العدول من المسلمين مردود بدعوى التقية.

فمثلاً الإمام زيد بن علي وهو من أهل البيت يروي عن علي عليه السلام - كما تذكره كتب الشيعة نفسها- أنه غسل رجليه في الوضوء ولكن الطوسي يرد هذه الرواية ويزعم أنها من باب التقية، فيقول: «عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: "جلست أتوضأ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتدأت الوضوء فقال لي: تمضمض واستنشق واستن ثم غسلت ثلاثاً فقال: قد يجزيك من ذلك المرتين، فغسلت ذراعي ومسحت برأسي مرتين فقال: قد يجزيك من ذلك المرة، وغسلت قدمي، فقال لي يا علي خلل بين الأصابع لا تخلل بالنار»^٣.

قال الطوسي: «فهذا خبر موافق للعامة- يعني أهل السنة لأن مذهبهم غسل الرجلين- وقد ورد مورد التقية لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا

١ - تهذيب الأحكام: ج ١ / ٢.

٢ - المقالات والفرق، سعد القمي: ٧٨.

٣ - الاستبصار: ج ١/٦٥-٦٦ (باب وجوب المسح على الرجلين).

عليهم السلام القول بالمسح على الرجلين، ثم قال: إن رواية هذا الخبر كلهم عامة ورجال الزيدية وما يختصون بروايته لا يعمل به»^١.

هكذا ترد النصوص التي تتفق مع مذهب أهل السنة تحت ستار التقية حتى وإن كان الراوي من أئمة أهل البيت^٢.

خامساً: انبثق من خلال عقيدة التقية: مبدأ أن ما خالف العامة-أي أهل السنة- هو الحق حتى إنهم جعلوا من معالم التعرف على الحق-في نظرهم- عند اختلاف رواياتهم معرفة ما عليه أهل السنة وأن يكون مجتهدهم على دراية بذلك ليتسنى له الأخذ بخلافه، فإذا اختلفت أحاديثهم فالحق هو ما فيه خلاف العامة، وإذا أفتى عالم أهل السنة بفتوى فالحق في خلافها.

فيروي المجلسي « عن علي بن أسباط قال: قلت للرضا عليه السلام: يحدث الأمر لا أجد بدأ من معرفته وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك، فقال عليه السلام: ائت فقيه البلد- يعني من أهل السنة- فاستفته في أمرك فإن أفتاك بشيء فخذ بخلافه فإن الحق فيه»^٣.

وأيضاً روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «إذا ورد عنكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم»^٤ - يقصد أهل السنة - .

وهكذا أراد مؤسسو هذا المذهب الانفصال عن جماعة المسلمين والنأي بالشيعة عن حقيقة الإسلام ولهذا حملوا كل ما في مذهبهم من نصوص توافق الأمة حملوها على التقية وجعلوا علامة إصابة الحق تتمثل في مخالفة العامة.

وهذا الأمر ترتب عنه عقيدة أخرى مرتبطة بها وهي اعتقاد الشيعة بكفر جميع المسلمين بزعمهم.

١ - الاستبصار: ج ١/٦٥-٦٦ (باب وجوب المسح على الرجلين).

٢ - أصول مذاهب الشيعة الاثني عشرية: ج ٢/٤٤٣ .

٣ - بحار الأنوار: ج ٢/٢٣٣، عن عيون أخبار الرضا، وعلل الشرائع.

٤ - المرجع السابق: ج ٢/٢٣٣ .

أقوال وأفعال الأئمة المعصومين عن الكتمان:

عمدنا دائماً في عرض ترهات الفكر الشيعي هو أصح وأوثق كتاب رواية عند الشيعة - بزعمهم - كتاب الكافي، وفيه باب مستقل بعنوان (باب الكتمان) فيه ما يلي: « قال أبو عبدالله عليه السلام ، يا سلمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله »^١.
فهذا يناقض ما أوجب الله تعالى من النصح للمسلمين وبيان ما شرع الله لهم من الدين، وتحريم كتمان العلم وقد أمر الله نبيه عليه السلام بتبليغ الرسالة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٦٧.

وفي الصفحة التالية يروي عن الإمام الباقر والد الإمام جعفر الصادق أنه قال لخاصة شيعته: « إن أحب أصحابي إليّ أروعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا وإن أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم للذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروي عنا فلم يقبله اشتمأز منه وجحدته وكفر من دان به وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا»^٢.

وهذا يخالف ما حث عليه النبي عليه السلام وما رواه البخاري «عن عبد الله بن عمرو: أن النبي عليه السلام قال: بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^٣ وأيضاً مخالف لقول وفعل صحابة النبي عليه السلام فقد نقلوا عن النبي عليه السلام كل شيء تحتاجه الأمة، ولم يفرضوا في شيء من الدين اتباعاً له واقتداءً به عليه السلام.

١ - الكافي: ج ٢ / ٢٢٢ (٣)، كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان، قال المجلسي: مجهول، مرآة العقول: ج ٩ / ١٨٧.

٢ - الكافي: ج ٢ / ٢٢٣ (٧)، الباب السابق في الكتاب السابق، قال المجلسي: صحيح، ج ٩ / ١٩١.

٣ - صحيح البخاري: ج ٣ / ١٢٧٥ (٣٢٧٤) كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

أقوال وأفعال الأئمة عن التقية:

في أصول الكافي أيضا باب مستقل عن التقية، وفي هذا الباب رواية عن أبي عمير الأعجمي، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: « يا أبا عمير، تسعة أعشار الدين في التقية، لا دين لمن لا تقية له»^١.

وهناك رواية أخرى في نفس الباب عن حبيب بن بشر قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: سمعت أبي يقول: لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إليّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله»^٢.

وفي موضع آخر من نفس الباب وردت الرواية التالية:

قال أبو جعفر عليه السلام: «التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له»^٣.

نعوذ بالله من الخذلان، فالتقية نفاق محض وكذب وزور وبهتان وقد جعل الله تعالى المنافقين في أسفل الدرجات يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ النساء: ١٤٥.

التقية ليست جائزة فقط بل واجبة وضرورة:

والواقع أن التقية في المذهب الشيعي ليست جائزة فقط بل ضرورية، وهي جزء من الدين والإيمان كما عرف من الروايات السابقة وفي "من لا يحضره الفقيه" وهو من الأصول الأربعة للشيعية، رواية جاء فيها:

قال الصادق عليه السلام: « لو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً.

وقال عليه السلام: لا دين لمن لا تقية له»^٤.

عافانا الله من عقيدة تقوم على الكذب، فعند الشيعة من لا يكذب لا دين له.

١ - الكافي: ج ٢ / ٢١٧ (٢) كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، قال المجلسي: مجهول مرآة العقول: ج ٩ / ١٦٦.

٢ - المرجع السابق: (٤). نفس الصفحة السابقة، قال المجلسي: مجهول، مرآة العقول: ج ٩ / ١٦٩.

٣ - المرجع السابق: ج ٢ / ٢١٩ (١٢). نفس الكتاب والباب السابق قال المجلسي: صحيح، مرآة العقول: ج ٩ /

١٧٩.

٤ - من لا يحضره الفقيه عن باقيات صالحات: ٢١٦.

أمثلة لما يدعونه من التقية للأئمة دون ضرورة تذكر:

في الجزء الأخير من الجامع الكافي في "كتاب الروضة" رواية راويها صاحب الواقعة المذكورة فيها أحد مرادي الإمام جعفر الصادق وهو محمد بن مسلم، يقول: « دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وعنده أبو حنيفة فقلت له: جعلت فداك! رأيت رؤيا عجيبة، فقال: يا ابن مسلم هاتهما فإن العالم بما جالس وأوماً بيده إلى أبي حنيفة - ويمضي محمد بن مسلم قائلاً: فقصت رؤياي فسمعتها أبو حنيفة وفسرها وسمع الإمام جعفر الصادق التفسير الخاص بالرؤيا فقال: أصبت والله يا أبا حنيفة!، فقال الراوي: ثم خرج أبو حنيفة من عنده، فقلت له جعلت فداك! إني كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: يا ابن مسلم لا يسؤك الله، فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا، ولا تعبيرنا تعبيرهم، وليس التعبير كما عبره، قال: فقلت له: جعلت فداك، فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ؟! قال: نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ!«^١.

مما سبق يتضح لنا بشكل جلي أن علماء الشيعة كانوا يخدعون الناس بأقوالهم الخاطئة بإتباع التقية دون أي ضرورة.

التقية في عرض المسائل الدينية:

يفهم من روايات كتب الشيعة أن الأئمة المعصومين لم يتبعوا أسلوب التقية في المعاملات الدنيوية فقط بل اتبعوه أيضا في بيان المسائل والأحكام الدينية، وكانوا يخبرون عباد الله بمسائل خاطئة وهم قاصدوا ذلك.

ولم يكن هذا مجرد صدفة بل كان ظاهراً شائعاً وعادياً، فقد وردت الرواية التالية في "أصول الكافي" في كتاب العلم: «عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر: قال: سألته عن مسألة فأجابني ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني ثم جاء آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت: يا ابن رسول الله، رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه فقال:

١ - الكافي: ج ٨ / ٢٩٢ (٤٤٧) كتاب أمير المؤمنين، باب تعبير الرؤيا، قال المجلسي: مجهول، مرآة العقول: ج

يا زرارة إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا، ولكن أقل لبئنا وبقائكم... ثم قال: فقلت لأبي عبد الله: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين، فقال: فأجابني بمثل جواب أبيه «^١.

فتاوى الدين عند الشيعة تتعدد بتعدد من سأل عنها وتختلف باختلاف حاله... فأي دين هذا؟! يدعو إلى الكذب والنفاق

اتهام الحسين عليه السلام بالتقية:

والقارئ يصاب حتماً بالحيرة والدهشة حين يقرأ الرواية التالية الواردة في فروع الكافي، فهؤلاء الذين يدعون محبتهم لآل البيت وخاصة الحسين عليه السلام يصورونه في هذه الرواية بصورة لا تليق به: «عن عامر بن السمط عن أبي عبد الله عليه السلام أن رجلاً من المنافقين مات فخرج الحسين بن علي صلوات الله عليهما يمشي في جنازته، فلقيه مولى له فقال له الحسين عليه السلام: أين تذهب يا فلان؟ قال: فقال له مولاه: أفر من جنازة هذا المنافق أن أصلي عليه. فقال له الحسين عليه السلام: انظر أن تقوم على يميني فما تسمعي أقول فقل مثله، فلما أن كبر عليه وليه قال الحسين: الله أكبر، اللهم العن فلانا ألف لعنة مؤتلفة غير مختلفة، اللهم احز عبدك في عبادك وبلادك وأصله حر نارك وأذقه أشد عذابك فإنه كان يتولى أعداءك ويعادي أولياءك ويغض أهل بيت نبيك»^٢.

ونحن نطلب من الشيعة من أصحاب الفطرة السليمة بالإضافة إلى أهل السنة أن يفكروا أيضاً كيف تلصق هذه الرواية بالحسين عليه السلام ما لا يليق به، والقول بأنه اتبع التقية... حاشاه وهو سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١ - الكافي: ج ١/ ٦٥ (٥)، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، قال المجلسي: موثق كالصحيح، مرآة العقول: ج ١/ ٢١٧.

٢ - الكافي: ج ٣/ ١٨٩ (٢) كتاب الجنائز، باب الصلاة على الناصب، قال المجلسي: مجهول بعامر، مرآة العقول: ج ١٤/ ٧٥.

ونحن على يقين من أن كل هذا افتراء على هذه الشخصيات المحترمة الشريفة التي أثنى عليها في كتابه الكريم، هي محض افتراءات يكتبها ويرويها مؤلفوا دين الشيعة، فتلك الشخصيات بريئة تماماً من كل هذه الاتهامات الفظيعة التي تلصق بهم.

المطلب الثاني

موقف القمي من معتقد التقية.

طالما أن القمي يسلك مسلك قوميه من الإمامية ويعتقد مذهبهم فهو يعترف بهذا المعتقد عندهم لكنه لا يصرح بذلك عملاً برأي علمائهم بهذا المعتقد، فهم على دين من كتبه أعزه الله.

ولذلك تجده في المقدمة يلمح إلى هذا المعتقد فيقول: «وأما الرخصة التي ظاهرها خلاف باطنها يعمل بظاهرها ولا يدان بباطنها»^١، ولكنه لا يفصل القول في هذا المعنى ولا يأتي بأمثله له، إلا إنك تجده عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمْ تَقِيَةً﴾ آل عمران: ٢٨، يقول: « وقوله (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) فإن هذه الآية رخصة ظاهرها خلاف باطنها يدان بظاهرها ولا يدان بباطنها إلا عند التقية، إن التقية رخصة للمؤمن أن يراه أن يدين بدين الكافر فيصلي بصلاته ويصوم بصيامه إذا اتقاه في الظاهر وفي الباطن يدين الله بخلاف ذلك»^٢.

يفهم من هذه النصوص السابقة عدة أمور منها :

- أنه يوهم بأن التقية مجرد رخصة فقال: "أما الرخصة .." وكونها رخصة فتكون عند الضرورة أو الاضطرار فقط، وهذا هو الحال عند أهل السنة، أما الشيعة فليس الأمر كذلك، بل هم على خلاف ذلك تماماً ، فالتقية عندهم دين يدان به ويتعبد به الله.

- وأيضاً يوهم بأن المقصود بالكافر هو المشرك أو اليهودي أو نحو ذلك، وتعجب إذا علمت أنه يقصد السني، بدليل قوله: "فيصلي بصلاته ويصوم بصيامه إذا اتقاه في الظاهر، وفي الباطن يدين الله بخلاف ذلك" ولم يقل ويدين الله بالإسلام مثلاً، ولكنه قال: بخلاف ذلك أي بخلاف السني، لأن السني هو في زعمهم المخالف كما هو معروف عند

١ - تفسير القمي: ج ١/ ١٧.

٢ - المرجع السابق: ج ١/ ١٠٨.

الشيعة من مبدأ: "أن الحق على خلاف السنة" فهو لفظ معروف عندهم، والدليل على ذلك ما رواه شيخهم الصدوق عن أبي عبدالله أنه قال: ما منكم أحد، يصلي صلاة فريضة، في وقتها، ثم يصلي معهم - يعني أهل السنة - صلاة تقية، وهو متوضى إلا كتب الله له بها خمساً وعشرين درجة فارغبوا في ذلك.

أما الآية فلا تقصد أن يتقي المسلم من المسلم، فليس هذا المعنى المقصود، فالمعنى المقصود ما رواه الإمام الطبري في تفسيره فقال: «لا تتخذوا، أيها المؤمنون، الكفارَ ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهروهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلُّونهم على عوراتهم، فإنه مَنْ يفعل ذلك "فليس من الله في شيء"، يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر "إلا أن تتقوا منهم تقاة"، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل»^٢.
فالمعنى إذا خاف المؤمن من الكافر فقط عند الضرورة، فإنه يتقيه.

وفي موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان: ٦٣، تجده يقول: «نزلت في الأئمة عليهم السلام، أخبرنا أحمد بن إدريس قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن أبي نجران عن حماد عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ قال الأئمة يمشون على الأرض هونا خوفاً من عدوهم !! ... ثم يقول:

١ - كما تعتقد الشيعة الإمامية، بوجوب مخالطة أهل السنة بعقيدة التقية، حيث أكد شيخهم، الحر العاملي في كتابه على هذه العقيدة تحت عنوان: وجوب عشرة العامة - يعني: أهل السنة - بالتقية: وسائل الشيعة: ج ١١ / ٤٧٩. وجاء في كتاب بحار الأنوار للمجلسي ما نصه: من صلى خلف المنافقين - يعني أهل السنة والجماعة - بتقية كان كمن صلى خلف الأئمة.

٢ - جامع البيان: ج ٦ / ٣١٣.

قول الله تعالى: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال هم الأئمة عليهم السلام يتقون في مشيهم^١.
 ونشير إلى ما ذكره الإمام الطبري عند تفسيره للآية: «يقول تعالى ذكره:
 ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الفرقان: ٦٣ بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله.
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا، فقال بعضهم: عنى بقوله: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار.
 وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع.
 وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم^٢.

وأنت ترى أن الآية على جميع الأقوال إنما نزلت في مدح المؤمنين الذين اتصفوا بهذه الصفات، وأيضاً فيها تحريض للمؤمن إذا سمع هذا الثناء أن يتصف ويتخلق بهذه الأخلاق، ولكن من أين استقى القمي هذا المعنى الغريب للآيات؟
 وكل الأقوال تنافي قول الشيعة أن معنى الآية كان في الأئمة، وأن الإمام يمشي خائفاً من عدوه، وأي ذم هذا لأئمتهم عندما ينزل قرآن يختص بالإمام ويصفه بأنه يمشي هائماً على وجهه خائفاً من عدوه، فالآية كانت في مدح المؤمنين فحولها الشيعة بجهلهم وعدم معرفتهم بالعربية إلى ذم في الإمام وأي ذم، بل أراه طعناً فيه وفي إمامته، وهكذا الشيعة لفرط جهلهم قد يسيئون لأئمتهم.
 وفي ختام الكلام لا بد من توضيح الاختلاف بين أهل السنة والشيعة في مسألة التقية وهذا نلحظه من عدة جوانب:

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٩٢.

٢ - جامع البيان: ج ١٩ / ٢٩٣ - ٢٩٤.

الجانب الأول: أن التقية عند السنة هي الخوف من قول الحق - صحيح - لكن عند الكفار - عند الضرورة - لا عند المسلمين كما في قوله تعالى **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ٢٨ آل

عمران

قال ابن جرير الطبري: «التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم»^١.

والشيعة لا ترتضي ذلك؛ بل إنها لتتقي السني المسلم أعظم من النصراني واليهودي.

يقول ابن بابويه: «اعتقادنا في التقية أنها واجبة من تركها بمنزلة من ترك الصلاة»^٢.

بل جعلوا هذا من كلام محمد ﷺ وهو منه براء - فقالوا على لسان نبيينا ﷺ: «تارك التقية كتارك الصلاة»^٣.

وهي تسعة أعشار الدين، فيرون أن جعفرًا بن محمد قال: «إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له»^٤.

بل وترك التقية ذنبٌ لا يغفر كالشرك، فقد جاء في أخبارهم: «يغفر الله للمؤمن كل ذنب، يظهر منه في الدنيا والآخرة، ما خلا ذنبتين: ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان»^٥.

الجانب الثاني: هي أن التقية لا تكون إلا في حال الضعف وخوف العدو الكافر، أما مع الأمن والعزة والقوة فلا تقية، أما عندهم حتى في حالة الأمن فكما قالوا: «عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه، لتكون سجيته مع من يحذره»^٦.

١ - جامع البيان: ٣١٦/٦ .

٢ - الاعتقادات: ١١٤ .

٣ - جامع الأخبار: ١١٠، وبحار الأنوار: ٧٥/ج ٤١٢ .

٤ - أصول الكافي: ج ٢/٢١٧، بحار الأنوار: ج ٧٥/٤٢٣، و وسائل الشيعة: ج ١١/٤٦٠ .

٥ - وسائل الشيعة: ج ١١/٤٧٤، بحار الأنوار: ج ٧٥/٤١٥ .

٦ - أمالي الطوسي: ج ١/١٩٩، و وسائل الشيعة: ج ١١/٤٦٦، بحار الأنوار: ج ٧٥/٣٩٥ .

المبحث الخامس:

عقيدة تجريح الصحابة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصل هذا المعتقد عندهم.

المطلب الثاني: موقف القمي من هذا المعتقد.

المطلب الأول:

أصل معتقد تجريح الصحابة عند الشيعة

تختلف الشيعة الإمامية مع السنة في الأصول والفروع في عدة أمور، ومن بين هذه الأمور بل ومن أعظمها شأنًا، اختلافهم في موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم، فبينما ترى السنة عدالتهم وتوثيقهم بناءً على تعديل القرآن وتوثيق السنة لهم^١، تنظر إليهم الشيعة من منظور أنهم أناس عاديون شأنهم شأن جميع المسلمين في التجريح والتعديل وليس لهم ميزة على لاحقهم في عمل صالح أو قول راجح، فتعتقد أن فيهم المسيء والمصلح والطائع والعاصي والمؤمن والمنافق والتقي والشقي والصدوق والكذوب إلى غير ذلك يقول قائلهم: «حكم الصحابة في العدالة حكم غيرهم ولا يتحتم الحكم بها بمجرد الصحبة وهي لقاء النبي صلى الله عليه وآله مؤمناً به ومات على الإسلام -

١ - جاءت آيات كثيرة لا يمكنني حصرها الآن في مدح الصحابة والثناء عليهم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهْجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١٠٠، وجاءت أيضاً السنة موثقة ومعدلة للصحابة بناءً على ما رواه البخاري في صحيحه في باب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته" ج ٣ / ١٣٣٥ (٣٤٥١ - ٣٤٥٠) وجاء أيضاً بلفظة: "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن".

على ما قال ابن حجر إنه أصح ما وقف عليه في تعريف الصحابي^١ - وإن ذلك ليس كافياً في ثبوت العدالة بعد الاتفاق على عدم العصمة المانعة من صدور الذنب، فمن علمنا عدالته حكمنا بها وقبلنا روايته ولزمنا له من التعظيم والتوقير بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد في سبيل الله ما هو أهله، ومن علمنا منه خلاف ذلك لم تقبل روايته أمثال مروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وبسر بن أرطاة وبعض بني أمية وأعوانهم، ومن جهلنا حاله في العدالة توقفنا في قبول روايته «^٢.

١ - قال الحافظ ابن حجر: تعريف الصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام، ولو تخلت ردة؛ في الأصح. والمراد باللقاء ما هو أعم من المجالسة والمباشرة ووصول أحدهما إلى الآخر وإن لم يكالمه، وتدخُل فيه روية أحدهما الآخر، سواء كان ذلك بنفسه أو بغيره. والتعبير بـ (اللقي) أولى من قول بعضهم: الصحابي من رأى النبي ﷺ؛ لأنه يخرج حينئذ ابن أم مكتوم ونحوه من الغميان، وهم صحابة بلا تردّد، واللقى في هذا التعريف كالجنس. وفي قول: (مؤمناً)؛ كالفصل، يخرج من حصل له اللقاء المذكور، لكن في حال كونه كافراً. وقولي: (به) فصل ثانٍ يخرج من لقيه مؤمناً لكن بغيره من الأنبياء ﷺ. لكن: هل يخرج من لقيه مؤمناً بأنه سيبعث ولم يذكرك البعثة كبحيرة؟ فيه نظر! وقولي: (ومات على الإسلام)؛ فصل ثالثٌ يخرج من ارتدّ بعد أن لقيه مؤمناً به ومات على الردة؛ كعبيد الله بن جحش وابن خطل.

وقولي: (ولو تخلت ردة)؛ أي: بين لقيه له مؤمناً به وبين موته على الإسلام؛ فإن اسم الصحبة باقٍ له، سواء أرجع إلى الإسلام في حياته ﷺ أو بعده، وسواء ألقيه ثانياً أم لا! وقولي: (في الأصح)؛ إشارة إلى الخلاف في المسألة. ويدل على رجحان الأول: قصة الأشعث بن قيس؛ فإنه كان ممن ارتدّ، وأبي به إلى أبي بكر الصديق أسيراً، فعاد إلى الإسلام، فقبل منه ذلك، وزوجه أخته، ولم يتخلّف أحدٌ عن ذكره في الصحابة ولا عن تخريج أحاديثه في المسانيد وغيرها. ثم قال: تنبيهان:

أحدهما: لا خفاء برجحان رتبة من لازمه ﷺ وقاتل معه، أو قتل تحت رايته، على من لم يلازمه، أو لم يتحضّر معه مشهداً، وعلى من كلمه يسيراً، أو ماشاه قليلاً، أو رآه على بُعد، أو في حال الطفولة، وإن كان شرف الصحبة حاصلاً للجميع. نزهة النظر في توضيح تحبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: ٣١ - ٣٢.

٢ - أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين: ج ١/٢.

واسمع أيضاً إلى أخي الجهالة وهو يتشدد ويتكلم عن صحب رسول الله ﷺ: « إن هؤلاء الصحابة! قد أعطوا من الحصانة ما لا يجوز معه أن يذكروا إلا بالتقدير والتعظيم والمدح والثناء، ولا يجوز أن يقترب أحد من ساحتهم بأية علامة استفهام أو سؤال عن تصرف يشعر منه أنه يحط من كرامة أحدهم أو يمس عدالته، هؤلاء الصحابة قد أعطاهم إخواننا السنة!! ميزة زائدة على جميع المسلمين، إنها ميزة العدالة المطلقة لكل من اتصف أنه صحابي مهما عمل من الموبقات وارتكب من الجرائم والمخازي!! إن الصحبة قد هدمت كل شائنة وغفرت كل جرم!! فلا يجوز في المنطق أن تقول لماذا؟ لمن اتصف بالصحبة أو لمن حمل اسم الصحبة إنها اسم لإنسان مبرأ من جميع الذنوب معدل بصبغة اللحظة التي اكتسبها أو الحديث الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وآله، ثم إنه بعد إعطائهم هذه العدالة ترتبت أمور وأعطيت لهم امتيازات لم تعط لأحد من الناس.

فقد ترتب على القول بعدالتهم أمور منها :

- ١ - عدم جواز البحث عن حالهم فإذا وصلت الرواية إلى أحدهم انكسر القلم وخرس المنطق فلا يجري عليهم قانون الجرح والتعديل .
 - ٢ - حمل كل ما صدر عنهم من هفوات وعثرات ومذلات!!! ومخالفات على الاجتهاد، فإنه أحسن لجميع المصائب والويلات .
 - ٣ - من يجرح أحدهم فهو خارج عن الدين زنديق يريد أن يجرح الشهود ليطل الكتاب والسنة لأنهم هم الذين حملوها إلينا^٢.
- إذا فبغض الصحابة، وشتهم والطعن في أخلاقهم، وأيضاً الطعن في أمهات المؤمنين، موضوع شائع في أوساط الشيعة الإمامية، بل هي عقيدة أساسية عندهم فهم يقولون: "لا ولاء إلا ببراء"^٣ أي لا تتم ولايتهم لآل البيت إلا بالتبرؤ من الخلفاء الثلاثة، وبقية الصحابة والاعتراف بكفرهم وسبهم والطعن فيهم، وهم في هذا الأمر على رأيين:

١ - "هؤلاء الصحابة" هكذا يعبر عنهم هذا الضمير، لم يكن ليملاً فاه بهذه العبارات، لولا أن عمر رضي الله عنه قد مات .
 والمرء لبراً إلى الله من قول هؤلاء .
 ٢ - شبهات حول الشيعة، عباس علي الموسوي: ٥٧.
 ٣ - درء تعارض العقل والنقل: ج ١ / ١٦٣.

الرأي الأول: يرى أن الصحابة كانوا منافقين مخادعين لله ولرسوله، فلما توفي الرسول ﷺ ارتدوا وأظهروا كفرهم على الملأ، ولم يسلم من ذلك إلا بعض الصحابة على اختلاف بينهم والجمع عليهم هم: سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وأبو ذر، والمقداد، وجابر بن عبدالله ﷺ.

روى المفيد: «عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر أنه قال: ارتد الناس بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، سلمان الفارسي، ثم إن الناس عرفوا ولحقوا بعد»^١.

وعن حمران بن أعين قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك ما أقلنا؟ لو اجتمعنا على شاة ما أفيناها!! فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده - ثلاثة ...»^٢.

ثم يزداد العدد قليلاً في روايتهم حتى يقسم أبو عبدالله - حسب زعمهم - فيقول: «فوالله ما وفي بها إلا سبعة نفر: سلمان، وأبو ذر، وعمار والمقداد بن الأسود، وجابر بن عبدالله، ومولى لرسول الله يقال له الثبيت، وزيد بن أرقم»^٣.

أما أصحاب الرأي الثاني: فيرون أن الصحابة ارتدوا وكفروا بعد موت النبي ﷺ لا في حياته، والذي دفعهم إلى هذا القول محاولة تفادي تعارض ما يدعونه من أقوال مع نصوص القرآن الصريحة التي كانت تنزل في مدح الصحابة والثناء عليهم في حياة النبي ﷺ.

١ - الاختصاص: ٦.

٢ - هو: حمران بن أعين الشيباني، كوفي مولى، تابعي مشكور، يكنى أبا الحسن، وروى الكشي عن محمد بن الحسن، عن أيوب بن نوح، عن سعيد العطار، عن حمزة الزيات، عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر أنه قال له: أنت من شيعتنا في الدنيا والآخرة، له كتاب يرويه عدة من الشيعة. خلاصة الأقوال، الحلبي: ١٣٤ - ١٣٥ (٥)، رجال الطوسي: ١٣٢ (١٣٦٢) ٤١، رجال النجاشي: ١٤٠.

٣ - الكافي: ج ٢ / ٢٤٢ (٦)، كتاب الإيمان والكفر، باب في قلة عدد المؤمنين، قال المجلسي: ضعيف، مرآة العقول: ج ٩ / ٢٩٠. وربما أراد بالثلاثة: المقداد وسلمان وأبوذر السابق ذكرهم.

٤ - قرب الإسناد: ٧٩، وبحار الأنوار: ج ٢٢ / ٣٢٢.

والحاصل أن الشيعة الإمامية مطبقة على القول بكفر الصحابة والظعن فيهم ومن ينكر منهم ذلك فإنما هي تقية منه، إما في وسائل الإعلام أو في الكتب الدعائية التي يصدرونها في الدول ذات الغالبية السنية، للدعاية إلى هذا المذهب، أما في غير ذلك فهم مقرون به حق الإقرار، لأنه لا يصح إيمانهم إلا به، والسبب الدافع لهم على ذلك هو ما يزعمونه من إنكار الصحابة النص على ولاية علي عليه السلام - وذلك تم يوم الغدير بحسب زعمهم - وأنهم قد تواطؤوا على جحدته وإنكاره إلا من سبق ذكرهم من الصحابة، أما كبار الصحابة، مثل أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبقية العشرة المبشرين ومعوية، وعائشة وحفصة رضي الله عنهن، فإنهم كانوا متظاهرين بالإسلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، مع إبطائهم الكفر، وأنهم أنكروا ولاية علي عليه السلام التي أمرهم بها حسداً وحقداً لأنهم كانوا يطمعون في هذه الولاية لأنفسهم بعد وفاته عليه السلام .

يقول أحدهم: « فالخلفاء الثلاثة في نظر الشيعة يحملون القدر الأكبر من الانحراف الذي حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قال: ... كما يعتقدون أن محاولة رفع الخلفاء الثلاثة وتقديسهم إنما هي من صنع السياسة بهدف ضرب الإمام علي وحط أهل البيت عليهم السلام - ونفس الموقف ينسحب على أمهات المؤمنين - فالشيعة لا تعدل عائشة ولا حفصة وتقدم عليهما السيدة خديجة وأم سلمة. وتعتقد أن رفع عائشة وتقديسها إنما هو غرض سياسي المهدف منه تحجيم دور السيدة خديجة في حركة الدعوة وتقليل حجم السيدة فاطمة عليها السلام ومكانتها الشرعية^١ .

وسأتي ببعض النصوص التي تثبت هذا المعتقد عندهم، ولولا أن بعضهم يمارون في وجود هذا المعتقد عندهم، لما احتجت إلى إثباته، فهو أمر مشهور معروف بينهم تربي عليه الكبير وفطم عليه الصغير، ولذلك نجد أن كتبهم التي تطعن في الصحابة، لا تعد ولا تحصى وأنها تعج بمثل هذه الأكاذيب، فالأمر مفروغ منه عندهم، وسأذكر فقط بعض عناوين كتابهم الكبير "بحار الأنوار" التي صرحت بكفر الصحابة ومنها: باب (١٨) في ذكر ما

١ - انظر في ذلك معالم المدرستين: ج ١ / ٥٥، للمرزقي العسكري .

كان من حيرة الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ وغضب الخلافة وظهور جهل الغاصبين وكفرهم ورجوعهم إلى أمير المؤمنين^١.

باب (٢٠) كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم وقبائح آثارهم، وفضل التبري منهم ولعنهم^٢، وفي هذا المجلد نحو من ٧٠٠ صفحة مخصصة فقط لتكفير الصحابة^٣ والظعن فيهم، هذا غير ما أتى به متفرقاً هنا وهناك في المجلدات الأخرى، هذا فقط في واحد من كتبهم، وهذه بعض أمثلة من هذا الكتاب:

ما نقله عن تفسير علي بن إبراهيم عند قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ الفرقان: ٢٧ قال: الأول ﴿ يَلِيَّتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبًا ﴾ الفرقان: ٢٧، قال أبو جعفر^٤ يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول علياً: ﴿ يَتَوَلَّاتِي لِيَّتِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانَا خَلِيلًا ﴾ الفرقان: ٢٨، يعني الثاني: ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ الفرقان: ٢٩ ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ ﴾ وهو الثاني ﴿ لِلْإِنْسَانِ خُدُولًا ﴾^٥.

نقلًا عن تفسير علي بن إبراهيم فقال: « أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن حسان، عن هاشم بن عمار يرفعه في قوله: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ فاطر: ٨ قال: نزلت في زريق وحبتر^٤ بيان زريق وحبتر: كنايةتان عن الملعونين^٥، عبر عنهما بهما تقيّة،

١ - بحار الأنوار: ج ٣٠/٥٣.

٢ - المرجع السابق: ج ٣٠/١٤٥، والكتاب يقع في ١١٠ مجلداً وعندني نسخة الكترونية منه.

٣ - بحار الأنوار: ج ٣٠/١٤٩ - ١٥٠ (٥)، باب (٢٠) كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم وقبائح آثارهم وفضل التبري منهم ولعنهم، تفسير القمي: ج ٢/١١٣.

٤ - تفسير علي القمي: ج ٢/٢٠٧.

٥ - يقصد الصديق والفاروق^٥.

والعرب تتشائم بزرقه العين، والخبتر: الثعلب، والثاني بالأول أنسب»^١.

وأيضاً روى المجلسي عن «ابن الوليد، عن الصفار، عن عباد بن سليمان، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه، عن إسحاق بن عمار، عن موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: قلت: جعلت فداك، حدثني فيهما بحدِيث، فقد سمعت من أبيك فيهما بأحاديث عدة. قال: فقال لي: يا إسحاق! الأول بمنزلة العجل، والثاني بمنزلة السامري. قال: قلت: جعلت فداك، زدني فيهما؟. قال: هما والله نصّرا وهودا ومجسّتا، فلا غفر الله ذلك لهما. قال: قلت: جعلت فداك، زدني فيهما. قال: ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. قال: قلت: جعلت فداك، فمن هم؟. قال: رجل ادعى إماماً من غير الله، وآخر طعن في إمام من الله، وآخر زعم أن لهما في الإسلام نصيباً. قال: قلت: جعلت فداك، زدني فيهما؟. قال: ما أبالي - يا إسحاق - محوت المحكم من كتاب الله أو جحدت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم النبوة أو زعمت أن ليس في السماء إله، أو تقدمت على علي بن أبي طالب عليه السلام. قال: قلت: جعلت فداك، زدني؟. قال: فقال لي: يا إسحاق! إن في النار لوادياً - يقال له: سقر - لم يتنفس منذ خلقه الله، لو أذن الله سبحانه له في التنفس بقدر مخيط لأحرق ما على وجه الأرض، وإن أهل النار ليتعوذون من حر ذلك الوادي ومنتنه وقدره، وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الوادي لجبلا يتعوذ جميع أهل ذلك الوادي من حر ذلك الجبل ومنتنه وقدره وما أعد الله فيه لأهله من العذاب، وإن في ذلك الجبل لشعبا يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حر ذلك الشعب ومنتنه وقدره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك الشعب لقلبياً يتعوذ جميع أهل ذلك الشعب من حر ذلك القليب ومنتنه وقدره وما أعد الله فيه لأهله، وإن في ذلك القليب حياة يتعوذ أهل ذلك القليب من خبث تلك الحية ومنتنها وقدرها وما أعد الله سبحانه في أنيابها من السم لأهلها، وإن في جوف تلك الحية لسبعة صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة، واثنان من هذه الأمة. قال: قلت: جعلت فداك، ومن الخمسة؟ ومن الاثنان؟. قال: فأما الخمسة: فقاويل

١ - بحار الأنوار: ج ٣٠/١٥٣ (٨) باب (٢٠) كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم وقبائح آثارهم وفضل التبري منهم ولعنهم .

الذي قتل هابيل، وغمرد الذي حاح إبراهيم في ربه، فقال: ﴿أَنَا أَحْيَاءٌ وَأُمَيِّتٌ﴾ البقرة: ٢٥٨، وفرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ النزعات: ٢٤ ويهود الذي هود اليهود، وبولس الذي نصر النصراري، ومن هذه الأمة أعرابيان، وفي الخصال: بهذا الإسناد من قوله: "يا إسحاق! إن في النار لوادياً . . إلى آخر الخبر. بيان: الأعرابيان: الأول والثاني اللذان لم يؤمنا بالله طرفة عين^١»

وأيضاً ما رواه الكليني في الكافي عن «ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن العامة يزعمون أن بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضاً لله جل ذكره وما كان الله ليفتن أمة محمد صلى الله عليه وآله من بعده؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: أو ما يقرأون كتاب الله أو ليس الله يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٤، قال: فقلت له: إنهم يفسرون على وجه آخر، فقال: أوليس قد أخبر الله تعالى عن الذين من قبلهم من الأمم أنهم قد اختلفوا من بعدما جاءتهم البينات حيث قال: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَعِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ البقرة: ٢٥٣ وفي هذا ما يستدل له على أن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قد اختلفوا من بعده فمنهم من آمن ومنهم من كفر»^٣.

وأيضاً في الكافي: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَيَّ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ محمد: ٢٥ فلان وفلان وفلان، ارتدوا عن الإيمان في

١ - خصال الصدوق: ج ٢ / ٣٩٨، أبواب السبعة، حديث ١٠٦.

٢ - بحار الأنوار: ج ٣٠ / ٤٠٧ - ٤٠٩، ٤ - ثواب الأعمال.

٣ - الكافي: ج ٨ / ٢٧٠ (٣٩٨) كتاب أمير المؤمنين، باب إبطال ما زعمته العامة من إثبات خلافة إبي بكر بالإجماع، قال المجلسي: ضعيف، مرآة العقول: ج ٢٦ / ٢٧٣.

ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام قلت: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ محمد: ٢٦، قال: نزلت والله فيهما وفي أتباعهما وهو قول الله عز وجل الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله: "ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله (في علي عليه السلام) سنطيعكم في بعض الأمر" قال: دعوا بني أمية إلى ميثاقهم ألا يصيروا الأمر فينا بعد النبي صلى الله عليه وآله ولا يعطونا من الخمس شيئاً وقالوا إن أعطيناهم إياه لم يحتاجوا إلى شيء، ولم يبالوا أن يكون الأمر فيهم، فقالوا: سنطيعكم في بعض الأمر الذي دعوتونا إليه وهو الخمس ألا نعطيهم منه شيئاً وقوله ﴿كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ والذي نزل الله ما افترض على خلقه من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وكان معهم أبو عبيدة وكان كاتبهم، فأنزل الله: ﴿أَمْ أَرْمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ (٧٩) أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجوتهم ﴿الزخرف ٧٩-٨٠ .

المطلب الثاني :

موقف القمي من تجريح الصحابة ﷺ

القمي شأنه شأن أصحابه في هذا المعتقد، فتراه ملاً تفسيره بما يهدم به عدالة الصحابة، بل بلعنهم وسبهم والافتراء والتقول عليهم، والتطاول عليهم، ولو جئت بكل ما ذكره عن الأصحاب ﷺ لملئت صفحات هذا البحث به ولكن سأضرب فقط أمثلة على ما جاء به من افتراءات ومن ذلك ما يأتي:

الموضع الأول: عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ

وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ آل عمران: ١٠٦ - ١٠٧

قال علي بن ابراهيم في قوله: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . إلى قوله . ففي رحمة الله هم فيها خالدون) فإنه حدثني أبي عن صفوان بن يحيى عن أبي الجارود عن عمران بن هيثم عن مالك بن ضمرة عن أبي ذر رحمة الله عليه قال لما نزلت هذه الآية ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يرد علي أمتي يوم القيامة على خمس رايات، فراية مع عجل^١ هذه الأمة فأسألمهم ما فعلتم بالثقلين^٢ من بعدي فيقولون أما الأكبر فحرفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأما الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه، فأقول: ردوا النار ظماً مظمئين مسودة وجوهكم، ثم يرد علي راية مع فرعون^٣ هذه الأمة، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي فيقولون أما الأكبر فحرفناه ومزقناه وخالفناه، وأما الأصغر فعاديناه وقاتلناه، فأقول ردوا النار ظماً مظمئين مسودة وجوهكم، ثم ترد علي راية مع سامري^٤ هذه الأمة فأقول لهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي، فيقولون أما الأكبر فعصيناه

١ - يقصد أبو بكر الصديق ﷺ ، وحاشاه أن يتصف بذلك إنما هو إفك مفترى .

٢ - يقصد بالثقلين: الأكبر: القرآن، والأصغر: علي ﷺ .

٣ - يقصد عمر الفاروق ﷺ وأرضاه، وحاشاه أن يوصف بهذا الوصف .

٤ - يقصد ذو النورين عثمان ﷺ، وحاشاه أن يوصف بذلك .

وتركناه، وأما الأصغر فخذلناه وضيعناه وصنعنا به كل قبيح، فأقول: ردوا النار ظمًا مظمئين مسودة وجوهكم ثم ترد علي راية ذي الشدية^١ مع أول الخوارج وآخريهم فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي، فيقولون أما الأكبر ففرقناه وبرئنا منه، وأما الأصغر فقاتلناه وقتلناه، فأقول: ردوا النار ظمًا مظمئين مسودة وجوهكم، ثم ترد علي راية مع إمام المتقين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين ووصي رسول رب العالمين، فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي فيقولون أما الأكبر فاتبعناه وأطعناه، وأما الأصغر فأحببناه وواليناه ووازرناه ونصرناه حتى أهرقت فيهم دماؤنا، فأقول: ردوا الجنة رواء مرويين مبيضة وجوهكم، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ آل عمران: ١٠٦»^٢.

هذه الرواية التي يفسر بها القمي الآية السابقة - مع مخالفتها لما جاء به المفسرون - مكدوبة على النبي ﷺ وباطلة سنداً ومتناً، فمن ناحية المتن لا تستقيم من وجهين: أولاً: لأن هذا الدين جاء لرفع كلمة الحق وإعلاء شأن أمة الإسلام، وجعل العبودية لله سبحانه بعدما حرفت التوراة والإنجيل فجاءت هذه الرسالة موضحة للطريق وراسمة لمعالمه، وهي قضية التوحيد فمن آمن بالله سبحانه وعمل بمقتضى هذا الإيمان فهو من أهل الحق في الدنيا ومن أهل النجاة في الآخرة، والله يقول في أكثر من موضع ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ العنكبوت: ٧، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ البينة: ٧، فليست القضية مرتبطة بعلي أو غيره من الناس - كما ترى الشيعة - فالدين والقرآن لم يكونا من أجل علي ﷺ، ولولا الإسلام لم يكن علي ﷺ، ولكن الشيعة تظن العكس وهو غير صحيح .

١ - يقصد صاحب الخوارج عبد الله بن ملجم، وأنت تلاحظ أن هذا الضال جعل الخلفاء الثلاثة ﷺ، وابن ملجم لهم نفس المصير، افتراءً منه عليهم.

٢ - تفسير القمي: ج ١/ ١١٧.

وأما كتاب الله فلا يتردد العاقل أن يقول بأن الصحابة هم الذين حفظوا القرآن واتبعوه وعملوا به وعظموه في قلوبهم، هذا من جهة، وأنهم هم الذين جاهدوا في الله، وبذلوا المال والمهج والأرواح في سبيل أن يصل إلينا هذا الدين محفوظاً كما أراد الله ﷻ له، ويصل إلينا القرآن متلوّاً كما وعدنا الله ﷻ بذلك، هذا ما فعل الصحابة تجاه الدين والقرآن... فماذا فعلت الشيعة؟؟

وثانياً: فإن الرواية تخبر عن أنصار علي ﷺ بأنهم نصره وقاتلوه دونه "وأما الأصغر فأحبيناه وواليناه ونصرناه حتى أهرقت فيهم دماؤنا!" هذا الكلام لا شك بأنه يصطدم مع حقيقة التاريخ فإن علياً قد ذم الشيعة لأنهم قد تقاعسوا عن نصرته، فبينما تزعم الرواية أن شيعة علي والوه وآزروه حتى أهرقت فيهم دماؤهم! تراه يقول لهم:

« أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقي، ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي، استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كغياب وعبيد كأرباب؟ أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها. وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم، أقومكم غدوة وترجعون إلي عشية كظهر الحية، عجز المقوم وأعضل المقوم أيها الشاهدة أبدأهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم. المبتلى بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم، يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنتين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء، تربت أيديكم، يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب

آخر، والله لكأني بكم فيما أخال أن لو حمس الوغى وحمي الضراب وقد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأة عن قبلها»^١.

وتراه في موضع آخر يقول: « ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعتهها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجل منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً، فيا عجباً! عجباً - والله - يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم، ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويُعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر (الصيف)، قلت هذه حمارة القيظ، أمهلنا يُسيخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلت: هذه صبارة القُر، أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنت والله من السيف أفر»^٢.

وأيضاً يوجههم بقوله: « يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرت ندماً، وأعقبت سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأسي بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، وهل أحد منهم أشد لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهأنذا ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع»^٣.

فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام بنفسه يصف ويذم شيعته بما لم يذم قائد جنوده ثم هو في موضع آخر يصف قتال الصحابة وجهادهم عليهم السلام فيقول: «ولقد كنا مع رسول الله صلى الله

١ - نصح البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام: ١٦١ - ١٦٢ (من خطبة في أصحابه) .

٢ - المرجع السابق: ٥٥ - ٥٦ (استنهاض الناس) .

٣ - المرجع السابق: ٥٧ (البرم بالناس) .

عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم وجداً في جهاد العدو، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه، ومتبئاً أوطانه، ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود، ولا اخضر للإيمان عود، وأيم الله لتحتلبنها دماً، ولتبعنهن ندماً»^١.

فكيف يستقيم قول علي مع ما جاء في هذه الرواية فإذاً الشيعة لا يستحقون هذا الوصف فلا بد أنه سيقال لهم - حسب الرواية التي ساقوها- "ردوا النار ظمّاً مظمئين مسودة وجوهكم"، لأنهم خذلوه وصنعوا به كل قبيح، ومعنى هذا - حسب روايته - أنه لن يدخل أحد الجنة أبداً بل الجميع إلى جهنم!!

نستنتج من ذلك أن هذه الرواية باطلة متناً وسنداً باتفاق الشيعة والسنة فأحد رواة هذا الحديث المكذوب هو أبو الجارود وهو مجروح عند كلا الفريقين .

الموضع الثاني: عند قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ المائدة: ٦٧ «قال نزلت هذه الآية في علي (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) قال: نزلت هذه الآية في منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع وحج رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع لتمام عشر حجج من مقدمه المدينة، فكان من قوله بمنى أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه عني، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ...»

ثم قال ألا وإني قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا ومن خالفهما فقد هلك، ألا هل بلغت؟ قالوا نعم، قال اللهم اشهد، ثم قال

١ - نهج البلاغة: ٨٧ - ٨٨ (من خطبة يصف فيها أصحاب رسول الله ﷺ) .

ألا وإنه سيرد علي الحوض منكم رجال فيدفعون عني، فأقول رب أصحابي، فقال يا محمد إنهم أحدثوا بعدك وغيروا سنتك فأقول سحقا سحقا ... »^١.

يحاول الشيعة الاستدلال بهذا الحديث على ارتداد الصحابة رضي الله عنهم للملابسة الواقعة في لفظ أصحابي، ولكن هل لفظ أصحابي في هذا النص تدل على صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة؟ نناقش هذا الأمر من عدة جوانب :

الجانب الأول : لفظ الحديث المذكور ليس هو اللفظ المعبر عند أهل السنة في الصحيحين، وإنما كما تعودنا من الشيعة، أن يأتوا بحديث معروف معتبر لدى السنة في الصحيح ثم يزيّدوا وينقصوا في النص حتى يتواءم مع أغراضهم، ويصبح صالحاً للاستخدام الشيعي، وهذا ما نراه في هذا النص، فالنص في صحيح البخاري كما يلي: «عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب أصحابي؟ فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) »^٢.

وعند مسلم: « عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَا تَارِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لِأَعْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ »^٣.

١ - المرجع السابق: ج ١ / ١٨١ - ١٨٢ .

٢ - صحيح البخاري: ج ٥ / ٢٤٠٤ (٦٢٠٥) كتاب الرقاق، باب في الحوض، وفي رواية أخرى في نفس الباب: عن سهل بن سعد قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم): ج ٥ / ٢٤٠٦ (٦٢١٢) .

٣ - صحيح مسلم: ج ٦٨/٧ كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، وفي رواية أخرى: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَتَى الْمَعْبِرَةَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاجِثُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا. قَالُوا أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ. فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ ذَهَبٌ بِيَهُمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لِيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أَنْادِيَهُمْ أَلَا هَلُمَّ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا . صحيح مسلم: ج ١ / ١٥٠ (٦٠٥) كتاب الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما قوله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فهذا رواه الترمذى وقد سئل عنه أحمد بن حنبل فضعفه وضعفه غير واحد من أهل العلم وقالوا لا يصح وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة، قالوا ونحن نقول بذلك كما ذكر القاضي أبو يعلى وغيره»^١.

الجانب الثاني: هل في الحديث ما يدل على نكوص الصحابة وارتدادهم بعد النبي ﷺ.

يقول ابن حجر في الفتح عن معنى الحديث: «ذكر عن أبي عبد الله البخاري عن قبيصة قال هم الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر يعني حتى قتلوا وماتوا على الكفر.

وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين»^٢.

وقيل هو على ظاهره من الكفر والمراد بأمّتي أمة الدعوة لا أمة الإجابة ورجح بقوله في حديث أبي هريرة فأقول بعداً لهم وسحقاً، ويؤيده كونهم خفي عليه حالهم ولو كانوا من أمة الإجابة لعرف حالهم بكون أعمالهم تعرض عليه وهذا يردده قوله في حديث أنس حتى إذا عرفتهم وكذا في حديث أبي هريرة وقال ابن التين: يحتمل أن يكونوا منافقين أو من مرتكبي الكبائر، وقيل هم قوم من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبة ورهبة وقال الداودي: لا يمتنع دخول أصحاب الكبائر والبدع في ذلك، وقال النووي: قيل هم المنافقون والمرتدون فيجوز أن يحشروا بالغة والتحجيل لكونهم من جملة الأمة فيناديهم من أجل السيمة التي عليهم فيقال إنهم بدلوا بعدك أي لم يموتوا على ظاهر ما فارقتهم عليه .

١ - منهاج السنة النبوية: ج ٧/ ٣٩٤ .

٢ - وهذا ما يشهد الواقع بحدوثه من لدن وفاة النبي ﷺ، وأيضاً لفظ الصحبة تدل في بعض معانيها على الإتيان فكثيراً ما نسمع قول العلماء يصفون أتباع أبو حنيفة أو غيره من العلماء فيطلقون عليهم: "أصحاب أبو حنيفة"، وكان من دأب الإمام النووي في كتبه أن يقول: "وهذا ما عليه أصحابنا" يقصد أصحابه من الشافعية، وربما لم يرههم ولكن صحبهم بالإتيان فقط، والله أعلم .

وقيل هم أصحاب الكبائر والبدع الذين ماتوا على الإسلام وعلى هذا فلا يقطع بدخول هؤلاء النار لجواز أن يذادوا عن الحوض أولاً عقوبة لهم ثم يرحموا ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل فعرفهم بالسيماء سواء كانوا في زمنه أو بعده .

وأما دخول أصحاب البدع في ذلك فاستبعد لتعبيره في الخبر بقوله أصحابي، وأصحاب البدع إنما حدثوا بعده وأجيب بحمل الصحبة على المعنى الأعم واستبعد أيضاً أنه لا يقال للمسلم ولو كان مبتدعاً سحقاً وأجيب بأنه لا يمتنع أن يقال ذلك لمن علم أنه قضى عليه بالتعذيب على معصية ثم ينجو بالشفاعة فيكون قوله سحقاً تسليمياً لأمر الله مع بقاء الرجاء وكذا القول في أصحاب الكبائر^١.

وقال العيني : « واعلم أن حال هؤلاء المذكورين إن كانوا من ارتدوا عن الإسلام فلا إشكال في تبري النبي منهم وإبعادهم وإن كانوا ممن لم يرتدوا ولكن أحدثوا معصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة من أعمال القلب فقد أجابوا بأنه يحتمل أنه أعرض عنهم ولم يسمع لهم إتباعاً لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على جنائيتهم ثم لا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار قوله سحقاً أي بعداً وكرر لفظ سحقاً من سحق الشيء بالضم فهو سحيق أي بعيد وأسحقه الله أي أبعدته^٢ .

يقول ابن تيمية في معرض مناقشة هذا الحديث: « الوجه الثاني: أن النبي ﷺ قال عن عترته: إنها والكتاب لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهو الصادق المصدوق فيدل على إن إجماع العترة حجة وهذا قول طائفة من أصحابنا وذكره القاضي في المعتمد لكن العترة هم بنو هاشم كلهم ولد العباس وولد علي وولد الحارث بن عبد المطلب وسائر بني أبي طالب وغيرهم وعلي وحده ليس هو العترة وسيد العترة هو رسول الله ﷺ .

١ - فتح الباري: ج ١١ / ٣٨٥ - ٣٨٦ .

٢ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ج ٣٥ / ١٠٧ ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

يبين ذلك أن علماء العترة كابن عباس وغيره لم يكونوا يوجبون اتباع علي في كل ما يقوله، ولا كان علي يوجب على الناس طاعته في كل ما يفتي به، ولا عرف أن أحدا من أئمة السلف لا من بني هاشم ولا غيرهم قال: إنه يجب إتباع علي في كل ما يقوله .

الوجه الثالث: أن العترة لم تجتمع على إمامته ولا أفضليته بل أئمة العترة كابن عباس وغيره يقدمون أبا بكر وعمر في الإمامة والأفضلية وكذلك سائر بنو هاشم من العباسيين والجعفرين وأكثر العلويين وهم مقرون بإمامة أبي بكر وعمر وفيهم من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم أضعاف من فيهم من الإمامية .

والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر وكانوا يفضلونهما على علي والنقول عنهم ثابتة متواترة^١.

الموضع الثالث: عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ سبأ: ٢٠ «قال: فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "لما أمر الله نبيه أن ينصب أمير المؤمنين عليه السلام للناس في قوله: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي" بغدير خم^٢ فقال: "من كنت مولاه فعلي مولاه" فجاءت الأبالسة إلى إبليس الأكبر وحثوا التراب على رؤوسهم فقال لهم إبليس: ما لكم؟ فقالوا إن هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لا يخلها شيء إلى يوم القيامة، فقال لهم: إبليس كلا إن الذين حوله قد وعدوني فيه عدة لن يخلفوني."^٣.

نفند قوله هذا من عدة أوجه:

١ - منهاج السنة النبوية: ج ٧/٣٩٥ - ٣٩٦ .

٢ - خم: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدیر، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوحامة والحر، معجم البلدان - للحموي: ج ٢/١٧٩، وهو: يقع شرق رابغ بما يقرب من (٢٦) كيلاً، و يسمونه اليوم الغرية، وخم اسم رجل صباغ نسب إليه الغدير، والغدير هو: مستنقع من ماء المطر.

٣ - تفسير القمي: ج ٢/١٧٦ .

أولاً: ذكر في النص حادثة غدِير خَمّ وهو حادثة وقعت انصراف الرسول ﷺ من حجة الوداع، وهو ما أطلقت عليه الشيعة - فيما بعد - "يوم الغدير" و"حديث الغدير" وهو من أعمدة أدلتهم على إمامة علي وهم يدعون أن الصحابة ﷺ قد خرجوا على علي بعد أن ولاه النبي ﷺ عليهم في هذا اليوم، ولذلك يطلقون عليه "يوم الولاية" أو "عيد الولاية" فهو عندهم يوم عيد معروف، وهذا الحديث لا يكاد يخلو كتاب لهم عن ذكره، وقد بلغ اهتمام الشيعة الإمامية به أن ألف أحد شيوخهم كتاباً من أحد عشر مجلداً يثبت فيه صحة هذا الحديث^١، فهم يرون أن النبي ﷺ عندما وصل إلى "غدِير خَمّ" بعد حجة الوداع، وبعد أن جمع الصحابة، كرر عليهم وهم يصدقونه "أست أولى بكم من أنفسكم؟" ثلاثاً ثم رفع يد علي وقال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار" فقالوا فمعنى المولى الأولى أي: فعلي عليهم من الولاية ما له ﷺ عليهم منه بدليل قوله: "أست أولى بكم" وقالوا ولا يكون هذا الدعاء إلا لإمام معصوم مفترض الطاعة، وقالوا هذا نص صريح على ولايته^٢.

هذا ما فهمته الشيعة الإمامية من هذا الحدث وهذا ما تدعيه من ورود نص صريح في ولاية علي والحقيقة أن لهذا الحدث سبب، وهو أجدر أن يعرف حتى نستقي الأحداث من مصادرها الأصلية النقية.

يقول ابن كثير في السيرة النبوية: «حدثنا أحمد بن عثمان، حدثنا شريح بن مسلمة، حدثنا إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق، حدثني أبي، عن أبي إسحاق، سمعت البراء بن عازب قال: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، - وذلك قبل بضعة أشهر من حجة الوداع - قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه وقال: مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل.

فكنت فيمن عقب معه. قال: فغنمت أواقي ذات عدد.

١ - هو كتاب: "الغدِير في الكتاب والسنة والأدب" لعبد الحسين الأميني التبريزي النجفي .

٢ - انظر: عيد الغدير في الإسلام، محمد الأميني: ١٣ وما بعدها .

وحدثنا محمد بن بشار، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا علي بن سويد ابن منجوف، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد بن الوليد ليقبض الخمس، قال - أي بريدة : فأصبنا سبياً قال: فكتب إلى رسول الله ﷺ: ابعث إلينا من يخمسه. قال: فبعث إلينا علياً وفي السبي وصيفة من أفضل السبي .

قال: فخمس وقسم فخرج ورأسه يقطر، فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ فقال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي، فإني قسمت وخمست فصارت في الخمس، ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ ، ثم صارت في آل علي ووقعت بها.

قال : فكتب الرجل -أي خالد - إلى نبي الله ﷺ. فقلت: ابعثني مصداقاً، فبعثني وأقبل علي من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة، فتعجل إليه واستخلف علي جنده الذين كانوا معه رجلاً من أصحابه، فعن أبي سعيد الخدري، أنه قال: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن.

قال أبو سعيد: فكنت فيمن خرج معه، فلما أخذ من إبل الصدقة سألتناه أن نركب منها ونريح إبلنا - وكنا قد رأينا في إبلنا خللاً - فأبى علينا وقال: إنما لكم فيها سهم كما للمسلمين .

قال: فلما فرغ علي وانطلق من اليمن راجعاً أمر علينا إنساناً، وأسرع هو وأدرك الحج، فلما قضى حجه قال له النبي ﷺ: "ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم".

قال أبو سعيد: وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي منعنا إياه ففعل، فلما عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت، ورأى أثر الركب قدم الذي أمره ولامه.

وعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم الذين كانوا معه حلة من البز الذي كان مع علي، فلما دنا الجيش خرج ليلقاهم فإذا عليهم الحلل وإذا هم ركبوا إبل الصدقة، قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ، فانزع الحلل من الناس فردها في البز، وأظهر الجيش شكواه، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فسمعتة يقول: يا أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشى في ذات الله أو في سبيل الله من أن يشكى.

يقول بريدة: لما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال: " أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت بلى يا رسول الله، قال من كنت مولاه فعلي مولاه^١ .

وروى مسلم عن زيد بن أرقم قال: « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا حَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى حُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعِظَ وَذَكَرَ ثُمَّ قَالَ: « أَمَا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوْهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ». فَحَثَّ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ وَرَعَبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: « وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكُرُّمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي »^٢ .

وذكر ابن كثير ذلك الموضع فقال: «فصل في إيراد الحديث الدال على أنه ﷺ خطب بمكان بين مكة والمدينة، مرجعه من حجة الوداع قريباً من الجحفة - يقال له غدِير خَمٍّ - فبين فيها فضل علي بن أبي طالب ﷺ وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة التي ظنها بعضهم جوراً وتضييقاً وبخلاً، والصواب كان معه في ذلك .

ولهذا لما تفرغ ﷺ من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بين ذلك في أثناء الطريق، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ، وكان يوم الأحد بغدير خَمٍّ، تحت شجرة هناك، فبين فيها أشياء.

وذكر من فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه ما أراح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه.

١ - السيرة النبوية لابن كثير: ج ٤ / ٢٠١ وما بعدها، صحيح البخاري: ج ٤ / ١٥٨١ (٤٠٩٣) كتاب المغازي، باب

بعث علي بن أبي طالب ﷺ وخالد بن الوليد ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع.

٢ - صحيح مسلم: ج ٧ / ١٢٢ (٦٣٧٨) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي ﷺ.

وقد روى النسائي^١ في سننه، عن زيد قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدِير خَمٍّ أمر بدوحات فقممن
ثم قال: "كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض"
ثم قال: "الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن"
ثم أخذ بيد علي فقال: "من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"^٢.

تفرد به النسائي من هذا الوجه. قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي^٣: وهذا حديث صحيح.

وعن البراء بن عازب، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع التي حج، فنزل في الطريق، فأمر الصلاة جامعة.
فأخذ بيد علي فقال: "أست بأولي بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى.
قال: أست بأولي بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى.
قال: فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

١ - هو: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر أبو عبد الرحمن النسائي القاضي مصنف السنن وغيرهم بقية الأعلام، ولد سنة خمس وعشرين ومائتين وتوفي سنة ثلاث وثلاث مائة، أصله من نسا (بخراسان) وجال في البلاد واستوطن مصر، فحسده مشايخها، فخرج إلى الرملة (بفلسطين) فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، وأخرج عليلاً، فمات. ودفن ببيت المقدس سنة ثلاثمائة وثلاث. الوافي بالوفيات: ج ٢ / ٣٦٤.

٢ - سنن النسائي الكبرى: ج ٥/٤٥ (٨١٤٨) باب فضائل عليّ، ج ٥/١٢٠ (٨٤٦٤) باب قول النبي ﷺ من كنت وليه فعلي وليه .

٣ - هو: الشيخ شمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشيخ الأمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي حافظ لا يجاري، جمع تاريخ الإسلام فأرّب فيه على من تقدم بتحريه أخبار المحدثين، وسير النبلاء وطبقات الحفاظ وطبقات القراء والإشارة وغير ذلك واختصر السنن الكبير للبيهقي فهدبه وأجاد فيه وله الميزان في نقد الرجال واختصر تهذيب الكمال لشيخه المزي . ومات في ليلة الثالث من ذي القعدة سنة ٧٤٨. الوافي بالوفيات: ج ١/٢١٧، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: ج ١/٤٥٨.

فلقية عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك! أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة^١.

ويمكن بعد هذا العرض أن نستنبط عدة أمور :

- أن خطبة الغدير لم تكن من الرسول ابتداءً بلا سبب، أو أن الله أمره بها - كما تدعي الشيعة - وإنما سبقها سبب، وكان لا بد من معرفة هذا السبب ليفهم مغزى الكلام، فهو متعلق بهذا السبب، فعلي رضي الله عنه وقع بينه وبين بعض الجند مشاحنات، كانت بسبب الوصيفة التي كانت في السبي ونكحها، ومنعهم ركوب إبل الصدق، وانتزاع الحلل عنهم، كل ذلك وإن كان علي فيه محقاً إلا أنه سبب توتراً في النفوس، واختلط الناس بعضهم ببعض في الحج وكثرة الشكوى والقاله، مما اضطر النبي صلى الله عليه وآله معه إلى التوقف أثناء السير عند الغدير في شدة القيظ والنداء بالصلاة جامعة والانتظار حتى اجتمع من كان معه ومن ثم إلقاء هذه الخطبة، ليبرئ فيها ساحة علي مما شابه من التهم، ولم تكن الخطبة في الحقيقة من أجل ولاية علي - كما يدعون - فعلياً كان أميراً على الجند من قبل النبي صلى الله عليه وآله وطاعته من طاعة الرسول وعصيانه عصياناً له أيضاً هذا ما رمى إليه صلى الله عليه وآله عندما قال "من كنت مولاه فعلي مولاه" ولو كان الأمير في تلك الحادثة غير علي وحدث له ما حدث لقال عنه مثل ما قال عن علي، وليس في ذلك أي إشارة لتنصيبه للإمامة ولا لخلافه بأي حال.

- فلفظ الإمامة لفظ مشترك لعدة معان منها: ولي الأمر، وابن العم أو أولى القرابة، والولي ولاء المعتق، والموالاتة ضد المعاداة، وهي بالكسر بمعنى السلطان والنصرة، وغيرها من المعان^٢، فلا بد لحملة على أحدها من قرينة تدل عليه، ولا دلالة فيه على معنى الخلافة.

- أما ما فعلته الشيعة من تغطية السبب وعزل المعنى عنه وحمل اللفظ على معنى الولاية بلا دليل أو قرينة، فهذا نوع تعسف واضح لا يمكن معه فهم المعنى الصحيح.

١ - السيرة النبوية لابن كثير: ج ٤/٤١٦ - ٤١٧، تهذيب سيرة ابن هشام: ج ١/٤٢١.

٢ - المحيط في اللغة: ج ٢/٤٦٨، الصحاح في اللغة: ج ٢/٢٩٥.

- ونحن نتساءل لو كان الأمر متعلقاً ببيعة أو خلافة لماذا لم يبلغه الرسول ﷺ في خطبة الوداع يوم عرفة حيث مجتمع الحجيج، وحيث إن الأمر يهم عامة المسلمين وليس خاصاً بمن عاد مع النبي ﷺ إلى المدينة.
- ونعود فنتساءل مرة أخرى لماذا لم تثبت هذه البيعة لعلي في القرآن وقد ثبت غيرها فيه، فقد ذكر الله بيعة الرضوان التي كانت تحت الشجرة وهي من أجل إنقاذ عثمان من قريش، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ١٨ وأيضاً تثبت بيعة النساء في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المتحنة: ١٢ فإذا كان هذا الأمر ذو أهمية في الدين وتتبعه بيعة في أعناق المسلمين لثبت ما يؤيده من القرآن.
- ثم إن هذا الحديث اختلف العلماء في الحكم عليه لاختلاف طرقه، فهو عند الترمذي والنسائي وأحمد في مسنده^١، ولكنه بدون الزيادة الموجودة في حديث الشيعة وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الخلاف الواقع في الحكم على الحديث فقال: «تنازع الناس في صحته فنقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضعفوه، ونقل عن أحمد أنه حسنه، كما حسنه الترمذي»^٢.
- وقال في موضع آخر: «وأما قوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه" فهذا ليس في شيء من الأمهات إلا في الترمذي وليس فيه إلا "من كنت مولاه فعلي مولاه" وأما الزيادات

١ - والحديث نصه: حدثنا شعبة عن سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريجة أو زيد بن أرقم - شك شعبة-: عن النبي ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي: ج ٥/٦٣٣ (٣٧١٣) - كتاب المناقب، مناقب علي بن أبي طالب، قال الألباني: صحيح، والنسائي في السنن: ج ٥/١٣٠ - ١٣٢ (١٤٦٦-٨٤٧٢) كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: "من كنت مولاه فعلي مولاه"، والمسنند: ج ١/١١٨ - ١١٩ في مسند علي بن أبي طالب ﷺ .

٢ - منهاج السنة: ج ٧/٣١٩ - ٣٢٠.

فليست في الحديث، وسئل عنها الإمام أحمد فقال: "زيادة كوفية"^١ ولا ريب أنها كذب لوجوه: أحدها: أن الحق لا يدور مع معين إلا النبي ﷺ لأنه لو كان كذلك لوجب اتباعه في كل ما قال، ومعلوم أن علياً ينازعه الصحابة وأتباعه في مسائل وجد فيها النص يوافق من نازعه^٢.

وقال أيضاً: «والجواب عن هذه الآية والحديث المذكور قد تقدم وبيننا أن هذا كذب وأن قوله ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ المائدة: ٦٧ ، نزل قبل حجة الوداع بمدة طويلة. ويوم الغدير إنما كان ثامن عشر ذي الحجة بعد رجوعه من الحج وعاش بعد ذلك شهرين وبعض الثالث ومما يبين ذلك أن آخر المائدة نزولاً قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ المائدة: ٣ ، وهذه الآية نزلت بعرفة تاسع ذي الحجة في حجة الوداع والنبي ﷺ واقف بعرفة كما ثبت ذلك في الصحاح والسنن وكما قاله العلماء قاطبة من أهل التفسير والحديث وغيرهم^٣.

١ - المسند: ج ١ / ١٥٢ .

٢ - مجموع الفتاوى: ج ١ / ٣٨٣ .

٣ - ومن ذلك ما ذكره ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية فقال: « قالوا: وكان ذلك في يوم عرفة، عام حج النبي ﷺ حجة الوداع. وقالوا: لم ينزل على النبي ﷺ بعد هذه الآية شيء من الفرائض، ولا تحليل شيء ولا تحريمه، وأن النبي ﷺ لم يعش بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وعشرين ليلة ». جامع البيان: ج ٩ / ٥١٨ ، وأيضاً وردت روايات تذكر وقت ومكان نزول هذه الآية من ذلك ما رواه البخاري: «عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت - لآخذنا ذلك اليوم عيداً. قال أي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣ . قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة » صحيح البخاري: ج ١ / ٢٥ (٤٥) كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، ورواه مسلم: «عن طارق بن شهاب قال: "قالت اليهود لعمر لو علينا معشر يهود نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ونعلم اليوم الذي أنزلت فيه لآخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: فقال عمر: "فقد علمت اليوم الذي أنزلت فيه والساعة وأين رسول الله ﷺ حين نزلت ، نزلت ليلة جمع ونحن مع رسول الله ﷺ بعرفات". صحيح مسلم: ج ٨ / ٢٣٨ (٧٧١١) كتاب التفسير، باب حدثنا محمد بن رافع .

وغدير خمّ كان بعد رجوعه إلى المدينة ثامن عشر ذي الحجة بعد نزول هذه الآية بتسعة أيام فكيف يكون قوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ نزل ذلك الوقت»^١. وقوله: «اللهم انصر من نصره» . . إلخ ، خلاف الواقع ؛ قاتل معه أقوام يوم صفين فما انتصروا وأقوام لم يقاتلوا فما خذلوا: "كسعد" الذي فتح العراق لم يقاتل معه وكذلك أصحاب معاوية وبنو أمية الذين قاتلوه فتحوا كثيرا من بلاد الكفار ونصرهم الله . وكذلك قوله: "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" مخالف لأصل الإسلام ؛ فإن القرآن قد بين أن المؤمنين إخوة مع قتالهم وبغي بعضهم على بعض»^٢.

ثم بعد ذلك يترتب على هذا التأويل الخاطئ للحديث تكفير الصحابة إذ إنهم بعد وفاة النبي تراجعوا عن علي ولم يتموا له البيعة!!، بل إنهم نازعوه في أمر الولاية واغتصبوها منه، فباؤا بالكفر بعد إذ هم مؤمنون لنقدم عهد الرسول ﷺ - هكذا تزعم الشيعة الإمامية كل هذه الإرهاصات والتخرصات من أجل حديث لم تفهم مبتغاه، فضلاً عن عدم صحته، بل إن زياداته كذب موضوع .

وعلى نمط هذا التفسير الباطل تجد أغلب تأويلات القمي في تفسيره في حق الصحابة، فهي تأويلات شاذة ومتعسفة وليس لها أساس من الصحة وسأورد مثالين على ذلك دون رد لأنها لا تحتاج إلى رد :

المثال الأول : فعند قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ المائدة: ٦٧ يقول القمي: نزلت هذه الآية في منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع وحج رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع لتمام عشر حجج من مقدمه المدينة، فكان من قوله بمنى أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، قالوا يا رسول الله وما الثقلان؟

قال كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كإصبعي هاتين، وجمع بين سبابتيه ولا أقول كهاتين وجمع سبابته والوسطى،

١ - منهاج السنة النبوية: ج٧/ ١٧٣.

٢ - مجموع الفتاوى: ج ١/ ٣٨٣.

فتفضل هذه على هذه، فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة تعاهدوا وتعاهدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً إن مات محمد أو قتل أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً فأنزل الله على نبيه في ذلك: ﴿

أَمْ أَدْرِمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلْ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾

الزخرف: ٧٩ - ٨٠»^١.

المثال الثاني: عند قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ التحريم: ١.

قال علي بن إبراهيم: كان سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في بعض بيوت نساءه وكانت مارية القبطية تكون معه تخدمه وكان ذات يوم في بيت حفصة فذهبت حفصة في حاجة لها فتناول رسول الله مارية، فعلمت حفصة بذلك فغضبت وأقبلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا رسول الله في يومي وفي داري وعلى فراشي فاستحيا رسول الله منها، فقال: كفى قد حرمت على نفسي ولا أطأها بعد هذا أبداً وأنا أفضي إليك سرّاً فإن أنت أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين!! فقالت: نعم ما هو؟ فقال إن أبا بكر يلي الخلافة بعدي ثم من بعده أبوك، فقالت: من أخبرك بهذا قال: الله أخبرني، فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك، وأخبرت عائشة أبا بكر، فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له: إن عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء ولا أثق بقولها!! فسأل أنت حفصة، فجاء عمر إلى حفصة، فقال لها: ما هذا الذي أخبرت عنك عائشة، فأنكرت ذلك قالت: ما قلت لها من ذلك شيئاً، فقال لها عمر: إن كان هذا حقاً فأخبرنا حتى نتقدم فيه، فقالت: نعم قد قال رسول الله ذلك، فاجتمع "....." على أن يسموا رسول الله فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه السورة ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾

١ - تفسير القمي: ج ١ / ١٨١.

٢ - هذا الفراغ يقصد منه ذكر أبو بكر وعمر.

تَبَغَى مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴿التحرير: ١ - ٢﴾، يعني قد أباح الله لك أن تكفر عن يمينك»^١

وهناك جوانب يمكن أن نذكرها لبيان الحق وللدفاع عن صحابة الرسول ﷺ :
الجانب الأول: أنه يمكن تصنيف الآيات التي أولها القمي على أنها في ذم الصحابة ﷺ إلى ثلاث أنواع:

١- عمد القمي إلى آيات نزلت في الكفار والمنافقين، فنزلها على الصحابة ﷺ بجهل وظلم، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنعام: ٢٧، « قال: نزلت في بني أمية»^٢ (هكذا بدون دليل).

وعند قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ الفرقان: ٢٧، يقول: « وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ قال الأول - يقصد به أبا بكر ﷺ - ﴿ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ الفرقان: ٢٧، قال أبو جعفر العليّ: يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول علياً ولياً، ﴿ يَنُودِلْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ الفرقان: ٢٨، يعني الثاني - يقصد عمر ﷺ - ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ الفرقان: ٢٩، يعني الولاية ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ ﴾ يعني الثاني ﴿ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾»^٣.

٢- أن تكون الآيات عامة نزلت في حث الأمة على الخير وأمرها به، أو تحذيرها من الشر ونهيها عنه، والخطاب فيها للصحابة ولمن بعدهم من الأمة، وهي مصدرة في الغالب: ب ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾، وليس فيها طعن على الصحابة، فيأبى القمي إلا أن يجعلها في ذم الصحابة والطعن عليهم مثل قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ

١ - تفسير القمي: ج ٢/٣٦٠ - ٣٦١، وأنت ترى أن الآية ليس لها تعلق بما ذكره القمي، وافترى به على صحابة رسول الله ﷺ، وحاشاهم أن يفعلوا ذلك برسولهم، وإنما ذلك أشبه بخطط الموساد التي تجربها على المسلمين، فأنظر وتأمل .

٢ - المرجع السابق: ج ١/٢٠٣.

٣ - المرجع السابق: ج ٢/٨٩.

﴿ يَقُومُ بِحُجَّتِهِمْ وَيُجِبُونَهُ ﴾ المائدة: ٥٤، قال: «هو مخاطبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين غصبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله»^١.

وعند قوله: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ الحجرات: ٧، «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ يعني أمير المؤمنين، ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ ، فلان وفلان وفلان»^٢ - يقصد أن الكفر والفسوق والعصيان هم الخلفاء الثلاثة ، أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وحاشاهم أن يوصفوا بهذه الأسماء .

ولقد خاطب الله تعالى رسوله بما يقارب هذه المعاني كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الزمر: ٦٥، وقوله: ﴿ وَلَئِن أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة: ١٤٥ ، وغيرها من الآيات في معناها فكما أن هذه الآيات بما تضمنته من الأوامر والنواهي من الله لرسوله، ليس فيها أي مطعن عليه صلى الله عليه وسلم، فكذلك القول في حق الصحابة ليس فيها أي مطعن عليهم رضي الله عنهم .

٣- أن تكون الآيات تتضمن نوع عتاب من الله لبعض الصحابة رضي الله عنهم، وليس فيها مطعن عليهم، وإنما عاتب الله فيها أفراداً منهم، فتأول على أنها مطعن لهم، وذلك نحو قول القمي عند قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال: ٢٤ .

١ - تفسير القمي: ج ١ / ١٧٧ .

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ٢٩٤ .

يقول: « إذا دعاكم لما يحييكم، يقول علي بن أبي طالب عليه السلام فإن اتباعكم إياه وولايته أجمع لأمركم وأبقى للعدل فيكم، ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الأنفال: ٢٥ .

وقوله: ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ فهذه في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، قال الزبير يوم هزم أصحاب الجمل لقد قرأت هذه الآية وما أحسب أني من أهلها حتى كان اليوم، لقد كنت أتقيها ولا أعلم أني من أهلها، ثم قال أيضاً: ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ، نزلت في الزبير وطلحة لما حاربا أمير المؤمنين عليه السلام وظلموه^١ .

فهذه الآيات وما في معناها كانت في معاتبة بعض الصحابة، وأيضاً فإن الله تعالى خاطبهم فيها بوصف الإيمان الدال على تزكية الله لهم وثنائه عليهم .
والعتاب عرفه أهل اللغة بأنه: « مخاطبة الإدلال وكلام المدللين أخلاءهم طالبين حسن مراجعتهم »^٢ .

ولهذا عاتب الله عز وجل رسوله وخليته عليه السلام في أكثر من آية كما في قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ عبس: ١ - ٢ ، وقد كان النبي عليه السلام بعدها يكرم ابن أم مكتوم ويقول له إذا رآه: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي»^٣ .

وأيضاً من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ التحريم: ١ .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ الأحزاب: ٣٧ .
إلى غير ذلك من الأمثلة في هذا الباب

١ - المرجع السابق: ج ١/٢٧٠ .

٢ - لسان العرب لابن منظور: ج ١/٥٧٧، باب عتب.

٣ - ذكره البغوي في تفسيره: ج ٤/٤٤٦، والقرطبي في تفسيره من رواية سفيان الثوري: ج ١٩/٢٠٣ .

والمقصود هنا: هو التأكيد على أن كل ما ثبت في حق الصحابة من عتاب الله تعالى لهم، لا يوجب انتقاصهم به، إذا ما ثبت جنس ذلك في حق الرسول ﷺ وهو بالمكانة المعروفة من ربه.

فشئت بهذا أنه لا حجة للقمي فيما استدل به من آيات للطعن في الصحابة عند النظر والتدقيق، والبحث والتحقيق .

الجانب الثاني: أن الله تعالى أثنى في كتابه على الصحابة أبلغ الثناء، وزكاهم أعظم تزكية، وأخبر أنه رضي عنهم ورضوا عنه، ووصفهم بالإيمان والتقوى، ووعدهم بالحسنى، كقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة: ١٠٠ .

وقوله: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ الفتح: ١٨ .

وقوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الفتح: ٢٩ .

وقوله: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّتِكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّتِكَ وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى ﴾ الحديد: ١٠ .

فقد تضمنت هذه الآيات ثناء الله ﷻ العظيم على الصحابة ووصفه لهم بتلك الصفات الفاضلة الدالة على علو شأنهم في الدين، وسمو مكانتهم فيه، وإخباره بما أعد لهم في الآخرة من الأجر والثواب والمغفرة والرضوان، والخلود في جنات تجري من تحتها الأنهار،

مما يدل دلالة واضحة على بطلان ما ادعته الشيعة من نفاقهم، أو ردّهم أو كفرهم -
حاشاهم ذلك - ولو وقع منه ذلك لتعرض له القرآن لأن القرآن لا يجابي أحد .

الجانب الثالث: أن الله تعالى أثنى على المستغفرين لهم السائلين الله تعالى أن لا يجعل
في قلوبهم غلاً لهم، فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر: ١٠، فكيف يتصور بعد هذا أن يمدح الله ﷻ
المستغفرين لهم، وهم عصوه، أو ارتدوا على أعقابهم أو غير ذلك - كما تزعم الشيعة -
فإن هذا من أبعد ما يكون عند أصحاب العقول، أن يتضمن مثل ذلك كتاب الله المحكم
المنزه عن الاختلاف والاضطراب.

الجانب الرابع: أن الله تعالى جعل أصحاب نبيه غيظاً للكفار، وذلك بسبب إيمانهم
وتقواهم وتمسكهم بالدين بعد أن فرط فيه غيرهم من اليهود والنصارى، وجهادهم مع النبي
ﷺ لإعلاء كلمة الحق لذلك يغيظهم بهم فقال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ الفتح: ٢٩، فمن
المحال بعد ذلك أن يجعل للكفار حجة عليهم بردّهم ونكوصهم مثل ما فعلوا مع أنبيائهم .

المبحث السادس: عقيدة البداء عند الشيعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أصل هذه العقيدة عند الشيعة.

المطلب الثاني: موقف القمي من هذا المعتقد.

المطلب الأول:

أصل عقيدة البداء عند الشيعة الإمامية.

البداء في اللغة:

بمعنى الظهور والانكشاف بعد الخفاء ويستخدم كذلك بمعنى نشأ الرأي الجديد، وقد ورد المعنيان في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَّا اللَّهُ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ الزمر: ٤٧، وهذا على المعنى الأول، أما الثاني: فمن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لِيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يوسف: ٣٥^١.

البداء في اصطلاح الشيعة:

هو عقيدة شيعية اثنا عشرية تفيد أن الله يظهر له أمور لم يكن يعلمها، أو ينشأ له رأي جديد كان خافياً عنه وهذه العقيدة يلزم منها إثبات الجهل على الله تعالى _ تعالى الله عن ذلك _ كما يلزم منها حدوث علم الله تعالى وهذان الأمران لا يجوزان ألبة على الله ﷻ.

يقول الدكتور على السالوس: « والبداء بمعنييه يستوجب جهل من يبدو له الأمر قبل بدائه ولكن الشيعة ينسبون البداء لله تعالى، فهل يعني ذلك أنهم ينسبون عدم العلم لله تعالى - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا »^٢.

ولقد أثبت الشيعة هذه العقيدة الفاسدة لله تعالى في كتبهم ونص كبار علمائهم عليها حتى عقد الكليني في كتابه أصول الكافي باباً سماه: "باب البداء" ذكر فيه ستة عشر رواية عن الأئمة في فضل البداء.

١ - للتوسع انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب: ١١٣ (بدا) لسان العرب: ج ٤ / ٦٥ (بدا) القاموس المحيط: ١١٣٦ (ب د و).

٢ - مع الإثني عشرية في الأصول والفروع: ٣٠٣.

وجاء من بعده ابن بابويه (الصدوق) وسجل ذلك ضمن عقائد طائفته، وعقد له باباً خاصاً بعنوان "باب البداء" وذلك في كتاب "الاعتقادات" الذي يسمى دين الإمامية.^١ ومثل ذلك فعل في كتابه "التوحيد".^٢

وأيضاً اهتم شيخهم المجلسي بأمر البداء وبوّب له في بحاره بعنوان "باب النسخ والبداء"، وذكر (٧٠) حديثاً من أحاديثهم عن الأئمة.^٣

مكانة هذه العقيدة عند الشيعة الإمامية.

البداء تعده الشيعة الإمامية من أصولها التي لا بد من الإيمان والإقرار بها، وهي عقيدة ثابتة ظهرت عند المتقدمين منهم وأجمعوا عليها وهي تعني عندهم أن يظهر لله أمر لم يكن يعلمه من قبل وجميع الأدلة المنقولة عن أئمتهم المتقدمين تؤكد ذلك ومن هذه الأدلة:

١ - أورد الكليني «عن مُحَمَّدِ بْنِ يُحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى عَنِ الْحَجَّالِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ثَعْلَبَةَ عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَحَدِهِمَا قَالَ: مَا عَبَدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلَ الْبَدَاءِ، وَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَا عَظَّمَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ»^٤.

فالشريعة الإمامية جعلوا أفضل عبادة وتعظيم لله تعالى نسبة البداء إليه.

٢ - وكذلك أورد الكليني «عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ عِلْمَيْنِ عِلْمٌ مَكْنُونٌ مَخْزُونٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ الْبَدَاءُ وَعِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتُهُ وَرُسُلُهُ وَأَنْبِيَاءُهُ فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ»^٥.

١ - الاعتقادات: ٨٩.

٢ - التوحيد: ٣٣١.

٣ - بحار الأنوار: ج ٤ / ٩٢-١٢٩، باب البداء والنسخ.

٤ - التوحيد لابن بابويه: ٣٣٢ - ٣٣٣، الكافي: ج ١ / ١٤٦ (١) كتاب العقل والجهل، باب البداء، قال المجلسي: صحيح، مرآة العقول: ج ٢ / ١٢٣.

٥ - الكافي: ج ١ / ١٤٧ (٨) كتاب العقل والجهل، باب البداء، قال المجلسي: مجهول كالصحيح، ج ٢ / ١٤٠.

الشيعة الإمامية يجعلون البداء في علم الله الممكنون المحفوظ الذي لم يطلع عليه أحد وهذا يطل زعم المتأخرين منهم بأن البداء يكون في حق الملك أو الإنسان لا في حق الله كما يطل زعم من يقول أن البداء يكون فيما أعلمه الله تعالى ملائكته ورسله .

٣- وأورد الكليني أيضاً « عن علي عن محمد عن يونس عن مالك الجهمي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه »^١.

لو كان البداء المقصود في حق الإنسان أو الملك لما احتاج ذلك الأجر العظيم ولما استبعده الناس وأعرضوا عنه كما يستفاد من دلالة ما أورده حتى يشجعهم على القول به ويرغبهم فيه .

٤- أورد الكليني « عن عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن بعض أصحابنا عن محمد بن عمرو الكوفي أخي يحيى عن مزارم بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله يقول: ما تنبأ نبي قط حتى يقر لله بخمس خصال بالبداء والمشية والسجود والعبودية والطاعة. و عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الربان بن الصلت قال: سمعت الرضا يقول: ما بعث الله نبياً قط إلا بتحرير الحمر وأن يقر لله بالبداء^٢.

إن هذين النصين يدلان دلالة واضحة على أن الشيعة الإمامية نسبت البداء لله تعالى حيث أورد القول أن يقر لله بالبداء ولم تقل للنصوص أن يقر للإنسان بالبداء ولا للملك كما لم تقل أن يقر لله بالبداء عند الإنسان أو عند الملك فدل ذلك على نسبتهم البداء لله تعالى.

٥- أورد الكليني « عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد قال: سئل العالم كيف علم الله قال: علمه وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى فأمضى ما قضى وقضى ما قدر وقدر ما أراد فبعلمه كانت المشية ومشيته كانت الإرادة وإرادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء وبقضائه كان الإمضاء والعلم متقدّم على المشية والمشيّة نابعة والإرادة نابعة

١ - المرجع السابق: ج ١ / ١٤٨ (١٢) نفس الكتاب والباب، قال المجلسي: صحيح، مرآة العقول: ج ١ / ١٤١.

التوحيد: ٣٣٤.

٢ - الكافي: ج ١ / ١٤٨ (١٣) كتاب العقل والجهل، باب البداء، قال المجلسي: مجهول، مرآة العقول: ج ١ / ١٤٢.

التوحيد لابن بابويه: ٣٣٤، وبحار الأنوار: ج ٤ / ١٠٨ باب البداء والنسخ .

والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فإله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء فالعلم في المعلوم قبل كونه والمشية في المنشأ قبل عينه والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدرجات بالحواس من ذوي لون وريح ووزن وكيل وما دب ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس، فإله تبارك وتعالى فيه البداء مما لا عين له فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء، والله يفعل ما يشاء فبالعلم علم الأشياء قبل كونها وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها وبالإرادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتها وبالتقدير قدر أوقاتها وعرف أولها وآخرها وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها وذلك تقدير العزيز العليم»^١.

إن قولهم: "فإله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء" دلالة واضحة على أنهم ينسبون البداء لله لا للملك ولا للإنسان فالبداء عندهم يكون في علم الله أي أن الله يظهر له علم جديد خلاف ما كان يعلم وهذا يعني أنهم ينسبون الجهل لله تعالى ويدعون أن علم الله حادث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٦- أورد الكليني «عن محمد بن أحمد عن محمد بن عيسى عن أبي عبد الله المؤمن عن إسحاق بن عمار قال: سمعته يقول وناس يسألونه يقولون الأزاق تُقسَّم ليلة النصف من شعبان قال: "فقال: لا والله ما ذاك إلا في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين فإن في ليلة تسع عشرة يلتقي الجمعان وفي ليلة إحدى وعشرين يُفترق كل أمر حكيم وفي ليلة ثلاث وعشرين يمضي ما أراد الله عجل من ذلك وهي ليلة القدر التي قال الله عجل خير من ألف شهر" قال: قلت ما معنى قوله "يلتقي الجمعان قال يجتمع الله فيها ما أراد من تقديمه وتأخيرهِ وإرادته وقضائه قال: "قلت: فما معنى يمضيه

١ - الكافي: ج ١ / ١٤٨ (١٦) كتاب العقل والجهل، باب البداء، قال المجلسي: حسن، مرآة العقول: ج ٢ / ١٤٢.

في ثلاثٍ وَعِشْرِينَ" قَالَ: إِنَّهُ يُقْرَفُ فِي لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَيَكُونُ لَهُ فِيهِ الْبَدَاءُ فَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَ عِشْرِينَ أَمْضَاهُ فَيَكُونُ مِنَ الْمَحْتُمِ الَّذِي لَا يَبْدُو لَهُ فِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^١.
 إن قولهم: "يكون له فيه البداء" دليل على أنهم ينسبون البداء لله تعالى حيث لم يقل النص يكون منه البداء أو يكون عنه البداء، بل قال: يكون له فيه البداء أي يكون لله في تلك الأمور.

لماذا تقول الشيعة بالبداء؟

١- إن من عقيدة الشيعة زعمهم أن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون ما كان وما سيكون، وأنهم لا يخفى عليهم شيء! فإذا أخبر أئمتهم بأمر مستقبل وجاء الأمر على خلاف ما قالوا، فإما أن يكذبوا بالأمر وهذا محال لوقوعه بين الناس، وإما أن يكذبوا أئمتهم وينسبوا الخطأ إليهم، وهذا ينسف عقيدتهم التي أصلوها فيهم من علمهم للغيب. فكان أن أحدثوا عقيدة البداء. فإذا وقع الأمر على خلاف ما قاله الإمام قالوا: بدا لله كذا، أي أن الله قد غير أمره.

ولكن الشيعة الإمامية وقعت في ما خشيت منه، فهي أرادت أن تنزه إمامها عن الخلف في الوعد وعن الكذب في الحديث، فاتهمت ربها من حيث تشعر أو لا تشعر بالجهل! فقد جاء في "بحار الأنوار"، عن أبي حمزة الثمالي قال: « قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: « يا أبا حمزة إن حدثناك عن بأمر أنه يجيء من هاهنا فجاء من هاهنا، فإن الله يصنع ما يشاء، وإن حدثناك اليوم بحديث وحدثناك غداً بخلافه فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت »^٢.

٢- لقد كان بعض شيوخ الشيعة الإمامية يمتنون شيعتهم بأن الأمر سيعود إليهم والغلبة ستكون لهم ولدولتهم بعد سبعين سنة، ولما انقضت تلك المدة ولم يتحقق من ذلك شيء، لجأوا إلى البداء وقالوا: "قد بدا لله سبحانه" ولما رأت الشيعة الإمامية ممثلة في مشايخها أن هذه العقيدة قد تجلب الجهل والخزي على مذهبهم، نسجوا روايات أخرى تحدث أن البداء

١ - الكافي: ج ٤/ ١٥٩ (٨) كتاب الصيام، أبواب السفر، باب في ليلة القدر، قال المجلسي: ضعيف، مرآة العقول: ج ١٦/ ٣٨٧.

٢ - بحار الأنوار: ج ٤/ ١١٩. باب البداء والنسخ.

قد منع الأئمة من التحديث بما سيكون من الأمور المستقبلية. فهاهم يزعمون أن علي بن الحسين يقول: «لولا البداء لحدثكم بما يكون إلى يوم القيامة»^١ إذا المانع للأئمة من التحديث بأخبار الغيب هو خوفهم من أن يبدوا لله أمر آخر بخلاف ما حدثوا به!! وهذا كله مهرب من التحديث بأمر لا يعلمه إلا الله، وهو علم الغيب الذي أخبر الله في مواضع كثيرة من كتابه أن الغيب لا يعلمه إلا هو .

٣- لما توفي إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق، في حياة أبيه، وقد كان أبوه عينه على أنه الإمام من بعده، نسبوا إلى أبي جعفر أنه قال: «ما بدا لله في شيء كما بدا له في ابني إسماعيل... إذ اخترمه قبلي، ليعلم أنه ليس بإمام بعدي»^٢.

لكن من الشيعة من لم يقبل هذا التعليل، ولم تنطل عليه الحيلة، ولم يقبل أن يتغير الإمام، فانشقوا عن أصحابهم، وتوقفوا على إسماعيل، وزعموا أنه المهدي...

أصل عقيدة البداء:

هناك عدة روايات في أصل عقيدة البداء هي:

١- يقول الإمام ابن حزم: «البداء عقيدة يهودية ففي توراتهم البداء الذي هو أشد من النسخ وذلك أن فيها أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام سأهلك هذه الأمة وأقدمك على أمة أخرى عظيمة فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى في أن لا يفعل ذلك حتى أجابه وأمسك عنهم، وهذا هو البداء بعينه والكذب المنفيان عن الله تعالى لأنه ذكر أن الله تعالى أخبر أنه سيهلكهم ويقدمه على غيره ثم لم يفعل فهذا هو الكذب بعينه تعالى الله عنه»^٣.

١ - بحار الأنوار: ج ٤/١١٨، باب البداء والنسخ .

٢ - المرجع السابق: ج ٤/١٠٩ .

٣ - الفصل في الملل: ج ١/٨٤ .

ومما يدل على ذلك ما ورد في الكتاب المقدس حيث قالت اليهود: « وكان كلام الرب إلى صموئيل: قائلاً ندمت أني قد جعلت شادا ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقيم كلامي ندمت»^١!! الله يقول ندمت تعالى الله عن ذلك .

وقالت اليهود أيضاً: « فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب: أحمو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته - الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم »^٢.

٢- ادعى الشيعة أن أول من قال بالبداء هو عبد المطلب جد النبي محمد ﷺ حيث أورد الكليني في الكافي هذا القول: « عن عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَصَمِّ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ عَنْ مُقَرَّنٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مَنْ قَالَ بِالْبَدَاءِ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَخَدَهُ عَلَيْهِ بِهَاءِ الْمُلُوكِ وَسِيمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ »^٣!!

وروى أيضاً قال: « عن بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنِ ابْنِ جُمهُورٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ جَمِيعاً عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يُبْعَثُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أُمَّةً وَخَدَهُ عَلَيْهِ بِهَاءِ الْمُلُوكِ وَسِيمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ بِالْبَدَاءِ قَالَ وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَرْسَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى رُعَاتِهِ فِي إِبِلٍ قَدْ نَدَّتْ لَهُ فَجَمَعَهَا فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ وَجَعَلَ يَقُولُ يَا رَبِّ أَتُهْلِكُ أَلْكَ إِنْ تَفَعَّلَ فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْإِبِلِ وَقَدْ وَجَّهَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي كُلِّ طَرِيقٍ وَفِي كُلِّ شَعْبٍ فِي طَلْبِهِ وَجَعَلَ يَصِيحُ يَا رَبِّ أَ تُهْلِكُ أَلْكَ إِنْ تَفَعَّلَ فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ وَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَذَهُ فَقَبَّلَهُ وَقَالَ يَا بُنَيَّ لَا وَجْهَتُكَ بَعْدَ هَذَا فِي شَيْءٍ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُعْتَالَ فَتُقْتَلَ »^٤.

١ - سفر صموئيل الأول: ١٥.

٢ - سفر التكوين: ٦.

٣ - الكافي: ج ١/٤٤٧ (٢٣) كتاب الحجة، باب بلد النبي ﷺ ووفاته، قال المجلسي: ضعيف، مرآة العقول: ج ٥/٢٣٧ . وانظر كيف تدلس الشيعة على الناس فتظهر القائل بالبداء في أعظم حاله: "عَلَيْهِ بِهَاءِ الْمُلُوكِ وَسِيمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ" حتى لا يفكر السامع في شناعة ما يتقول به على الله.

٤ - المرجع السابق: ج ١/٤٤٧ (٢٤) نفس الكتاب والباب، قال المجلسي: ضعيف، مرآة العقول: ج ٥/٢٣٧.

٣- ذكر الدكتور علي السالوس بداية نشأة عقيدة البداء فقال: « أول من نادى به - البداء-المختار الثقفي لأنه كان يدعي علم الغيب فإذا حدثت حادثة على خلاف ما أخبر قال: قد بدا لربكم، وروي أن أبا الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع عندما حارب والي الكوفة عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس جعل القصب مكان الرماح واستخدم الحجارة والسكاكين وقال لقومه قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا تضركم ولا تحل فيكم فقدمهم عشرة، عشرة للمحاربة فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً قالوا له: ما ترى يحل بنا من القوم وما نرى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر وقد عمل سلاحهم فينا وقتل من ترى منا فقال لهم: إن كان قد بدا لله فيكم فما ذنبي؟^١.

- يزعم الشيعة أن البداء هو النسخ الموجود في القرآن الذي لا أحد ينكره ولذلك يتعجبون ممن ينكر عليهم عقيدة البداء فيقولون: « وقريب من البداء في هذا المعنى نسخ أحكام الشرائع السابقة بشريعة نبينا صلى الله عليه وآله، بل نسخ بعض الأحكام التي جاء بها نبينا صلى الله عليه وآله»^٢.

كما أكد غيره ذلك أيضاً فقال "فالبداء في عالم التكوين كالنسخ في عالم التشريع، فكما أن لنسخ الحكم وتبديله بحكم آخر مصالح وأسرار بعضها غامض وبعضها ظاهر، فكذلك في الإخفاء والإبداء في عالم التكوين، على أن قسماً من البداء يكون من اطلاع النفوس المتصلة بالمأ الأعلى على الشيء وعدم اطلاعها على شرطه أو مانعه، (مثلاً) اطلع عيسى عليه السلام أن العروس يموت ليلة زفافه ولكن لم يطلع على أن ذلك مشروط بعدم صدقة أهله"^٣.

وليس الأمر كذلك، فالنسخ ليس هو ظهور أمر جديد لله تعالى، بل الله عالم بالأمر المنسوخ والأمر الناسخ، ولكن الله يأمر بأمر في وقت من الأوقات يناسب الحال وقت

١ - مع الاثني عشرية في الأصول والفروع: ٣٠٧.

٢ - عقائد الشيعة، محمد رضا المظفر: ٤٦.

٣ - أصل الشيعة وأصولها، كاشف الغطاء: ٣١٤.

ذاك، ثم ينسخه بأمر معلوم عنده أولاً. وأمّا البداء فهو أن الله يظهر له أمر جديد لم يكن يعلمه في السابق، وبين النسخ والبداء من الفرق كما بين السماء والأرض.

بعد هذا العرض فأنت ترى أنه لو سقطت عقيدة البداء لانتقض دين الاثني عشرية من أصله، لأن أخبارهم ووعودهم التي لم يتحقق منها شيء تنفي عنهم صفة الإمامة.

وهذا سر مغالاة شيوخهم بأمر البداء، ودفاعهم عنه، وجعله من أعظم العبادات.

لكن مقالة البداء ارتدت عليهم بأوخم العواقب وهي إضافة سبب جديد لكفرهم وردتهم^١ لأنهم بهذا المعتقد نزهوا المخلوق وهو الإمام عن الخلف في الوعد، والاختلاف في القول، والتغير في الرأي، ونشأة رأي جديد، ونسبوا ذلك إلى عالم الغيب والشهادة. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^٢.

١ - انظر: المستصفى، الغزالي: ج ١/١١٠.

٢ - الوشيعة في نقد عقائد الشيعة: ١٨٢.

المطلب الثاني:

موقف القمي من هذا المعتقد والرد عليه.

القمي كغيره من أنصار مذهبه يقر بهذا المعتقد الخبيث، ويجاول كلما سرح له الحال أن يثبتها، سواء صرح بها أو ألمح لها في الخفاء، ومن الأمثلة التي ذكرها على ذلك من تفسيره :

ف عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ المائدة: ٦٤، « قال: "قالوا قد فرغ الله من الأمر لا يحدث الله غير ما قدره في التقدير الأول"، فرد الله عليهم فقال: بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء أي يقدم ويؤخر ويزيد وينقص وله البداء والمشئمة»^١.

وعند قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ الأنعام: ٢، قال: « فإنه حدثني أبي عن النضر بن سويد عن الحلبي عن عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الأجل المقضي هو المحتوم الذي قضاه الله وحتمه، والمسمى هو الذي فيه البداء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير، وحدثني ياسر عن الرضا عليه السلام قال: ما بعث الله نبيا إلا بتحريم الخمر وأن يقر له بالبداء أن يفعل الله ما يشاء»^٢.

وقال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ٣٨ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ٣٩ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٣٩ الرعد: ٣٨ - ٣٩، قال: «فإنه حدثني أبي عن النضر ابن سويد عن يحيى الحلبي عن عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا كانت ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتابة إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله

١ - تفسير القمي: ج ١ / ١٧٨.

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ٢٠١.

تبارك وتعالى في تلك السنة، فإذا أراد الله أن يقدم أو يؤخر أو ينقص شيئاً أو يزيده أمر الله أن يمحوا ما يشاء ثم أثبت الذي أراد،

قلت وكل شيء عنده بمقدار مثبت في كتابه؟ قال نعم قلت فأني شيء يكون بعده قال: سبحان الله ثم يحدث الله أيضاً ما يشاء تبارك الله وتعالى»^١.

من النصوص السابقة يتضح جلياً أن القمي ينهج نهج قومه بالقول بالبداء سواء أعلنه صراحة أو أشار إليه، وهذه العقيدة التي تقول بها الشيعة، هي عقيدة مستعارة اضطرت لها لما غالت في الأئمة ووصفتهم بالعصمة وبأنهم يعلمون الغيب فإذا جاءت الحقيقة بما قالوا فيها ونعمت، وإن جاءت بغير ما قالوا، قالوا على الله بالبداء فلا يؤخذ الإمام بذلك، فالخطأ والجهالة ليست منه وإنما من الله وَعَلَى اللَّهِ عَصَابَتُهُ، تعالى الله عما يصف الظالمون. وقول القمي في هذه الروايات "إن القول بالبداء هو رد لليهود إذ يقولون: "إن الله قد فرغ من الأمر" هذا القول منه خدعة وحيلة في إغفال الجاهل، وتقوّل على اليهود باطل. وما استعارت الشيعة عقيدة البداء إلا من أسفار التوراة. فدعوى الرد بالبداء كفران للنعمة المستعارة .

يقول الفخر الرازي وهو يناقش هذا القول عند اليهود: «لعله كان فيهم من كان على مذهب الفلسفة، وهو أنه تعالى موجب لذاته، وأن حدوث الحوادث عنه لا يمكن إلا على نهج واحد وسنن واحد، وأنه تعالى غير قادر على إحداث الحوادث على غير الوجوه التي عليها تقع، فعبروا عن عدم الاقتدار على التغيير والتبديل بغل اليد»^٢.

وعلى أي حال فما ذكره القمي ليس هو التفسير الصحيح للآية ولا للآيات بعدها، وإنما فسرها علماء السنة بنظر صحيح إلى مضمون الآية، فقال الطبري عند الآية الأولى: «وقالت اليهود، من بني إسرائيل: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ، يعنون: أن خير الله مُمَسَّكٌ وَعَطَاؤُهُ محبوس عن الاتساع عليهم، كما قال تعالى ذكره في تأديب نبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ الإسراء: ٢٩ ، فقال الله مكذبهم ومخبرهم بسخطه

١ - المرجع السابق: ج ١/٣٦٧.

٢ - تفسير الرازي: ج ٦ / ١٠٤.

عليهم: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ، يقول: أمسكت أيديهم عن الخيرات، وقبضت عن الانبساط بالعطيات، ﴿وَلَعْنُوا يَمًا قَالُوا﴾ وأبعدوا من رحمة الله وفضله بالذي قالوا من الكفر، وافتروا على الله ووصفوه به من الكذب والإفك، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ يقول: بل يدها مبسوطتان بالبذل والإعطاء وأرزاق عباده وأقوات خلقه، غير مغلولتين ولا مقبوضتين ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ يقول: يعطي هذا، ويمنع هذا فيقتّر عليه^١ ويقول عند الآية الثانية: «قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معناه: ثم قضى أجل الحياة الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، وهو أجل البعث عنده.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره نبه خلقه على موضع حجته عليهم من أنفسهم فقال لهم: أيها الناس، إن الذي يعدل به كفاركم الآلهة والأنداد، هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين، فجعلكم صوراً أجساماً أحياء، بعد إذ كنتم طيناً جماداً، ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم، ليعيدكم تراباً وطيناً كالذي كنتم قبل أن ينشئكم ويخلقكم ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ لإعادتكم أحياءً وأجساماً كالذي كنتم قبل مماتكم، وذلك نظير قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة: ٢٨^٢.

ويقول الفخر الرازي عند الآية الثالثة: «واعلم أن هذه الآية صريحة في أن الكل بقضاء الله ويقدره وأن الأمور مرهونة بأوقاتها ، لأن قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ معناه أن تحت كل أجل حادث معين، ويستحيل أن يكون ذلك التعيين لأجل خاصية الوقت فإن ذلك محال، لأن الأجزاء المعروضة في الأوقات المتعاقبة متساوية، فوجب أن يكون

١ - جامع البيان: ج ١٠/٤٥٠ - ٤٥٢.

٢ - المرجع السابق: ج ١١/٢٥٩.

اختصاص كل وقت بالحادث الذي يحدث فيه بفعل الله تعالى واختياره وذلك يدل على أن الكل من الله تعالى، وهو نظير قوله ﷺ: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»^{١-٢} ثم يقول بعد ذلك: «المسألة الخامسة: قالت الرافضة: البداء جائز على الله تعالى، وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده، وتمسكوا فيه بقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾. واعلم أن هذا باطل لأن علم الله من لوازم ذاته المخصوصة، وما كان كذلك كان دخول التغير والتبدل فيه محالاً.

أم الكتاب هو الذي يكون أصلاً لجميع الكتب، وفيه قولان:

القول الأول: أن أم الكتاب هو اللوح المحفوظ، وجميع حوادث العالم العلوي والعالم السفلي مثبت فيه، عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الله ولا شيء معه ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق إلى قيام الساعة»^٣ قال المتكلمون: الحكمة فيه أن يظهر للملائكة كونه

١ - جزء من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عباس: «أنه قال كنت رديف النبي ﷺ فقال: «يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن». فقلت بلى. فقال: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً» مسند أحمد: ج ٦/٣٨٣، ٢٤ - مسند عبد الله بن العباس .

وأيضاً روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق خلقه ثم جعلهم في ظلمة ثم أخذ من نوره ما شاء فألقاه عليهم فأصاب النور من شاء أن يصيبه وأخطأ من شاء فمن أصابه النور يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأه يومئذ ضل فلذلك قلت جف القلم بما هو كائن» مسند أحمد: ج ١٥/٦٢ ٢٧ - مسند عبد الله بن عمرو .

٢ - التفسير الكبير للرازي: ج ٩/١٩١ .

٣ - جاء في مسند الصحابة في الكتب التسعة: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ قَالَ قَالُوا قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطَيْنَا قَالَ أَقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ قَالَ قُلْنَا قَدْ قَبِلْنَا فَأَخْبِرْنَا عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ كَيْفَ كَانَ قَالَ كَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ ذِكْرَ كُلِّ شَيْءٍ " قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين: ج ٣٥/١٦٧ (٨) .

تعالى عالماً بجميع المعلومات على سبيل التفصيل، وعلى هذا التقدير: فعند الله كتابان: أحدهما: الكتاب الذي يكتبه الملائكة على الخلق وذلك الكتاب محل المحو والإثبات. والكتاب الثاني: هو اللوح المحفوظ، وهو الكتاب المشتمل على تعين جميع الأحوال العلوية والسفلية، وهو الباقي .

والقول الثاني: أن أم الكتاب هو علم الله تعالى، فإنه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات وإن تغيرت، إلا أن علم الله تعالى بها باق منزه عن التغير، فالمراد بأم الكتاب هو ذلك^١.

وهناك قول ثالث حكاه ابن جرير الطبري فقال: « فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شاء من قد دنا أجله وانقطع رزقه، أو حان هلاكه أو اتضاعه من رفعة أو هلاك مال، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك محوّه، ويثبت ما شاء من بقي أجله ورزقه وأكله، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه^٢ .

وقد أمر الشيعة بمقتضى هذه العقيدة بالتسليم بالتناقض والاختلاف والكذب، ففي رواية طويلة في تفسير القمي تخبر عن نهاية دولة بني العباس، قال فيها إمامهم: « إذا حدثناكم بشيء فكان كما نقول فقولوا: صدق الله ورسوله، وإن كان بخلاف ذلك فقولوا: صدق الله ورسوله توجروا مرتين...^٣»

وعلق صاحب الحاشية بقوله: "مرة للتصديق، وأخرى للقول بالبداء!!"^٤ وهذا القول اتخذته الشيعة ذريعة للتضليل بأن الأئمة يعلمون الغيب، فإذا حدث غير ما أخبروا به، قالوا إنما قد بدا لله! ومصدق الكذب يؤجر مرتين!

وفي المسند « كَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ ذِكْرَ كُلِّ شَيْءٍ » مسند

أحمد بن حنبل: ج ٤/٤٣١ (١٩٨٨٩) حديث عمران بن حصين، مسند الكوفيين .

١ - التفسير الكبير للرازي: ج ٩/١٩٣ .

٢ - جامع البيان: ج ١٦/٤٨٨ .

٣ - تفسير القمي: ج ١/٣١٠-٣١١، بحار الأنوار: ج ٤/٩٩ باب البداء والنسخ .

٤ - تفسير القمي: ج ١/٣١١ .

والمسلمون قاطبة - عدا الشيعة - يرفضون هذا القول ويبتلون به، ويكفي لاثبات تناقضه وبطلانه، قول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ يونس: ٦١.

ويرى بعض أعلام الشيعة أنه وجد الحل للخروج من مأزق البداء بالتفصيل بين النسخ التشريعي والنسخ التكويني، فقال: « إن البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع. فالبداء نسخ تكويني كما أن النسخ بداء تشريعي، وهذا القول زخرفه إذ لا بداء في النسخ. والحكم كان مؤقتاً في علم الله. وأجل الحكم وانتهاء الحكم عند حلول الأجل معلوم لله قبل الحكم فأين البداء؟ نعم بدا لنا ذلك من الله بعد نزول الناسخ وبعد وقوع المحو. فالبداء لنا في علمنا لا لله^١»

واختم بما ورد عن أحد أئمتهم في نقد هذه العقيدة فقد جاء في كتبهم: « أن الإمام الصادق عليه السلام قال: "من زعم أن الله بدا له في شيء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه" وقال أيضاً: "من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم" ^٢»

وجاء في كتاب التوحيد لابن بابويه: «... عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرايت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق» ^٣

١ - موقف الشيعة من أهل السنة: ج ١ / ١٧ . الوشيعة في نقد عقائد الشيعة: ١١٠ وما بعدها

٢ - الاعتقادات في دين الإمامية، للصدوق: ٤١ باب الاعتقادات في البداء .

٣ - التوحيد: ٣٣٤، أصول الكافي: ج ١/٤٨ (١٠) كتاب التوحيد، باب البداء، قال المجلسي: صحيح، مرآة العقول: ج ٢/١٤٠. وانظر قريباً من هذا المعنى رواية أخرى في الكافي: ج ١/٤٨ (٩) .

المبحث السابع:

المهدي والغيبة والرجعة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حقيقة معتقد المهدي والغيبة والرجعة عند الشيعة الإمامية.

المطلب الثاني: موقف القمي منها والرد عليه.

المطلب الأول :

حقيقة معتقد المهدي والغيبة والرجعة عند الشيعة الإمامية

١ - عقيدة المهدي

قبل أن نبدأ الكلام عن عقيدة الشيعة الإمامية في المهدي، أتناول بشيء من الإيجاز موضوع المهدي عند أهل السنة، حتى أزيل إشكالاً ربما وقع .
فالمهدي عند السنة لا يتعدى كونه رجلاً من أهل البيت يبعث قبل الساعة، ذكره النبي ﷺ في عدة أحاديث، لم يرد شيء منها في الصحيحين، ولكنها جاءت في المسند وكتب السنن، وكثر حولها الجدل، والذي يهمنا هنا هو أن هناك أحاديث صحيحة الإسناد مما لا يدع مجالاً للشك فيها أو لرفضها لذا فنحن نؤمن بتحقيق هذا الأمر. واعتقادنا فيه أنه رجل مفترض الطاعة أو أن الإيمان به واجب، فنحن لا نعظمه ولا نقده، ولا نرفعه على مرتبة غيره من البشر، ونؤمن بخروجه كما أخبرنا النبي ﷺ في آخر الزمان عندما تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً فيملؤها قسطاً وعدلاً، وأنه سيكون في الدنيا، من سبع إلى تسع سنين هذا بحسب الروايات ثم بعد ذلك يموت، هذا هو معتقد أهل السنة في هذا الرجل ، وهذه بعض الأحاديث الدالة على ذلك عندنا:

١- ما رواه أبو داود في كتاب المهدي « عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول ﷺ يقول " لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة" قال فكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة "خفية" ^١ قلت لأبي يا أبت ما قال؟ قال كلهم من قريش» ^٢.

١ - وفي نسخة أخرى: " ثم قال كلمة خفيفة، وعند مسلم "ثم تكلم بكلمة لم أفهما"، أخرجه مسلم في الإمارة، باب الناس تبعاً لقريش والخلافة في قريش: ج ٦ / ٣ (٤٨١٢) .

٢ - سنن أبي داود: ج ٤ / ٤٧٢ (٤٢٨١) كتاب المهدي، قال الشيخ الألباني: صحيح، وروى أيضاً عن جابر بن سمرة بهذا الحديث زاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا ثم يكون ماذا؟ قال "ثم يكون المهرج" قال الشيخ الألباني: صحيح دون قوله: "فلما رجع".

- ٢- وروى الترمذي في السنن: «عن عاصم بن بهدلة عن زر عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»^١.
- ٣- وعن «علي رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»^٢.
- ٤- عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^٣.
- ٥- وعن صفاته وشبهه بالنبي ﷺ روي «عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ المهدي مني أجلى الجبهة أفنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ويملك سبع سنين»^٤.
- ٦- وعند الترمذي: «عن شعبة قال سمعت زيدا العمي قال: سمعت أبا الصديق الناجي يحدث عن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث فسالنا نبي الله ﷺ فقال إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً - زيد الشاك - قال: قلنا

١ - سنن الترمذي: ج ٤ / ٥٠٥ (٢٢٣٠) كتاب الفتن، باب المهدي، قال أبو عيسى وفي الباب عن علي و أبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة وهذا حديث حسن صحيح قال الشيخ الألباني: حسن صحيح. رواه الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن و بلفظ قريب من ذلك. مسند الإمام أحمد: ج ١ / ٣٧٦ (٣٥٧١) مسند عبد الله بن مسعود.

٢ - سنن أبي داود: ج ٢ / ٥٠٩ (٤٢٨٣) كتاب المهدي، قال الشيخ الألباني: صحيح، وروي أيضاً عند الترمذي: عن عاصم عن زر عن عبد الله: عن النبي ﷺ قال: "يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي" قال عاصم وأنا أبو صالح عن أبي هريرة قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي". سنن الترمذي: ج ٤ / ٥٠٥ (٢٢٣١) كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

٣ - سنن أبي داود: (٤٢٨٤) كتاب المهدي، قال الشيخ الألباني: صحيح.

٤ - المرجع السابق: (٤٢٨٥) كتاب المهدي، قال الشيخ الألباني: حسن، وأجلى الجبهة: هو انحسار الشعر عن مقدم الرأس، ويقال رجل أجلى وهو أبلغ في النعت، الصحاح في اللغة: ج ١: ٩٦ (أجلح)، لسان العرب: ج ٢ / ٤٢٤ (أجلح).

وما ذاك؟ قال: سنين قال: فيجيء إليه رجل فيقول: "يا مهدي أعطني أعطني" قال: فيحني له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»^١.

٧- وورد عند الإمام أحمد بإسناد ضعيف: «عن علي بن زيد عن أبي قلابة عن ثوبان قال: "قال: رسول الله ﷺ: إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فائتوها فإن فيها خليفة الله المهدي»^٢.

أما الشيعة الإمامية فمعتقدتهم مختلف تماماً في هذا الأمر عن أهل السنة فالمهدي عندهم يتبع أصل اعتقادهم في الأئمة، فهم يعتقدون بأن عدد أئمتهم اثني عشر إماماً وهم - بزعمهم - الذين نص عليهم الرسول ﷺ، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، وهذا الأخير هو الذي يطلقون عليه: "المهدي"، "المنتظر" أو "قائم أهل البيت" أو "الحجة"، أو "الخلف الصالح"^٣، ويدعون الله صباح مساء "أن يعجل الله فرجه"، حيث إنه - كما تزعم أخبارهم - دخل سرداباً في بيت أبيه في مدينة سامراء سنة ٢٦٠ هـ بعد وفاة أبيه، وكان عمره وقتها أربع إلى خمس سنوات - بحسب الروايات - ولم يخرج إلى الآن وهو موجود حي يرزق - بحسب ظنهم - وهو مفترض الطاعة واجب الإيمان به كغيره من باقي الأئمة، فكل ما للأئمة السابقين من حقوق ينسحب على هذا الإمام، وحثتهم في ذلك خبر موضوع روي في أحد كتبهم: «عن جابر الجعفي قال سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩، قلت يا رسول الله: قد عرفنا الله

١ - سنن الترمذي: ج ٤ / ٥٠٦ (٢٢٣٢) كتاب الفتن، باب المهدي، قال أبو عيسى هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ، قال الشيخ الألباني: حسن، وجاء عند ابن ماجه عن أبي سعيد أيضاً بلفظ: يكون في أمي المهدي. إن قصر فسبع. وإلا فتسع. فتنعم فيه أمي نعمة لم ينعموا مثلها قط تؤتى أكلها. ولا تدخر منهم شيئاً. والمال يومئذ كدرس. فيقوم الرجل فيقول يا مهدي أعطني. فيقول خذ، سنن ابن ماجه: ج ٢ / ١٣٦٦ (٤٠٨٣)، قال الشيخ الألباني: حسن ورواه أيضاً عن أبي سعيد الإمام أحمد في مسنده: ج ٣ / ٢١ (١١١٧٩) بإسناد ضعيف.

٢ - مسند أحمد بن حنبل: ج ٥ / ٢٧٧ (٢٢٤٤١) باقي مسند الأنصار.

٣ - حياة الإمام المهدي، باقر شريف القرشي: ٢٨.

ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال رسول الله ﷺ "هم خلفائي وأئمة المسلمين بعدي: أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي - المعروف في التوراة بالباقر وستدرکه يا جابر فإذا لقيته فاقراه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سمِّي وكنيِّي حجة الله في أرضه وبقيته في عبادته محمد بن الحسن ابن علي ذلك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها وذلك يغيب عن شيعته وأوليائه، لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان...»^١.

فهذه الرواية التي تفوح وضعاً وكذباً، وأمثالها من الروايات هي مستند الشيعة في معتقدتهم هذا، ويمثل هذه الرواية حكي الكاشاني في تفسيره ولكن عن أمير المؤمنين علي ﷺ فقال: «وقد أخبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك فقلت: يا رسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبني.

فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩، فقلت ومن هم؟ قال: الأوصياء مني. إلى أن يردوا علي الحوض كلهم هادين مهديين لا يضرهم من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقهم ولا يفارقونه بهم ينصر أمتي وبهم تمطر وبهم يدفع عنهم البلاء وبهم يستجاب دعاؤهم فقلت: يا رسول الله سمهم لي. فقال: ابني هذا ووضع يده على رأس الحسن ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين ثم ابن له يقال له "علي" وسيولد في حياتك فأقرأه مني السلام ثم تكلمة اثني عشر من ولد محمد صلى الله عليه وآله فقلت له بأبي أنت وأمي فسمهم لي فسماهم رجلاً رجلاً فقال: فيهم والله يا أبا بني

١ - عقائد الإمامية الإثني عشرية: ج ٢/٣١٠، لم أجد هذا الحديث في كتب السنة، غير ما رواه الطبراني عن ابن عباس ﷺ بلفظ: "اللهم ارحم خلفائي الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس"، قال الطبراني: تفرد به أحمد بن عيسى أبو طاهر العلوي. قال في الميزان: قال الدارقطني: كذاب، والحديث باطل. وفي اللسان ذكره ابن أبي حاتم فلم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، الذهبي في الميزان: ج ١/٢٧٠، (ترجمة ٥٠٨)، ووافقه الحافظ في اللسان: ج ١/٢٤١، (ترجمة ٧٥٦).

أخرجه الطبراني في الأوسط: ج ٦/٧٧ (رقم ٥٨٤٦). قال الهيثمي: فيه أحمد بن عيسى الهاشمي قال: الدارقطني: كذاب ج ١/١٢٦. والرامهرمزي في المحدث الفاصل: ج ١/١٦٣. وأخرجه أيضاً الديلمي: ج ١/٤٧٩، رقم ١٩٦٠.

هلال مهدي أمة محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً والله إني لأعرف من يبائعه بين الركن والمقام وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم»^١.
 وأيضاً يستندون في إثباته على روايات أخرى منها ما في صحيح مسلم قال: «حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَا حَدَّثَنَا حَاتِمٌ - وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ - عَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غلامي نافعٍ أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال فَكَتَبَ إِلَيَّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ جُمُعَةٍ عَشِيَّةَ رُجْمِ الْأَسْلَمِيِّ يَقُولُ « لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ »^٢.

وعن جابر بن سمرة أيضاً ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « يكون بعدي اثنا عشر أميراً - وتكلم بكلمة فلم أفهم ما قال - فسألت القوم فزعموا أنه قال: "كلهم من قريش"»^٣.

وأنت تلاحظ أن هذا الحديث وسابقه لم يذكر فيهما أن الخلفاء أو الأمراء المذكورين الذين هم من قريش هم أئمة الشيعة الاثني عشر كما تعتقد فيهم الشيعة، بل اللفظ فيهما عام في أمراء أو خلفاء يأتون بدون تعيين أحد منهم وقد فسر علماء أهل السنة هذه الأحاديث ولم يذكر أحد منهم أنها في الأئمة أو أنها خاصة بالمهدي فضلاً عن أن يكون

١ - التفسير الصافي: ج ١ / ١٩ - ٢٠ ، لم أجد لهذا الحديث أصل في كتب السنة.

٢ - صحيح مسلم: ج ٤ / ٦ (٤٨١٥) كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، مسند الإمام أحمد: ج ٨٩ / ٥ (٢٠٨٦٢) ذكر هذا الحديث في إعلام الوري على أنه من الأدلة على أن الأئمة اثني عشر إماماً، وهم أئمة الشيعة: ج ٢ / ١٥٨ ، باب: ذكر النص على عدد الإثني عشر من الأئمة من طريق العامة .

٣ - إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ٢ / ١٥٨ - ١٥٩ .

أخرجه البخاري في الصحيح بلفظ: "حدثني محمد بن المثني حدثنا غندر حدثنا شعبة عن عبد الملك سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش، صحيح البخاري: ج ٦ / ٢٦٤٠ (٦٧٩٦) كتاب الأحكام، باب الاستخلاف وأخرجه مسلم في الإمارة. باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش رقم ١٨٢١، وأحمد في مسنده: ج ٥ / ٨٧ عن مجالد بن عامر، ج ٩٠ / ٥ عن جابر عن سماك بن حرب، ومعنى: (يكون اثنا عشر أميراً) أي تجتمع عليهم الأمة ويكون الدين وأهله في زمانهم عزيزاً منيعاً،

هو محمد بن الحسن العسكري بعينه، وكل ما في الأمر أن الرسول أخبر أنه يكون بعده اثنا عشر أميراً أو خليفة كلهم من قريش، تجتمع عليهم الأمة ،
 وروى أبو داود «عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليه الأمة"، فسمعت كلاماً من النبي صلى ﷺ لم أفهمه، قلت لأبي: ما يقول؟ قال: "كلهم من قريش" ^١.

ومن الروايات السابقة نستنتج :

١. أن هؤلاء الخلفاء من قريش عامة، ولا يمكن حصرهم في أولاد علي ﷺ ولا دليل على ذلك، ومن يرى حصرهم في أولاد علي ﷺ فاليأت بالدليل على ذلك.
 ٢. أن الروايات تدل على اجتماع الأمة علي هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، وهذا لم يحدث مع أئمة الشيعة، فالأمة لم تجتمع إلا على علي وابنه الحسن رضي الله عنهما، وأما من أتى بعدهم من أئمة الشيعة، فلم يجتمع عليهم أحداً من الأمة.
 ٣. وروى الترمذي من حديث: «سَعِيدُ بْنُ جُمَهَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَفِينَةُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ» ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَمْسِكْ خِلَافَةَ عَلِيٍّ قَالَ: فَوَجَدْنَاهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً ^٢، وهذا يدل على دخول الخلفاء الأربعة في الخلافة وانقطاعها بعد ذلك عن الحسين بن علي ﷺ لأن تمام الثلاثون كانت عند تنازل الحسن بن علي ﷺ عن الخلافة لمعاوية.
- يقول ابن حجر في الفتح: «وقد عرفت من الروايات التي ذكرتها من عند مسلم وغيره أنه ذكر الصفة التي تختص بولايتهم وهو كون الإسلام عزيزاً منيعاً وفي الرواية الأخرى صفة أخرى وهو أن كلهم يجتمع عليه الناس كما وقع عند أبي داود بلفظ "لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة".

١ - سنن أبي داود: ج ٤/ ١٠٦ (٤٢٧٩) قال الشيخ الألباني: صحيح دون قوله: "تجتمع عليه الأمة".

٢ - سنن الترمذي: ج ٤/ ٥٠٣ (٢٢٢٦) ، وأيضاً في صحيح ابن حبان: ج ١٥ / ٣٩٢ ، قال: "عَنْ سَفِينَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا»، قَالَ: أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ سِتِّينَ، وَعُمَرَ ﷺ عَشْرًا، وَعُثْمَانَ ﷺ اَلثَّنِي عَشْرَةَ، وَعَلِيَّ ﷺ سِتًّا ..."

وإنما قال: "يكون اثنا عشر وقد ولي هذا العدد، ولا يمنع ذلك الزيادة عليهم قال: وهذا إن جعل اللفظ واقعا على كل من ولي، وإلا فيحتمل أن يكون المراد من يستحق الخلافة من أئمة العدل وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بد من تمام العدة قبل قيام الساعة.

وقال: ابن الجوزي في كشف المشكل قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلبت مظانه وسألت عنه فلم أقع على المقصود به لأن ألفاظه مختلفة ولا أشك أن التخليط فيها من الرواة ثم وقع لي فيه شيء:

فأما الوجه الأول: فإنه أشار إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه وأن حكم أصحابه مرتبط بحكمه فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم فكأنه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بني أمية وكأن قوله لا يزال الدين أي الولاية إلى أن يلي اثنا عشر خليفة ثم ينتقل إلى صفة أخرى أشد من الأولى وأول بني أمية يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار وعدتهم ثلاثة عشر ولا يعد عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم صحابة فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف في صحبته أو لأنه كان متغلبا بعد أن اجتمع الناس على عبدالله بن الزبير صحت العدة .

وأما الوجه الثاني: فقال أبو الحسين بن المنادي في الجزء الذي جمعه في المهدي يحتمل في معنى حديث يكون اثنا عشر خليفة أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان»^١.

أما الشيعة فقد نحو منحاً آخر في الاستدلال من الحديث على أنه خاص بأئمتهم وبمحمد بن الحسن العسكري - مهديهم المنتظر - فقال أحدهم: «وهذا الحديث من المسلمات، وليس له تطبيق معقول ومقبول إلا الأئمة الاثني عشر عليهم السلام!! وجاء البعض وحاول تطبيقه على الخلفاء الراشدين واثنين أو ثلاثة من بني أمية واثنين أو ثلاثة من بني العباس، إن هذا تطبيق غير مقبول، وكل شخص يلاحظ هذا الحديث يجده إخباراً غيبياً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قضية ليس لها مصداق وجيه ومقبول سوى الأئمة صلوات الله

١ - فتح الباري لابن حجر: ج ١٣ / ٢١١-٢١٣ كتاب الأحكام، قوله باب كذا.

عليهم الاثني عشر، وهذا الحديث بالملازمة يدل على ولادة الإمام المهدي سلام الله عليه، إذ لو لم يكن مولودا الآن، والمفروض أن الإمام العسكري توفي، ولم يحتمل أحد أنه موجود، إذن كيف يولد الإمام المهدي من أب هو متوفى، فلا بد وأن نفترض أن ولادة الإمام عليه السلام قد تحققت، وإلا هذا الحديث يعود تطبيقه غير وجيه، فهذا الحديث بالدلالة الالتزامية يدل على ولادة الإمام صلوات الله وسلامه عليه»^١.

ولهم حديث آخر يستدلون به لإثبات المهدي وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^٢.

يقول ابن تيمية رداً على هذه الأحاديث: «قوله: "فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية"، يقال له أولاً من روى هذا الحديث بهذا اللفظ وأين إسناده وكيف يجوز أن يحتج بنقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير بيان الطريق الذي به يثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاله، وهذا لو كان مجهول الحال عند أهل العلم بالحديث فكيف وهذا الحديث بهذا اللفظ لا يعرف إنما الحديث المعروف مثل ما روى مسلم في صحيحه عن نافع قال جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس أتيك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوله سمعته يقول: "من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"^٣.

فعلم أن هذا الحديث دل على ما دل عليه سائر الأحاديث من أنه لا يُخرج على ولاة أمور المسلمين بالسيف، وأن من لم يكن مطيعاً لولاة الأمور مات ميتة جاهلية، وهذا

١ - الإمام المهدي بين التواتر وحساب الاحتمال، محمد باقر الإيرواني: ٢٥ - ٢٦.

٢ - منهاج الكرامة: ١٤، ليس لهذا الحديث أصل في كتب السنة.

٣ - ولفظ الحديث عند مسلم: عن عاصم - وهو ابن محمد بن زيد - عن زيد بن محمد عن نافع قال جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة فقال إني لم آتك لأجلس أتيك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوله: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» صحيح مسلم: ج ٦ / ٢٢ (٤٨٩٩) كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، وتحذير الدعاة إلى الكفر.

ضد قول الرافضة فإنهم أعظم الناس مخالفة لولاة الأمور وأبعد الناس عن طاعتهم إلا كرها^١.

ويقول في موضع آخر وهو يرد على عدة من الأحاديث التي تناولوها على أنها أدلة لهم: «قوله: المهدي من عترتي من ولد فاطمة ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد وفيه، يملك الأرض سبع سنين، ورواه عن علي عليه السلام أنه نظر إلى الحسن وقال: إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض قسطاً.

وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف طائفة أنكروها واحتجوا بحديث ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا مهدي إلا عيسى بن مريم وهذا الحديث ضعيف^٢.

وقال في موضع آخر: «والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم اسمه محمد بن عبد الله ولهذا حذفت طائفة ذكر الأب من لفظ الرسول حتى لا يناقض ما كذبت وطائفة حرفته فقالت جده الحسين وكنيته أبو عبد الله فمعناه محمد بن أبي عبد الله وجعلت الكنية اسماً، وأيضاً فإن المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين كما تقدم لفظ حديث علي^٣».

ويقول في موضع آخر: « وأيضاً فإن عندهم ولاية المنتظر دائمة إلى آخر الدهر وحينئذ فلا يبقى زمان يخلو عندهم من الإثني عشر وإذا كان كذلك لم يبق الزمان نوعين نوع يقوم فيه أمر الأمة ونوع لا يقوم بل هو قائم في الأزمان كلها وهو خلاف الحديث الصحيح .

١- منهاج السنة النبوية: ج ١/١١٠-١١١.

٢- المرجع السابق: ج ٨/ ٢٥٥-٢٥٦ ، ولفظ الحديث: عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدياراً، ولا الناس إلا شحاً ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا المهدي إلا عيسى بن مريم" قال الشيخ الألباني: ضعيف جداً إلا جملة الساعة فصحيحة، سنن ابن ماجه: ج ٢/ ١٣٤٠ (٤٠٣٩)، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء.

٣- منهاج السنة النبوية: ج ٨/ ٢٥٧، ٢٥٨.

وأيضاً فالأمر الذي لا يقوم بعد ذلك إلا إذا قام المهدي، إما المهدي الذي يقر به أهل السنة وإما مهدي الرافضة ومدته قليلة لا ينتظم فيها أمر الأمة .
وأيضاً فإنه قال في الحديث كلهم من قريش ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به ألا ترى أنه لم يقل كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب وإن كانوا كذلك لأنه قصد القبيلة التي يمتازون بها^١.

معتقد الشيعة في المهدي :

يقول الصدوق: « ونعتقد أن حجة الله في أرضه، وخليفته على عباده في زماننا هذا، هو القائم المنتظر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه هو الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الله ﷻ باسمه ونسبه، وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وأنه هو الذي يظهر الله به دينه، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنه هو الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، حتى لا يبقى في الأرض مكان إلا نودي فيه بالأذان، ويكون الدين كله لله تعالى، وأنه هو المهدي الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه إذا خرج نزل عيسى بن مريم ﷺ فصلى خلفه، ويكون المصلي إذا صلى خلفه كمن كان مصلياً خلف رسول الله، لأنه خليفته، ونعتقد أنه لا يجوز أن يكون القائم غيره، بقي في غيبته ما بقي، ولو بقي في غيبته عمر الدنيا لم يكن القائم غيره، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام دلوا عليه باسمه ونسبه!!، وبه نصوا، وبه بشروا صلوات الله عليه»^٢.

ويقول أيضاً: «وجوب معرفة المهدي عجل الله تعالى فرجه: ولا يكون الإيمان صحيحاً من مؤمن إلا من بعد علمه بحال من يؤمن به كما قال الله تبارك وتعالى: "إلا من شهد بالحق وهم يعلمون" فلم يوجب لهم صحة ما يشهدون به إلا من بعد علمهم، ثم كذلك لن ينفع إيمان من آمن بالمهدي القائم ﷺ حتى يكون عارفاً بشأنه في حال غيبته وذلك أن الأئمة عليهم السلام قد أخبروا بغيبته ﷺ ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم

١ - المرجع السابق: ج ٨ / ٢٥٣ - ٢٥٤.

٢ - الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق: ٩٥.

واستحفظ في الصحف ودون في الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتي سنة أو أقل أو أكثر!!»^١.

١ - كمال الدين وتمام النعمة: ١٩.

٢ - الغيبة

عرفنا حقيقة المهدي عند الشيعة فما حقيقة غيبته، وإذا كان هو إماماً حقاً فلماذا يغيب ويترك الأمة بدون إمام، خاصة أن الإمام حجة على أهل الأرض!!؟

إذا سألنا مثل هذا السؤال على الشيعة انظر كيف تكون الإجابة، وهي من كتبهم ناطقة بلسانهم يقول قائلهم: «لا أقول ما هي الحاجة بأن نكون نحن نتدخل في حكمة الله سبحانه وتعالى بفضول! لا يرتضيه الله، لا، نحن نستفهم! من الله سبحانه وتعالى بأنه حينما قدر للمهدي سلام الله عليه أن تكون له إمامة آنذاك، قدرها لكي يستفيد الخلق من إمامته، وإلا فالله سبحانه وتعالى في غنى عن رسله وأنبيائه وعن أئمتته وحججه، وإنما يرسل رسله وينصب حججه لكي يستفيد الخلق منهم، لا حاجة من الله سبحانه وتعالى في الخلق ولا هداية للخلق برسول يرسله إليهم أو بحجة ينصبه عليهم، وإنما الذي يحتاج هو الخلق والعباد، والله رافة بعباده يُؤمّن لهم ما يحتاجون إليه في هدايتهم كما أمّن لهم ما يحتاجون إليه في حياتهم، والذين لهم تفسير خاص للإمامة لا يتجاوزونه، وعدد خاص للأئمة لا يتجاوزونهم، ليس لهم أن يحدفوا واحداً، ولا أن يضيفوا واحداً، ولا أن يؤخروا من قدمه الله سبحانه وتعالى، ولا أن يقدموا من أخره الله سبحانه وتعالى. فالعقيدة الصحيحة لاستمرار حاجة الناس إلى النبوة وكون النبي مدة حياته لا تتناسب مع الأبدية لشريعته، لا بد لهذا النبي من أئمة يكونون مثله في العصمة في الأداء، والعصمة في الهداية، والعصمة في قيادة الخلق، فعقيدة الإمام المهدي سلام الله عليه عند الإمامية لا يمكن أن تكون بلا غيبة، لماذا!!؟

لأنه في مستقبل عمره لم يتمكن ولا يوماً واحداً من هداية الأمة حتى بالقدر الذي كان يتمكن منه آباؤه، ولم يتمكن لغيبته من اتصال الشيعة به قدر ما كان يتمكن آباؤه - حتى في أحلك الظروف وأشدّها عليهم - فإذاً لا بد وأن تكون إمامته المتصرفة في خلقه بعد تلك الفترة، أي بعد الغيبة، فلا بد لنا وأن نلتزم بأن الانتفاع بالإمام المهدي كإمام

الذي يكون مشابهاً للانتفاع بأبائه الطاهرين كأئمة لا بد وأن يأتي في فترة أخرى بعد الغيبة»!!^١

وهل في غيبته سيستفيد الناس!! لا أدري ما وجه استفادة الناس من غيبته، ولكن .. دع عنك هذا الجواب الغريب غير المفهوم لسبب غيبة المهدي، نعود فنتناول أمر الغيبة وما هي حقيقتها عندهم:

حقيقة الأمر أن موت الحسن العسكري - الإمام الحادي عشر - كاد أن يقوض عروش عقيدة الإمامية الاثني عشرية، لأن الإمامية الاثني عشرية تدعي أن الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت بأهلها ولعذبهم الله بأشد عذابه^٢. فالإمام أمان لأهل الأرض وهو الحجة على أهل الأرض، ولا دين بدون إمام! كل هذا لو بقيت الأرض بغير إمام فإذا علمت أن الحسن العسكري مات ولم يعقب، واقتسم ميراثه أخوه جعفر وأمه^٣، فأين الإمام الثاني عشر، وكيف يا ترى يكون مصير الناس بلا إمام؟! فلا بد إذاً من حل ما هو؟ فكر أيها الشيعي، لأن الإمام لو رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله^٤.

ووجد أئمة الشيعة الحل الذي تستمر به اللعبة ولا تنكشف وهي «الزعم بأن للحسن العسكري ولدًا كان قد أخفى الحسن مولده، وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب السلطان له، فلم يظهر ولده في حياته ولا عرفه الجمهور بعد وفاته»^٥.

١ - الغيبة، الشيخ محمد رضا الجعفري: ١٦ - ١٧.

٢ - جاء في بحار الأنوار عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إني وأحد عشر من ولدي وأنت يا علي رز الأرض - أعني أوتادها وجبالها - بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا. الغيبة للشيخ الطوسي: ٩٩ بحار الأنوار: ج ٣٦/٢٥٩ (٩٧) باب فيما قاله النبي صلى الله عليه وآله في عدد الأئمة عليهم السلام، كتاب الحجة .

٣ - انظر: المقالات والفرق: ١٠٢، وفرق الشيعة: ٩٦.

٤ - الكافي: ج ١/١٧٩ (١٢) باب أن الأرض لا تخلو من حجة، كتاب الحجة، (عن أبي هريرة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أن الامام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله.

٥ - الإرشاد: ٣٨٩.

وزعموا أنه سيغيب عنهم سبعين عاماً ثم يعود ويقتل الظلمة والجبابة من بني أمية، ولما انقضت تلك المدة ولم يظهر - ولن يظهر - أظهروا مقولة بأنه سوف يظهر ولو عُمر عمر نوح.

يقول في ذلك الطبرسي: « عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: "لقائم آل محمد عليه السلام غيبتان واحدة طويلة والأخرى قصيرة قال: فقال لي: نعم يا أبا بصير، إحداهما أطول من الأخرى، ثم لا يكون ذلك - يعني ظهوره - حتى يختلف ولد فلان، وتضييق الحلقة، ويظهر السفياي، ويشتد البلاء، ويشمل الناس موت وقتل، ويلجأون منه إلى حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم". فانظر كيف قد حصلت الغيبتان لصاحب الأمر عليه السلام على حسب ما تضمنته الأخبار السابقة لوجوده عن آبائه وجدوده عليهم السلام، أما غيبته الصغرى منهما فهي التي كانت فيها سفراؤه عليه السلام موجودين، وأبوابه معروفين، لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي عليه السلام فيهم، فمنهم: أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، ومحمد بن علي بن بلال، وأبو عمرو عثمان بن سعيد السمان، وابنه أبو جعفر محمد بن عثمان، وعمر الأهوازي، وأحمد بن إسحاق، وأبو محمد الوجداني، وإبراهيم بن مهزيار، ومحمد بن إبراهيم في جماعة أخر ربما يأتي ذكرهم عند الحاجة إليهم في الرواية عنهم، وكانت مدة هذه الغيبة أربعاً وسبعين سنة»^١ فلما انقضت السبعون عاماً ولم يرجع القائم ماذا قالوا... هذا ما ذكره الكليني فقال: « عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت إن الله تبارك وتعالى وقَّت هذا الأمر في السبعين فلما قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخّره إلى أربعين ومائة فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا»^٢.

١ - إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ٢/٢٥٩.

٢ - الكافي: ج ١/٣٦٨ (١) كتاب الحجة، باب كراهية التوقيت، قال المجلسي: صحيح، مرآة العقول: ج ٤/١٧٠.

والمراد (بهذا الأمر) في كلامه هو ظهور المهدي، انظر إليهم كيف يتخبطون في الأوهام والسخافات، ويعني ذلك أن الله لم يكن عنده علم أن الحسين سيموت فلما علم بذلك أحر الأمر.

إن أقوالهم وادّعاءاتهم هذه كلها ظاهرة البطلان فإنه يلزم من عقيدة البداء أن الله تعالى شأنه، كان يجهل هذه الأشياء التي جاءت مؤخراً ثم لما حدثت وعلم بما غير سبحانه رأيه القديم وأنشأ رأياً جديداً حسب الظروف والأحوال الجديدة ونسبة الجهل إلى الله تعالى كفر.

هذا ردهم على غيبة المهدي وعدم ظهوره، في الوقت الذي وقتوه لخروجه، وهذه بضاعتهم التي يتاجرون بها على العقول الضعيفة، والقلوب السقيمة.

وإذا سلنا سؤالاً آخر - إذا قلنا إن سلمنا بأن الإمام غائب وأنه موجود وله غيبتان

- فما هو معنى غيبته؟ بمعنى: هل غيابه غياب هوية أو غياب شخصية؟

قالوا: « جاء في الأحاديث أنه في الغيبة الكبرى "لا يدري أين هو، يشهد الموسم، يرى الناس ولا يرونه"!! "ولا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه". هذه العبارة محل بحث وتحليل ومحل تدقيق في واقع الأمر، فما المقصود من أنه في عهد الغيبة الكبرى لا يعلم بمكانه إلا مواليه في دينه؟ هذا يستدعينا المرور بمدلول غيبته عليه السلام.

والصحيح أن غيابه عليه السلام غياب هوية لا غياب شخصية، فإن شخصه سلام الله عليه موجود، ولكن الناس لا يشخصونه ولا يعرفونه بشخصه وبهويته، ولهذا يقول: "يشهد الموسم يرى الناس ولا يرونه ولا يعلم بمكانه إلا مواليه في دينه، باعتبار أن غياب الإمام غياب هوية لا غياب شخصية، فالشخص موجود، ولكن هذا الشخص المقدس صلوات الله وسلامه عليه يمكن أن يلتقي به بعض الأبدال وبعض الأوحدين وبعض الأفاضل من الناس ممن يليق أن يفوز بلقاء الإمام صلوات الله وسلامه عليه ورؤية طلعتة المباركة¹. وهذا باب واسع عقد له الميرزا النوري كتاباً في هذا المعنى فيمن رأى الإمام المهدي سلام الله عليه في الغيبة الكبرى، وكذلك عقد له السيد البحراني كتاباً سماه تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي سلام الله عليه،

١ - وهذا ما يعرف عندهم بالظهور، وهو غير الرجعة.

وهناك ملحق في بحار العلامة المجلسي فيمن التقى بالإمام سلام الله عليه في عهد الغيبة الكبرى^١ «٢».

ولكن يطرأ هنا سؤال ما سبب إصرار آيات ومشايخ الشيعة على توطين الناس وتشبيتهم على عقيدة المهدي والغيبة رغم ما يحوم حولها من كذب وافتراء؟
والجواب عن ذلك يتضح بما ذكره الطوسي في الغيبة قال: « روى محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن جمهور، عن أحمد بن الفضل، عن يونس بن عبدالرحمن قال: مات أبو إبراهيم عليه السلام (يعني موسى الكاظم) وليس من قَوْمه (أي نوابه) أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته، طمعاً في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، فلما رأيت ذلك وتبينت الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمت، تكلمت ودعوت الناس إليه، فبعثنا إلي وقالوا ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالوا لي: كُف، فأبيت، وقلت لهما: إنا روينا عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: "إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الايمان" وما كنت لأدع الجهاد وأمر الله على كل حال، فناصباني وأضمر لي العداوة^٢.

هذا ما وقع في أحداث غيبة موسى الكاظم، وقس على ذلك ما وقع في أحداث غيبة القائم، فالطمع في المال هو أكبر الدوافع لاستمرار الشيعة في بقاء هذه اللعبة قيد التنفيذ، وإلا لماذا لم يخرج المهدي وهم بانتظاره إلى الآن وبعد هذا الزمن!!
« وهناك أسباب أخرى أهمها:

- أنها محاولة منهم إلى إيجاد كيان مستقل للشيعة، وبث الأمل في نفوس شيعتهم بأن الغلبة لهم في النهاية حتى يصبروا .

١ - بحار الأنوار: ج ٥٣/ ٢٠٠ كتاب جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجة عليه السلام أو معجزته في الغيبة الكبرى .

٢ - الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة، فاضل المالكي: ١٣ - ١٥ .

٣ - الغيبة: ٦٤ .

- وكذلك فإن عقيدة الشيعة تأثرت بالديانات الأخرى وخصوصاً اليهودية، واليهود لديهم مثل هذا المعتقد، حيث يعتقدون بأن إيليا رفع إلى السماء وسيعود آخر الزمان .
- وهناك من رجح أن هذه العقيدة مأخوذة من المجوس، لكون أكثر الشيعة من الفرس كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين وساقوا على ذلك الأدلة من كتب المجوس^١

١ - أصول مذاهب الشيعة، ناصر الغفاري: ج ٢ / ٤٦٣-٤٦٧ .

٣- الرجعة

معنى الرجعة: الرجعة في اللغة عند الشيعة الإمامية: هي العودة بعد الموت. و في اصطلاح الشيعة: رجوع قوم من الأموات إلى الحياة قبل يوم القيامة، ولا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الشرك محضاً^١.

يستدلون على ذلك: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ النمل: ٨٣ ، فمتى ذلك اليوم ؟ علماً أن يوم القيامة يحشر جميع البشر ولا يحشر من كل أمة فوج

فقط، قال تعالى عن يوم القيامة: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٤٧^٢ و قد احتلت عقيدة الرجعة في الروايات في كتب العلماء الشيء الكثير، وهي من أصول المذهب الشيعي الاثني عشري، يقول ابن بابويه في الاعتقادات: « واعتقدنا في الرجعة أنها حق »^٣.

وقال المفيد: «واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات»^٤. قلت: هذا الأمر الذي اتفقت عليه الشيعة الإمامية مخالفة صريحة للكتاب والسنة التي نصت على أن من قضى نحبه وانتهى أجله أنه لا يعود مرة أخرى حتى يبعث الناس من قبورهم يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠. وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٠ صريح في أن الناس بعد موتهم يمكنون في البرزخ حتى تقوم الساعة.

١ - بحار الأنوار: ج ٨/٣٦٣، الاعتقادات للمجلسي: ١٠٠.

٢ - الإيقاظ من المهجعة على الرجعة: ٦٤

٣ - الاعتقادات: ٩٠.

٤ - أوائل المقالات: ٥١.

وجنوح الشيعة الإمامية لتأصيل هذه العقيدة وبتها في نفوس الشيعة، من باب تصبير الشيعة وتثبيتهم على معتقدتهم، لما يرون من حالات الضعف والمهانة التي لقوها من الناس عبر التاريخ، وهي تبعث الأمل لدى الشيعة الإمامية بأن هناك يوماً ما سينتقم فيه الشيعة الإمامية من أعدائهم، وتكون الغلبة لهم .

وفي باديء الأمر « كان المعتقد في الرجعة هو عودة الإمام ورجعته وهذا ما ذهب إليه السبئية والكيسانية، ولكن الاثني عشرية لم تقصره على الأئمة؛ بل جعلته عامة للإمام والناس ووقع ذلك في القرن الثالث الهجري»^١.

ومن أقوالهم التي تثبت هذا المعتقد عندهم :

يقول الصدوق: قال الصادق عليه السلام: « ليس منا من لم يؤمن بكرتنا، ويستحل متعتنا»^٢.

ويروي أيضاً في كتبهم: « وعنهم عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي المغربي حميد بن المثني عن داود بن راشد عن حمران بن أعين قال: "قال أبو جعفر لنا ولسوف يرجع جاركم الحسين بن علي عليهما السلام ألفاً، فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر"»^٣.

ويروي الحلبي أيضاً: «عن حماد بن عثمان عن محمد بن مسلم قال: سمعت حمران ابن أعين وأبا الخطاب يحدثان جميعاً قبل أن يحدث أبو الخطاب ما أحدث أنهما سمعا أبا عبدالله عليه السلام يقول: أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليهما السلام وإن الرجعة ليست بعامة وهي خاصة لا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الشرك محضاً»^٤.

١ - روح المعاني: ج ٢٠/٢٧.

٢ - من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ج ٣/ ٤٥٨ (٤٥٨٣).

٣ - مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلبي: ٢٢.

٤ - المرجع السابق، ونفس الصفحة.

وقد ورد ذكر الرجعة بألفاظ مختلفة في كثير من الأدعية والزيارات المروية عن أئمتهم كما في زيارة الإمام الحسين في كامل الزيارات عن الإمام الصادق وفيها:

وروى السيد ابن طاوس بالإسناد عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة النبي والأئمة عليهم السلام ومنها: «إني من القائلين بفضلكم، مقرر برجعتم، لا أنكر الله قدرة»^١.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كأني بالقائم عليه السلام على نجف الكوفة وقد لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله فينتفض هويها فتستدير عليه فيغشيها بخداجة من إستبرق، ويركب فرساً أدهم بين عينيه شمراخ فينتفض به انتفاضة، لا يبقى أهل بلد إلا وهم يرون أنه معهم في بلادهم، فينشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله وعمودها من عمود العرش وسائرهما من نصر الله، لا يهوي بها إلى شيء أبدا إلا هتكه الله، فإذا هزها لم يبق مؤمن إلا صار قلبه كزبر الحديد، ويُعطى المؤمن قوة أربعين رجلا، ولا يبقى مؤمن إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره، وذلك حين يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم، فينحط عليه ثلاث عشر ألف ملك وثلاثمائة وثلاث عشرة ملكا، قلت: كل هؤلاء الملائكة، قال: نعم الذين كانوا مع نوح في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم حين ألقى في النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني إسرائيل، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه، وأربعة آلاف ملك مع النبي صلى الله عليه وآله مسومين وألف مردفين وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدرين، وأربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يؤذن لهم في القتال، فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة، ورئيسهم ملك يقال له: منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودع إلا شيعوه، ولا يمرض مريض إلا عادوه، ولا يموت ميت إلا صلوا على جنازته، واستغفروا له بعد موته، وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم إلى وقت خروجه عليه السلام»^٢.

١ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ٣٨٨.

٢ - المرجع السابق: ٢٣٣ - ٢٣٥.

ويقول المفيد في هذا الباب - أي في الرجعة - : «أقول إن الله تعالى يرد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز منهم فريقاً ويذل فريقاً ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليهم السلام . وأقول: إن الراجعين إلى الدنيا فريقان: أحدهما من علت درجته في الإيمان، وكثرت أعماله الصالحات، وخرج من الدنيا على اجتناب الكبائر الموبقات، فيريه الله عَلَيْكَ دولة الحق ويعزه بها ويعطيه من الدنيا ما كان يتمناه، والآخر من بلغ الغاية في الفساد وانتهى في خلاف المحقين إلى أقصى الغايات وكثر ظلمه لأولياء الله واقتراه السيئات، فينتصر الله - تعالى - لمن تعدى عليه قبل الممات، ويشفي غيظهم منه بما يحله من النقمات، ثم يصير الفريقان من بعد ذلك إلى الموت ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من دوام الثواب والعقاب، وقد جاء القران بصحة ذلك وتظاهرت به الأخبار والإمامية بأجمعها عليه إلا شذاذا منهم تأولوا ما ورد فيه مما ذكرناه على وجه يخالف ما وصفناه»^١.

ويقول في موضع آخر: «اعتقادنا في الرجعة أنها حق، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾»

﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ البقرة: ٢٤، كان هؤلاء سبعين ألف بيت، وكان يقع فيهم الطاعون كل سنة، فيخرج الأغنياء لقوتهم، ويبقى الفقراء لضعفهم، فيقل الطاعون في الذين يخرجون، ويكثر في الذين يقيمون، فيقول الذين يقيمون: لو خرجنا لما أصابنا الطاعون، ويقول الذين خرجوا: لو أقمنا لأصابنا كما أصابهم، فأجمعوا على أن يخرجوا جميعاً من ديارهم إذا كان وقت الطاعون، فخرجوا بأجمعهم، فنزلوا على شط بحر، فلما وضعوا رحالهم ناداهم الله: موتوا، فماتوا جميعاً، فكنتهم المارة عن الطريق، فبقوا بذلك ما شاء الله، ثم مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرميا، فقال: "لو شئت يا رب لأحييتهم فيعمروا بلادك، ويلدوا عبادك، وعبدوك مع من يعبدك"، فأوحى الله تعالى إليه: "أفتحب أن أحييتهم لك؟"، قال: نعم . فأحياهم الله وبعثهم معه، فهؤلاء ماتوا ورجعوا إلى الدنيا، ثم ماتوا بأجلهم، وقال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي

١ - الفصول المختارة، الشيخ المفيد: ١٥٣ .

مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَيْتَ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّيْتُ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظَرُ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَأَنْظَرُ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظَرُ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة: ٢٥٩﴾، فهذا مات مائة سنة ورجع إلى الدنيا وبقي فيها، ثم مات بأجله، وهو عزيز، وقال تعالى: في قصة المختارين من قوم موسى لميقات ربه: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿البقرة: ٥٦﴾، وذلك أنهم لما سمعوا كلام الله، قالوا: لا نصدق به حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا، فقال موسى ﷺ: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم؟ فأحياهم الله له فرجعوا إلى الدنيا، فأكلوا وشربوا، ونكحوا النساء، وولد لهم الأولاد، ثم ماتوا بآجالهم .

وقال الله ﷻ لعيسى ﷺ: (وإذ تخرج الموتى بإذني) . فجميع الموتى الذين أحياهم عيسى ﷺ بإذن الله رجعوا إلى الدنيا وبقوا فيها ، ثم ماتوا بآجالهم ومثل هذا كثير . وقد صح أن الرجعة كانت في الأمم السالفة ، وقال النبي ﷺ : (يكون في هذه الأمة مثل ما يكون في الأمم السالفة ، حذوا النعل بالنعل ، والقذة بالقذة . فيجب على هذا الأصل أن تكون في هذه الأمة رجعة »^١ .

ومتى تكون هذه الرجعة:

أما زمن هذه الرجعة فقد حدده المفيد بزمن قيام المهدي^٢ . ومنهم من أبي ذلك وقال الرجعة غير الظهور، فالإمام الغائب حي وسيظهر، والرجوع غير الظهور، ومنهم من قال بأن مبدأ الرجعة يكون عند رجوع الحسين بن علي رضي الله عنهما ف: «أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا، الحسين بن علي ﷺ»^٣ .

١ - الاعتقادات، الشيخ المفيد: ٦٠ .

٢ - أوائل المقالات للمفيد: ٩٥ .

٣ - بحار الأنوار: ج ٣٩/٥٣، باب في الرجعة .

ومع كل هذه النصوص فالشيعة الإمامية تتقي وتنكر أن يكون الرجعة من مذهبها وعقيدتها، فقد جاء في بعض كتب الشيعة: « عن أبي جعفر قال: "لا تقولوا الجبت والطاغوت، ولا تقولوا الرجعة، فإن قالوا لكم فإنكم قد كنتم تقولون ذلك فقولوا: أما اليوم فلا نقول"»^١.

ويروون أيضاً: « أن الصادق قال: "لا تقولوا الجبت والطاغوت، وتقولوا الرجعة، فإن قالوا: قد كنتم تقولون؟ قولوا: الآن لا نقول"»^٢.

وهذا من باب التقية التي تعبد الله بها عبادة في زمن الأوصياء .

١ - بحار الأنوار: ج ٣٩/٥٣، باب في الرجعة.

٢ - المرجع السابق، ونفس الصفحة .

المطلب الثاني :

موقف القمي من المهدي والغيبة والرجعة والرد عليها

إن فكرة ظهور المنقذ الذي يمثل جوهر الفكر الشيعي والذي يعبر عنه قيام المهدي أو خروج القائم من آل البيت، فكرة تأثرت بها الآلاف من الشيعة الإمامية فهم يدعون الله صباح مساء أن يعجل الله فرجه، والقمي مثله مثل غيره من بني مذهبه ينضم إلى صفوف الشيعة الطائشة التي تتبع هذا المذهب تدور حول القبور وتدعوا الموتى وتلهج بالدعاء أن يخرج حبيس السرداب، كي ينظم الجيوش ويفتح البلدان، وينتقم من الأعداء، ويا أسفاه على جيوش ستقوم على الأوهام ، ويا خزياه على جيوش ستقوم لتقاتل المسلمين أعداء علي عليه السلام - بزعمهم - وتترك الكفار أعداء الله وأمة محمد صلى الله عليه وآله يعيشون في الأرض الفساد.

إن القمي وهو يعرض في تفسيره لهذه العقيدة، يصور مدى تعلق الشيعة بهذا الشخص الموهوم، فكل آية تحمل حدثاً مستقبلياً، يتبناها القمي لتكون في وصف القائم ويكون هو صاحبها الذي يحقق هذا الحدث، ويكون ما يحدث هو تأول للقرآن بعد تنزيله على حد زعمه.

وهاك أمثلة على ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ الدخان: ١٠ ، يقول القمي: « ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ ﴾ قال: ذلك إذا خرجوا في الرجعة من القبر (يغشى الناس كلهم) الظلمة فيقولون: ﴿ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ ، فقال الله ردا عليهم : ﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى ﴾ في ذلك اليوم أي رسول قد تبين لهم ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّجْنُونٌ ﴾ قال: قالوا ذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذه الغشي فقالوا: هو مجنون، ثم قال: ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ يعني إلى يوم القيامة، ولو كان قوله ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ في القيامة لم يقل

إنكم عائدون لأنه ليس بعد الآخرة والقيامة حالة يعودون إليها ثم قال: ﴿يَوْمَ نَبِّطُشُ
الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ يعني في القيامة^١.

فهنا القمي يعبر صراحة عن معتقده في أن هناك رجعة قبل يوم القيامة، يخرج الناس فيها من القبر ويرجعون إلى الدنيا، ثم بعد ذلك يعودون إلى الآخرة، هذا على الرغم من أن هذه الآية لا تدل على ذلك إنما جاء في تأويلها ما ذكره الطبري فقال: «يعني تعالى ذكره بقوله: (فَارْتَقِبْ) فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم في شكّ يلعبون.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ الدخان: ١٠، اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله ﷻ أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين: أي يوم هو، ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذُكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان، فإن قريشا لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الدخان: ١٠ - ١١، فقالوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ الدخان: ١٢، قال الله جل ثناؤه ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝١٥ يَوْمَ نَبِّطُشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ الدخان: ١٥ - ١٦ قال: فعادوا يوم بدر فانتقم الله منهم، حدثني عبدالله بن محمد الزهري، عن مسروق قال: كان في المسجد رجل يذكر الناس، فذكر نحو حديث عيسى، عن يحيى بن عيسى، إلا أنه قال: فانتقم يوم بدر، فهي البطشة الكبرى^٢

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٢٦٥ .

٢ - جامع البيان: ج ٢٢ / ١٣ - ١٤ .

وعند قوله: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ هود: ٨٠ ، يقول: « حدثني محمد بن جعفر قال حدثنا محمد بن أحمد عن محمد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن عبدالله بن القاسم عن صالح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في قوله ﴿ قُوَّةً ﴾ قال: القوة القائم عليه السلام، والركن الشديد ثلاثمائة وثلاثة عشر^١ .

ولعلك تعجب من تقول القمي على الآية فهي في سياق الحوار بين لوط عليه السلام وقومه، ولكن القمي ينجح لمذهبه فيصور القوة التي يذكرها لوط عليه السلام والتي يتمنى لو كانت عنده لينتصر بها على قومه، هي قائم آل البيت وهذا التفسير لم يقل به أحد من العلماء، ولم يعرف عند السلف فالمعروف عندهم هو أن: «لوطاً قال لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم: (لو أن لي بكم قوة)، بأنصار تنصرتني عليكم وأعاون تعيني (أو آوى إلى ركن شديد)، يقول: أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم، لحت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في أضيائي^٢ » وليس في تفسيرها معنى غير ذلك .

أما الثلاثمائة وثلاثة عشر التي يزعم القمي أنها تكون معه التي ذكرها هنا فقد فسرها في آية أخرى فقال: عند قوله تعالى: « ﴿ وَلَئِن أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ هود: ٨ ، قال إن متعناهم في هذه الدنيا إلى خروج القائم فنردهم ونعذبهم ﴿ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسِبُهُ ﴾ أي يقولون: إما لا يقوم القائم ولا يخرج، على حد الاستهزاء فقال الله: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، أخبرنا أحمد بن إدريس قال: حدثنا أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف عن حسان عن هشام بن

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٣٧ .

٢ - جامع البيان: ج ١٥ / ٤١٨ .

عمار عن أبيه عن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آخَرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِيَقُولُوا مَا يَجْسُؤُهُ﴾ قال الأمة المعدودة: أصحاب القائم الثلاثة والثلاثمائة والبضعة عشر^١. أي أنهم هم أتباعه الذين يخرجون معه، وأنت تلاحظ أن هذا العدد يماثل عدد الصحابة يوم بدر، فكأنه يريد أن يربط بين موقف هذه الفئة القليلة التي كانت على الحق والصدق وبين ما يحدث آخر الزمان مع القائم على حد زعمهم.

وعند قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ النحل: ٢٢، قال: «عن أبي حمزة الثمالي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ يعني أنهم لا يؤمنون بالرجعة أنها حق ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ يعني أنها كافرة ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ يعني أنهم عن ولاية علي مستكبرون^٢. وهنا يظهر جزء آخر من معتقده وهو أن الذي لا يؤمن بالرجعة وينكرها كافر عندهم، بسبب أنه لا يؤمنون بولاية علي أولاً، فهم مستكبرون عنه، ويتبع ذلك أنهم لا يؤمنون بالقائم من ذريته وهو الإمام الثاني عشر.

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الطور: ٤٧، قال: «(وإن للذين ظلموا _ آل محمد حقهم _ عذابا دون ذلك) قال عذاب الرجعة بالسيف»^٣.

وربما يسأل سائل عن هذا السيف على من يسلط فتحييك آية أخرى تعلن عن الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الشيعة على أعدائهم، ولا يظن أن هؤلاء الأعداء من غير المسلمين: فعند قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ القلم: ١٦، تراه يقول: في الرجعة

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٢٤.

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ٣٨٥.

٣ - المرجع السابق: ج ٢ / ٣١٠.

إذا رجع أمير المؤمنين عليه السلام ورجع أعداؤه فيسمهم بميسم معه كما توسم البهائم على الخراطوم والأنف والشفنتين «^١ وليس أعداؤه إلا من المسلمين.

وعند قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ المعارج: ١ ، يقول: «سئل أبو جعفر عليه السلام عن معنى هذا، فقال: نار تخرج من المغرب وملك يسوقها من خلفها حتى تأتي دار بني سعد بن همام عند مسجدهم، فلا تدع دارا لبني أمية إلا أحرقتها وأهلها، ولا تدع دارا فيها وتر لآل محمد إلا أحرقتها، وذلك المهدي عليه السلام»^٢ .

فهذا المهدي الذي يزعمون أنه يخرج لنصرتهم ولإهلاك عدوهم، ثم إنهم بعد يدعون أنه يرجع ليملا الأرض قسطاً وعدلاً.

وعند قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ الصف: ٨ ، يقول: «وقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ ، قال: بالقائم من آل محمد عليهم السلام، حتى إذا خرج يظهره الله على الدين كله حتى لا يعبد غير الله وهو قوله: "يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً"، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَكُمْ عَلَى تَحْرِيرِ نُجُوحِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ الصف: ١٠ ، فقالوا: لو نعلم ما هي لبذلنا فيها الأموال والأنفس والأولاد فقال الله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ الصف: ١١ ، إلى قوله: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الصف: ١٢ ، ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ الصف: ١٣ ، يعنى في الدنيا بفتح القائم وأيضا قال: فتح مكة»^٣ .

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٣٦٧ .

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ٣٧٤ .

٣ - المرجع السابق: ج ٢ / ٣٤٦-٣٤٧ .

الفصل الثالث:

المآخذ الفقهية في تفسير القمي. وفيه مباحث:

المبحث الأول: كتاب الطهارة.

المبحث الثاني: كتاب الصلاة.

المبحث الثالث: كتاب الزكاة.

المبحث الرابع: كتاب الصيام.

المبحث الخامس: كتاب المناسك.

المبحث السادس: كتاب النكاح.

المبحث السابع: كتاب الطلاق.

المبحث الثامن: كتاب الفرائض.

المبحث الأول:

كتاب الطهارة.

اتفق المسلمون على أن الكتاب والسنة هما الدعامتان والحجتان على الناس في الفقه وفي غيره من العلوم مما يحتاج إليه العباد في مجال الشريعة والعقيدة.

لكن مع اتفاق السنة والشيعة على ذلك إلا أنهم اختلفوا في الطريق إلى السنة وإلى تفسيرها وتخريج نصّها، فالجمهور من فقهاء المسلمين أخذوها عن طريق الصحابة رضي الله عنهم إذا صحّت أسانيدها، والشيعة لا يأخذونها إلا عن طريق علي رضي الله عنه فقط، حتى وإن لم تكن صحيحة، وربما عن أئمة أهل البيت وعن غيرهم إذا وافقت مذهبهم وإن لم تصح أسانيدها.

ومما لا شك فيه أن مرتكز الشيعة في تناول الفقه كان عبر كتب السنة، لكونها الأصل والأساس لهذا العلم، ثم لأن لها السبق في وضع الكتب الفقهية وأيضاً فإن أصحاب المذاهب الفقهية كلهم من السنة، ولذلك فأراء الشيعة مقتبسة من آراء السنة، والاختلاف الواقع من الشيعة كان بسبب ما اشتهر في مذهبهم من محاولة الاختلاف والخروج عن السنة في الأساس، ثم بسبب أن الشيعة لا تعمل إلا بما تدعي أنه روايات آل البيت، وإن كان روايته من الكذابين والوضّاعين كما أسلفنا، فتدع الصحيح وتعمل بالسقيم من الأخبار والآثار لمجرد الهوى والرأي وإثارة الشبهات.

والقمي قد يمثل مذهب قومه الفقهي، ولكنه في بعض الأحيان لا يتقيد بذلك المذهب بل يجتهد في بعض الأحكام بنفسه.

إلا أنك من خلال مطالعة تفسيره تلمح اهتمامه الكبير بالنواحي العقديّة أكثر، - فإنما وضع هذا التفسير لإثبات وخدمة معتقدات الشيعة - وعلى العكس من ذلك تماماً لا نلمس اهتماماً ملحوظاً بالنواحي الفقهية فالرجل ليس فقيهاً ولذلك لم يجنح للمسائل الفقهية إلا قليلاً - وأيضاً للهدف نفسه الذي من أجله وضع التفسير - وكان من المسائل

الفقهية التي تكلم فيها ما يتعلق بالوضوء وجاء ذكره في موضع واحد فقط وهو عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ المائدة: ٦ ، قال: « يعني من المرافق »^١

والذي ذكره القمي هو عين اعتقاد الشيعة بأن فرض الوضوء في الأيدي يبدأ من المرفق وينتهي بأطراف الأصابع والأنامل، وليس العكس، قال شيخهم الأنصاري: « (الفرض الثالث) من فروض الوضوء الثابتة بالكتاب، بل السنة والإجماع (غسل اليدين) والواجب غسل الذراعين و كذا غسل المرفقين، بناء على كون "إلى" في الآية بمعنى "مع" كما هو غير عزيز في الاستعمال، وإلا فيكفي السنة والإجماع المستفيضان، ففي رواية الهيثم بن عروة التميمي: "سأل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق) فقلت: هكذا؟ ومسحت من ظهر كفي إلى المرفق، فقال: ليس هكذا تنزيلها، إنما هي فاغسلوا وجوهكم وأيديكم من المرافق، ثم أمر يده من مرفقه إلى أصابعه".^٢

وفي الصحيح الحاكمي لوضوء رسول الله صلى الله عليه وآله: "فوضع الماء على مرفقه فأمر كفه على ساعده"^٣ وفي آخره: "فغرف بها غرفة فأفرغ على ذراعه اليمنى، فغسل بها ذراعه من المرفق إلى الكف لا يردّها إلى المرفق"^٤

وذكر الطوسي في تهذيب الأحكام: « عن أبي القاسم جعفر بن محمد عن محمد بن يعقوب عن محمد بن الحسين وغيره عن سهل بن زياد عن علي بن الحكم عن الهيثم بن عروة التميمي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق" فقال: ليس هكذا تنزيلها إنما هي فاغسلوا وجوهكم وأيديكم من المرافق، ثم أمر يده من مرفقه إلى أصابعه وعلى هذه القراءة يسقط السؤال من أصله»^٥

١ - تفسير القمي: ج ١/١٧١.

٢ - الوسائل: ج ١/٢٨٥، الباب ١٩ من أبواب الوضوء، الحديث الأول.

٣ - الوسائل: ج ١/٢٧٢، الباب ١٥ من أبواب الوضوء، الحديث ٢.

٤ - الوسائل: ج ١/٢٧٢، الباب ١٥ من أبواب الوضوء، الحديث ٣.

٥ - كتاب الطهارة للأنصاري: ج ٢/١٨٩ - ١٩٠ .

٦ - تهذيب الأحكام: ج ١/٥٧ .

والذي ذكره القمي وغيره من علماء مذهبهم لا يتفق مع معاني حروف الجر المعروفة في اللغة العربية، فحرف الجر (إلى) يفيد انتهاء الغاية، بينما على العكس من ذلك حرف الجر (من) فإنه يفيد ابتداء الغاية ومما يدل على ذلك ما جاء في الباب في علل البناء: «و(من) على أوجه: أحدها ابتداء غاية المكان كقولك: "سرت من البصرة فالبصرة مبتدأ السير وقال ابن السراج تكون (من) لابتداء غاية الفعل من الفاعل كما ذكرناه ولا ابتداء غاية الفعل من المفعول كقولك نظرت من الدار إلى الهلال من خلل السحاب ف(من الدار) مكان الفاعل و(من خلل السحاب) مكان المفعول، و(إلى) لانتهاء الغاية وهي مقابلة ل (من)»^١ وهذا ما يدل على عجمتهم وجهلهم الشديد باللغة العربية.

يقول ابن جرير الطبري: «وقال آخرون: إنما أوجب الله بقوله: "وأيديكم إلى المرافق" غسل اليدين إلى المرفقين، فالمرفقان غاية لما أوجب الله غسله من آخر اليد»^٢.

ولكن تجد جعفر السبحاني يحاول أن يأتي بجديد في المسألة حتى ينتصر لمذهبه فيقول: «إنّ أساس الاختلاف في الابتداء بالمرفقين إلى أصول الأصابع أو بالعكس عندهم إنما هو في تعيين متعلق (إلى) في الآية الكريمة، فهل هو قيد (للأيدي) أي المغسول، أو قيد للفعل أعني: (واغسلوا)؟»

فعلى الأوّل: تكون الآية بمنزلة قولنا: (الأيدي إلى المرافق) يجب غسلها، وإنّما جاء بالقيد لأنّ اليد مشترك تطلق على أصول الأصابع والزند والمرفق إلى المنكب، ولما كان المغسول محددًا إلى المرافق قيّدت اليد بقوله (إلى المرافق) ليفهم أنّ المغسول هو هذا المقدار المحدد من اليد ولولا اشتراك اليد بين المراتب المختلفة وأنّ المغسول بعض المراتب لما جاءت بلفظة (إلى) فالإتيان بها لأجل تحديد المقدار المغسول من اليد.

١- الباب علل البناء والإعراب: ج ١/١٣٤ - ١٣٥ .

٢ - جامع البيان: ج ١٠/٤٧ .

وعلى الثاني: أي إذا قلنا بكونه قيداً للأمر بالاغتسال، فرمّا يوحي إلى ضرورة الابتداء من أصول الأصابع إلى المرفقين، فكأنه سبحانه قال: (الأيدي) اغسلوها إلى المرافق.

ولكن لا يخفى ما في هذا الإيحاء من غموض، لما عرفت من أنّ المتبّع في نظائر هذه الأمثلة ما هو المتعارف وهو الابتداء من الأعلى إلى الأسفل.

أضف إلى ذلك: أنّه لو سلمنا أنّ حرف الجر قيد للفعل، لا نسلم أنّه بمعنى (إلى) الذي هو لانتهاه الغاية، بل يحتمل أن يكون بمعنى (مع) أي الأيدي اغسلوها مع المرافق، وليس هذا بعزيز في القرآن والأدب العربي.

يقول سبحانه: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ)»^١.

ويجاب على السبحاني في ذلك بعدة نقاط :

أولاً: أن (إلى) لم تأت لتعرف المقدار المغسول فقط وإنما جاءت أيضاً لتعرف اتجاه الغسل، يقول أبو حيان: «والظاهر أنّ التغيية بإلى تقتضي أن يكون انتهاء الغسل إلى ما بعدها، ولا يجوز الابتداء من المرفق حتى يسيل الماء إلى الكف، وبه قال بعض الفقهاء. وقال الجمهور: لا يخل ذلك بصحة الوضوء، والسنة أن يصبّ الماء من الكف بحيث يسيل منه إلى المرفق»^٢.

الثاني: الحقيقة أن متعلق إلى في الآية هو اغسلوها وبذلك يكون المقصد هو الابتداء بالأصابع والانتهاه بالمرفق كما هو معلوم، قال العكبري: «قوله تعالى: (إلى المرافق) قيل إلى بمعنى مع كقوله "ويزدكم قوة إلى قوتكم" وليس هذا المختار، والصحيح أنها على بابها وأنها لانتهاه الغاية، وإنما وجب غسل المرافق بالسنة وليس بينهما تناقض، لأن إلى تدل على انتهاء الفعل، ولا يتعرض بنفي الحدود إليه ولا بإثباته، ألا ترى أنك إذا قلت: سرت إلى الكوفة، فغير ممتنع أن تكون بلغت أول حدودها ولم تدخلها وأن تكون دخلتها، فلو قام الدليل على أنك دخلتها لم يكن مناقضا لقولك: سرت إلى الكوفة، فعلى هذا تكون إلى

١ - الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف - جعفر السبحاني: ج ١ / ٨٨ - ٨٩ .

٢ - تفسير البحر المحيط: ج ٤ / ٣٦٩ - ٣٧٠ .

متعلقة باغسلوا، ويجوز أن تكون في موضع الحال وتعلق بمحذوف، والتقدير: وأيديكم مضافة إلى المرافق»^١.

الثالث: أن السنة دلت على كيفية الغسل، فلقد ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن زيد بن عاصم الأنصاري كيفية وضوء النبي ﷺ ففي صحيح البخاري: «حدثنا موسى قال: حدثنا وهيب عن عمرو عن أبيه: شهدت عمرو بن أبي حسن سأل عبدالله بن زيد عن وضوء النبي ﷺ فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم وضوء النبي ﷺ فأكفأ على يده من التور فغسل يديه ثلاثاً ثم أدخل يده في التور فمضمض واستنشق واستنثر ثلاثاً بثلاث غرفات ثم أدخل يده فغسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين ثم أدخل يده فمسح رأسه فأقبل بهما وأدبر مرة واحدة ثم غسل رجليه إلى الكعبين»^٢

و الجدير بالذكر أن هذا القول ينسب على ما يزعمون من أنه في مصحف علي ﷺ "وأيديكم من المرافق" وهذا يؤيد ما يزعمون من دعوى تحريف القرآن التي ذكرناها سابقاً، والمعلوم المتواتر عن النبي ﷺ وأصحابه، وعن علي ﷺ في كيفية الوضوء إنما هو الموجود في المصحف بلفظه المتعارف عليه، فلا حاجة لغيره من الافتراءات.

١ - املاء ما من به الرحمن: ج ١ / ٢١٤.

٢ - صحيح البخاري: ج ١ / ٨٠ (١٩٤) كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدر والخشب والحجارة، صحيح مسلم: ج ١ / ١٤٥ (٥٧٨) كتاب الطهارة، باب في وضوء النبي ﷺ .
والتَّورُ: إناءٌ صغيرٌ، أو إناء يشبه الطشت مصنوع من نحاس أو حجارة. تاج العروس: ج ١ / ٢٥٦٠

أما المسألة الثانية في باب الطهارة: هي كفارة إتيان المرأة في الحيض.

قال القمي عند قوله تعالى: ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ البقرة: ٢٢٣ ، قال: « من أتى امرأته في الفرج في أول أيام حيضها فعليه أن يتصدق بدينار وعليه ربع حد الزاني خمسة وعشرون جلدة، وإن أتاها في آخر أيام حيضها فعليه أن يتصدق بنصف دينار ويضرب اثني عشر جلدة ونصف»^١.

والقمي فيما ذكره مجتهد في المسألة وليس هذا هو المذهب عند قومه وإنما المذهب ما ذكره شيخ مذهبهم الطوسي فقال: « ومن وطئ امرأته وهي حائض على علم بحالها أثم، ثم قال: وعليه أن يكفر إن كان وطؤه في أول الحيض بدينار قيمته عشرة دراهم فضة، وإن كان في وسطه كفر بنصف دينار، وإن كان في آخره كفر بربع دينار. ويدل عليه:

ما أخبر به أحمد بن محمد عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي الوشا عن عبد الله بن سنان عن حفص بن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله عمن أتى امرأته وهي طامث قال: يتصدق بدينار ويستغفر الله تعالى، هذا محمول على أنه إذا كان الوطء في أول الحيض، ألا ترى إلى: ما أخبرني به جماعة عن أبي محمد هارون بن موسى عن أحمد بن محمد بن سعيد عن علي بن الحسن بن فضال، وأخبرني أحمد بن عبدون عن علي بن محمد بن الزبير عن علي بن الحسن بن فضال عن محمد بن عيسى عن النضر بن سويد عن يحيى بن عمران الحلبي عن عبد الله بن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أتى حائضا فعليه نصف دينار يتصدق به، وهذا محمول على أنه إذا كان الوطء في وسط الحيض.

ثم قال: عن أحمد بن محمد بن محمد عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن صفوان عن أبان بن عثمان عن عبد الملك بن عمرو قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أتى جاريته وهي طامث قال: يستغفر ربه، قال عبد الملك فإن الناس يقولون عليه نصف دينار أو دينار فقال أبو عبد الله عليه السلام: فليصدق على عشرة مساكين، هذا محمول

١ - تفسير القمي: ج ١/٨١.

على أنه إذا كان الوطء في آخر الحيض لأنه لو كان في أوله أو وسطه لما عدل عن كفارة دينار أو نصف دينار، ولما كان آخر الحيض ورأى ما يلزمه من الكفارة الأولى أن يفرضه على عشرة مساكين أمره بذلك.

ثم قال: فإن لم يكن عنده ما يكفر فليصدق على مسكين واحد وإلا استغفر الله ولا يعود فإن الاستغفار توبة وكفارة لكل من لم يجد السبيل إلى شيء من الكفارة^١.

وقد ورد مثل ذلك عند أهل السنة منه ما رواه أبو داود بسند صحيح: «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ يَتَصَدَّقُ بِدِينَارٍ أَوْ بِنِصْفِ دِينَارٍ»^٢ وقال في بداية المجتهد: «(المسألة الثالثة) اختلف الفقهاء في الذي يأتي امرأته وهي حائض فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة: يستغفر الله ولا شيء عليه. وقال أحمد بن حنبل: يتصدق بدينار أو بنصف دينار، وقالت فرقة من أهل الحديث: إن وطئ في الدم فعليه دينار وإن وطئ في انقطاع الدم فنصف دينار، وسبب اختلافهم في ذلك اختلافهم في صحة الأحاديث الواردة في ذلك أو وهبها، وذلك أنه روي عن ابن عباس عن النبي ﷺ في الذي يأتي امرأته وهي حائض أن يتصدق بدينار، وروي عنه بنصف دينار، وكذلك روي أيضاً في حديث ابن عباس هذا أنه إن وطئ في الدم فعليه دينار وإن وطئ في انقطاع الدم فنصف دينار، وروي هذا الحديث يتصدق بخمسة دنانير وبه قال الأوزاعي فمن صح عنده شيء من هذه الأحاديث صار إلى العمل بها ومن لم يصح عنده شيء منها وهم الجمهور عمل على الأصل الذي هو سقوط الحكم حتى يثبت بدليل»^٣.

والناظر لهذه المسألة يجد أن الشيعة الإمامية تماثل السنة في هذا الرأي، فمن أتى امرأته وهي حائض فعليه أن يتصدق بدينار أو بنصف دينار كفارة لذلك على حسب

١ - تهذيب الأحكام للطوسي: ج ١/١٦٢ - ١٦٥.

٢ - سنن أبي داود: ج ١/١١٨ (٢٦٤) باب في إتيان الحائض كتاب الطهارة قال الشيخ الألباني صحيح، وكذلك في كتاب النكاح، باب في كفارة من أتى حائضاً ج ١: ٦٥٧، وأيضاً رواه أحمد في المسند، مسند عبدالله ابن العباس بن عبدالمطلب: ج ١/٢٢ (٢٠٣٢)، ج ١/٢٣٧ (٢١٢١). قال الشيخ شعيب الأرنؤو: "صحيح موقوفاً، وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين غير "مقسم" مولى ابن عباس فمن رجال البخاري .

٣ - بداية المجتهد: ج ١/٨٩.

وقت الحيض، ومن لا يستطيع فعليه أن يستغفر الله ولا يعود، فهذه من المسائل التي لا خلاف فيها، ولكن القمي أصر على أن يجعل منها مسألة خلافية عندما ذكر أن "عليه ربع حد الزاني خمسة وعشرين جلدة، أو أن يضرب اثني عشر جلدة ونصف" ولا أحد يقول بذلك من السنة، أو حتى من الشيعة، وقصده بذلك مجرد تحقيق مذهبه بالاختلاف على أهل السنة.

المبحث الثاني:

كتاب الصلاة

من المسائل الفقهية التي تعرض لها القمي أثناء تفسيره والمتعلقة بكتاب الصلاة،
مسألتان :

المسألة الأولى: في صلاة الخوف :

وقد جاء ذلك عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ البقرة: ٢٣٩
قال: «فهي رخصة بعد العزيمة للخائف أن يصلي راكباً وراجلاً، وصلاة الخوف على
ثلاثة وجوه، قال الله تبارك وتعالى: "﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً
مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن رَّرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ
أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ النساء: ١٠، فهذا وجه.
والوجه الثاني: من صلاة الخوف فهو الذي يخاف اللصوص والسباع في السفر فإنه
يتوجه إلى القبلة ويفتح الصلاة ويمر على وجه الأرض الذي هو فيه فإذا فرغ من القراءة
وأراد أن يركع ويسجد ولي وجهه إلى القبلة إن قدر عليه وإن لم يقدر عليه ركع وسجد
حيث ما توجه وان كان راكباً أوماً برأسه.

وصلاة المجالدة وهي المضاربة في الحرب إذا لم يقدر أن ينزل، يصلي ويكبر ولكل
ركعة تكبيرة ويصلي وهو راكب فان أمير المؤمنين عليه السلام صلى وأصحابه خمس صلوات
بصفين على ظهور الدواب لكل ركعة تكبيرة وصلى وهو راكب حيث ما توجهوا.
ومنها صلاة الحيرة على ثلاثة وجوه:

فوجه منها: هو أن الرجل يكون في مفازة ولا يعرف القبلة يصلي إلى أربعة جوانب.
والوجه الثاني: من فاتته الصلاة ولم يعرف أي صلاة هي فإنه يجب أن يصلي ثلاث
ركعات وأربع ركعات وركعتين ، فإن كانت المغرب فقد قضاها، وإن فاتته العتمة فقد قضاها

وإن كانت الفجر فقد قضاها وإن كانت الظهر والعصر فقد قامت الأربعة مقامها، ومن كان عليه ثوبان فأصاب أحدهما بول أو قدر أو جنابة ولم يدر أي الثوبين أصاب القدر، فإنه يصلي في هذا وفي هذا فإذا وجد الماء غسلهما جميعاً^١.

وهذا الذي ذكره القمي ليس كله من باب صلاة الخوف عند الإمامية وإنما صلاة الخوف كما ذكرها علماءهم على ضربين:

أحدهما: صلاة الخوف.

والثاني: صلاة شدة الخوف وهو الذي يسميه صلاة المطاردة والمسايقة .

فصلاة الخوف غير منسوخة بل فرضها ثابت، ولا يجوز إلا بثلاثة شرايط:

أحدها: أن يكون العدو في غير جهة القبلة بحيث لا يتمكن من الصلاة حتى يستدبر القبلة أو يكون عن يمينه وشماله .

والثاني: خوف العدو أن يتشاغلوا بالصلاة أكبوا عليهم، ولا يأمنون كثرتهم وغدرهم.

والثالث: أن يكون في المسلمين كثرة إذا افترقوا فرقتين كل فرقة تقاوم العدو حتى تفرغ الأخرى من صلاحها، وإذا ثبتت هذه الشروط قصرت الصلاة وصلت ركعتين واختلف أصحابنا، فظاهر أخبارهم تدل على أنه يقصر مسافراً كان أو حاضراً، ومنهم من قال: لا يقصر إلا بشرط السفر والإمام والمأموم سواء في أنه يجب عليهما ركعتين في جميع الصلاة إلا المغرب فإنها ثلاث ركعات على كل حال.

وكيفيتها أن يفترق القوم فرقتين: فرقة تقف بحذاء العدو، وفرقة أخرى تقوم إلى الصلاة، ويتقدم الإمام فيستفتح بهم الصلاة، ويصلي ركعة فإذا قام إلى الثانية وقف قائماً يقرأ ويطول قراءته ويصلون الذين خلفه الركعة الثانية، وينوون الانفراد بها ويتشهدون ويسلمون ويقومون إلى لقاء العدو، ويحجى الباقيون فيقفون خلف الإمام، ويفتتحون الصلاة بالتكبير، ويصلي الإمام الركعة الثانية بهم، وهي أولة لهم، فإذا جلس في تشهده قاموا هم إلى الركعة الثانية لهم فيصلونها، فإذا فرغوا منها تشهدوا، ثم يسلم بهم الإمام، وإن كانت

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٨٨ .

الصلاة صلاة المغرب صلى بالطائفة الأولى ركعة على ما قدمناه ويقف في الثانية ويصلون هم ما بقي لهم من الركعتين ويخفون فيها فإذا سلموا انصرفوا إلى لقاء العدو وجاء الباقي فاستفتحوا الصلاة بالتكبير، وصلى بهم الإمام الثانية له، وهي أوله لهم فإذا جلس في تشهده الأول جلسوا معه، وذكروا الله فإذا قام إلى الثالثة له قاموا معه، وهي ثانية لهم فيصلونها فإذا جلس للتشهد الثاني جلسوا معه وتشهدوا وهو أول تشهد لهم وخفوا، ثم قاموا إلى الثالثة لهم فيصلونها فإذا جلسوا للتشهد الثاني لهم وتشهدوا سلم بهم الإمام»^١.

وهي عند علماء أهل السنة: «إن كان في سفر، فإن شاء صلى بطائفة ركعتين ثم سلم وسلموا، ثم تأتي طائفة أخرى فيصلى بهم ركعتين ثم يسلم ويسلمون، وإن كان في حضر صلى بكل طائفة أربع ركعات.

وإن كانت الصبح صلى بكل طائفة ركعتين ويسلم بهم، وإن كانت المغرب صلى بكل طائفة ثلاث ركعات الأولى فرض الإمام، والثانية تطوع له.

وإن شاء في السفر أيضاً صلى بكل طائفة ركعة ثم تسلم تلك الطائفة ويجزئهما، وإن شاء هو سلم، وإن شاء لم يسلم، ويصلي بالأخرى ركعة ويسلم ويسلمون ويجزئهم، وإن شاءت الطائفة أن تقضي الركعة والإمام واقف فعلت، ثم تفعل الثانية أيضاً كذلك فإن كانت الصبح صلى بالطائفة الأولى ركعة ثم وقف ولا بد وقضوا ركعة ثم سلموا، ثم تأتي الثانية فيصلى بهم الركعة الثانية، فإذا جلس قاموا فقضوا ركعة ثم سلم ويسلمون فإن كانت المغرب صلى بالطائفة الأولى ركعتين، فإذا جلس قاموا فقضوا ركعة وسلموا وتأتي الأخرى فيصلى بهم الركعة الباقية، فإذا قعد صلوا ركعة ثم جلسوا وتشهدوا، ثم صلوا الثالثة ثم يسلم ويسلمون فإن كان وحده فهو مخير بين ركعتين في السفر أو ركعة واحدة وتجزئه، وأما الصبح فائتان ولا بد والمغرب ثلاث ولا بد، وفي الحضر أربع ولا بد سواء ههنا الخائف من طلب بحق أو بغير حق»^٢.

١ - المبسوط، للطوسي: ج ١/١٦٣ - ١٦٤ .

٢ - المحلى: ج ٥ / ٣٣ - ٣٤ .

وفي سبل السلام قال: « عن صالح بن خوات رضي الله عنه عمن (صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف: أن طائفة من أصحابه صلى الله عليه وسلم صفت معه وطائفة وجاه العدو. فصلى بالذين معه ركعة، ثم ثبت قائماً، وأتموا؛ لأنفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى، فصلى بهم الركعة التي بقيت، ثم ثبت جالساً، وأتموا لأنفسهم، ثم سلم بهم)¹.

وعن صالح بن خوات عن أبيه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَبِلَ نَجْد، فَوَازِنَا الْعَدُوَّ فَصَافِنَاهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَصَلَّى بِنَا، فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مَعَهُ، وَأَقْبَلَتِ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَدُوِّ، وَرَكَعَ بَيْنَ مَعَهُ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَكَانَ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَمْ تَصَلِّ، فَجَاءُوا فَرَكَعَ بِهِمْ رُكْعَةً، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَرَكَعَ رُكْعَةً، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ)².

وعن جابر رضي الله عنه قال: (شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، فصفنا صفين، صف خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعاً، ثم ركع وركعنا جميعاً، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعاً، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه، وأقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى السجود قام الصف الذي يليه)³.

وأيضاً ورد أن « رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلاها على صفات مختلفة وكلها مجزئة، وإذا اشتد الخوف والتحم القتال صلاها الراكب والراجل ولو إلى غير قبلة ولو بالإيماء، ثم إن صلاة الخوف قد وردت على أنحاء مختلفة قيل على ستة عشر، وقيل على سبعة عشر، وقيل ثمانية عشر، وقيل أقل من ذلك وقد صح منها أنواع فمنها:

- ١ - صحيح البخاري: ج ٤ / ١٥١٣ (٣٩٠٠) كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، وعند مسلم: ج ٢ / ٢١٤ (١٩٨٥) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، وهذا لفظ مسلم .
- ٢ - صحيح البخاري: ج ١ / ٣١٩ (٩٠٠) كتاب أبواب صلاة الخوف، باب صلاة الخوف، وعند مسلم: ج ٢ / ٢١٢ (١٩٧٩) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، واللفظ للبخاري .
- ٣ - سبل السلام: ج ٢ / ٤٤٧ .

- أنه صلى بكل طائفة ركعتين فكان للنبي ﷺ أربع وللقوم ركعتان وهذه الصفة ثابتة في الصحيحين من حديث جابر^١.
- ومنها أنه صلى بكل طائفة ركعة فكان له ركعتان وللقوم ركعة وهذه الصفة أخرجها النسائي بإسناد رجاله ثقات^٢.
- ومنها: (أنه صلى بهم جميعاً فكبر وكبروا وركع وركعوا ورفع ورفعوا ثم سجد وسجد معه الصف الذي يليه ثم قام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي ﷺ السجود والصف الذي يليه المنحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم وفعلوا كالركعة الأولى ولكنه قد صار الصف المؤخر مقدماً والمقدم مؤخراً ثم سلم النبي ﷺ وسلموا جميعاً) وهذه الصفة ثابتة في صحيح مسلم وغيره من حديث جابر ومن حديث أبي عياش الزرقى عند أحمد وأبي داود والنسائي^٣.
- ومنها: (أنه ﷺ صلى بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مواجهة للعدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام في أصحابهم مقبلين على العدو وجاء أولئك ثم صلى النبي ﷺ ركعة ثم سلم ثم قضى هؤلاء ركعة) وهذه الصفة ثابتة في الصحيحين من حديث ابن عمر^٤.
- ومنها: (أنها قامت مع النبي ﷺ طائفة وطائفة أخرى مقابل العدو وظهورهم إلى القبلة فكبر فكبروا جميعاً - الذين معه والذين مقابل العدو - ثم ركع ركعة واحدة وركعت الطائفة التي معه ثم سجد فسجدت التي تليه والآخرون قيام مقابل العدو، ثم قام وقامت
-
- ١ - في صحيح البخاري: ج ٤/١٥١٥ (٣٩٠٦) كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، وفي صحيح مسلم: ج ٢/٢١٥ (١٩٨٧) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف .
- ٢ - سنن النسائي: ج ١/١٨٧ (٥١٦) كتاب الصلاة، باب عدد صلاة الخوف والاختلاف فيها، عن الحسن بن أبي بكر .
- ٣ - سنن أبي داود: ج ١/٣٩٩ (١٢٤٦) كتاب الصلاة، باب من قال يصلي بكل طائفة ركعة ثم يسلم فيقوم كل صف، عن جابر، وفي مسند الإمام أحمد عن جابر ﷺ: ج ٣/٣١٩ (١٤٤٧٦) مسند جابر، وعن أبي عياش الزرقى ﷺ: ج ٤/٦٠ (١٦٦٣٢) حديث أبي عياش الزرقى، وفي سنن النسائي عن جابر ﷺ: ج ١/١٨٨ (٥١٧) عن جابر، كتاب الصلاة، باب عدد صلاة الخوف والاختلاف فيها، وعن أبي عياش الزرقى: ج ١/٥٩٧ (١٩٣٨) كتاب صلاة الخوف .
- ٤ - سبق تخريجه في الصفحة السابقة حاشية (٢).

الطائفة التي معه فذهبوا إلى العدو وقابلوهم وأقبلت الطائفة التي كانت مقابل العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله ﷺ كما هو ثم قاموا فركع ركعة أخرى فركعوا معه وسجد وسجدوا معه ثم أقبلت الطائفة التي كانت مقابل العدو فركعوا وسجدوا ورسول الله ﷺ قاعد ومن معه ثم كان السلام فسلم وسلموا جميعاً) فكان لرسول الله ﷺ ركعتان وللقوم لكل طائفة ركعتان وهذه الصفة أخرجها أحمد والنسائي وأبو داود^١.

ومنها: (أنه صلى ﷺ بطائفة ركعة وطائفة وجاه العدو ثم ثبت قائماً فأتوا لأنفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته فأتوا لأنفسهم فسلم بهم) وهذه الصفة ثابتة في الصحيحين: من حديث سهل بن أبي حنمه^٢.

وإنما اختلفت صلاته ﷺ في الخوف لأنه كان في كل موطن يتحرى ما هو أحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة .

وأما صلاة المغرب فقد وقع الإجماع على أنه لا يدخلها القصر ووقع الخلاف هل الأولى أن يصلى الإمام بالطائفة الأولى ركعتين والثانية ركعة أو العكس ولم يثبت في ذلك شيء عن النبي ﷺ وقد روي أن علياً رضي الله عنه صلاها ليلة الهزيم واختلفت الرواية في حكاية فعله كما اختلفت الأقوال، والظاهر أن الكل جائز إن صلى لكل طائفة ثلاث ركعات فيكون له ست ركعات وللقوم ثلاث ركعات فهو صواب قياساً على فعله في غيرها وقد تقرر صحة إمامة المنتقل بالمفترض.

وأما صلاة الخوف عند التحام القتال وهي التي يقال لها صلاة المساييف فقد أخرج البخاري عن ابن عمر في تفسير سورة البقرة بلفظ (فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالاً قياماً على أقدامهم أو ركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها) قال مالك قال نافع:

١ - رواه النسائي عن أبي هريرة: ج ١/ ٥٩٤ (١٩٣١) كتاب صلاة الخوف، وعنه أيضاً في سنن أبي داود ج ١ / ٣٩٦ (١٢٤٠) كتاب الصلاة، باب من قال يكبرون جميعاً وإن كان مستدبري القبلة، وفي مسند أحمد ج ٢ / ٣٢٠ (٨٢٤٣) مسند أبي هريرة .

٢ - صحيح البخاري: ج ٤ / ١٥١٣ (٣٩٠٠) كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، وعند مسلم: ج ٢ / ٢١٤ (١٩٨٥) كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف .

(لا أرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ) ^١ وأخرج أحمد وأبو داود بإسناد حسن عن عبد الله بن أنيس قال: (بعثني رسول الله ﷺ إلى خالد بن سفيان الهذلي وكان نحو عرنة وعرفات فقال: اذهب فاقتله قال فرأيته وقد حضرت صلاة العصر فقلت إني أخاف أن يكون بيني وبينه ما يؤخر الصلاة فانطلقت أمشى وأنا أصلي أو مئى إيماء نحوه فلما دنوت منه ... الحديث) ^٢ ومن البعيد أن لا يخبر النبي ﷺ بذلك ولو أنكره لذكر ذلك» ^٣.

والحاصل أنه لا خلاف بين مذهب الشيعة الإمامية وبين أهل السنة في هذه المسألة وإنما أراد القمي أن يظهر المخالفة بين الشيعة والسنة من باب وجوب مخالفة العامة - على حد زعمهم - فوق في مخالفة مذهبه ، فلم يذهب أحد من علماء الشيعة إلى ما نقله القمي عن صلاة الخوف بتلك الأوصاف التي أتى بها، وإنما أتوا بما يماثل مذهب السنة إلى حد كبير.

١ - صحيح البخاري: ج ٤/١٦٤٩ (٤٢٦١) كتاب التفسير ، سورة البقرة .

٢ - سنن أبي داود: ج ١/٤٠١ (١٢٤٩) كتاب الصلاة، ٤ باب صلاة الطالب، وعند أحمد: ج ٣/٤٩٦ (١٦٠٩٠) حديث عبد الله بن أنيس ﷺ.

٣ - الدراري المضية: ج ١/١٦٣ - ١٦٥.

المسألة الثانية: قصر الصلاة

وقد تعرض القمي لذكر ذلك فقال عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ النساء: ١٠١، « فإنه حدثني أبي عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "قال أمير المؤمنين عليه السلام ستة لا يقصرون الصلاة، الجبابة الذين يدورون في جبايتهم، والتاجر الذي يدور في تجارته من سوق إلى سوق، والأمير الذي يدور في إمارته والراعي الذي يطلب مواقع القطر ومنبت الشجر والرجل يخرج في طلب الصيد يريد لهواً للدنيا والمحارب الذي يقطع الطريق»^١

قبل مناقشة ما ذهب إليه القمي، يمكن بحث مسألة قصر الصلاة عند الشيعة الإمامية في عدة نقاط:

١- الأصل عندهم أن القصر في الصلاة عزيمة وليست رخصة ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة طويلة، ومن أتم عندهم الصلاة في السفر ينبغي عليه الإعادة، يقول الطوسي: «التقصير في السفر فرض وعزيمة، والواجب من هذه الصلوات الثلاث: الظهر والعصر والعشاء الآخرة ركعتان، فإن صلى أربعاً مع العلم وجب عليه الإعادة»^٢

ويقول جعفر السبحاني في ذلك: «لو كان الإتمام في السفر سائغاً لكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرب عنه بقول أو بفعل ولو بإتيانه في العمر مرة لبيان جوازه كما يفعل في غير هذا المورد.

ولو كان هناك ترخيص لما خفي على أكابر الصحابة حتى نقدوا من أتمها نقداً مرّاً. وبذلك تعلم قيمة تبرير عمل المتممين بأن الإتمام والقصر مسألة اجتهادية اختلف فيها العلماء»^٣

١ - تفسير القمي: ج ١/١٥٧.

٢ - الخلاف: ج ١/٥٦٩.

٣ - الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف: ج ١/٣٣٧، والحق أنه لم يخف علي الصحابة عليهم السلام كونها رخصة في السفر، ولم يعب المقصر علي المتمم في ذلك قال في المغني: « وللمسافر أن يتم ويقصر كما له أن يصوم ويفطر .

٢- وكون الأمر مستقرا عندهم بأن صلاة السفر عزيمة واجبة لا هي رخصة ولا سنة، فلماذا يخرج عن هذا الواجب بعض الأشخاص أو تمنع بعض الذوات منها فلا تلزمهم العزيمة وهي واجبة، فهذا يدل على التناقض في المذهب، فإذا كانت عزيمة على المسافر فلا يخرج منها أحد، اللهم إلا أن تكون رخصة، ففي هذه الحالة تكون مندوبة فمن شاء قصر الصلاة ومن لم يشأ لم يقصر، ومن سافر في إثم أو بغي فليس مرخص له بالقصر بل عليه الإتمام، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ البقرة: ١٧٣. وهذا ما يقول به أهل السنة، ويفهم كذلك من النصوص المذكورة.

وهؤلاء الذين ذكرهم القمي ومنع قصرهم للصلاة ليسوا كلهم من تمتع السنة قصرهم للصلاة ونجد ذلك معللاً مكتوباً في كتب السنة .

حيث قال ابن قدامة « وجملته أن الرخص المختصة بالسفر من القصر والجمع والفطر والمسح ثلاثاً والصلاة على الراحلة تطوعاً يباح في السفر الواجب والمندوب والمباح كسفر التجارة ونحوه وهذا قول أكثر أهل العلم، ثم إنه لا تباح هذه الرخص في سفر

والمشهور عن أحمد أن المسافر إن شاء صلى ركعتين وإن شاء أتم وروي عنه أنه توقف وقال : أنا أحب العافية من هذه المسألة ومن روي عنه الإتمام في السفر عثمان وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وابن عمر وعائشة رضي الله عنهم ولنا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ النساء: ١٠ ، وهذا يدل على أن القصر رخصة مخير بين فعله وتركه كسائر الرخص وقال يعلي بن أمية: "قلت لعمر بن الخطاب: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فقال: عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته" رواه مسلم: وهذا يدل على أنها رخصة وليس عزيمة، وروى الأسود عن عائشة أنها قالت: "خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة رمضان فأفطر وصمت وقصر وأتممت فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال: أحسنت" رواه أبو داود الطيالسي في مسنده وهذا صريح في الحكم ولأنه لو ائتم بمقيم صلى أربعاً وصحت الصلاة والصلاة لا تزيد بالائتمام، قال ابن عبد البر: وفي إجماع الجمهور من الفقهاء على أن المسافر إذا دخل في صلاة المقيم فأدرك منها ركعة أن يلزمه أربع دليل واضح على أن القصر رخصة إذ لو كان فرضه ركعتين لم يلزمه أربع بحال، وروى بإسناده عن عطاء عن عائشة: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتم في السفر ويقصر" وعن أنس قال: "كنا - أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - نساfer فيتم بعضنا ويقصر بعضنا ويصوم بعضنا ويفطر بعضنا فلا يعيب أحد على أحد" المغني :

المعصية كالإباق وقطع الطريق والتجارة في الخمر والمحرمات نص عليه أحمد^١ وهو مفهوم كلام الخرفي لتخصيصه الواجب والمباح وهذا قول الشافعي، وقال الثوري، والأوزاعي، وأبو حنيفة له ذلك، لأنه مسافر فأبيح له الترخص كالمطيع^٢.

أما من أراد إتمام رباعية لمن له قصرها فلا يكره لحديث عائشة "أتم النبي ﷺ وقصر"^٣، وبَيَّنَّ سلمان أن القصر رخصة بمحضر اثني عشر صحابياً، ولكن القصر أفضل من الإتمام نصاً لأنه ﷺ وخلفاءه داوموا عليه، وروى أحمد عن عمر "إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته"^{٤-٥}.

وللمسافر أن يتم إذا «كان ملاحاً - أي صاحب سفينة - معه أهله لاينوي الإقامة ببلد لزمه أن يتم لأن سفره غير منقطع مع أنه غير ظاعن عن وطنه وأهله، ومثله مكار وراع ورسول سلطان ونحوهم ويتم المسافر إذا مر بوطنه أو ببلد له بها امرأة أو كان قد تزوج فيه أو نوى الإتمام ولو في أثناءها بعد نية القصر»^٦

وروى البخاري في صحيحه قال: «حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر.

١ - قال الإمام أحمد: « والثاني : أن يكون السفر مباحاً فإن سافر لمعصية كالأبق وقطع الطريق والتجارة في خمر لم يقصر ولم يترخص بشيء من رخص السفر لأنه لا يجوز تعليق الرخص بالمعاصي لما فيه من الإعانة عليها والدعاية إليها ولا يرد الشرع بذلك » ، الكافي في فقه ابن حنبل: ج ١ / ٣٠٦ .

٢ - المغني: ج ٢ / ١٠٠ .

٣ - رواه الدارقطني وصححه: ج ٦ / ٧٧ (٢٣٢٢) كتاب الصيام.

٤ - رواه البيهقي بإسناد حسن « عن أبي ليلي الكندي قال: أقبل سلمان في اثني عشر راكبا من أصحاب النبي ﷺ فحضرت الصلاة فقالوا تقدم يا أبا عبد الله قال أنا لا نؤمكم ولا ننكح نساءكم إن الله هدانا بكم قال فتقدم رجل من القوم فصلى بنا أربعاً قال: فقال سلمان: "مالنا وللمربعة إنما كان يكفينا نصف المربعة ونحن إلى الرخصة أحوج" - فبين سلمان الفارسي بمشهد هؤلاء الصحابة أن القصر رخصة- السنن الكبرى للبيهقي: ج ٣ / ١٤٤ .

٥ - صحيح مسلم: ج ٢ / ١٤٣ (١٦٠٥) كتاب الصلاة، باب صلاة المسافرين .

٦ - شرح منتهى الإرادات: ج ٢ / ٢٤٣ .

٧ - الروض المربع: ج ١ / ٢١ .

قال الزهري فقلت لعروة ما بال عائشة تتم؟ قال تأولت ما تأول عثمان^١.

ومن العرض السابق نجد أن الاختلاف بين السنة والشريعة الإمامية، هو من جهة الإمامية بأنهم جعلوا رخصة قصر الصلاة في السفر عزيمة واجبة على المسافر، ولا أرى سبباً لتحويل الرخصة إلى عزيمة عندهم إلا لمحاولتهم الاختلاف على السنة كما هو ديدنهم في المخالفة والفرقة.

أما أهل السنة فكما هو معروف ومشهود له بالنصوص، لا يخرجون القصر في صلاة المسافر عن كونها رخصة، من أراد أن يقصر فله ومن أراد أن يتم فليفعل، ولكن يمنع القصر في حق من خرج باغياً أو معتدياً أو سافر سفر معصية، وأيضاً من كانت عادته السفر، فلا يستقر في موضع، ولا يستوطن في بلد.

١ - صحيح البخاري: ج ١ / ٣٦٩ (١٠٤٠) باب في كم يقصر الصلاة، (تأولت ما تأول عثمان) أي فهمت منه ما فهمه عثمان رضي الله عنه من جواز القصر والإتمام.

المبحث الثالث:

كتاب الزكاة

لم يذكر القمي في تفسيره الزكاة إلا أردفها بالخمسة، وذلك يمثل عقيدته في أن الخمسة واجب في كل مدخرات المرء مثله مثل الزكاة، فتجده يقول عند قوله تعالى: ﴿الْمَرَّةَ تَرَانَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تُوۡزِعُهُمْ آٰزًا﴾ مريم: ٨٣ «نزلت في مانعي الخمسة والزكاة والمعروف، يبعث الله عليهم سلطاناً أو شيطاناً فينفق ما يجب عليه من الزكاة والخمسة في غير طاعة الله ويعذبه الله على ذلك»^١.

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠، تجده يقول: «فإنها نزلت في مانع الزكاة والخمسة، حدثني أبي عن خالد عن حماد عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: "ما من ذي مال ذهب ولا فضة يمنع زكاة ماله أو خمسه إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قفر وسلط عليه سباعاً تريده وتحيد عنه فإذا علم أنه لا محيص له أمكنه من يده فقضمها كما يقضم الفحل وما من ذي مال إبل أو بقر أو غنم يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قفر ينطحه كل ذات قرن بقرتها وكل ذي ظلف بظلفها، وما من ذي مال نخل أو زرع أو كرم يمنع زكاة ماله إلا طوقه الله إلى يوم القيامة ورفع أرضه إلى سبع أرضين يقلده إياه»^٢. وإذا كان الخمسة عند الشيعة يماثل الزكاة، والأخيرة معروف أصنافها، وقد ذكرهم القرآن وعرفهم في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةَ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ التوبة: ٦٠، فهل

١ - تفسير القمي: ج ٢ / ٢٧.

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ٦٩.

الخمس عندهم له نفس الأصناف أم يختلف عنها، ذلك ما يفصح عنه القمي فيقول عند قوله تعالى: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ محمد: ٢٦ ، « قال دعوا بني أمية إلى ميثاقهم ألا يصيروا لنا الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله ولا يعطونا من الخمس شيئاً، وقالوا إن أعطيناهم الخمس استغنوا به فقال: سنطيعكم في بعض الأمر أي لا تعطوهم من الخمس شيئاً، ... ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ في أمير المؤمنين ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ ، يعني في الخمس أن لا يردوه في بني هاشم»^١ .

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ المدثر: ٤٤ ، قال: حقوق آل محمد من الخمس لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهم آل محمد عليهم السلام»^٢ .

والمقصود من الخمس هو دفع خمس المال لأصناف وردت في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الأنفال: ٤١ مع ملاحظة أن الزكاة تختلف عن الخمس، وهي محل خلاف بين أهل السنة والجماعة والشيعة، حيث يرى أهل السنة أن إخراجها واجب فقط في الركاك وغنائم الحرب، بينما يرى الشيعة أن وجوبها يشمل أيضاً كل مال يغنمه المسلم زائداً عن مؤنته السنوية.

فالخمس عند الإثني عشرية: « يقسم على ستة أسهم كالتالي :

سهم لله، وهذا السهم يذهب للإمام القائم مقام الرسول.

سهم للرسول، وهذا السهم يذهب للإمام القائم مقام الرسول.

سهم ذوي القربى، وهذا السهم يذهب للإمام القائم مقام الرسول.

سهم لليتامى، وهذا السهم يذهب لليتامى آل محمد.

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ٢٨٣ .

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ٣٨٦ .

سهم للمساكين، وهذا السهم يذهب لمساكين آل محمد.
 سهم لأبناء السبيل، وهذا السهم يذهب لأبناء سبيل آل محمد^١
 وقد جاء ذكر الخمس في كتاب الله ﷻ مرتين.
 الآية الأولى: في سورة الأنفال السابقة، وهي تتكلم عن معركة بدر، وأما الآية
 الأخرى فهي قوله تعالى: ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى
 وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ الحشر: ٧ ، وهي تتكلم
 عن خذلان بني النضير وخروجهم من ديارهم، فالآيتان في الجهاد، أي أن الخمس لا يكون
 إلا في الفبيء والغنائم.
 ولم تكن الغنائم تحل لمن مضى من الأمم ، وفي الحديث النبوي المتفق عليه : « أعطيت
 خمساً لم يعطهن نبي قبلي وأحللت لي الغنائم »^٢ وكانت الغنائم في أول الإسلام لرسول
 الله ﷺ لقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الأنفال: ١ ، ثم صار
 أربعة أخماسها للغانمين ، والخمس لغيرهم لقوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ
 خُمُسَهُ ﴾ الأنفال: ٤١ ، فأضاف الغنيمة إليهم وجعل الخمس لغيرهم.^٣
 أما الزكاة فهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم صريحة ورد فيها الأمر بدفعها وإيتائها .
 ثم إنه جاء تحريم الزكاة على آل بيت النبي ﷺ فلما حرم الله الزكاة على أهل البيت
 أبدلهم الخمس، وذلك في الفبيء والغنائم والركاز أما غير ذلك من المكاسب فلا ينبغي لهم

١ - مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي: ج ٤ / ٥٤٣ ، انظر وتأمل كيف تكون سرقة أموال المسلمين بحجة أنها
 للإمام القائم، وإذا سألت أين هو الإمام القائم؟ جاءتك الإجابة أن هناك شخص ينوب عنه وهو الذي يتسلم جميع
 هذه الأموال نيابة عنه، وبالتأكيد فهو محل ثقة من الإمام - الذي لا وجود له البتة - فأنظر كيف تكون السخرية
 بعقول البشر، والحمد لله والمنة على نعمة العقل والفهم .

٢ - الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: ج ٢ / ٢٦٤ ، ونص الحديث: عن يزيد بن صهيب الفقير عن جابر أن
 النبي ﷺ قال: " أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهرٍ وجعلت لي الأرض
 مسجداً وطهوراً فأبما رحل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي وأعطيت الشفاعة
 وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة .

٣ - المغني: ج ٧ / ٢٩٨ ، ٣١٢ ، باب قسمة الفبيء والغنيمة والصدقة .

قال رسول الله ﷺ عن الزكاة: «إنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد»^١. وإن أظهر دليل قاطع على أن الخمس لم يشرع في أرباح المكاسب، هو سيرة النبي ﷺ وسيرة الخلفاء رضوان الله عليهم من بعده بما فيهم علي رضي الله عنه، حيث لم يذكر أرباب السير الذين كتبوا سيرة النبي ﷺ ودونوا كل صغيرة وكبيرة عن سيرته وأوامره ونواهيه أن الرسول ﷺ كان يرسل جباته إلى أسواق المدينة ليستخرج من أموالهم خمس الأرباح مع أن أرباب السير يذكرون حتى أسامي الجبابة الذين كان الرسول ﷺ يرسلهم لاستخراج الزكاة من أموال المسلمين. وهكذا فإن الذين أرخوا حياة الخلفاء الراشدين بما فيهم علي رضي الله عنه لم يذكروا قط أن أحداً منهم كان يطالب الناس بخمس الأرباح أو أنهم أرسلوا جبابة لأخذ الخمس، كذلك ما روي عند الكافي: «عن عمر بن يزيد قال: رأيت مسمعاً بالمدينة وقد كان حمل إلى أبي عبد الله تلك السنة مالاً فرده أبو عبد الله... إلى أن قال: يا أبا سيار قد طيناه لك، وأحللناك منه

١ - روى مسلم عن مالك عن الزهري أن عبد الله بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين - قالوا لي وللفضل بن عباس - إلى رسول الله ﷺ فكلماه فأمرهما على هذه الصدقات فأديا ما يؤدي الناس وأصابا مما يصيب الناس - قال - فبينما هما في ذلك جاء علي بن أبي طالب فوقف عليهما فذكر له ذلك فقال علي بن أبي طالب لا تفعلوا فوالله ما هو بفاعل. فانتحاه ربيعة بن الحارث فقال والله ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا فوالله لقد نلت صهر رسول الله ﷺ فما نفسناه عليك. قال علي أرسلوهما. فانطلقا واضطجع علي - قال - فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه إلى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بأذناننا، ثم قال: «أخرجنا ما تصرران» ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش - قال - فتواكلنا الكلام ثم تكلم أحدنا فقال يا رسول الله: أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدي إليك كما يؤدي الناس ونصيب كما يصيبون - قال - فسكت طويلا حتى أردنا أن نكلمه - قال - وجعلت زينب تلمع علينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه - قال - ثم قال: «إن الصدقة لا تبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس ادعوا لي محمية - وكان على الخمس - ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب». قال فجاءه فقال لمحمية «أنكح هذا الغلام ابنتك». للفضل بن عباس فأنكحه وقال لنوفل بن الحارث «أنكح هذا الغلام ابنتك» لي فأنكحني وقال لمحمية «أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا»، قال الزهري ولم يسمه لي. صحيح مسلم: ج ٣ / ١١٨، باب ترك استعمال آل النبي ﷺ.

فضم إليك مالك وكل ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محللون حتى يقوم قائمنا^١ فمن الذي جعله واجباً بعد أن جعله الأئمة مباحاً للموالين.

إن ظاهرة شمول الخمس في الغنائم والأرباح معاً ظهرت في المجتمع الشيعي في أواخر القرن الخامس الهجري، فمنذ الغيبة الكبرى إلى أواخر القرن الخامس لا نجد في الكتب الفقهية الشيعية باباً للخمس أو إشارة إلى شمول الخمس في الغنائم والأرباح معاً، وهذا هو محمد بن الحسن الطوسي من أكابر فقهاء الشيعة في أوائل القرن الخامس ويعتبر مؤسس الحوزة الدينية في النجف، لم يذكر في كتبه الفقهية المعروفة شيئاً عن هذا الموضوع مع أنه لم يترك صغيرة أو كبيرة من المسائل الفقهية إلا وذكرها في تأليفه الضخمة، بل نجد على العكس من ذلك وجود بعض الروايات في الكتب الشيعية تدعم الرأي السني :

فعن أبي عبدالله جعفر الصادق أنه قال: «ليس الخمس إلا في الغنائم خاصة»^٢.

يقول ابن تيمية - رحمه الله - : « وقد تنازع العلماء في الخمس والفيء: فقال مالك وغيره من العلماء مصرف الخمس والفيء واحد، وهو فيما أمر الله به ورسوله وعين ما عينه من اليتامى والمساكين وابن السبيل تخصيصاً لهم بالذكر، وقد روى عن أحمد بن حنبل ما يوافق ذلك وأنه جعل مصرف الخمس من الركايز مصرف الفيء وهو تبع لخمس الغنائم.

وقال الشافعي وأحمد في الرواية المشهورة الخمس يقسم على خمسة أقسام.

وقال أبو حنيفة على ثلاثة فأسقط سهم الرسول وذوي القربى بموته ﷺ.

وقال داود بن علي بل مال الفيء أيضا يقسم على خمسة أقسام.

والقول الأول أصح الأقوال، وعلى ذلك تدل سنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه

الراشدين.

فقوله لله وللرسول في الخمس والفيء كقوله في الأنفال لله والرسول، فالإضافة للرسول

لأنه هو الذي يقسم هذه الأموال بأمر الله ليست ملكاً لأحد.

١ - أصول الكافي: ج ١ / ٤٠٨ (٣) كتاب التوحيد، باب أن الأرض كلها للإمام ﷺ، قال المجلسي: صحيح، مرآة العقول: ج ٤ / ٣٧٤.

٢ - وسائل الشيعة: ج ٦ / ٣٣٨ (١) كتاب الخمس، وأبواب ما يجب فيه، باب وجوب الخمس في غنائم دار الحرب وفي مال الحربي، والناصب وعدم وجوبه في غير الأشياء المنصوصة، وأنه يجب مرة واحدة.

وقول الرسول ﷺ: "إني والله لا أعطي أحداً ولا أمنه أحداً وإنما أنا قاسم أضع حيث أمرت"، يدل على أنه ليس بمالك للأموال وإنما هو منفذ لأمر الله ﷻ فيها. وذلك لأن الله خيره بين أن يكون ملكاً نبياً وبين أن يكون عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً، وهذا أعلى المنزلتين، فيكون ما يفعله عبادة لله وطاعة له ليس في قسمه ما هو من المباح الذي لا يثاب عليه بل يثاب عليه كله.

وقوله ﷺ: "يا أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم".^١

يؤيد ذلك قوله "لي" أي أمره "إلى" ولهذا قال والخمس مردود عليكم وعلى هذا الأصل فما كان بيده من أموال بني النضير وفدك^٢ وخمس خيبر وغير ذلك هي كلها من مال الفيء الذي لم يكن يملكه فلا يورث عنه وإنما يورث عنه ما يملكه بل تلك الأموال يجب أن تصرف فيما يحبه الله ورسوله من الأعمال وكذلك قال أبو بكر الصديق ﷺ.

وأما ما قد يظن أنه ملكه كمال أوصى له به مخيريق، وسهمه من خيبر فهذا إما أن يقال حكمه حكم المال الأول وإما أن يقال هو ملكه ولكن حكم الله في حقه أن يأخذ من المال حاجته وما زاد على ذلك يكون صدقة ولا يورث، كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: لا يقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً وما تركت بعد نفقة نسائي

١ - سنن النسائي: ج ٧ / ١٣١ (٤١٣٨) كتاب قسم الفيء، قال الشيخ الألباني: حسن صحيح .

٢ - فدك: بالتحريك وآخره كاف، قال ابن دريد فدك القطن تفديكا إذا نفشته وفدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً وذلك أن النبي ﷺ لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلا ثلث واشتد بهم الحصار راسلوا رسول الله ﷺ يسألونه أن يُنزلهم على الجلاء وفعل وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول الله أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة لرسول الله ﷺ وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة وهي التي قالت فاطمة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ نخلنيها فقال أبو بكر ﷺ أريد لذلك شهوداً ولها قصة. معجم البلدان: ج ٣ / ٣١٢.

ومؤنة عاملي فهو صدقة "١»^٢.

ويستفاد من قول ابن تيمية - رحمه الله - أن القول بأن الخمس يشمل الأرباح والمكاسب قول باطل ليس له أساس من الصحة، ولا يقول به علماء أهل السنة، بل لا يقول به جميع فقهاء الشيعة فإنه لم يتداول القول بذلك إلا بعد القرن الخامس الهجري، وهذا يدل على غرابة هذا القول وحدثته، بل إن من علماء الشيعة من يوافق رأي السنة، ويدعم ذلك قول الحلبي في وسائل الشيعة: "ليس الخمس إلا في الغنائم خاصة" وعلى ذلك فقد بطل رأي الشيعة في التمسك بصرف خمس المكاسب فيما يسمونه، خمس آل البيت، ولا يدفعهم إلى العمل بذلك إلا حشد الأموال الضخمة لمشايخهم وعلمائهم، بل قل سرقة أموال المسلمين تحت دعوى الخمس .

١ - صحيح البخاري: ج ٣ / ١٠٢٠ (٢٦٢٤) كتاب الوصايا، باب نفقة القيم للوقف، وأيضاً عن أبي هريرة: ج ٣ / ١١٢٨ (٢٩٢٩) كتاب الخمس، باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته، وفي كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ: " لا نورث ما تركناه صدقة " : ج ٦ / ٢٤٧٥ (٦٣٤٨) ، وعند مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبي ﷺ: " لا نورث ما تركناه صدقة " : ج ٥ / ١٥٦ (٦٣٤٨) .

٢ - منهاج السنة النبوية: ج ٤ / ٢١٢ - ٢١٥ .

المبحث الرابع:

كتاب الصيام

قال القمي عند قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ المائدة: ٩٥ ، « وأما قوله ﴿أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ ، فإنه حدثني أبي عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: "قال يوماً يا زهري من أين جئت؟ قلت من المسجد، قال: فيم كنتم، قلت تذاكرنا أمر الصوم فاجتمع رأيي ورأي أصحابي أنه ليس من الصوم شيء واجب إلا صوم شهر رمضان، فقال يا زهري ليس كما قلتم الصوم على أربعين وجهاً:

ف عشرة أوجه منها واجبة كوجوب شهر رمضان، وأربعة عشر وجهاً صاحبها فيها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر، وعشرة أوجه منها حرام، وصوم الأذن على ثلاثة أوجه، وصوم التأديب وصوم الإباحة وصوم السفر والمرض، فقلت فسرهن لي جعلت فداك، فقال: أما الواجب فصوم شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين فيمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً، وصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق واجب، قال الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ النساء: ٩٢ وقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ النساء: ٩٢ ، وصيام شهرين متتابعين في كفارة الظهار لمن لم يجد العتق واجب قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَا﴾ المجادلة: ٤ وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين واجب لمن لم يجد الإطعام قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ المائدة: ٨٩ ، كل ذلك متتابع وليس بمتفرق، وصيام أذى حلق الرأس واجب قال الله: ﴿أَوْ بِهِ أَذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ البقرة: ١٩٦ .

فصاحبها فيها بالخيار فإن شاء صام ثلاثة أيام، وصوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدى قال الله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحُجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحُجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة: ١٩٦، وصوم جزاء الصيد واجب قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ المائدة: ٩٥، أو تدري كيف يكون عدل ذلك صياما يا زهري؟ قلت: لا، قال: يُقَوِّمُ الصيد قيمته ثم تنقُض تلك القيمة على البر، ثم يكال ذلك البر أصواعا فيصوم لكل نصف صاع يوما، وصوم النذر واجب وصوم الاعتكاف واجب،... - ثم ذكر صوم السفر والمرض فقال - : وأما صوم السفر والمرض فإن العامة - يقصد أهل السنة - اختلفت في ذلك، فقال قوم يصوم وقال قوم إن شاء صام وإن شاء أفطر، وقال قوم لا يصوم، وأما نحن فنقول يفطر في الحالتين جميعاً فإن صام في السفر أو في حال المرض فهو عاص وعليه القضاء وذلك لأن الله يقول:

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ البقرة: ١٨٤»^١.

نستنتج مما ذكره القمي عدة أمور :

١- أن الصوم الواجب عنده هو:

- صيام شهر رمضان.

- وصيام شهرين متتابعين فيمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً.

- وصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق.

- وصيام شهرين متتابعين في كفارة الظهار لمن لم يجد العتق.

- وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين لمن لم يجد الإطعام.

- وصيام أذى حلق الرأس.

- وصوم دم المتعة لمن لم يجد الهدى.

- صوم جزاء الصيد.

- وصوم النذر .

- وصوم الاعتكاف.

وكلها صوم واجب عند أهل السنة والجماعة إلا في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: صوم يوم الاعتكاف:

ذكر القمي في أثناء ذكره للصيام الواجب "صوم الاعتكاف" والذي ذكره القمي هو المذهب عندهم فلا اعتكاف بلا صوم يقول الطوسي: « لا اعتكاف إلا بصوم ، روى ذلك محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمد عن داود بن الحصين عن أبي العباس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا اعتكاف إلا بصوم .

- وروى علي بن الحسن عن علي بن أسباط عن علاء بن رزين عن محمد بن مسلم

قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يكون الاعتكاف إلا بصيام .

وعنه عن العباس بن عامر عن عبد الله بن بكير عن عبيد ابن زرارة قال: قال أبو

عبد الله عليه السلام: لا يكون الاعتكاف إلا بصوم .

ثم قال: ولا اعتكاف أقل من ثلاثة أيام.

فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يكون الاعتكاف أقل من ثلاثة أيام،

ومن اعتكف صام، وينبغي للمعتكف إذا اعتكف أن يشترط كما يشترط الذي يحرم¹

وقد ذهب بعض أهل السنة كالحنفية والمالكية إلى أن الصوم شرط لصحة الاعتكاف قال في

المبسوط: « ومن شرط الاعتكاف الواجب الصوم عندنا، وهو مروى عن ابن عباس وعائشة

رضي الله عنهما أنهما قالوا: "لا اعتكاف إلا بصوم"، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ما اعتكف

١ - تهذيب الأحكام للطوسي: ج ٤ / ٢٨٨ - ٢٨٩ .

٢ - سنن أبي داود: ج ١ / ٧٤٩ (٢٤٧٣) كتاب الصيام، باب المعتكف يعود المريض، قال الشيخ الألباني:

حسن صحيح، وفي سنن البيهقي الكبرى: ج ٤ / ٣١٧ (٨٣٦٢) كتاب الصوم، باب المعتكف يصوم جميعها عن عائشة رضي الله عنها، وفي نفس الباب عن عطاء عن ابن عباس وابن عمر أنهما قالوا: "المعتكف يصوم" سنن

البيهقي الكبرى: ج ٤ / ٣١٨ (٨٣٦٨) .

إلا صائماً والأفعال المتفقة في الأوقات المختلفة لا تجري على نمط واحد إلا لداع يدعو إليه وليس ذلك إلا بيان أنه من شرائط الاعتكاف»^١.

ومن علماء السنة من ذهب إلى غير ذلك فترى الشافعية والحنابلة أنه لا يفترض الصيام في الاعتكاف، ودليلهم على ذلك ما رواه البخاري: «عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه نذر في الجاهلية أن يعتكف في المسجد الحرام، قال: أراه قال ليلة، قال: له رسول الله ﷺ: أوف بندرك»^٢، ولم يذكر صياماً، أي لم يأمره بصيام عند الاعتكاف.

وأيضاً ما رواه البخاري «عن عمرة بنت عبد الرحمن^٣ عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ ذكر أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان فاستأذنته عائشة فأذن لها وسألت حفصة عائشة أن تستأذن لها ففعلت فلما رأت ذلك زينب بنت جحش أمرت ببناء فبني لها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا صلى انصرف إلى بنائه فبصر بالأبنية فقال ما هذا، قالوا بناء عائشة وحفصة وزينب فقال رسول الله ﷺ: آلبر أردن بهذا؟ ما أنا بمعتكف، فرجع فلما أفطر اعتكف عشراً من شوال»^٤.

قال الإسماعيلي: «فيه دليل على جواز الاعتكاف بغير صوم لأن أول شوال هو يوم الفطر وصومه حرام»^٥.

وقد روي «عن ابن مسعود والحسن البصري والشافعي وأحمد وإسحاق أنه - أي الصوم - ليس بشرط قالوا يصح اعتكاف ساعة واحدة والحظة واحدة واستدلوا بما تقدم من

١ - المبسوط: ج ٤ / ١٦٦.

٢ - صحيح البخاري: ج ٢ / ٧١٨ (١٩٣٨) كتاب الاعتكاف، باب إذا نذر في الجاهلية أن يعتكف، وأيضاً: ج ٦ / ٢٤٦٤ (٦٣١٩) كتاب الأيمان والنذور، باب إذا نذر أو حلف ألا يتكلم، كلها عن ابن عمر رضي الله عنهما.

٣ - هي: عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة مدنية تابعة ثقة أكثر الرواية عن عائشة، الثقات للعجلي: ج ٢ / ٤٥٦ (٢٣٤٤)، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٥ / ٣٧.

٤ - صحيح البخاري: ج ٢ / ٧١٩ (١٩٤٠) كتاب الاعتكاف، باب من أراد أن يعتكف ثم بدا له أن يخرج ورواه مسلم في صحيحه: ج ٣ / ١٧٥ (٢٨٤٢) كتاب الاعتكاف، باب متى يدخل من أراد الاعتكاف، بلفظ: «آلبر تردن؟».

٥ - فتح الباري: ج ٤ / ٢٧٦.

أنه ﷺ اعتكف العشر الأول من شوال ومن جملتها يوم الفطر، ومحدث عمر، وأجابوا عن حديث عائشة المذكور في الباب من أنه موقوف عليها، وهذا هو الحق لا كما قال ابن القيم إن الراجح الذي عليه جمهور السلف أن الصوم شرط في الاعتكاف، وقد روي عن علي وابن مسعود أنه ليس على المعتكف صوم إلا أن يوجبه على نفسه ويدل على ذلك حديث ابن عباس^١ «^٢.

« وإذا قلنا إن الصوم شرط لم يصح اعتكاف ليلة مفردة ولا بعض يوم ولا ليلة وبعض يوم لأن الصوم المشترط لا يصح في أقل من يوم، يحتتمل أن يصح في بعض اليوم إذا صام اليوم كله لأن الصوم المشروط وجد في زمن الاعتكاف ولا يعتبر وجود المشروط في زمن الشرط كله »^٣.

والمراد من ذلك أن صوم الاعتكاف ليس بفرض كصيام رمضان - كما زعم - وإنما يمكن الاعتكاف بلا صوم ، ولكن لما كان الاعتكاف عبادة تتعلق بشهر رمضان فارتبط زمن الصوم بزمن الاعتكاف كما هو الحادث من فعل النبي ﷺ ، ولذلك اشترط من اشترط له الصيام ، ولكنه ليس بواجب، لأنه لم يذكر أن النبي ﷺ صام وهو معتكف في شوال، أو أمر عمر رضي الله عنه بالصوم للاعتكاف ولو كان واجباً لما خفي .

١ - ونص الحديث " عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : ليس على المعتكف صيام إلا أن يجعله على نفسه " قال البيهقي : تفرد به عبد الله بن محمد بن نصر الرملي هذا وقد رواه أبو بكر الحميدي عن عبد العزيز بن محمد عن أبي سهيل بن مالك قال: " اجتمعت أنا ومحمد بن شهاب عند عمر بن عبد العزيز وكان على امرأتي اعتكاف ثلاث في المسجد الحرام فقال بن شهاب لا يكون اعتكاف إلا بصوم ، فقال عمر بن عبد العزيز: أمن رسول الله ﷺ قال: لا قال فمن أبي بكر ، قال: لا قال: فمن عمر قال: لا قال: فمن عثمان، قال : لا ، قال أبو سهيل فانصرفت فوجدت طاوسا وعطاء فسألتهما عن ذلك فقال طاوس كان ابن عباس لا يرى على المعتكف صياما إلا أن يجعله على نفسه " . سنن البيهقي الكبرى : ج ٤ / ٣١٨ (٨٣٧٠) كتاب الصوم ، باب من رأى الاعتكاف بغير صيام.

٢ - نيل الأوطار : ج ٤ / ٣٥٧.

٣ - المغني : ج ٣ / ١٢٥.

المسألة الثانية : التابع في صيام أيام كفارة اليمين :

أما قول القمي: "وكل ذلك متتابعاً وليس بمفترق" بعد أن ذكر صيام الكفارات الواجبة، فهذا هو المذهب عند الشيعة الإمامية، يقول الطوسي: «صوم الثلاثة أيام في كفارة اليمين متتابع، لا يجوز التفريق فيه .

دليلنا: إجماع الفرقة وأخبارهم، وطريقة الاحتياط تقتضي ذلك، لأنه إذا تابع فلا خلاف أن الفرض سقط عنه، وإذا فرق فليس على براءة ذمته دليل، وروي في قراءة ابن مسعود: "فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات"، وفي قراءة أبي: "ثلاثة أيام متتابعة" وأقل ما في هاتين القراءتين أن تكونا بمنزلة خبر الواحد، فوجب العمل بما عند المخالف^١.

ويقول الحلبي: «كل الصوم يلزم فيه التابع إلا أربعة: صوم النذر المجرد عن التابع، وما في معناه من يمين وعهد، وصوم قضاء رمضان، وصوم جزاء الصيد، والسبعة في بدل المتعة»^٢.

والمسألة خلافية بين مذاهب أهل السنة فيرى التابع في صيام كفارة اليمين أبو حنيفة وأحمد في أحد قوليه، ولا يرى التابع الإمام الشافعي ومالك، قال في بدائع الصنائع: «الصوم المتتابع: فصوم رمضان، وصوم كفارة القتل، والظهار، والإفطار، وصوم كفارة اليمين عندنا، أما صوم كفارة القتل، والظهار: فلأن التابع منصوص عليه، قال الله تعالى في كفارة القتل: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ النساء: ٩٢ وقال ﴿وَعَلَىٰ كِفَارَةِ الظَّهَارِ﴾ القتال: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ المجادلة: ٤ ،

وأما صوم كفارة اليمين: فقد قرأ ابن مسعود رضي الله عنه (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات). وعند الشافعي: التابع فيه ليس بشرط، وقال رضي الله عنه في كفارة الإفطار بالجماع في حديث الأعرابي: صم شهرين متتابعين .

١ - الخلاف: ج ٦/١٤٢ - ١٤٣ .

٢ - تحرير الأحكام: ج ١ / ٥١١ .

وأما صوم شهر رمضان: فالأن الله تعالى أمر بصوم الشهر بقوله ﷺ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ البقرة: ١٨٥ ، والشهر متتابع لتتابع أيامه، فيكون صومه متتابعاً ضرورة، وكذلك الصوم المذكور به في وقت بعينه «^١.

وفي ذلك أيضاً يقول القرطبي عند قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ المائدة: ٨٩ ، قرأها ابن مسعود "متتابعات" فيقيد بها المطلق وبه قال أبو حنيفة والثوري وهو أحد قولي الشافعي واختاره المزني قياساً على الصوم في كفارة الظهر واعتباراً بقراءة عبدالله، وقال مالك والشافعي في قوله الآخر: يجزئه التفريق لأن التتابع صفة لا تجب إلا نص أو قياس على منصوص وقد عدما^٢.

أما في المغني فقد قال: «فإن لم يجد من هذه الثلاثة واحداً أجزاء صيام ثلاثة أيام متتابعة يعني - إن لم يجد طعاماً ولا كسوة ولا عتاق انتقل إلى صيام ثلاثة أيام - لقول الله تعالى: ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ كِسْوَتِهِمْ أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ﴾ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ المائدة: ٨٩، وهذا لا خلاف فيه إلا في اشتراط التتابع في الصوم وظاهر المذهب اشتراطه .

وحكي عن أحمد رواية أخرى أنه يجوز تفريقها وبه قال مالك و الشافعي في أحد قوليه لأن الأمر بالصوم مطلق ولا يجوز تقييده إلا بدليل ولأنه صام الأيام الثلاثة فلم يجب التتابع فيه كصيام المتمتع ثلاثة أيام في الحج.

ولنا أن في قراءة أبي وعبدالله بن مسعود: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" كذلك ذكره الإمام أحمد في التفسير عن جماعة وهذا إن كان قرآناً فهو حجة لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإن لم يكن قرآناً فهو رواية عن النبي ﷺ إذ يحتمل أن يكونا سماعاً من النبي ﷺ تفسيراً فظناه قرآناً فثبت له رتبة الخبر ولا ينقص عن درجة تفسير

١ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: ج ٤ / ١٤٠ .

٢ - الجامع لآيات الأحكام: ج ٦ / ٢٥٣ .

النبي ﷺ للآية، وعلى كلا التقديرين فهو حجة يصار إليه، ولأنه صيام في كفارة فوجب فيه التتابع ككفارة القتل والظهار والمطلق يحمل على المقيد^١.
والآية ليس فيها دليل على التتابع وإنما استفاد التتابع من قراءة ابن مسعود على ما ذكروا، "ثلاثة أيام متتابعات"، وهذا لا يلزم منه أن يكون صيام الأيام متتابعة، بحيث أنه لو لم يتابع في صيامها لم تصح كما هو الحال في صيام كفارة القتل أو الظهار لأنه جاء النص على تتابعها فيها، أما في صيام كفارة اليمين فلا مقيد للمطلق فيها، فيكون المرء على الخيار إما أن يتابع وإما أن يفرق، ويكون مستند التتابع هو العمل بقراءة ابن مسعود ومستند التفريق هو عدم تقييد المطلق.

يقول ابن جرير الطبري: « فأما ما روي عن أبيّ وابن مسعود من قراءةتهما: فصيام ثلاثة أيام متتابعات، فذلك خلاف ما في مصاحفنا، وغير جائز لنا أن نشهد لشيء ليس في مصاحفنا من الكلام أنه من كتاب الله، غير أني أختار للصائم في كفارة اليمين أن يتابع بين الأيام الثلاثة، ولا يفرق، لأنه لا خلاف بين الجميع أنه إذا فعل ذلك فقد أجزأ ذلك عنه من كفارته، وهم في غير ذلك مختلفون، ففعل ما لا يُختلف في جوازه، أحب إليّ، وإن كان الآخر جائزاً^٢. »

١ - المغني: ج ١١ / ٢٧٤.

٢ - جامع البيان: ج ١٠ / ٥٦٢.

المسألة الثالثة - صوم المسافر والمريض:

ترى الشيعة أن الواجب فيه الفطر ومن صام فهو عاص وعليه القضاء، وهذا هو المذهب عندهم.

يقول المحقق الحلبي: «لا يصح الصوم الواجب من المسافر وفي صحة الندب منه قولان، والكرهية أولى لقوله عليه السلام "ليس من البر الصيام في السفر".

ومن طريق أهل البيت عليهم السلام منها: رواية زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم في السفر في رمضان ولا غيره" وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: "عن الرجل يصوم صوماً قد وقته على نفسه فقال: "لا تصم في السفر ولا تقض شيئاً من صوم التطوع إلا ثلاثة الأيام التي كنت تصومها من كل شهر لأني أحب لك أن تدوم على العمل الصالح" وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "لا صيام في السفر" ^١.

هذا ما عليه الشيعة، أما صوم المسافر والمريض فليس بواجب عند أهل السنة والجماعة وإنما هو رخصة «يباح الفطر للمسافر بشرط أن يكون السفر مسافة تبيح قصر الصلاة، وبشرط أن يشرع فيه قبل طلوع الفجر بحيث يصل إلى المكان الذي يبدأ فيه قصر الصلاة قبل طلوع الفجر، فإن كان السفر لا يبيح قصرها لم يجز له الفطر، وهذان الشرطان متفق عليهما عند ثلاثة، وخالف الحنابلة في الشرط الأول فقالوا: إذا سافر الصائم من بلده في أثناء النهار، ولو بعد الزوال سافراً مباحاً يبيح القصر جاز له الإفطار، ولكن الأولى له أن يتم صوم ذلك اليوم» ^٢.

وروى البخاري في صحيحه «عن أنس بن مالك قال: كنا نساfer مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم» ^٣.

١ - المعتمر: ج ٢ / ٦٨٣ - ٦٨٤، ويمثل ذلك قال الطوسي في التهذيب: ج ١ / ٤١٣، وكذلك في الوسائل: ج ٧ / ١٤١، أبواب من يصح منه الصوم باب ١٠ (٦)، باب ١١ / ١٤٢ - ١٤٣ (١)، (٤).

٢ - الفقه على المذاهب الأربعة: ٣٢٤.

٣ - صحيح البخاري: ج ٢ / ٦٨٧، (١٨٤٥) كتاب الصوم، باب لم يعب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم بعضاً في الصوم والإفطار.

وأيضاً: « عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم وابن رواحة ^١ .

وروي مسلم في صحيحه « عن هشام عن أبيه عن عائشة - رضي الله عنها - أن حمزة بن عمرو الأسلمي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني رجل أسرد الصوم، أفأصوم في السفر قال: « صم إن شئت وأفطر إن شئت » ^٢ .

وروي الترمذي « عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة عام الفتح فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس معه فقيل له: إن الناس قد شق عليهم الصيام وإن الناس ينظرون فيما فعلت، فدعا بقدر من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه فأفطر بعضهم وصام بعضهم فبلغه أن ناساً صاموا فقال: أولئك العصاة، قال وفي الباب عن كعب بن عاصم وابن عباس وأبي هريرة .

قال أبو عيسى حديث جابر حديث حسن صحيح وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليس من البر الصيام في السفر" واختلف أهل العلم في الصوم في السفر فرأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم أن الفطر في السفر أفضل حتى رأى بعضهم عليه إعادة إذا صام في السفر، واختار أحمد وإسحق الفطر في السفر، وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم إن وجد قوة فصام فحسن وهو أفضل، هو قول سفيان الثوري ومالك بن أنس وعبد الله بن المبارك وقال الشافعي وإنما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وقوله - حين بلغه أن ناساً صاموا فقال - أولئك العصاة - فوجه

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ٦٨٦ (١٨٤٣) نفس الكتاب والباب، وأخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر رقم ١١٢٢ (إلا ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم وابن رواحة) أي ما وجد منهما فإنهما كانا صائمين .
٢ - صحيح مسلم: ج ٣ / ١٤٤ (٢٦٨٢) كتاب الصيام، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر عن عائشة رضي الله عنها، وروي عنها أيضاً بسند صحيح في سنن أبي داود: ج ١ / ٧٣٠ (٢٤٠٢) كتاب الصيام، باب الصوم في السفر، قال الألباني صحيح، وأيضاً في سنن الترمذي: ج ٣ / ٩١ (٧١١) كتاب الصوم، الرخصة في السفر، قال: أبو عيسى حديث عائشة أن حمزة بن عمرو سأل النبي صلى الله عليه وسلم حديث حسن صحيح .

هذا إذا لم يتحمل قلبه قبول رخصة الله، فأما من رأى الفطر مباحا وصام وقوي على ذلك فهو أعجب إلي «^١.

نخرج من ذلك كله أن الفطر في السفر رخصة عند أهل السنة، فمن أخذ بها فقد أخذ بما رخصه الله، ومن قوي على الصوم فصام ولم يأخذ بالرخصة وهو مقر بها فقد أخذ بالعزيمة وفي كل خير، وأما الشيعة فتراه واجباً لا مناص فيه فمن صام فهو عاص وعليه القضاء.

١ - سنن الترمذي: ج ٣/ ٨٩ (٧١٠) كتاب الصوم، باب كراهية الصوم في السفر، قال الشيخ الألباني: صحيح.

المبحث الخامس:

كتاب المناسك

يستحوذ الركن الخامس على شيء من اهتمام القمي، فيسجل فيه مسألتين فقهييتين وهما:

أولاً: مسألة فدية حلق الرأس لوجود أذي فيه .

وهو في هذه المسألة يغالط في تقدير هذه الفدية بدون استعانة بأدلة كما هي عادته في طرح الكلام على عواهنه بلا دليل فيقول عند قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ۖ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ البقرة: ١٩٦، « فإنه إذا عقد الرجل الإحرام بالتمتع بالعمرة إلى الحج وأحرم ثم أصابته غلة في طريقه قبل أن يبلغ إلى مكة ولا يستطيع أن يمضي، فإنه يقيم في مكانه الذي حوصر فيه ويبعث من عنده هدياً إن كان غنياً فبدنة وإن كان بين ذلك فبقرة وإن كان فقيراً فشاة، لا بد منها ولا يزال مقيماً على إحرامه، وإن كان في رأسه وجع أو قروح حلق شعره وأحل ولبس ثيابه ويفدي فيما أن يصوم ستة أيام أو يتصدق على عشرة مساكين أو نسك وهو الدم يعني: ذبح شاة»^١.

وليس هذا مذهب الإمامية، إنما المذهب عندهم كما رواه شيخهم الصدوق فقال: «مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كعب بن عجرة الأنصاري والقمل يتناثر من رأسه وهو محرم، فقال له: أتؤذيك هوامك؟ قال: نعم، فأنزلت هذه الآية ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ۖ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ البقرة: ١٩٦، فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخلق رأسه وجعل عليه الصيام ثلاثة أيام، والصدقة على ستة مساكين لكل مسكين مدان، والنسك شاة، وكل شيء في القرآن بلفظ «أو» فصاحبه فيه بالخيار»^٢.

١ - تفسير القمي: ج ١/ ٧٧ .

٢ - المقنع للصدوق: ٢٣٨ - ٢٣٩ .

وأيضاً ذكر الكليني في الكافي الرواية السابقة وذكر فيها مقدار الفدية فقال: « فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخلق وجعل الصيام ثلاثة أيام والصدقة على ستة مساكين لكل مسكين مدان والنسك شاة »^١.

والمعلوم أن الفدية بهذا المقدار عند أهل السنة وهذا ما رواه البخاري من حديث: «عبدالله بن معقل قال: جلست إلى كعب بن عجرة رضي الله عنه فسألته عن الفدية فقال: نزلت في خاصة وهي لكم عامة، حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال (ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى أو ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى تجد شاة)، فقلت لا فقال: "فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع"^٢.

فليس هناك مخالفة بين المعمول به بين السنة والشيعة في هذه المسألة ، وإنما الاختلاف نشأ من تقدير القمي الفدية بعيداً عن التقدير الصحيح ، إما لجهالته بها وبمقدارها، وإما لمحاولته مخالفة أهل السنة كما هي عادته من باب مخالفة الناصب.

١ - الكافي: ج ٤ / ٣٥٨ (٢) كتاب الحج، باب العلاج للمحرم إذا مرض أو أصابه جرح أو خراج أو علة، قال المجلسي: مرسل معتبر، مرآة العقول: ج ١٧ / ٣١٦.

٢ - صحيح البخاري: ج ٢ / ٦٤٥ (١٧٢١) أبواب الاحصار وجزاء الفداء، باب الإطعام في الفدية نصف صاع، وأيضاً صحيح البخاري: ج ٢ / ٦٤٤ (١٧١٩) في أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب قول الله تعالى: ﴿فَن كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِرَأْسِهِ فِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ البقرة: ١٩٦ عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، وعند مسلم عن عبدالله بن معقل: ج ٤ / ٢١ (٢٩٤٠) كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إن كان به أذى، وفي سنن أبي داود: ج ١ / ٥٧٤ (١٨٥٦) كتاب المناسك، باب في الفدية عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة .

المسألة الثانية: جزاء الصيد :

المسألة الأخرى التي طرحها القمي عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ المائدة: ٩٥ ، قال «فواجب لفظ الآية أن الفداء يجب على من قتل الصيد متعمداً وفي المعنى والتفسير يجب الجزاء على من قتل الصيد متعمداً أو خطأ»^١

وهذا ما عليه العمل عند الشيعة الإمامية، فجزاء الصيد عندهم على من تعمد أو أخطأ أو نسي سواء لا فرق بينهم، يقول الكليني في الكافي: « عن ابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى جميعاً، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تأكل من الصيد وأنت حرام وإن كان الذي أصابه محل، وليس عليك فداء ما أتته بجهالة إلا الصيد فإن عليك فيه الفداء بجهل كان أو بعمد»^٢.

ولكن ظاهر الآية يدل على أن الواجب في الفدية على المتعمد فقط، ولا يشمل ذلك الجاهل أو الناسي يقول القرطبي عند هذه الآية :

« ذكر الله سبحانه المتعمد ولم يذكر المخطئ والناسي، والمتعمد هنا هو القاصد للشيء مع العلم بالإحرام، والمخطئ هو الذي يقصد شيئاً فيصيب صيداً، والناسي هو الذي يتعمد الصيد ولا يذكر إحرامه واختلف العلماء في ذلك على خمسة أقوال:

الأول - ما أسنده الدراقطني عن ابن عباس قال: إنما التكفير في العمد وإنما غلظوا في الخطأ لئلا يعودوا^٣.

الثاني - أن قوله متعمداً خرج على الغالب فألحق به النادر كأصول الشريعة.

١ - تفسير القمي: ج ١/١٩١.

٢ - الكافي: ج ٤/٣٨١ (٣) كتاب الحج، باب النهي عن الصيد وما يصنع به إذا أصابه المحرم والمحل في المحل والحرم، قال المجلسي: حسن كالصحيح، وهو بجميع أجزائه مجمع عليه بين الأصحاب، مرآة العقول: ج ١٧/٣٦٣.

٣ - سنن الدراقطني: ج ٦/٣٣٠ (٢٥٦٩) كتاب الحج .

الثالث - أنه لا شيء على المخطئ والناسي، وبه قال الطبري وأحمد بن حنبل في إحدى روايته، وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وبه قال طاووس وأبو ثور وهو قول داود، وتعلق أحمد بأن قال: لما خص الله سبحانه المتعمد بالذكر دل على أن غيره بخلافه، وزاد بأن قال: الأصل براءة الذمة فمن ادعى شغلها فعليه الدليل .

الرابع - أنه يحكم عليه في العمد والخطأ والنسيان قاله ابن عباس، وروى عن عمر وطاووس والحسن و إبراهيم والزهري وبه قال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم قال الزهري: وجب الجزاء في العمد بالقرآن وفي الخطأ والنسيان بالسنة قال ابن العربي: إن كان يريد بالسنة الآثار التي وردت عن ابن عباس وعمر فعما هي وما أحسنها أسوة .

الخامس - أن يقتله متعمدا لقتله ناسيا لإحرامه - وهو قول مجاهد - لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ المائدة: ٩٥ قال: "ولو كان ذاكراً لإحرامه لوجب عليه العقوبة لأول مرة، قال: فدل على أنه أراد متعمدا لقتله ناسيا لإحرامه" قال مجاهد: "فإن كان ذاكراً لإحرامه فقد حل ولا حج له لارتكابه محذور إحرامه، فبطل عليه كما لو تكلم في الصلاة أو أحدث فيها" قال: ومن خطأ فذلك الذي يجزئه، ودليلنا على مجاهد أن الله سبحانه أوجب الجزاء ولم يذكر الفساد ولا فرق بين أن يكون ذاكراً للإحرام أو ناسيا له، ولا يصح اعتبار الحج بالصلاة فإنهما مختلفان، وقد روي عنه أنه لا حكم عليه في قتله متعمدا ويستغفر الله وحجه تام وبه قال ابن زيد ودليلنا على داود "أن النبي ﷺ سئل عن الضبع فقال: هي صيد" وجعل فيها إذا أصابها الحرم كبشا ولم يقل عمداً ولا خطأ وقال ابن بكير من علمائنا: قوله سبحانه: ﴿ مُتَّعِدًا ﴾ لم يرد به التجاوز عن الخطأ وإنما أراد متعمدا لبيان أنه ليس كابن آدم الذي لم يجعل في قتله متعمدا كفارة وأن الصيد فيه كفارة ولم يرد به إسقاط الجزاء في قتل الخطأ، والله أعلم^١ .

ومن كلام القرطبي يظهر أن هناك اختلافاً في الرأي بين المذاهب فذهب أحمد في رواية ومالك والشافعي وأبو حنيفة، إلى أن الجزاء كما يقع على المتعمد يقع على الناسي والجاهل، وخص أحمد العامد بالفعل لوقوع الجزاء دون الناسي والجاهل .

١ - الجامع لآيات الأحكام: ج٦/٢٨٠ .

والحقيقة أن ثمة اختلاف مذهبي واقع بين العلماء في هذه المسألة والمعمول به هو وقوع الجزاء على المتعمد للصيد ويلحق به الجاهل والناسي، وهذا ما ذكره في بدائع الصنائع فقال: « ويستوي فيه العمد والخطأ والذكر والنسيان عند عامة العلماء وعامة الصحابة »^١، وأيضاً مارواه البيهقي عن ابن جريج قال: قلت لعطاء قول الله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ المائدة: ٩٥ ، قال قلت له فمن قتله خطأ أيغرم قال: نعم يعظم بذلك حرمة الله ومضت به السنن^٢.

وأيضاً ما ذكره في شرح معاني الآثار فقال: « ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ المائدة: ٩٥ ، فأوجب عليه الجزاء المذكور في الآية، ولم يختلف أهل العلم في قاتل الصيد خطأ، أن عليه مثل ذلك، وأن ذكره العمد، لا ينفي الخطأ^٣ ».

وهذه المسألة من المسائل التي لاختلاف فيها بين السنة والشيعة، وذلك لعدم تعلقها بجانب اعتقادي يخص أحد الطرفين، أو يمس ناحية خلافية بين السنة والشيعة .

١ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: ج ٥ / ١٨٩ .

٢ - سنن البيهقي الكبرى: ج ٥ / ١٨٠ .

٣ - شرح معاني الآثار: ج ٤ / ٤٩٠ .

المبحث السادس:

كتاب النكاح.

مسألة زواج المتعة:

زواج المتعة أحد فضائح الشيعة الاثني عشرية الذي يزعمون تحليله ويفتخرون بفعله بل ويجعلونه عبادة يتقربون بها إلى الله عز وجل، ويعرف هذا النكاح عندهم: بأنه الزواج المؤقت، والاتفاق السري بين الرجل والمرأة على ممارسة الجنس بينهما، بشرط واحد فقط، وهو ألا تكون المرأة في عصمة رجلٍ آخر، وحينئذ يجوز نكاحها بعد أداء صيغة الزواج^١ بين الرجل والمرأة المتمتع بها، حيث لا يحتاج الأمر فيه إلى شهود ولا إعلان، بل ولا حتى إذن وليها، يقول شيخهم الطوسي: "يجوز أن يتمتع بها من غير إذن أبيها وبلا شهود، ولا إعلان"^٢.

ويقول القمي في تفسيره في محاولة منه إلى تحريف النص القرآني بما يوافق معتقدتهم في زواج المتعة: "فما استمتعتم به منهن - إلى أجل مسمى - فآتوهن أجورهن فريضة" قال الصادق عليه السلام: «فهذه الآية دليل على المتعة»^٣.

ثم إن القمي لم يكتف بأن أشار إلى تحليل هذه الجريمة بل من الفوارق المضحكة أن يجعل للمتمتع بها عدة شرعية تعدد بها فقال: «وعدة المتعة خمسة وأربعون يوماً»^٤. أي على النصف من عدة اللائي لم يحضن.

١ - روى شيخهم الكليني في الفروع من كتابه الكافي أن جعفر الصادق سئل: كيف أقول لها إذا خلوت بها؟ قال: تقول: أتزوجك متعة على كتاب الله وسنة نبيه، لا واردة ولا موروثه، كذا وكذا يوماً، وإن شئت كذا وكذا سنة، بكذا وكذا درهماً، وتسمي من الأجر ما تراضيتما عليه قليلاً كان أم كثيراً: ج ٥/٤٥٥ (٣)، كتاب النكاح باب شروط المتعة، قال المجلسي: مجهول، مرأة العقول: ج ٢٠/٢٣٧.

٢ - النهاية: ٤٦٥، ٤٩٠.

٣ - تفسير القمي: ج ١/١٤٤، والآية في المصحف: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ النساء: ٢٤.

٤ - تفسير القمي: ج ١/٨٧.

وهذا هو مذهبهم المنحل، ثم إن الطوسي أفرد لتحليله باباً أسماه "باب تحليل المتعة" وجاء فيه من الأخبار التي افتروها على جعفر الصادق فقال:

١ - محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد وعلي بن إبراهيم عن أبيه جميعاً عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المتعة؟ فقال: نزلت في القرآن: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ النساء: ٢٤.^١

٢ - عنه عن محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن ابن مسكان قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان علي عليه السلام يقول: لولا ما سبقني إليه ابن الخطاب ما زني إلا شقي.^٢

٣ - عنه عن محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد عن علي بن الحكم عن أبان بن عثمان عن أبي مريم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله صلى الله عليه وآله.^٣

٤ - عنه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن علي السبائي قال قلت: لأبي الحسن عليه السلام جعلت فداك إني كنت أتزوج المتعة فكرهتها وتشاءمت بها فأعطيت الله عهداً بين الركن والمقام وجعلت علي في ذلك نذراً وصياماً ألا أتزوجها ثم إن ذلك شق علي وندمت علي يميني ولكن بيدي من القوة ما أتزوج في العلانية، قال: "فقال لي: عاهدت الله أن لا تطيعه والله لئن لم تطعه لتعصينه"^٤.

١ - الكافي: ج ٥ / ٤٤٨ (١)، كتاب النكاح، أبواب المتعة، قال المجلسي: حسن كالصحيح، مرآة العقول: ج ٢٠ / ٢٢٥.

٢ - التهذيب: ج ٢ / ١٨٦، الكافي: ج ٥ / ٤٤٨ (٢)، كتاب النكاح، أبواب المتعة، قال المجلسي: مجهول، مرآة العقول: ج ٢٠ / ٢٢٧.

٣ - التهذيب: المرجع السابق، الكافي: ج ٥ / ٤٤٩ (٥) نفس الكتاب والباب قال المجلسي: مجهول، مرآة العقول: ج ٢٠ / ٢٢٨.

٤ - التهذيب: ج ٢ / ١٨٦، الكافي: ج ٥ / ٤٥٠ (٧) نفس الكتاب والباب، قال المجلسي: حسن، مرآة العقول: ج ٢٠ / ٢٢٩.

٥- فأما ما رواه محمد بن أحمد بن يحيى عن أبي الجوزا عن الحسين بن علوان عن عمرو ابن خالد عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: حرم رسول الله صلى الله عليه وآله لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة، فالوجه في هذه الرواية أن نحملها على التقيية لأنها موافقة لمذاهب العامة والأخبار الأولية موافقة لظاهر الكتاب وإجماع الفرقة المحقة على موجبها فيجب أن يكون العمل بها دون هذه الرواية الشاذة^١»^٢.

فضل نكاح المتعة ومكانته عند الشيعة:

إن الشيعة الاثني عشرية، قد وضعوا أحاديث وروايات تُرغب وتدعو إلى نكاح المتعة، حتى جعلوا ممارسة هذه الفاحشة، واستحلال فروج النساء سراً، من أعظم القربات والطاعات التي يتقرب بها الشيعة إلى الله تعالى.

فزعموا أن الله عَلَيْكَ يغفر للمتمتع، بعد فراغه من هذه الجريمة، وقيامه من هذه الفاحشة بقدر الماء الذي مر على رأسه عند اغتساله، فقد روى إمامهم المجلسي ما نصه: «عن صالح بن عقبة عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: للمتمتع ثواب؟

قال: إن كان يريد بذلك وجه الله تعالى وخلافاً على من أنكرها لم يكلمها- يقصد المرأة التي يرتكب معها هذه الفاحشة - كلمة إلا كتب الله له بها حسنة، ولم يمد يده إليها، إلا كتب الله له حسنة، فإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنباً، فإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما صب من الماء على شعره، قلت: بعدد الشعر؟! قال: بعدد الشعر^٣.

ولكن الحقيقة أن زواج المتعة لا يقبله عاقل ولو كان جائزاً أو مقبولاً عند ذي مروءة لقام بها أئمتهم الاثني عشرية ولكن لم يثبت لأحد منهم أن قام بها بعد أن نهى عنه النبي ﷺ، بل لا تقبل الأنفس الزكية أن تقوم بناته وأخواته بهذه الشنعة، ويروي الكليني في الكافي عن: «علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة قال: جاء عبدالله بن عمير الليثي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: ما تقول في متعة النساء؟ فقال:

١ - التهذيب : ج ٢ / ١٨٦ .

٢ - الاستبصار للطوسي : ج ٣ / ١٤١ - ١٤٧ .

٣ - بحار الأنوار : ج ١٠٠ / ٣٠٦ .

أحلها الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله فهي حلال إلى يوم القيامة فقال: يا أبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرّمها عمر ونهى عنها؟! فقال: إن كان فعل، قال: إني أعينك بالله من ذلك أن تحل شيئاً حرّمه عمر، قال: فقال له: فأنت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله فهلّم ألعنك أن القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأن الباطل ما قال صاحبك، قال: فأقبل عبدالله ابن عمير فقال: يسرك أن نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمك يفعلن، قال: فأعرض عنه أبو جعفر عليه السلام حين ذكر نساءه وبنات عمه^١.

هذا ما نقله الكليني عن أحد أئمتهم، ولم ينقل عن مشايخهم أو علمائهم ثبوت وقوع ذلك عن أئمتهم أو استشهادهم بفعل واحد من الأئمة على ثبوته وحله وعدم تحرّمه، وإنما كل ما حاولوا إثباته يدل على ميل نفوسهم المريضة للهوى والشهوات.

إباحة نكاح المتعة طرفاً من الإسلام :

والإجماع عند أهل السنة على أن نكاح المتعة كان مباحاً طرفاً من الإسلام ثم حرّمه النبي ﷺ بعد ذلك ويدل على إباحته ثم نسخه ما رواه مسلم في صحيحه قال: «... سمعت عبدالله يقول كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء فقلنا ألا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ عبدالله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المائدة: ٨٧»^٢.

ثم يروي البخاري في صحيحه النهي عنه فيقول: «عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية»^٣.

وجاء في شرح مسلم «قال المازري: ثبت أن نكاح المتعة كان جائزاً في أول الإسلام ثم ثبت أنه نسخ وانعقد الإجماع على تحرّمه ولم يخالف فيه إلا طائفة من المستبدعة وتعلقوا

١ - الكافي: ج ٥/٤٤٩ (٤)، كتاب النكاح، باب المتعة، قال المجلسي: حسن، مرآة العقول: ج ٢٠/٢٢٨.

٢ - صحيح مسلم: ج ٤/١٣٠ (٣٤٧٦) كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيض ثم نسخ ثم أبيض ثم نسخ.

٣ - صحيح البخاري: ج ٤/١٥٤٤ (٣٩٧٩) كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

بالأحاديث الواردة في ذلك وقد ذكرنا أنها منسوخة فلا دلالة لهم فيها وتعلقوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ النساء: ٢٤ وفي قراءة ابن مسعود، "فما استمتعتم به منهن إلى أجل" وقراءة ابن مسعود هذه شاذة لا يحتج بها قرآناً ولا خبراً ولا يلزم العمل بها، ثم قال: واختلفت الرواية في صحيح مسلم في النهي عن المتعة ففيه أنه ﷺ نهي عنها يوم خيبر وفيه أنه نهي عنها يوم فتح مكة فإن تعلق بهذا من أجاز نكاح المتعة وزعم أن الأحاديث تعارضت وأن هذا الاختلاف قاذح فيها قلنا هذا الزعم خطأ وليس هذا تناقضاً لأنه يصح أن ينهى عنه في زمن ثم ينهى عنه في زمن آخر توكيداً، أو ليشتهر النهي ويسمعه من لم يكن سمعه أولاً فسمع بعض الرواة النهي في زمن وسمعه آخرون في زمن آخر فنقل كل منهم ما سمعه، وأضافه إلى زمان سماعه، هذا كلام المازري.

قال القاضي عياض: روى حديث إباحة المتعة جماعة من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن مسعود وابن عباس وجابر وسلمة بن الأكوع وسيرة بن معبد الجهني وليس في هذه الأحاديث كلها أنها كانت في الحضر وإنما كانت في أسفارهم في الغزو عند ضرورتهم وعدم النساء مع أن بلادهم حارة وصبرهم عنهن قليل^١، وقد ذكر في حديث ابن عمر أنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة ونحوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه وذكر مسلم عن سلمة بن الأكوع إباحتها يوم أوطاس ومن رواية سيرة إباحتها يوم الفتح^٢ وهما واحد ثم حرمت يومئذ وفي حديث عليّ تحريمها يوم خيبر وهو قبل الفتح وذكر غير مسلم عن عليّ أن النبي ﷺ نهي عنها في غزوة تبوك من رواية إسحاق بن راشد عن الزهري عن عبدالله بن محمد بن علي عن أبيه عن علي ولم يتابعه أحد على هذا وهو غلط

١ - صحيح مسلم: ج ٤ / ١٣١ (٣٤٨٤) كتاب النكاح ، باب نكاح المتعة وبيان ...، عن سلمة بن الأكوع
 ٢ - عن سيرة أنه قال: أذن لنا رسول الله ﷺ بالمتعة فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر كأنها بكره عطاء فعرضنا عليها أنفسنا فقالت: ما تعطى فقلت رداً. وقال صاحبي رداً. وكان رداء صاحبي أجود من رداً و كنت أشب منه فإذا نظرت إلى رداء صاحبي أعجبها وإذا نظرت إلى أعجبته، ثم قالت: أنت ورداؤك يكفيني. فمكثت معها ثلاثاً ثم إن رسول الله ﷺ قال: « من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع فليخل سبيلها ». صحيح مسلم: ج ٤ / ١٣١ (٣٤٨٥)، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان ...

منه، وهذا الحديث رواه مالك في الموطأ وسفيان بن عيينة والعمري ويونس وغيرهم عن الزهري وفيه يوم خيبر وكذا ذكره مسلم عن جماعة عن الزهري وهذا هو الصحيح. وذكر الرواية بإباحتها يوم حجة الوداع خطأ لأنه لم يكن يؤمئذ ضرورة ولا عزوبة وأكثرهم حجوا بنسائهم والصحيح أن الذي جرى في حجة الوداع مجرد النهي كما جاء في غير رواية ويكون تجديده ﷺ النهي عنها يؤمئذ لاجتماع الناس وليبلغ الشاهد الغائب ولتمام الدين وتقرر الشريعة كما قرر غير شيء وبين الحلال والحرام يؤمئذ وبث تحريم المتعة حينئذ لقوله إلى يوم القيامة، قال القاضي: ويحتمل ما جاء من تحريم المتعة يوم خيبر وفي عمرة القضاء ويوم الفتح ويوم أوطاس^١ أنه جدد النهي عنها في هذه المواطن لأن حديث تحريمها يوم خيبر صحيح لا مطعن فيه، بل هو ثابت من رواية الثقات الأثبات لكن في رواية سفيان أنه نهي عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، فقال بعضهم هذا الكلام فيه انفصال ومعناه أنه حرم المتعة ولم يبين زمن تحريمها ثم قال ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر فيكون يوم خيبر لتحريم الحمر خاصة ولم يبين وقت تحريم المتعة ليجمع بين الروايات، قال هذا القائل: وهذا هو الأشبه أن تحريم المتعة كان بمكة وأما لحوم الحمر فبخيبر بلا شك^٢. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « نكاح المتعة الذي اتفق الأئمة الأربعة وغيرهم على تحريمه وإن كان طائفة يرخصون فيه، إما مطلقاً وإما للمضطر كما قد كان ذلك في صدر

١ - قال البيهقي: « وعام أوطاس وعام الفتح واحد فأوطاس وإن كانت بعد الفتح فكانت في عام الفتح بعده ييسر فما نهي عنه لا فرق بين أن ينسب إلى عام أحدهما أو إلى الآخر وفي رواية سيرة بن معبد ما دل على إن الإذن فيه كان ثلاثاً ثم وقع التحريم كهو في رواية سلمة بن الأكوع فروايتهما ترجع إلى وقت واحد ثم إن كان الإذن في رواية سلمة بن الأكوع بعد الفتح في غزوة أوطاس فقد نقل نهيها عنها بعد الإذن فيها ولم يثبت الإذن فيها بعد غزوة أوطاس فبقى تحريمها إلى الأبد والله أعلم - فان زعم زاعم أنه نهي بضم النون وكسر الهاء وأن المراد بالناهي في حديث سلمة بن الأكوع عمر بن الخطاب ﷺ فالمحفوظ عندنا ثم نهي بفتح الهاء والنون ورأيت في كتاب بعضهم بالألف ثم نها عنها بعد على أنها إن كانت الرواية نهي بضم النون وكسر الهاء فيحتمل أن يكون المراد بالناهي رسول الله ﷺ ويحتمل عمر ﷺ ورواية الربيع بن سبرة عن أبيه قاطعة بأن الناهي عنها في هذا العام رسول الله ﷺ فتكون أولى من رواية من أهمه « السنن الكبرى للبيهقي: ج ٧ / ٢٠٤.

٢ - شرح النووي على مسلم: ج ٩ / ١٧٩-١٨١.

الإسلام ، فالصواب أن ذلك منسوخ كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ بعد أن رخص لهم في المتعة عام الفتح قال: "إن الله قد حرم المتعة إلى يوم القيامة" .

والقرآن قد حرم أن يطأ الرجل إلا زوجة أو مملوكة بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۗ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۗ فَمَنْ أَتْبَغَىٰ وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۗ ﴾ المؤمنون: ٥ - ٧ .

وهذه المستمتع بها ليست من الأزواج ولا من ملكت اليمين فإن الله قد جعل للأزواج أحكاماً من الميراث والاعتداد بعد الوفاة بأربعة أشهر وعشر وعدة الطلاق ثلاثة قروء ونحو ذلك من الأحكام التي لا تثبت في حق المستمتع بها فلو كانت زوجة لثبت في حقها هذه الأحكام، ولهذا قال من قال من السلف إن هذه الأحكام نسخت المتعة «^١ .

قال القرطبي: « واختلف العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ كَفَرِيضَةٍ ﴾ النساء: ٢٤ الآية فقال الحسن ومجاهد وغيرهما: المعنى فما انتفعتن وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح ﴿ فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي مهورهن فإذا جامعها مرة واحدة فقد وجب المهر كاملاً إن كان مسمى أو مهر مثلها إن لم يسم . ولا يجوز أن تحمل الآية على جواز المتعة لأن رسول الله ﷺ نهي عن نكاح المتعة وحرمه ولأن الله تعالى قال: ﴿ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴾ النساء: ٢٥، ومعلوم أن النكاح بإذن الأهلين هو النكاح الشرعي بولي وشاهدين ونكاح المتعة ليس كذلك، وقال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام، وقرأ ابن عباس وأبي وابن جبير: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن ثم نهي عنها النبي ﷺ .

وقال سعيد بن المسيب: نسختها آية الميراث إذ كانت المتعة لا ميراث فيها وقالت عائشة والقاسم بن محمد: تحريمها ونسخها في القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۗ ﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۗ ﴾ المؤمنون: ٥ - ٦ ،

١ - الفتاوى الكبرى: ج ٣ / ١٠٠ .

وليست المتعة نكاحا ولا ملك يمين وروى الدارقطني: عن علي بن أبي طالب قال: نهى رسول الله ﷺ عن المتعة، قال: وإنما كانت لمن لم يجد، فلما نزل النكاح والطلاق والعدة والميراث بين الزوج والمرأة نسخت، وروى عن علي ﷺ أنه قال: نسخ صوم رمضان كل صوم، ونسخت الزكاة كل صدقة، ونسخ الطلاق والعدة والميراث المتعة، ونسخت الأضحية كل ذبيح، وعن ابن مسعود قال: المتعة منسوخة نسخها الطلاق والعدة والميراث^١.
وروى الترمذي عن علي ﷺ أنه قال: « إن النبي ﷺ نهى عن متعة النساء وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر .

قال أبو عيسى حديث علي حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وإنما روي عن ابن عباس شيء من الرخصة في المتعة ثم رجع عن قوله حيث أخبر عن النبي ﷺ ، وأمر أكثر أهل العلم على تحريم المتعة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق^٢.

١ - الجامع لآيات الأحكام: ج ٥/١١٥.

٢ - سنن الترمذي: ج ٣/٤٢٩ (١١٢١) كتاب، قال الشيخ الألباني: صحيح، وفي الباب عن سيرة الجهنبي وأبي هريرة .

المبحث السابع:

كتاب الطلاق.

حكم الطلاق في الحيض :

يرى القمي أن الطلاق في الحيض لا يقع فقال عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ البقرة: ٢٣٧ ، « من طلق امرأته من غير أن تحيض أو كانت في دم الحيض أو نفساء من قبل أن تطهر فطلاقه باطل»^١ وهذا هو مذهب الشيعة، يقول الصدوق في من لا يحضره الفقيه، عند تعريفه لطلاق السنة: « روي عن الأئمة عليهم السلام أن طلاق السنة هو أنه إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته تربص بها حتى تحيض وتطهر، ثم يطلقها في قبل عدتها بشاهدين عدلين في موقف واحد بلفظة واحدة،... ثم يقول: وكل طلاق خالف السنة فهو باطل»^٢.

وأيضاً ما رواه الكليني عن « علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: من طلق ثلاثاً في مجلس على غير طهر لم يكن شيئاً، إنما الطلاق الذي أمر الله عز وجل به فمن خالف لم يكن له طلاق، وإن ابن عمر طلق امرأته ثلاثاً في مجلس وهي حائض فأمره النبي صلى الله عليه وآله أن ينكحها ولا يعتد بالطلاق، قال: وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين طلقت امرأتي، قال: ألك بينة قال: لا، فقال: اغرب»^٣.

وجمهور العلماء عندنا على أن:

١ - الطلاق في الحيض يقع مع الإثم لأنه خلاف السنة وذلك «الْقَضِيَّةُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ حِينَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، فَسَأَلَ عُمَرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ،

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٨٧ .

٢ - من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ٣ / ٤٩٥ - ٤٩٦ .

٣ - الكافي: ج ٦ / ٥٨ - ٥٩ (٧)، كتاب الطلاق، باب من طلق لغير الكتاب والسنة .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مُرُّهُ فَلْيُرَاجِعْهَا ثُمَّ يُمْسِكُهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضُ، ثُمَّ تَطْهُرُ، ثُمَّ
إِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فَبِتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا
النِّسَاءُ" قَالَ ابْنُ عُمَرَ: حُسِبَتْ عَلَيَّ تَطْلِيْقَةُ^١.

٢- إن ابن عمر رضي الله عنهما لم يطلق ثلاثاً في مجلس واحد، وإنما كانت طلقت واحدة يدل
على ذلك الحديث السابق .

قال في المبسوط في معرض ذكر الاختلاف عند هذه المسألة: « وهذه المسألة مختلف
فيها بيننا وبين الشيعة على فصلين:

أحدهما: أنه إذا طلقها في حالة الحيض أو في طهر قد جامعها فيه يقع الطلاق عند
جمهور الفقهاء وعندهم - أي الشيعة - لا يقع.

الثاني: أنه إذا طلقها ثلاثاً جملة يقع ثلاثاً عندنا والزيدية من الشيعة يقولون تقع
واحدة والإمامية يقولون لا يقع شيء، ويزعمون أنه قول علي، وهو افتراء منهم على علي
رضي الله عنه

وحجتنا في ذلك حرفان:

(أحدهما) أن النهي دليل ظاهر على تحقق المنهي عنه لأن النهي عما لا يتحقق لا
يكون، فإن موجب النهي الانتهاء على وجه يكون المنهي فيه مختاراً حتى يستحق الثواب إذا
انتهى ويستوجب العقاب إذا أقدم، وما لم يكن المنهي عنه متحققاً في نفسه لا يتصور كونه
مختاراً في الانتهاء .

(الثاني) إذا كان معنى في غير المنهي عنه لا يعدم المنهي عنه ولا يمنع نفوذه شرعاً،
كالنهي عن الصلاة في الأرض المغصوبة، والنهي عن البيع عند النداء يوم الجمعة وهنا
النهي لمعنى في غير الطلاق من تطويل العدة واشتباها أمر العدة عليها أو سد باب التلاقي
عند الندم فلا يمنع النفاذ، وكل ذلك يرجع إلى هذين الحرفين^٢.

١ - حاشية الصاوي على الشرح الصغير: ج ٥/ ٢٩٠، والحديث في صحيح مسلم: ج ٤/ ١٨٠ (٣٧٣٠) كتاب
الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجعتها، وفي سنن أبي داود:
ج ١/ ٦٦٣ (٢١٨٤) باب في طلاق السنة، قال الشيخ الألباني: صحيح .

٢ - المبسوط: ج ٧ / ٢٧٢ - ٢٧٣ .

ويرجع السبب في تحريم الطلاق في الحيض إلى ظلم للمطلقة بتطويل العدة عليها يقول في بدائع الصنائع: « ولأن فيه تطويل العدة عليها لأن الحيضة التي صادفها الطلاق فيه غير محسوبة من العدة فتطول العدة عليها، وذلك إضرار بها ولأن الطلاق للحاجة هو الطلاق في زمان كمال الرغبة وزمان الحيض زمان النفرة فلا يكون الإقدام عليه فيه دليل الحاجة إلى الطلاق فلا يكون الطلاق فيه سنة بل يكون سفها، إلا أن هذا المعنى يشكل بما قبل الدخول فالصحيح هو المعنى الأول وإذا طلقها في حالة الحيض فالأفضل أن يراجعها»^١.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « والذين قالوا لا يقع: اعتقدوا أن كل ما نهى الله عنه فإنه يقع فاسدا لا يترتب عليه حكم، والجمهور فرقوا بين أن يكون الحكم يعمه لا يناسب فعل المحرم: كحل الأموال والأبضاع وإجزاء العبادات، وبين أن يكون عبادة تناسب فعل المحرم كالإيجاب والتحريم فإن المنهي عن شيء إذا فعله قد تلزمه بفعله كفارة أو حد أو غير ذلك من العقوبات: فكذلك قد ينهى عن فعل شيء فإذا فعله لزمه به واجبات ومحرمات، ولكن لا ينهى عن شيء إذا فعله أحلت له بسبب فعل المحرم الطيبات فبرئت ذمته من الواجبات فإن هذا من « باب الكرم والإحسان » والمحرمات لا تكون سببا محضا للإكرام والإحسان بل هي سبب للعقوبات إذا لم يتقوا الله تبارك وتعالى كما قال تعالى: ﴿ فِظْلَمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ النساء: ١٦٠ وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ الأنعام: ١٤٦ إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ الأنعام: ١٤٦ »^٢.

وأختم بما ذكره ابن رجب عند شرحه لقوله ﷺ " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " فقال: « ومنها الطلاق المنهي عنه كالطلاق في زمن الحيض فإنه قد قيل إنه قد

١ - بدائع الصنائع: ج ٣ / ١٤٩ .

٢ - الفتاوى الكبرى: ج ٣ / ٢٠٨ .

٣ - أخرجه البخاري: ج ٢ / ٩٥٩ (٢٥٥٠) كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ومسلم: ج ٥ / ١٣٢ (٤٥٨٩) كتاب الأفضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

نهي عنه لحق الزوج حيث كان يخشى عليه أن يعقبه فيه الندم ومن نهي عن شيء رفقا به فلم ينته عنه بل فعله وتجشم مشقته فإنه لا يحكم ببطلان ما أتى به، كمن صام في المرض أو السفر أو واصل في الصيام، أو أخرج ماله وجلس يتكفف الناس، أو صلى قائمًا مع تضرره بالقيام للمرض، أو اغتسل وهو يخشى على نفسه الضرر والتلف ولم يتيمم، أو صام الدهر ولم يفطر أو قام الليل ولم ينم، وكذلك إذا جمع الطلاق الثلاث على القول بتحريمه، وقيل إنما نهي عن طلاق الحائض لحق المرأة لما فيه من الإضرار بها بتطويل العدة ولو رضيت بذلك بأن سألته الطلاق بعوض في الحيض فهل يزول بذلك تحريمه فيه قولان مشهوران للعلماء، والمشهور من مذهبنا ومذهب الشافعي أنه يزول التحريم بذلك .

فإن قيل إن التحريم فيه لحق الزوج خاصة فإذا قدم عليه فقد أسقط حقه فقط وإن علل بأنه لحق المرأة لم يمنع نفوذه ووقوعه أيضًا فإن رضا المرأة بالطلاق غير معتبر لوقوعه عند جميع المسلمين لم يخالف فيه سوى شردمة يسيرة من الروافض ونحوهم، كما أن رضا الرقيق بالعتق غير معتبر ولو تضرر به، ولكن إذا تضررت المرأة بذلك وكان قد بقي شيء من طلاقها، أمر الزوج بارتجاعها كما أمر النبي ﷺ ابن عمر بارتجاع زوجته تلافيا منه لضررها وتلافيا منه لما وقع منه من الطلاق المحرم حتى لا تصير بينونتها منه ناشئة عن طلاق محرم، وليتمكن من طلاقها على وجه مباح فتحصل إبانته على هذا الوجه .

وقد روي عن أبي الزبير عن ابن عمر رضي الله عنهما : "أن النبي ﷺ ردها عليه ولم يرها شيئاً"^١ وهذا مما تفرد به أبو الزبير عن أصحاب ابن عمر كلهم مثل ابنه سالم ومولاه نافع وأنس وابن سيرين وطاووس وعبدالله بن دينار وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وغيرهم . وقد أنكر الأئمة العلماء هذه اللفظة على أبي الزبير من المحدثين والفقهاء، وقالوا إنه تفرد بما خالف الثقات فلا يقبل تفردته فإن في رواية الجماعة عن ابن عمر ما يدل على أن

١ - مصنف عبد الرزاق: ج ٦/ ٣٠٩ (١٠٩٦٠) باب طلاق الحائض والنفساء، وفي سنن أبي داود: ج ١/ ٦٦٣

(٢١٨٥) باب في طلاق السنة، قال في التمهيد لابن عبد البر: "وقد احتج بعض من ذهب إلى أن الطلاق في الحيض لا يقع وأن المطلق لا يعتد بتلك التولية بما روي عن الشعبي أنه قال، "إذا طلق الرجل امرأته وهي حائض لم يعتد بما في قول ابن عمر عن النبي ﷺ" وهذا من الشعبي إنما معناه لا يعتد بتلك الحيضة في العدة ولم يرد لا

يعتد بتلك التولية"، ج ١٥ / ٦٥ - ٦٦

النبي ﷺ حسب عليه الطلقة من وجوه كثيرة ، وكان ابن عمر يقول لمن سأله عن طلاق المرأة في الحيض: "إن كنت طلقت واحدة أو اثنتين فإن رسول الله ﷺ أمرني بذلك يعني بارتجاع المرأة وإن كنت طلقته ثلاثاً فقد عصيت ربك وبانت منك امرأتك".^١

وفي رواية أبي الزبير زيادة أخرى لم يتابع عليها وهو قوله ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ الطلاق: ١ .

ولم يذكر ذلك أحد من الرواة عن ابن عمر وإنما روى عبدالله بن دينار عن ابن عمر أنه كان يتلو هذه الآية عند روايته للحديث وهذا هو الصحيح.

وقد كان طوائف من الناس يعتقدون أن طلاق ابن عمر كان ثلاثاً وأن النبي ﷺ إنما ردها عليه لأنه لم يوقع الطلاق في الحيض، وقد روي ذلك عن أبي الزبير أيضاً من رواية معاوية عن عمار الدُهني عنه^٢ فلعل أبا الزبير اعتقد هذا حقاً فروى تلك اللفظة بالمعنى الذي فهمه وروى ابن لهيعة هذا الحديث عن أبي الزبير فقال عن جابر أن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض فقال النبي ﷺ: "ليراجعها فإنها امرأته".

وأخطأ في ذكر "جابر" في هذا الإسناد وتفرد بقوله: "فإنها امرأته" ولا يدل على عدم وقوع الطلاق إلا على تقدير أن يكون ثلاثاً فقد اختلف في هذا الحديث على أبي الزبير وأصحاب ابن عمر الثقات الحفاظ العارفون به الملازمون له لم يختلف عليهم فيه فروى أيوب عن ابن سيرين قال مكثت عشرين سنة يحدثني من لا أتهمهم أن ابن عمر طلق امرأته ثلاثاً وهي حائض فأمره النبي ﷺ أن يراجعها فجعلت لا أتهمهم ولا أعرف الحديث حتى لقيت أبا غلاب يونس بن جبير، وكان ذا ثبت فحدثني أنه سأل ابن عمر فحدثه أنه طلقها واحدة خرجته مسلم^٣ وفي رواية قال له ابن سيرين فجعلت لا أعرف للحديث وجهها ولا أفهمه وهذا يدل على أنه كان قد شاع بين الثقات من غير أهل الفقه

١ - رواه البخاري في صحيحه: ج ٥ / ٢٠٤١ (٥٠٢٢) كتاب الطلاق، باب ﴿وَيُعَوِّلُكُمْ أَنْفُسَكُمْ رِيضَةً﴾ البقرة: ٢٢٨ في

العدة وكيف يراجع المرأة إذا طلقها واحدة أو ثنتين، وأيضاً في باب من قال لامرأته أنت علي حرام: ج ٥ / ٢٠١٥

٢ - رواه الدارقطني في السنن: ج ٩ / ٢١٧ (٣٩٤٧) كتاب الطلاق والخلع والإيلاء.

٣ - أخرجه مسلم في صحيحه: ج ٤ / ١٨١ (٣٧٣٤) كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها

والعلم أن طلاق ابن عمر كان ثلاثاً، ولعل أبا الزبير من هذا القبيل، ولذلك كان نافع يسأل كثيراً عن طلاق ابن عمر هل كان ثلاثاً أو واحدة، ولما قدم نافع مكة أرسلوا إليه من مجلس عطاء يسألونه عن ذلك لهذه الشبهة، واستنكار ابن سيرين لرواية الثلاث يدل على أنه لم يعرف قائلًا معتبرًا يقول إن الطلاق المحرم غير واقع، وأن هذا القول لا وجه له، قال الإمام أحمد في رواية أبي الحارث: "وسئل عمن قال لا يقع الطلاق المحرم لأنه يخالف ما أمر به فقال: هذا قول سوء رديء" ثم ذكر قصة ابن عمر وأنه احتسب بطلاقه في الحيض.

وقال أبو عبيدة: "الوقوع هو الذي عليه العلماء مجتمعون في جميع الأمصار حجازهم وتحامهم ويمنهم وشأمهم وعراقهم ومصرهم، وحكى ابن المنذر ذلك عن كل من يحفظ قوله من أهل العلم إلا ناساً من أهل البدع لا يعتد بهم،" وأما ما حكاه ابن حزم عن ابن عمر أنه لا يقع الطلاق في الحيض مستندا إلى ما رواه من طريق محمد بن عبد السلام الخشني الأندلسي: حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر في الرجل يطلق امرأته وهي حائض قال لا تعتد بها^١، وبإسناده عن خلاص نحوه^٢ فإن هذا الأثر قد سقط عن آخر لفظة وهي قوله: "لا يعتد بتلك الحيضة" ومراد ابن عمر أن الحيضة التي تطلق فيها المرأة لا تعتد بها المرأة قرأ، وهذا هو مراد خلاص وغيره وقد روي ذلك أيضاً عن جماعة من السلف منهم زيد بن ثابت وسعيد بن المسيب فوهم جماعة من المفسرين وغيرهم كما وهم ابن حزم فحكوا عن بعض من سمينا أن الطلاق في الحيض لا يقع وهذا سبب وهمهم^٣.

وخلاصة القول أن هذه المسألة حكى الإجماع عليها أئمة كثيرون منهم ابن المنذر وابن عبد البر وغيرهم كثير، والحديث صريح في وقوعه، وإذا كان الحديث صريحاً وأجمع السلف على ذلك، فهل يأتي بعد عمل السلف وقولهم، كلام لغيرهم، خاصة إن كان للرافضة .

١ - المحلى : ج ٢ / ٦٣٨ .

٢ - المرجع السابق : ج ١١ / ٢١٦ .

٣ - جامع العلوم والحكم : الحديث الخامس : ج ٧ / ١٨-٢٣ .

المبحث الثامن:

كتاب الفرائض .

من الشبهات التي يتمسك بها الشيعة ويعادون أهل السنة بسببها ما يسمونه مظلومية أهل البيت، ولا تنحصر هذه المظلومية فقط في زعمهم بحجب علي عن الخلافة وتفضيل أبي بكر رضي الله عنه، وإنما تتعداها إلى حجب ومنع فاطمة رضي الله عنها من ميراثها من أبيها رضي الله عنه، فهم يرون أن أبا بكر رضي الله عنه منعها أن ترث ما تركه النبي صلى الله عليه وآله من أرض فدك وغيرها من غير حق بل ظلماً منه وعدواناً عليها، وأنه قد سلبها حقها في ذلك باعتبارها إرث أبيها، والثابت لدى السنة أن ما تركه رضي الله عنه إنما هو صدقة لا يورث، والقمي يتكلم بمثل هذه الشبهة فيحمل على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيقول عند قوله تعالى: « ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ الروم: ٣٨ »، فإنه حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن عثمان بن عيسى وحماد بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما بويع لأبي بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك فأخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منها فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر، فقالت يا أبا بكر منعني عن ميراثي من رسول الله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله، فقال لها هاتي على ذلك شهوداً فجاءت بأمر أيمن فقالت: لا أشهد حتى أحتج يا أبا بكر عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت أنشدك الله، ألسنت تعلم أن

١ - الأوائل للعسكري: ج ١ / ٧٩ .

أن النبي صلى الله عليه وآله، وهب فدكاً لفاطمة، وشهد عمر وعبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقسمها، فقال أبو بكر: صدقوا وصدقت، كان مالاً لأبيك، وكان يأخذ منها قوته ويقسم الباقي، فما تصنعين بها؟ قالت: صنيع أبي، قال: فلك عليّ أن أصنع فيها صنيع أبيك عليه الصلاة والسلام، فكان يدفع إليهم ما يكفيهم، ويقسم الباقي، وكذلك فعل عمر وعثمان وعليّ، فلما ولي معاوية - وذلك بعد الحسن - تداولوها حتى ولي مروان، فوهبها لعبد العزيز بن مروان، فتنخلصها عمر ابنه في حياة أبيه، فلما ولي كانت أول مظلمة ردها على بني عليّ عليه السلام، ثم قبضها يزيد بن عبد الملك، فلما ولي أبو العباس ردها إلى عبد الله بن الحسن، ثم قبضها أبو جعفر، ثم ردها المهدي على ولد فاطمة، ثم قبضها موسى وهارون، ثم ردها عليهم المأمون.

رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن أم أيمن من أهل الجنة؟ قال بلى، قالت فأشهد أن الله أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿فَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فجعل فذك لفاطمة بأمر الله وجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك فكتب لها كتاباً بذك ودفعه إليها فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال أبو بكر: إن فاطمة ادعت في فذك وشهدت لها أم أيمن وعلي فكتبت لها بذك، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فمزقه، وقال: هذا فيء المسلمين، وقال: أوس بن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه قال: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة فإن علياً زوجها يجر إلى نفسه، وأم أيمن فهي امرأة صالحة لو كان معها غيرها لنظرنا فيه، فخرجت فاطمة عليها السلام من عندهما باكية حزينة^١.

وهو يرى أيضاً أن الأنبياء يورثون فيقول عند قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ

وَرَأَيْ كَرِيم: ه ، قال: « خفت الورثة من بعدي »^٢.

والقمي في هذا المقال إنما يمثل رأي قومه، فقد ذكر شيخهم الطوسي نحو ما جاء به القمي في تفسيره فقال: « ميراث فاطمة: لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي وجدته يرد المظالم فقال له: ما بال مظلمتنا يا أمير المؤمنين لا ترد؟! فقال له: وما هي يا أبا الحسن؟ فقال: إن الله ﷻ لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فذك وما والاها ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)^٣ فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله من هم فراجع في ذلك جبرائيل عليه السلام فسأل الله ﷻ عن ذلك فأوحى الله إليه أن ادفع فذك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يا فاطمة إن الله تعالى أمرني أن ادفع إليك فذك فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاؤها، فاتته فسألته أن يردها عليها فقال لها: آتيني بأسود أو أحمر ليشهد لك بذلك، فجاءت بأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام وأم أيمن فشهدوا لها بذلك فكتب لها

١ - المرجع السابق: ١٣٣ .

٢ - تفسير القمي: ج ٢ / ٢٢ .

٣ - هكذا الآية مكتوبة عند الطوسي والآية في المصحف: ﴿فَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ الروم: ٣٨ .

بترك التعرض، فخرجت بالكتاب معها فلقبها عمر فقال لها: ما هذا معك يا بنت محمد؟ قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، فقال لها: أرينيه فأبت فانتزعه من يدها فنظر فيه وتفعل فيه ومحاه وخرقه وقال: هذا لأن أباك لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب وتركها ومضى»^١.

ثم هو أيضاً يثبت أن فاطمة لها إرث النبي ﷺ فيقول: «عن أحمد بن محمد عن علي بن الحسن عن علي بن أسباط عن الحسن بن علي بن عبد الله عن حمزة بن حمران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام من ورث رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: فاطمة ورثته متاع البيت والخزني وكل ما كان له .

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ورث علي عليه السلام علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وورثت فاطمة عليها السلام تركته»^٣

والمعروف عند السلف أن النبي ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»^٤.

وأيضاً روى البخاري في صحيحه: «عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أخبرته: "أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق عليه السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة.

فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك

١ - تهذيب الأحكام للطوسي: ج ٤ / ١٤٨ - ١٤٩ .

٢ - الخزني: أزدأ المتاع والغنائم وهي سَقَطُ البيت من المتاع وفي الصحاح بالضم أثاث البيت وأسقاطه، لسان العرب: ج ٢ / ١٤٥، (خرث)، تاج العروس: ج ١ / ١٢٥١ (خ - ر - ث) .

٣ - تهذيب الأحكام: ج ٩ / ٢٧٧ .

٤ - صحيح البخاري: ج ٣ / ١٠٢٠ (٢٦٢٤) كتاب الوصايا، باب نفقة القيم للوقف .

رسول الله ﷺ من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فأبى أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس وأما خيبر وفدك فأمسكها عمر وقال هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر قال فهما علي ذلك إلى اليوم»^١.

وفي مسلم باب قول النبي ﷺ « لا نُورث ما تركنا فهو صدقة »^٢.

وروى أحمد في مسنده إسناد صحيح على شرط الشيخين: « عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر ﷺ يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال لهم أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث، ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته »^٣.

وروى أحمد أيضاً بإسناد صحيح على شرط الشيخين: « قال رسول الله ﷺ: إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركت بعد مؤنة عاملي ونفقة نسائي صدقة »^٤.

وعند الترمذي بسند صحيح عن « مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس الحدثان قال: دخلت على عمر بن الخطاب ودخل عليه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ثم جاء علي و العباس يختصمان فقال عمر لهم: أنشدكم الله الذي يأذنه تقوم السماء والأرض تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركنا من صدقة، قالوا نعم؟ قال عمر: فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب

١ - المرجع السابق: ج ٣ / ١١٢٦ (٢٩٢٦) كتاب الخمس ، باب فرض الخمس .

٢ - صحيح مسلم: ج ٥ / ١٥٣ كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبي: " لا نورث ما تركناه فهو صدقة " .

٣ - مسند أحمد بن حنبل: ج ١ / ٤ (٩) مسند أبي بكر .

٤ - مسند أحمد بن حنبل: ج ٢ / ٤٦٣ (٩٩٧٣) . مسند أبي هريرة ؓ .

هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة والله يعلم إنه صادق بار راشد تابع للحق .

قال أبو عيسى وفي الحديث قصة طويلة وهذا حديث حسن صحيح غريب من حديث مالك بن أنس^١

يقول القرطبي في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ مريم: ٦
 « قال النحاس: فأما معنى ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ فللعلماء فيه ثلاثة أجوبة قيل: هي وراثه نبوة وقيل: هي وراثه حكمة وقيل: هي وراثه مال،

- فأما قولهم وراثه نبوة فمحال لأن النبوة لا تورث ولو كانت تورث لقال قائل: الناس ينتسبون إلى نوح ﷺ وهو نبي مرسل .

- ووراثه العلم والحكمة مذهب حسن وفي الحديث، (العلماء ورثة الأنبياء) .

- وأما وراثه المال فلا يمتنع وإن كان قوم قد أنكروه لقول النبي ﷺ: (لا نورث، ما تركنا صدقة) فهذا لا حجة فيه لأن الواحد يخبر عن نفسه بإخبار الجمع وقد يؤول هذا بمعنى لا نورث الذي تركناه صدقة، لأن النبي ﷺ لم يخلف شيئاً يورث عنه وإنما كان الذي أباحه الله ﷻ إياه في حياته بقوله تبارك اسمه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ وَاللِّرْسُولَ﴾ الأنفال: ٤١ لأن معنى {الله} لسبيل الله ومن سبيل الله ما يكون في مصلحة الرسول ﷺ ما دام حياً، فإن قيل: في بعض الروايات (إننا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة) ففيه التأويلان جميعاً أن يكون {ما} بمعنى الذي والآخر لا يورث من كانت هذه حاله وقال أبو عمر: واختلف العلماء في تأويل قوله ﷺ: (لا نورث، ما تركنا صدقة) على قولين:

- أحدهما: وهو الأكثر وعليه الجمهور - أن النبي ﷺ لا يورث وما ترك صدقة.

١ - سنن الترمذي: ج ٤ / ١٥٨ (١٦١٠) باب السير ، باب تركه رسول الله ﷺ.

- والآخر: أن نبينا ﷺ لم يورث لأن الله تعالى خصه بأن جعل ماله كله صدقة، زيادة في فضيلته كما خص في النكاح بأشياء أباحها له وحرّمها على غيره، وهذا القول قاله بعض أهل البصرة منهم ابن عليه، وسائر علماء المسلمين على القول الأول^١.

١ - الجامع لآيات الأحكام: ج ١١ / ٧٨ .

الفصل الرابع:

تفسير القمي في الميزان.

علي بن إبراهيم القمي هو أحد علماء الشيعة الإخبارية ، وتفسيره المنسوب إليه يعتبر أصلاً من أصولهم التي ما انفك ينقل منها الشيعة الإمامية قديماً وحديثاً ، ورغم أنهم ذكروا للمفسر مصنفات عدة إلا أنني لم أقف على واحد منها - مطبوعاً أو مخطوطاً - غير كتاب التفسير ، وهو من قبيل الكتب النقلية التي يرويها عن طريق والده إبراهيم بن هاشم القمي عن بعض مشايخه ، وغالب هذه الروايات ينتهي إلى جعفر الصادق ، وقليل منها يتعداه إلى محمد الباقر ومن فوقه من أئمة آل البيت ، وهم من تلك الروايات براء ، فهم جميعاً على المذهب الحق الذي هو مذهب أهل السنة والجماعة ، ولم يقل أحد منهم بمذهب الشيعة على الإطلاق ، ولم يثبت عنهم إلا الإنكار على أصحاب هذا المذهب ولعنهم والتبري منهم ، ويتلخص الموقف من هذا التفسير في هذه النقاط :

١- هذا التفسير في الحقيقة لا يعتبر تفسير بالمعنى المعروف لدى أهل السنة والجماعة، وإنما جاء به خاصة ليدعم به مذهب الشيعة الإمامية في محاولة منه إلى ليّ أعناق الآيات حتى تصير أدلة على عقائد هذا المذهب .

٢- التزم المفسر في التفسير بترتيب القرآن حسب الموجود بالمصحف ابتداءً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، مقداً له بمقدمة جاء فيها ببعض علوم القرآن عند الشيعة وبأمثلة عليها من القرآن، بعضها صحيح والآخر لا صحة له .

٣- لم يلزم المفسر نفسه عند التفسير بالمرور على آيات السورة جميعاً وإنما اكتفى ببعض جمل من الآية وجهها بحسب نزعتة الشيعية بما ورد فيها من روايات بحسب ادعائه .

٤- التفسير ملفق من الروايات التي رواها القمي عن أبيه عن مشايخه عن جعفر الصادق، وروايات رواها أبو الجارود عن أبي جعفر محمد الباقر التي تعرف بتفسير أبي الجارود، جمعها ولفقها - مع بعض روايات أخر لبعض معاصري علي بن إبراهيم القمي -

أحد تلاميذه، وكان غرضه من هذا الفعل هو الترويج لهذا التفسير عند القميين وغيرهم ممن لم يكن لديهم دراية كبيرة بمذهب التشيع وإنما يقبلون روايات أبي الجارود^١.

٥- واختلف في وثاقة إبراهيم القمي، والد علي بن إبراهيم القمي الذي روى عنه التفسير، ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى أنه لا يوجد له تعديل أو توثيق في كتب رجال الشيعة، وغاية الأمر أن علياً ابنه قد ذكر توثيقه لكل مشايخه الذين نقل عنهم تفسيره، وذلك في مقدمة هذا التفسير، حين قال: "ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم"^٢.

٦- ولقد ذهب جمع من متأخري الشيعة الإمامية إلى أن عبارة القمي السالفة تدل على توثيقه كل الرجال الواقعيين في أسانيد كتابه، وأول من أشار إلى ذلك - بحسب تتبعي - هو الحر العاملي، وذلك في معرض توثيقه لإبراهيم بن هاشم القمي فقال: « ويفهم توثيقه من تصحيح العلامة طرق الصدوق، ومن أول تفسير ولده علي بن إبراهيم حيث قال: "ونحن ذاكرون ومخبرون...»^٣.

ودعوة التوثيق السابقة نتج عنها أن وظفها الخوئي في توثيق الكثير ممن لا تعرفهم كتب التراجم، وبهذا خفض العدد الكبير من المجاهيل والضعفاء في كتب التراجم ووضعهم في كتب الثقات فقال: «يحكم بوثاقة من شهد علي بن إبراهيم القمي - صاحب التفسير - بوثاقته... اللهم إلا أن يتلى بمعارض»^٤، وقال في موضع آخر: «جميع رجال التفسير ثقات ما لم يعارض بتضعيف غيره»^٥.

١ - وقد فعل مثل ذلك الطبرسي عندما أدخل بعض روايات عن التابعين في تفسيره حتى يروج له في البدان التي لا تعلم كثيراً عن مذهب التشيع، فلقى قبولاً في بعض الدول حتى أن شيخ الأزهر في حينه قرظ له في مقدمة الطبعة الأولى واعتبره تفسيراً معتدلاً أقرب إلى السنة ولم يعلم بأن الشيعي قد دس السم في العسل، وهذا هو ديدنهم في نشر مذهبهم المشؤوم.

٢ - تفسير القمي: ١٦.

٣ - وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ٣٠٢ / ٣٠٢ (الفائدة الثانية عشر).

٤ - معجم رجال الحديث: ج ١ / ٥٠.

٥ - كتاب الحج: ج ٢ / ٣٦٤.

وعلى هذا الأمر تم توثيق الأب مجرد وجوده في سند التفسير، على أن المفهوم من عبارة القمي أنه أراد إعطاء قيمة لتفسير في مقدمته لا أكثر .

٧- ويمكن نقض التفسير كله من أساسه حين نعلم أن التلميذ راوي هذا التفسير عن علي بن إبراهيم القمي الذي صدر اسمه في التفسير فقال: «حدثني أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر عليه السلام قال: حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي»^١ هذا الرجل ليس له ذكر في كتب الرجال^٢- أي مجهول - وأنا اتساءل كيف يغيب عن كتب الرجال رجل يروي مثل هذا التفسير الذي هو أصل عند الشيعة، والذي ضم مئات الروايات التي نسبوها إلى أهل البيت، وكيف يطمئن لمثل هذه الروايات وراويها ابتداءً من الجاهيل، فهذا يعتبر من المآخذ التي لا يمكن إغفالها على هذا التفسير .

٨- وأما عن التفسير الآخر وهو تفسير أبي الجارود الأعمى - زياد بن المنذر - رأس الجارودية ، قال عنه الكشي: « مذموم ولا شبهة في ذمة وسمي سرحوب باسم شيطان أعمى يسكن البحر »^٣ .

٩- أن هذا التفسير قد تلاعبت به الأيدي بالحذف والإضافة، وقد تأكد لي ذلك من مقارنة ما نقله الدكتور محمد العسال في كتابه " الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن" فقد اعتمد فضيلته النسخة التي بدار الكتب، وقال واصفاً ذلك: « وهذا التفسير وجدته بدار الكتب مطبوعاً ومخطوطاً، وكان أغلب اعتمادي على النسخة المطبوعة بطهران في ١٣١٣هـ، لوضوحها، وهو جزء واحد في مجلد كبير عدد صفحاته (٧٤٥) بحجم متوسط »^٤ .

١ - تفسير القمي : ج ١ / ٣٩ .

٢ - الذريعة : ج ٤ / ٣٠٧ .

٣ - اختيار معرفة الرجال: ٢٢٩ .

٤ - الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن: ٨٣٢ .

ف عند مقارنة ما نقله عن هذه النسخة القديمة اكتشفت هذا التلاعب في النسخ^١
 فعند قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ البقرة: ٣٧، قال في النسخة
 القديمة: « إن الكلمات هي أسماء الخمسة: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين »^٢،
 ولا أثر لذلك النص في النسخة التي اعتمدها بل هناك ذكر لقول آخر فقال: « وعلمه
 الكلمات التي تلقاها من ربه وهي "سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً
 وظلمت نفسي واعترفت بذني فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، سبحانك اللهم
 وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذني فاغفر لي إنك خير
 الغافرين، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت
 بذني فاغفر لي إنك أنت التواب الرحيم" »^٣.

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ البقرة: ٢٧، قال
 في النسخة التي اعتمدها الدكتور محمد العسال: « هم الذين نقضوا البيعة التي أخذت
 عليهم لأمر المؤمنين »^٤ ولا أثر لهذه الجملة في النسخة التي اعتمدها .

وأيضاً عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ
 مَا أَجْرُهُمْ﴾ الرعد: ٢٩، قال في نسخة الدكتور محمد العسال: « إنه لما أسري بي إلى السماء
 دخلت الجنة وأدناي جبريل من شجرة طوبى وناولني منها تفاحة فأكلتها فحول الله ذلك
 في ظهري ماء فهبطت إلى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فكلما اشتقت إلى
 الجنة قبلتها، وما قبلتها إلا وجدت رائحة شجرة طوبى فهي حوراء إنسية »^٥، وذكرت

١ - والتلاعب في الكتب أمر معلوم عند الشيعة، وهم لا ينكرونه ولكن يسمونه إضافات ومن تلك الإضافات
 المعروفة والظاهرة عندهم، أن كتاب بحار الأنوار للمجلسي أصله نحو ستة وعشرين جزءاً والآن بلغ عشرة أجزاء بعد
 المئة !!.

٢ - الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن: ٢٠٢.

٣ - تفسير القمي: ج ١ / ٥٥.

٤ - الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن: ١٣٥.

٥ - المرجع السابق: ١٧٤، ونقل عنه هذه الرواية بنصها الطبرسي في مجمع البيان: ج ٦ / ٣٦.

هذه القصة في النسخة التي اعتمدها غير بعض الكلمات لم تذكر مثل قوله "تفاحة" و "فهي حوراء إنسية"^١.

١٠- كما أن التلاعب واضح كذلك من تناقض الروايات في بعض المواضع، فعند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧، قال: « فاتحة الكتاب، أخبرنا أحمد بن إدريس، قال: حدثني أحمد بن محمد، عن محبوب بن سيار، عن سورة بن كليب: عن أبي جعفر عليه السلام قال: نحن المثاني التي أعطاها الله تعالى نبينا، ونحن وجه الله الذي تتقلب في الأرض بين أظهركم، من عرفنا فأمامه اليقين، ومن جهلنا فأمامه السعير »^٢.

وأيضاً في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ﴾ النور: ٣٥ قال: « المشكاة فاطمة عليها السلام ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ﴾ الحسن والحسين ﴿فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ كأن فاطمة عليها السلام كوكب دري بين نساء أهل الأرض ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ يوقد من إبراهيم ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ يعني لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد العلم يتفجر منها ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء أن يدخله في نور ولايتهم مخلصاً ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حدثنا حميد بن زياد عن محمد بن الحسين عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام في هذه الآية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال بدأ بنور نفسه تعالى ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ مثل هداه في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكُوتٍ﴾ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ والمشكاة جوف المؤمن والقنديل قلبه والمصباح النور الذي جعله الله

١ - تفسير القمي : ج ١ / ٣٦٦.

٢ - المرجع السابق : ج ١ / ٣٨٠.

في قلبه ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ قال الشجرة المؤمن ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال على سواء الجبل لا غربية أي لا شرق لها ولا شرقية أي لا غرب لها، إذا طلعت الشمس طلعت عليها وإذا غربت الشمس غربت عليها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد النور الذي جعله الله في قلبه يضيء وإن لم يتكلم ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فريضة على فريضة وسنة على سنة ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يهدي الله لفرائضه وسننه من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ فهذا مثل ضربه الله للمؤمن، قال فالمؤمن يتقلب في خمسة من النور، مدخله ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور^١.

١١ - أما من ناحية الإسناد، ففضلاً عن أن غالب من يروي عنهم القمي من الضعفاء والكذابين - كما ذكرنا ذلك بالتفصيل قبل ذلك - إلا أنه قد يقع في السند مجاهيل، مثال ذلك عند قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ الأنعام: ١١٢، حدثني أبي، عن الحسن بن سعيد، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً ...^٢.

وأيضاً في موضع آخر قال: «أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد، عن مالك بن عبدالله بن أسلم، عن أبيه، عن رجل من الكوفيين عن أبي عبدالله عليه السلام في قول: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فاطر: ٢، ...^٣.

ويشهد شاهد من أهلها على ذلك فيقول جعفر السبحاني: «إن الاعتماد على هذا التفسير بعد هذا الاختلاف لمشكل جداً، خصوصاً مع ما فيه من الشذوذ في المتون، وقد ذهب أهل التحقيق إلى أن النسخة المطبوعة تختلف عما نقل عن ذلك التفسير في بعض الكتب، وعند ذلك لا يبقى اعتماد على هذا التوثيق الضمني أيضاً فلا يبقى اعتماد لا على السند ولا على المتن^٤.

١ - المرجع السابق: ج ٢ / ٧٨-٧٩.

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ٢٢٠.

٣ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٨٢.

٤ - كليات في علم الرجال: ٣١٦.

١٢- ومن الملاحظ أيضاً أن القمي عندما أقدم على الدخول إلى تفسير القرآن لم يدخل لمجرد الكشف عن معاني الآيات أو للتأمل في مدلولاتها، وإنما دخل بمقررات سابقة ومعتقدات شاذة لبحث لها عن أدلة قرآنية فأخطأ من الناحية المنهجية، فلما لم يجد مبتغاه اتجه إلى التأويلات الباطلة، وإلى اتهام القرآن بالتحريف وبإسقاط الآيات الدالة على ما يريده، فضل وأضل، وهذا هو منهج الشيعة في التفسير.

١٣- على تفسير القمي عدة مآخذ منهجية منها :

أ - أنه أغفل رافداً عظيماً من روافد التفسير وهو تفسير القرآن بالقرآن ، ولو أخذ به لأسقط كثيراً من التأويلات الباطلة التي حشي بها تفسيره .

ب- كذلك أحجم وامتنع عن الأخذ بتفسيرات الصحابة رضي الله عنهم ، مع ما فيها من الخير الكثير ، وسلامة المصدر ، وفهمهم للغة القرآن، وكذلك امتنع عن الأخذ عن أحد من التابعين ، وقد عاصروا الصحابة وأخذوا عنهم القرآن وتفسيره وقراءاته .

ج- ألجأه عدم الأخذ بالروافد الصحيحة من الاتجاه إلى الأخذ من مستنقعات الكذابين والوضاعين ، والمفتريين على أهل البيت فملاً تفسيره بروايات مكذوبة ومختلفة ، يشهد عليها كذب العبارة وركاكة الأسلوب .

د- عندما أراد أن يتكلم عن أسباب النزول في بعض الآيات أتى بآثار قليلة جداً منها صحيح له أصل، وأما الغالب الأعم فعبارة عن موضوعات وإسرائيليات، وقصص خرافية لا تصلح إلا أن تكون حكايات للأطفال.

هـ- أنه استعمل كلمات كلمات أعجمية في تفسيره للقرآن وكان الأولى له أن يفسره بالكلام العربي المبين .

١٤- كما يلاحظ للمتبع للتفسير أن القمي يدافع بشكل أو بآخر عن العجم

فتراه يمدح العجم عند قوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١١٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا

كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿ الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩ قال الصادق عليه السلام: "لو أنزل القرآن على العجم ما آمنت به العرب وقد نزل على العرب فأمنت به العجم فهذه فضيلة للعجم"»^١

١٥- أيضاً من ضمن أخطاء القمي ما ذكره عند قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ

خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ﴿ العنكبوت: ٤٠ ، وهم قوم هود »^٢. والأمثلة على ذلك كثيرة .

١٦- في التفسير ما أخذ أخرى عقدية ، فتبني القمي الدفاع عن معتقد الشيعة

الأكبر وهو ثبوت الإمامة والولاية لعلي عليه السلام، ومحاولته إثبات ذلك سواء عن طريق القول بتحريف القرآن أو بالادعاء بأن الآيات الدالة عليه قد أسقطت، أو أسقط اسم علي منها، بل تعدى الأمر إلى القدح في الصحابة، ومحاولته وصفهم بالكفر تارة وبالنفاق أخرى - وحاشاهم ذلك - بل ادعاؤه محاولتهم قتل النبي ﷺ ثم تأمرهم على قتل علي بعد ذلك.

١٧- وأيضاً من ذلك إدعاؤه على الله بالبداء، وأكاذيبه في عدة مسائل عقدية،

كالرجعة، والقائم، والتقية، وبأن هذه الأمور من الدين، بل من أساس الاعتقاد .

١٨- وهناك بعض المخالفات العقدية التي يحاول المفسر إثباتها من خلال تفسيره

ولكن عن طريق إيهام القارئ بأنها وقعت من الأنبياء أو من غيرهم، وذلك كادعائه أن

يوسف عليه السلام كان يعلق تيممة كانت عند آبائه كما جاء عند قوله: ﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي

هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنُوفِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ يوسف: ٩٣ ،

فإنه حدثني أبي عن علي بن مهزيار عن إسماعيل السراج عن يونس بن يعقوب عن

المفضل الجعفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "قال أخبرني ما كان قميص يوسف؟ قلت لا

أدري قال: إن إبراهيم لما أوقدت له النار أتاه جبرائيل بثوب من ثياب الجنة فلبسه إياه

١ - المرجع السابق : ج ٢ / ١٠٠ .

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٢٧ وهو خطأ ينم عن جهالة عظيمة، فالمعلوم أن الذي خسف به هو قارون بنص

الآية: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴿ القصص: ٨١ ، أما عاد قوم هود فأهلكوا بالريح التي تحمل العذاب ﴿ فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِبَهُمْ عَذَابَ الْحَزْنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿ فصلت: ١٦ .

فلم يصبه معه حر ولا برد، فلما حضر إبراهيم الموت جعله في تيممة وعلقه على إسحق وعلقه إسحق على يعقوب فلما ولد ليعقوب يوسف علقه عليه فكان في عنقه حتى كان من أمره ما كان فلما أخرج يوسف القميص من التيممة وجد يعقوب ريجه وهو قوله:

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفِنِّدُونِ﴾ يوسف: ٩٤»^١.

١٩- وأيضاً ادعائه بأن يوسف عليه السلام كان يدعو الله بأسماء آبائه وذلك عند قوله: «قال فلما انقضت المدة وأذن الله له في دعاء الفرج فوضع خده على الأرض ثم قال: "اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإني أتوجه إليك بوجه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب" ففرج الله عنه، قلت جعلت فداك أندعو نحن بهذا الدعاء؟ فقال ادع بمثله "اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام"»^٢.

٢٠- وأيضاً ادعائه اعتراف موسى عليه السلام بأن الله لا يرى اتفاقاً منه مع مذهب المعتزلة وذلك عند ذكره لقصة موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ﴾ الأعراف: ١٤٣، فأوحى الله ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ أي لا تقدر على ذلك ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ قال: فرجع الله الحجاب ونظر إلى الجبل فساخ الجبل في البحر فهو يهوى حتى الساعة ونزلت الملائكة وفتحت أبواب السماء، فأوحى الله إلى الملائكة: أدركوا موسى لا يهرب، فنزلت الملائكة وأحاطت بموسى وقالوا تب يا بن عمران: فقد سألت الله عظيماً، فلما نظر موسى إلى الجبل قد ساخ والملائكة قد نزلت، وقع على وجهه، فمات من خشية الله وهول ما رأى، فرد الله عليه روحه فرفع رأسه

١ - تفسير القمي: ج ١ / ٣٥٥.

٢ - المرجع السابق: ج ١ / ٣٤٦.

وأفاق وقال: ﴿سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَاحِكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أول من أصدق إنك لا ترى «^١».

٢١- كذلك محاولته إثبات جواز الطواف بالقبور وذلك عندما أشار إلى أن فاطمة طافت بقبر النبي ﷺ وذلك عن قوله: «... كما رددت حكم الله وحكم رسوله أن جعل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذت منها فدك وزعمت أنه فيء المسلمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله البينة على من ادعى واليمين على من دعي عليه، قال: فدمدم الناس وبكى بعضهم فقالوا صدق والله علي ورجع علي عليه السلام إلى منزله.

قال: ودخلت فاطمة إلى المسجد وطافت بقبر أبيها عليه وآله السلام وهي تبكي»^٢.

٢٢- وأيضاً على هذا التفسير مآخذ فقهية منها أنه تبنى معتقد قومه الفقهي في إثبات المتعة والخمس وابتداء غسل اليد من المرفق إلى الأصابع ، ومسح الأرجل ، وهذا الأخير لم يصرح به وإنما أوماً إليه في قصة الخندق فقال علي لسان جابر رضي الله عنه: «فجئت إلى المسجد ورسول الله مستلق على قفاه ورداؤه تحت رأسه وقد شد على بطنه حجراً، فقلت: يا رسول الله إنه قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه فقام مسرعاً حتى جاءه ثم دعا بماء في إناء فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه ثم شرب ومج من ذلك الماء في فيه ثم صبه على الحجر...»^٣.

وما أشرت إليه هو بعض المآخذ التي وقفت عليها في تفسير القمي وإن كانت لا تخلو ورقة من أوراق هذا الكتاب من مأخذ من المآخذ في ناحية ما، وبعد ذلك فهل يمكن أن ينظر عاقل إلى هذا الكتاب على أنه كتاب علم فضلاً عن أن يكون أصل من أصول الكتب التي يعتد بها؟

١ - المرجع السابق: ج ١ / ٢٤١-٢٤٢ .

٢ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٣٤ .

٣ - المرجع السابق: ج ٢ / ١٥٤ .

إن الشيعة عندما يتمسك علماؤهم بأن هذا الكتاب هو أصل من أصولهم، وأن هذا المؤلف هو أحد مشايخهم، فهم يعبرون عن جهل عظيم محقق بهم وعن سفه في معتقدتهم، وكان جديراً بهم - إن كان لهم مسكة من عقل - أن يطرحوا هذا المذهب أرضاً، ويستبدلوه بالمذهب الحق الذي افترضه الله ﷻ علينا، وأمرنا بالتمسك به نبينا ﷺ، واقتدينا بالسلف الصالح في العمل به والسير على نهجه والذود عن حياضه .

الطائفة

في فترة عصيبة مرت على الأمة الإسلامية خلال العهد العباسي الأول الذي كثرت فيه الفوضى والمشكلات السياسية والدينية والتكالب على الحكم مما أدى إلى انقسام الدولة إلى عدة دويلات صغيرة متناحرة لها شعارات مختلفة، وبالتالي عدم سيطرة الحكام والوزراء على أنظمة الحكم، وشيوع الضعف والوهن في بعض جوانب الدولة، في هذه المرحلة من عمر الدولة الإسلامية ولد واضح هذا التفسير علي بن إبراهيم القمي، وهو علم من أعلام الشيعة، بل قل رأس من رؤوس الشيعة الإمامية، وقد أثرت الحالة السياسية في الدولة على ظهوره ونشأته، فلم يعلم تاريخ مولده، ولا كيفية نشأته بسبب الاضطرابات السياسية والاجتماعية واختلاف المذاهب، وتخوف بعض الحكام العباسيين من ظهور الشيعة وانتشار مذهبهم، وأيضاً اعتناق الشيعة مذهب التقية في التعامل مع أهل السنة .

أما تاريخ وفاته فقد اختلف فيه فمن قائل أنه توفي عام ٣٢٩هـ، وآخر إنه توفي ٣٠٧هـ، والأخير هو المشهور والمذكور في غالب كتب رجال الشيعة، ولعل الذي توفي في ٣٢٩هـ هو شيخ الشيعة محمد بن يعقوب الكليني أحد تلامذة القمي، فالتبس عليهم . لم نعلم عن الحياة العملية أو العلمية لهذا المؤلف أي شيء يذكر غير أنه سكن مدينة قم مع أبيه إبراهيم بن هاشم القمي، الذي تروي الشيعة أنه أول من نقل حديث الكوفيين إلى القميين، فهو كوفي انتقل إلى العيش في قم، ولكن متى كانت رحلة انتقاله من الكوفية إلى قم؟ لم يذكر ذلك .

اشتهر علي بن إبراهيم بهذا التفسير رغم أن الشيعة تدعي أن له مؤلفات أخرى غيره، ولكني لم أجد له غير هذا الكتاب ولم يذكر هو أن له كتاباً غيره، ولم يُنقل عن أحد من السنة أو الشيعة شيئاً عن هذه الكتب، وبطل ما تناقله الشيعة من أن له كتباً أخرى محض تكهنات، لا تعرف حقيقتها .

وبعد دراستي لهذا التفسير وصلت على عدة نتائج أهمها ما يأتي :

١. أن الشيعة الإمامية أكذب الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وأكثر الفرق افتراء على الإسلام وأهله، وهذا ما أبرزه عدة من علماء المسلمين الأجلاء أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .
٢. أن تفسير القمي تفسير روائي نقلي، وأن القمي يعتبر من الطائفة الإخبارية عند الشيعة وهي طائفة عرفت بتمسكهم بالنصوص المنقولة عن علمائهم، حتى وإن لم تصح تلك الأخبار أو النصوص، ولذلك فهم من الغالين في المذهب الشيعي.
٣. يعتبر هذا التفسير أصلاً من أصول الكتب عند الشيعة، وهو من الكتب المهمة التي أثرت في بناء عقيدة وفكر الشيعة وتأثر به من جاء بعده من الكتاب والمؤلفين ونقلوا عنه ولا يزال هذا التأثير واضحاً وموجوداً إلى يومنا هذا.
٤. تفسير القمي ملفق من روايات إبراهيم بن هاشم القمي، التي أملاها على ابنه علي بن إبراهيم عن بعض مشايخه عن جعفر الصادق - كما يزعم-، ومن تفسير أبي الجارود "سرحوب الأعمى" الذي تدعي الشيعة أنه نقله من روايات محمد الباقر، وأيضاً من عدد من الروايات التي جمعها ولفقها أحد تلاميذ علي بن إبراهيم، وكان الهدف من هذا التلفيق هو محاولته التوسع بنشر المذهب الشيعي إلى جهات غير شيعية عن طريق نشر هذا التفسير الذي يحمل بصمات التشيع، مع وجود تفسير أبي الجارود المقبول عند هذه الجهات، وبذلك يجد للفكر الشيعي صدأً في تلك البلاد .
٥. أن هذا التلميذ الذي لفق التفسير يعتبر من المجاهيل الذين لم تذكرهم كتب الشيعة على الإطلاق، ويكفي هذا دليلاً على فساد هذا التفسير .
٦. أن غالب من روى عنهم علي بن إبراهيم القمي من الجروحين في كتب الشيعة، فمنهم كذابون ووضاعون ومتكلم فيهم ومجهولون ومختلف فيهم.
٧. أنه امتدت الأيدي بالإضافة والحذف في هذا التفسير، ليتفق وعقيدة التقية التي تنتهجها الشيعة عند محاولتها نشر هذا المذهب البائس.
٨. وقع القمي في عدد من المآخذ المنهجية والعقدية والتفسيرية والفقهية، ومنها:

- أولاً: من المآخذ المنهجية أن القمي غامر بالدخول إلى تفسير القرآن وهو محمل بأفكار سابقة أراد أن يثبت لها أدلة من القرآن فعمد إلى بعض الآيات محاولاً إثبات أن تأويلها يوافق ما يدعيه من أفكار وانحرافات .
 - ثانياً: من المآخذ العقديّة أنه حاول إثبات ما تدعيه الشيعة من تحريف القرآن، بل إنه أتى ببعض الآيات وادعى أنها ليست كما أنزلت، أو أنها ليست على ترتيب نزولها، وقد بحث هذا الموضوع وأجبت عن هذه المهاترات.
 - ثم إنه لم يتحرج من تجريح الصحابة رضي الله عنهم بل ووصفهم بالمنافقين، ولم يكتف بذلك بل ادعى أنهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وآله عندما أراد أن يوصي بالخلافة لعلي رضي الله عنه بحسب ادعائهم .
 - للقمي أخطاء ومآخذ مفضوحة أخرى مثل محاولته إثبات معتقد الولاية والإمامة لعلي وذريته وأنها كانت بنص القرآن، وهذا كذب وافتراء لا شك فيه.
 - ومن ذلك أيضاً قوله على الله بالبداء، وهو صريح مذهب الشيعة الإمامية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، كذلك القول بالرجعة، أي عودة الأئمة بعد موتهم وأيضاً عودة أعدائهم من الموت، وهي رجعة في الدنيا قبل يوم القيامة بغرض الانتقام من أعدائهم الذين هم أهل السنة.
 - ثالثاً: من المآخذ التفسيرية عنده أنه أغفل الروافد الأساسية التي يقوم عليها التفسير الروائي الصحيح كتفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين، واكتفى بما يدعيه "التفسير عن آل البيت" وهي تلك الروايات الضعيفة المكذوبة على آل البيت التي أوقعته في مزلق ومآخذ كثيرة.
 - رابعاً: محاولته إثبات أن الوضوء في الأيدي إنما يتم ابتداء من المرفق وانتهاءً بأطراف الأصابع، وأيضاً تكلمه في الخمس على اعتبار أنه كالزكاة في كل مملوك أو مدخر، وإباحته زواج المتعة، إلى غير ذلك من مغالطات المذهب الشيعي.
- وفي النهاية فما أشرت له من هذه المآخذ إنما هو غيض من فيض مما هو موجود في هذا التفسير، ولا يمكن لعاقل أن يعتد بهذا التفسير على أنه كتاب يفسر به كتاب ربنا جل وعلا، بل هو كتاب لا يدل إلا على سقوط وانحراف في المعتقد، وسفاهة في الفكر والقيم،

وإن القمي اتخذ موقفاً مغالياً من أهل السنة والجماعة وحاول جاهداً من خلال هذا التفسير أن يسيء إلى المسلمين، ابتداءً بشخص النبي ﷺ ثم الصحابة جميعاً ﷺ، حتى إنه أساء إلى علي ﷺ نفسه من حيث أراد أن يمتدحه، وبالتالي فقد أساء إلى جميع أهل السنة والجماعة، هذا بعد ما أساء إلى الله ﷻ وإلى كتابه الكريم، فعليه من الله ما يستحق .

هذا والحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين، وصل الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الباحثة

الفهارس

الخاتمة

١ - فهرس الآيات

الصفحة	الآية
	سورة الفاتحة :
١٣١	﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ الفاتحة: ٤
١٨٩	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦
	سورة البقرة :
٣٣٥	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ٢
١٥٣	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ البقرة: ١١
٥٤٠	﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ البقرة: ٢٧
٣٠٦	﴿ وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ البقرة: ٣٥
٥٤٠	﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ البقرة: ٣٧
٣٤٧	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٣
٣٠٧	﴿ فَقَلْنَا أضرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُعِي اللَّهُ الْأَمْوَالَ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة: ٧٣
٢٦٦	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ البقرة: ٨٤
١٢٩	﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴾ البقرة: ٩٤
١٢٩	﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ﴾ البقرة: ٩٥
-٣٠١ ٣٣٨-٣٣٣	﴿ مَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٦
٣٥٥	﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ ءَامَانِيُّهُمْ ﴾ البقرة: ١١١
٣٤٤	﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ البقرة: ١٢٤
٤٢٣	﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَا تَبِعُوا قِيلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَلْبَهُمْ ﴾ البقرة: ١٤٥
٥٠٠	﴿ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ البقرة: ١٨٤
٣٥٤-٥٠٥	﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ البقرة: ١٨٥
١٠٥	﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ البقرة: ١٨٧
-١٥٠ ٢٦٢	﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ فَلْهُيْ مَوَاقِبُ لِلنَّاسِ وَالْحَيُّ وَالْحَيُّ بَانَ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ البقرة: ١٨٩
٥٩	﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ البقرة: ١٩١
٥٠٠-٤٩٩ -٥١٠-	﴿ أَوْ بِهِمْ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ البقرة: ١٩٦

٣٥٤	
٣١٤	﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِلِّكُم مَّا تَدِينُهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بِبَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ البقرة: ٢١١
٤٧٨	﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْيَانُ لَكُمْ فَأْتُوا حُرَّتَكُمْ أَنْتُمْ﴾ البقرة: ٢٢٣
٥٩	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ البقرة: ٢٣٤
٣٠٧-٥٢٣	﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ البقرة: ٢٣٧
٤٨١	﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا وَلَا أَوْرَاقًا﴾ البقرة: ٢٣٩
٥٩	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ البقرة: ٢٤٠
٤٠٢	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْ كَلِمِ اللَّهِ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ البقرة: ٢٥٣
٤٣	﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ﴾ البقرة: ٢٥٦
٤٠١	﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي أَلَّذِي يُعْبُدُ وَيُعْبَدُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ البقرة: ٢٥٨
٣٠٦	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ البقرة: ٢٥٩
٣٠٨	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُولَمُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: ٢٦٠
٢٤١	﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ﴾ البقرة: ٢٦٢
٢٤٢-١٧٠	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ البقرة: ٢٧٥
٢٤٩	﴿وَإِنْ كَانَتْ دُونَ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ البقرة: ٢٨٠
	سورة آل عمران
-١٧٦-١٣٩ ٢٥٠	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ آل عمران: ٧
٣٠٥	﴿الضَّكَّارِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ آل عمران: ١٧
٣٥٤	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ آل عمران: ١٨
- ٣٧٩ ٣٩٠	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَةَ﴾ آل عمران: ٢٨
٣١٤	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٣٣
٩٤	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ آل عمران: ٤٥
١٣٠	﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٦١
٤٣	﴿أَفَعَيِّرْ دِينِ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ﴾ آل عمران: ٨٣
٣٣٩	﴿هَتَأْتُمْ أَوْلَادَ يُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لُتُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ آل عمران: ١١٩
٤٠٤	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ آل عمران: ١٠٦
٤٠٤	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ آل عمران: ١٠٧

الخاتمة

٦٠	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ آل عمران: ١١٠
-٣١٧ ٣١٤-٣٣٣	﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ آل عمران: ١٢٣
٤٠٢	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ آل عمران: ١٤٤
-١٥٤ ٣٠٥	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ ﴾ آل عمران: ١٤٦
٣٣٤	﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْ يَغْلِبُ بِأَبِّ يَمَاعِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ آل عمران: ١٦١
١٨٨	﴿ وَمَا أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ التَّنَجَّى الْجَمْعَانَ فَيَاذَنْ لِلَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٦٦
١٨٨	﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ آل عمران: ١٦٧
٤٤٢	﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ آل عمران: ١٧٩
	سورة النساء :
٢٤٢	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ النساء: ٥
-٥١٩-٥١٦ ٥٢١	﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ النساء: ٢٤
٣٣٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ النساء: ٤٠
٢٦١	﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَمَجْرُوفُونَ أَلْكَامٍ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ النساء: ٤٦
٣٤٧	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ النساء: ٥٧
-١٤٣ ٤٤٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ النساء: ٥٩
٣١٠	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ ﴾ النساء: ٦١
٣٣١	
١٨٧	﴿ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٧٨
١٨٧	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عَبْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢
١٨٥	﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ ﴾ النساء: ٨٣
٥٠٤-٤٩٩	﴿ وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً ﴾ النساء: ٩٢
٢٤٤	﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ النساء: ٩٣
٣٠٦	﴿ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ النساء: ١٠٠
٤٨٨-١٥٣	﴿ أَنْ يَفِينَكُمْ ﴾ النساء: ١٠١
٤٨١	﴿ وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ النساء: ١٠٢
٣٣٥	﴿ وَلَا تَهَيَّؤُوا فِي آبِعَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ﴾ النساء: ١٠٤

١٠٥	﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ النساء: ١٢٥
٢٦٦	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكُفْرِينَ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النساء: ١٣٩
٣٥٦	﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بَنِيكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ فَكُلُوا أَلْفًا نَكْرًا مَعَكُمْ﴾ النساء: ١٤١
٣٨٦- ٣١٠	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء: ١٤٥
١٠٣	﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ النساء: ١٥٩
٥٢٥	﴿فِي ظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ هُمْ﴾ النساء: ١٦٠
٣٤٤	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ النساء: ١٦٣
٣٣١	﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ النساء: ١٦٦
سورة المائدة :	
٩٦	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المائدة: ١
-١٥٠ -٥٩ ٤١٩-٣٤٩	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالذَّمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ المائدة: ٣
-٤٧٤-٥٩ ٣١٨	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ المائدة: ٦
١٢٥	﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ﴾ المائدة: ١٥
٢٥٧	﴿وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ المائدة: ٢٧
٢٦٥-١٠٦ ٤٢٣-	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ المائدة: ٥٤
١١٣	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ المائدة: ٥٥
٤٣٧	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُبْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة: ٦٤
٣٨٥-٣٤٤ ٤٠٨-	﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ المائدة: ٦٧
٥١٨	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِئَتْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَقْتُدُوا﴾ المائدة: ٨٧
٥٠٥-٤٩٩	﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ المائدة: ٨٩
-٥٠٠-٤٩٩ ٥١٢	﴿أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ المائدة: ٩٥
سورة الأنعام :	
٤٣٧	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْشَأَ تَمَرُّونَ﴾ الأنعام: ٢
٤٢٢	﴿وَلَوْ رِئَتْ إِذِ فُفِّتُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيِّنُنَا نَرْدُ وَلَا تَكْذِبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنعام: ٢٧
٣٥٦	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الأنعام: ٧٣
١٢٧	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢

الخاتمة

٣٠٢	﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَالِقُ تَوَفِكُونَ﴾ الأنعام: ٩٥
١٣٨	﴿مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ الأنعام: ٩٨
٢٣٦	﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِئَاتَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِئَاتَيْنِ﴾ الأنعام: ١٤٣
٥٢٥	﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ الأنعام: ١٤٦
١٣٩	﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ الأنعام: ١٥١
-١٢١	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ الأنعام: ١٥٩
	سورة الأعراف :
١١٨-٧٢	﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ الأعراف: ٢٩ - ٣٠
٢٦٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ الأعراف: ٤٠
١٠٦	﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ الأعراف: ٤٤
٢٨٩	﴿وَأَذَىٰ أَحْسَبُ الْأَعْرَافِ رِيحًا لَا يَعْرِفُونَهَا بِسْمِئِهِمْ﴾ الأعراف: ٤٨
٣٠١	﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ الأعراف: ١٣٤
٣٠٣	﴿وَجَورًا يَبِغِي إِسْرَائِيلَ بِأَلْبَحْرِ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ الأعراف: ١٣٨
٣٠٣	﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ وَقَبَّلْتُمْ مِنْ رَّبِّهِمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الأعراف: ١٤٢
٥٤٦	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ﴾ الأعراف: ١٤٣
٤٥	﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ الأعراف: ١٥٧
٢٦٣	﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْأَلْكَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الصَّالِحِينَ﴾ الأعراف: ١٧٠
	سورة الأنفال :
٣١٥-٤٩٤	﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الأنفال: ١
١٨٧	﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ يَاسِينَ، رَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ الأنفال: ٢
٤٢٤	﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: ٢٤
٤٢٤	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُغِيْبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال: ٢٥
٥٩	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ الأنفال: ٢٨
٤٩٤	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ مِثْلَهُ، وَلِلرَّسُولِ﴾ الأنفال: ٤١
٢٦٦	﴿وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ الأنفال: ٥٨
١٤٢	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَّهَهُمْ مَعَكُمْ﴾ الأنفال: ٧٥
٣٠٦	﴿وَاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الأنفال: ٦٠
	سورة التوبة :
٤٩٢	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْمُقَرَّبِينَ وَالْمَسْكِينِ﴾ التوبة: ٦٠

الخاتمة

٣٠٤	﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ﴾ يوسف: ٥٦
٥٤٥-	﴿ أَذْهَبُوا بِمِصْرِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ يوسف: ٩٣
٢٧٩	
٥٤٦	﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ يوسف: ٩٤
	سورة الرعد :
٧٢	﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْفَى ﴾ الرعد: ٨
٧٢	﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ ﴾ الرعد: ١٠
٦٠-٣٣٣	﴿ لَهُ مَعْقِنَةٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ ﴾ الرعد: ١١
٢٦٤	﴿ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد: ٢٣ - ٢٤
٥٤٠	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الرعد: ٢٩
٤٣٧	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ الرعد: ٣٨
٤٣٧	﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ الرعد: ٣٩
	سورة إبراهيم :
٢٩٦	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا مَنْجِيَةٌ تُؤْتِي مأكْلًا كُلَّ حِينٍ بِيادِنِ رَبِّهَا وَيُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ إبراهيم: ٢٥
٢٩٦	﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ إبراهيم: ٢٦
	سورة الحجر :
٣١٤-	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩
٣٣٥	
١٣٣	﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ الحجر: ١٥
٢٩٧	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحجر: ٨٧
	سورة النحل :
٤٧٠	﴿ لِلنَّهْكَرِ اللَّهُ وَجِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوقُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل: ٢٢
٣٣٢	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ النحل: ٢٤
١٨٩-٢٤٠	﴿ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣
١٣٤-١٩٣	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ النحل: ٤٤
١١٩	﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُعَلِّمَنَّكُمْ مَا فِي بَطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمِرًا لَبِنًا خَلْصًا سَابِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ النحل: ٦٦
٢٩٧	﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ النحل: ٦٨

٢٩٧	﴿ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّجَرَةِ فَاسْقِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا ﴾ النحل: ٦٩
٣٧٩	﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ النحل: ١٠٦
١٥٤	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ النحل: ١٢٠
	سورة الإسراء :
٤٨	﴿ وَقَصَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ الإسراء: ٤
١٣٩	﴿ وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الإسراء: ٢٣
٤٣٧	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩
٣٤٤	﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاثٍ يُؤْمِنُ ﴾ الإسراء: ٧١
	سورة الكهف :
٣٣٥	﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٧
٣١٠-٧٤	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الكهف: ١٠٣
٣١٠	﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ الكهف: ١٠٤
	سورة مريم :
٥٣٠	﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ مريم: ٥
٥٣٤	﴿ رَبُّنِي وَيَرْبُؤُنِي مِنَ الْعَدُوِّ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ مريم: ٦
١١٩	﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ مريم: ٥٧
١٣٣	﴿ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مريم: ٧٣
١٣٠	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ مريم: ٧٥
٢٤٢	﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ مريم: ٨٧
٧٤	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ مريم: ٨٨
٧٤	﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾ مريم: ٨٩
٧٤	﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ﴾ مريم: ٩٠
٧٤	﴿ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ مريم: ٩١
٧٤	﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ مريم: ٩٢ إلى : ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ مريم: ٩٥
١٢١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ مريم: ٩٦
	سورة طه :
٢٤٥	﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى ﴾ طه: ٢
٣٠٨	﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاطْلِعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه: ١٢
١٨٩	﴿ وَإِنِّي لَفَعَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ طه: ٨٢

الخاتمة

٣٠١	﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَانصِبْ ﴾ طه: ٨٨
	سورة الأنبياء :
٦١-٤٨	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ الأنبياء: ١٠٥
	سورة الحج
٢٣٦	﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ ﴾ الحج: ١٥
٢٩٨	﴿ هَذَانِ حَصَمَانٍ اٰخَصَمُوا فِي رِيحِهِم ﴾ الحج: ١٩
٢٧٦	﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ الحج: ٢٧
٣٠٠	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةٍ اٰتَعَلُّوْا ﴾ الحج: ٣٤
٣١٠	﴿ اٰذِنَ لِلَّذِيْنَ يُقْتَلُوْنَ بِاَنَّهُمْ ظٰلِمُوْنَ بِاَنَّهُمْ ظٰلِمُوْا وَاِنَّ اللّٰهَ عَلٰى نَصْرِهِمْ لَقٰدِيْرٌ ﴾ الحج: ٣٩
٣٠٢	﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ الحج: ٤٥
٣٢١	﴿ وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُوْلٍ وَلَا نَبِيٍّ اِلَّا اِذَا تَمَنَّیَ الْفٰلِقُ الشَّيْطٰنُ فِیْ اٰمِنِيَّتِهٖ ﴾ الحج: ٥٢
٣٠٣	﴿ ذٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوْقِبَ بِهٖ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللّٰهُ ﴾ الحج: ٦٠
٢٤٠	﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اٰرْكَعُوْا وَاَسْجُدُوْا وَاَعْبُدُوْا رَبَّكُمْ ﴾ الحج: ٧٧
	سورة المؤمنون :
٥٢١	﴿ وَالَّذِيْنَ هُمْ لِقَرْبِهِمْ حٰفِظُوْنَ ﴾ المؤمنون: ٥
٥٢٢-٥٢١	﴿ اِلَّا عَلٰى اٰزْوٰجِهِمْ اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمٰنُهُمْ فَاِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُوْمِيْنَ ﴾ المؤمنون: ٦
٥٢١	﴿ فَمَنْ اٰتٰنَّیْ وَرَآءَ ذٰلِكَ فَاُوْلٰئِكَ هُمُ الْعٰدُوْنَ ﴾ المؤمنون: ٧
-٤٩٢ ٤٦١	﴿ حَتّٰى اِذَا جَآءَ اَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُوْنِ ﴾ المؤمنون: ٩٩
٤٦١-٤٩٢	﴿ لَعَلِّيْ اَعْمَلُ صٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا اِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قٰلَهَا ﴾ المؤمنون: ١٠٠
	سورة النور :
٣٠٩	﴿ اَلرَّانِ لَا يَنْجِحُ اِلَّا زَانِيَةٌ اَوْ مُشْرِكَةٌ اَوْ مُشْرِكَةٌ اِلَّا زَانٍ اَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذٰلِكَ عَلٰى الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ النور: ٣
٢٧٠	﴿ اِنَّ الَّذِيْنَ جَآءُوْ بِالْاِفْكَ عَصَبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوْهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ النور: ١١
٣٠٦	﴿ وَلَا يَأْتَلِ اُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ اَنْ يُؤْتُوْا اُولٰٓئِ الْقُرْبٰى وَالْمَسْكِيْنَ وَالْمُهَاجِرِيْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ﴾ النور: ٢٢
٥٤١	﴿ اللّٰهُ نُورٌ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ مِثْلُ نُوْرٍ مِّثْلُ نُوْرٍ كِيْشْكُوْفٍ فِيْهَا مِصْبَاحٌ ﴾ النور: ٣٥
٩٦	﴿ فِيْ بُيُوْتٍ اٰذِنَ اللّٰهُ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيْهَا اسْمُهُ ﴾ النور: ٣٦
٢٩٩	﴿ اَوْ كَطُلُمٰتٍ فِىْ بَحْرٍ لَّيْجٍ يَغْشٰهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهٖ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهٖ سَحَابٌ ﴾ النور: ٤٠
٢٨٧	﴿ اَلرَّحٰرَ اِنَّ اللّٰهَ يُسَبِّحُ لَهٗ مِنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفٰتٍ ﴾ النور: ٤١
٢٦٥	﴿ وَيَقُوْلُوْنَ ءَاٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَاِلَّا رَسُوْلٍ وَاَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلّٰى فِرْقًا مِّنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ ﴾ النور: ٤٧

٢٦٥	﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ النور: ٤٨
٦١-٤٨	﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ النور: ٥٥
	سورة الفرقان :
١٥٣	﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ الفرقان: ١٨
٤٢٢	﴿ وَيَوْمَ بَعْضُ الظَّالِمِ عَلَن يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ الفرقان: ٢٧
١٢٧	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ الفرقان: ٣٣
٣٩١	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴾ الفرقان: ٦٣
٣٤٤-٦٠	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا ﴾ الفرقان: ٧٤
	سورة الشعراء :
٣٠٤	﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ الشعراء: ١٠٠
٢٧٦	﴿ وَتَنحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِيدًا ﴾ الشعراء: ١٤٩
١٥٢	﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الشعراء: ١٩٢ - ﴿ يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٥
٥٤٤	﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩ ﴿ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ١٩٩ - ١٩٨
٧٣	﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ الشعراء: ٢٢٤
	سورة النمل :
٢٥٤-١٠٦	﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ النمل: ٨٢
	سورة القصص :
٦١	﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِي أُسْتُضِعُوا ﴾ القصص: ٥
٣٥٥	﴿ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ القصص: ٥٠
٣٤٤	﴿ وَرَبُّكَ بِمَا يَفْعَلُونَ بِمَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ القصص: ٦٨
	سورة العنكبوت :
٦٠	﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرَ أَن يَذُوقُوا ﴾ العنكبوت: ١ - ٢
٤٠٥	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ العنكبوت: ٧
٤٠٥	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ العنكبوت: ٩
٤٣	﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ العنكبوت: ٥١
	سورة الروم :
٥٤٤	﴿ عَلَيَّتِ الرُّومُ ﴾ في أدنى الأرض وهم يربُّ بعد عليهم سَجْدِيكَ ﴿٢﴾ في بضع سنين ﴿ الروم: ٢ - ٤
٦٩	﴿ فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ الروم: ٣٠
-٥٣٠	﴿ فَتَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ ﴾ الروم: ٣٨

الخاتمة

٢٩٢	
٣٠٤	﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لِّرَبُّوٓا فِىٓ أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوٓا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ الروم: ٣٩
	سورة لقمان :
١٢٨	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمٰنُ لِابْنِهِٗ وَهُوَ يُعِطُّهُ يَبْنَىٓ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ لقمان: ١٣
٧٢	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ﴾ لقمان: ٣٤
	سورة السجدة
٢٤٣	﴿ قُلْ يُنَوِّفُكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِىٓ وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ السجدة: ١١
٣٤٤	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤
	سورة الأحزاب :
٢٤٨	﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِىٓ جَوْفِهِ ﴾ الأحزاب: ٤
-١٥٤	﴿ النَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَأَرْوَاحُهُمْ أَمْهَنُهُمْ ﴾ : ﴿ مَسْطُورًا ﴾ الأحزاب: ٦
٣٣٣	
٣٣٤	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ الأحزاب: ٧
٣١٧	﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْطِهِمْ لَمَّا بَيَّنَّوْا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ الأحزاب: ٢٥
٣٦٨	﴿ وَلَئِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِزَانًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب: ٢٩
٣٦٨	﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ مَنْ بَاتَ مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مَّبِينَةٍ يَضَعْفْ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ ﴾ الأحزاب: ٣٠
٣٦٨	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَالَّذِىٓ لَا يَرْجُ عُذْرًا وَلَا يَسْتَعِذُ يَتُوبُ إِلَىٰ اللَّهِ عِلْمًا ﴾ الأحزاب: ٣١
٣٦٨	﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ لَسْتَ نَسِيءٌ كَأَنَّكَ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَنْفَيْتَ فَلَا تَحْضَعْنَ قُلُوبَهُنَّ وَلَا يَضَعَنَّ الْقُلُوبُ الَّذِىٓ فِىٓ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ الأحزاب: ٣٢
-٣٦٤	﴿ وَقَرْنَ فِىٓ بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَرَحَبْنَ وَجِبَابَ الْجَنَابِلِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب: ٣٣
٣٦٩-٣٦٧	
٤٢٥	﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَىٰ فِىٓ نَفْسِكَ ﴾ الأحزاب: ٣٧
٢٧٤	﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاحَهُمْ مِّن بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ الأحزاب: ٥٣
	سورة سبأ :
٤٠٨	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَهِسُ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سبأ: ٢٠
١١٣	﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ ﴾ سبأ: ٢٣
١٥٧	﴿ وَإِنَّا أَوْلَىٰ بِالْإِنْسَانِ لِحَبَابِهِٓ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِىٓ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ: ٢٤
	سورة فاطر :
٢٤٦	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلٰٓئِكَةَ رُسُلًا أُولَىٓ أَجْنِحَةٍ ﴾ فاطر: ١
٣٠٠	﴿ وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ فاطر: ١٢

٣٤٤	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْمَكَانَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ فاطر: ٣٢
٢٤٧	﴿ أَسَىٰ كِبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾ فاطر: ٤٣
	سورة يس:
-٣٤٤ ٣٥٢	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَيَكْسِبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكَلَّ شَيْءٌ أَحْصَيْنَهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يس: ١٢
٢٨٧	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ يس: ١٣
٣٦٤	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ يس: ٨٢
	سورة الصافات:
-١٢١ ٣٣٠	﴿ اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ الصافات: ٢٢
٢٨٠	﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات: ١٠٥
١٥٣	﴿ أَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ الصافات: ١٢٥
	سورة الزمر:
٢٤٤	﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَعُوا رِبِّهِمْ هُمْ عَرَفُوا مِنْ فَوْقِهَا عَرَفٌ ﴾ الزمر: ٢٠
٣٤٤	﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٣٣
٤٢٨	﴿ وَيَدَاهُ لَّهُمْ مَبْدُوعَاتٌ مِمَّا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ الزمر: ٤٧
٤٢٣-٧٠	﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ الزمر: ٦٥
٢٥٦	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَجِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ الزمر: ٦٨
	سورة غافر:
٣١٧	﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ غافر: ٢٠
	سورة فصلت:
٣٠١	﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ فصلت: ٢٢
٣٣٥-٣١٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ فصلت: ٤١ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢
	سورة الشورى:
٣٥٤	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ الشورى: ١٣
٣٤٤	﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَشْتَكُوا عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ الشورى: ٢٣
٢٥٨	﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ الشورى: ٣٠
	سورة الزخرف:

الخاتمة

٢٨٩	﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبُدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥
٢٥٤	﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ الزخرف: ٥٧
٢٣٧	﴿ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ الزخرف: ٧٨
٤٢١- ٤٠٣	﴿ أَمْ أَمْرُؤَا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِئُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ﴾ الزخرف: ٧٩ - ٨٠
سورة الدخان	
-٤٦٧ ٤٦٨	﴿ فَأَرْقَبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الدخان: ١٠ - ١١
٤٦٨	﴿ رَبَّنَا أَكْرِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ الدخان: ١٢
٤٦٨	﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكَ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴾ الدخان: ١٥ - ١٦
٢٥٣	﴿ فَأَرْقَبُ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ الدخان: ٥٩
سورة الجاثية :	
-١٩١ ٣٠٩	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴿٢٣﴾ الْجَاثِيَةِ: ٢٣
٣٠٩	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ الجاثية: ٢٤
١٥٤	﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الجاثية: ٢٩
سورة الأحقاف :	
١٥٢	﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴿١٢﴾ الْأَحْقَافِ: ١٢
٢٥١	﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهِ أَتَىٰ لَكُمْ فَأَتِدَافِنِي ﴿١٧﴾ الْأَحْقَافِ: ١٧
سورة محمد ﷺ:	
٢٨١	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾ محمد: ١
٣٣١	﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يُمْسِكْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ محمد: ٧
٣٣١	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَالضَّلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾ محمد: ٨
٣٣١	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ محمد: ٩
٢٥١	﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ محمد: ١٨
٤٠٢	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَنَّا مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ محمد: ٢٥
٤٠٢-٤٩٣	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾ محمد: ٢٦
١٨٨	﴿ وَلَنَسُوْنَكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ ﴾ محمد: ٣١
سورة الفتح :	
١٨٨	﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الفتح: ١٠

٤١٨ - ٤٢٥	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الفتح: ١٨
٤٢٥ - ٣٣٤	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ الفتح: ٢٩
	سورة الحجرات :
٢٧١	﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقُ بَيْنًا﴾ الحجرات: ٦
٤٢٣	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمَنَ﴾ الحجرات: ٧
١٥٤	﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ الحجرات: ١٤
	سورة ق~ :
١٥٤	﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَدَتٍ لَّمَّا طَلَعُ نَضِيدٌ﴾ ق: ١٠
٢٤٨	﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلِّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ق: ٢٤
١٥٣	﴿فَقَبُوا﴾ ق: ٣٦
	سورة الذاريات :
٥٩	﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ﴾ الذاريات: ١٣
	سورة الطور :
٢٩٢	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الطور: ٢١
٤٥	﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ الطور: ٣٣
٤٧٠ - ١١٤	﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الطور: ٤٧
	سورة النجم :
١٢١	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ النجم: ١
١٣٤	﴿وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْمَوْتَى﴾ (٣) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (٤) النجم: ٣ - ٤
٢٩١	﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ النجم: ١٤ - ١٥
٧٤	﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ النجم: ٤٢
١٥٣	﴿وَأَنْتُمْ سَوِيدُونَ﴾ النجم: ٦١
	سورة الرحمن :
٢٧٧	﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ الرحمن: ٤٣
	سورة الواقعة :
٢٧٦	﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾ الواقعة: ٨٢
	سورة الحديد :
٤٢٥	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مَنكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ الحديد: ١٠
٩٦	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ الحديد: ٢٢

الخاتمة

٢٥٨	﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ الحديد: ٢٢
	سورة المجادلة :
٤٩٩	﴿ فَمَنْ لَمْ يُجِدْ فُصِيحًا شَمَّهْرِينَ مُتَنَابِعِينَ ﴾ المجادلة: ٤
	سورة الحشر :
٤٩٤	﴿ مَا آفَأَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ الحشر: ٧
٤٢٦-١٤٢	﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ﴾ الحشر: ١٠
	سورة الممتحنة :
٤١٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ بِبِاعْتِكَ عَلَيَّ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ الممتحنة: ١٢
	سورة الصف :
٤٧١	﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُبِينٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ الصف: ٨
٤٧١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَيْعَةٍ يُحْبَرُونَ لِيُجَادِبَ عَنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴾ الصف: ١٠
٤٧١	﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُؤَدُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الصف: ١١
٤٧١	﴿ يَعْرِفُونَ ذُرُوعَهُمْ وَيَدْعُوكُمْ حَبَتَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَكَكُنَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ الصف: ١٢
٤٧١	﴿ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصف: ١٣
	سورة الجمعة :
١٤٢	﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ الجمعة: ٣
١٢٩	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾ الجمعة: ٦
٢٧٨	﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمَّ بِتِجَارَةٍ لَبَّسُوا لِبَاسَهُمْ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ الجمعة: ١١
	سورة التغابن :
٣٥١	﴿ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ التغابن: ٨
	سورة الطلاق :
٥٢٧	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ الطلاق: ١
	سورة التحريم :
٤٢٤	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ التحريم: ١
٤٢١	﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ التحريم: ٢
٢٧٤	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَأَمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ التحريم: ١٠
	سورة القلم :
٣٠٢	﴿ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٤﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ القلم: ١٢ - ١٣
	سورة الحاقة :

٢٣٧	﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ (١) مَا الْحَاقَّةُ ﴿ الحاقة: ١ - ٢
١٢٠	﴿ وَالْمَلِكُ عَلَنَ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴾ الحاقة: ١٧
٣٥٦	﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كَيْبَهُ، بِسَمِيئِهِ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيئَةٌ ﴾ الحاقة: ١٩
	سورة المعارج :
٤٧١	﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ المعارج: ١
	سورة الجن :
٤٤٢-٣٧٣	﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٧
	سورة المدثر :
٤٩٣	﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَنُغَمِّقُنَّ الْمَسْجِدَ ﴿٤٤﴾ الْمَدْرَةَ: ٤٤
	سورة القيامة :
٣١٣	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ الْقِيَامَةِ: ١٧
	سورة المرسلات :
١٢١	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ المرسلات: ٤٨
	سورة النبأ :
١٥٦	﴿ لَا يَدْفَعُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ النبأ: ٢٤
	سورة النازعات :
٤٠١	﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ النازعات: ٢٤
	سورة عبس :
٢٨٢	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿٧﴾ عَبَسَ: ١ إلى ﴿ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بَرَكَاتِي ﴾ عبس: ٧
	سورة التكوير :
٣٠٢	﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سَلَّتْ ﴿٨﴾ بَأَيْ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ التكوير: ٨ - ٩
	سورة الانشقاق :
١٥٣	﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ الانشقاق: ٢
	سورة الغاشية :
١٥٤	﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴾ الغاشية: ٦
	سورة العاديات :
٤٠٥	﴿ إِنَّكَ الْبَرُّ الْبَرُّ أَمَّنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ العاديات: ٧
	سورة العاديات :

الخاتمة

٢٨٢	﴿وَالْعَلَدِيَّةِ صَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَّةِ قَدْحًا﴾ العاديات: ١ - ٢
	سورة العصر :
٢٧٨	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٍ﴾ العصر: ٢
	سورة الهمزة :
٢٥٦	﴿كَلَّا لِيُبَدَّلَنَ فِي الْخَطْمَةِ﴾ الهمزة: ٤
	سورة الماعون :
١٥٥	﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الماعون: ٧
	سورة الكوثر :
٣٠٧	﴿إِنِّكَ شَانِئُهُ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الكوثر: ٣

٢- فهرس الأحاديث والآثار :

م	طرف النص	الراوي	الصفحة
١.	اتقوا الحديث إلا ما علمتم، فإنه من كذب علي متعمداً	ابن عباس	٢٦٠
٢.	أتم النبي ﷺ وقصر	عائشة رضي الله عنها	٤٩٠
٣.	إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب	عن أبو زرعة	١٣٦
٤.	إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت	ثوبان ﷺ	٤٤٧
٥.	أردت أن أسأل عمر فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان	عن ابن عباس	١٣٨
٦.	أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع	البراء بن عازب	٤١٦
٧.	أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع	عبد الله بن مسعود	٤٤٦
٨.	ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك	عبد الرحمن بن عوف	١٣٣
٩.	إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح	أبو بكره ﷺ	٣٧١
١٠.	إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله	عن أبي بكره	١٣٤
١١.	أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح فصام	جابر بن عبد الله	٥٠٨
١٢.	أن رسول الله ﷺ ذكر أن يعتكف العشر الأواخر	عمرة بنت عبد الرحمن	٥٠٢
١٣.	إن رسول الله ﷺ كان يمر بباب	أنس بن مالك	٣٧٠
١٤.	أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء	علي بن أبي طالب	٥١٩
١٥.	أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر	عائشة رضي الله عنها	٥٣٢
١٦.	إن كنت طلقت واحدة أو اثنتين	عبد الله بن عمر	٥٢٧
١٧.	أنا فرطكم على الحوض وليرفعن	عبد الله بن مسعود	٤٠٩
١٨.	أنزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر	عن ابن عباس	١٤٨
١٩.	إني رجل أسرد الصوم	عائشة رضي الله عنها	٥٠٨
٢٠.	إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت	عمر بن الخطاب	١٥٠
٢١.	أوف بنذرک	عمر بن الخطاب	٥٠٢

الخاتمة

٢٢	بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل	عبد الله بن عمرو	٣٨٥
٢٣	جالست أصحاب رسول الله ﷺ فوجدتهم كالإخاذ	مسروق	١٣٧
٢٤	حدثنا الذين كانوا يُقرئونا: أنهم كانوا	عن أبي عبد الرحمن السلمي	١٩٣
٢٥	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم	عمران بن حصين	١٣٥- ١٤٣
٢٦	سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبي ﷺ فدعا بتور من ماء	عبد الله بن زيد	٤٧٧
٢٧	شهدت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف	جابر بن عبد الله	٤٨٤
٢٨	الصلاة أول ما فرضت ركعتين	عائشة رضي الله عنها	٤٩٠
٢٩	صلى بكل طائفة ركعتين	جابر بن عبد الله	٤٨٥
٣٠	صلى مع النبي ﷺ يوم ذات الرقاع صلاة الخوف	صالح بن خوات	٤٨٤
٣١	عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ	مجاهد	١٩٤
٣٢	عنها أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر ﷺ يلتمسان ميراثهما	عائشة رضي الله عنها	٥٣٣
٣٣	غزوت مع رسول الله ﷺ ، قبل نجد	صالح بن خوات	٤٨٤
٣٤	فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين	كعب بن عجرة	٥١١
٣٥	في الذي يأتي امرأته وهي حائض	عبد الله بن عباس	٤٧٩
٣٦	قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ	زيد بن أرقم	٤١٥
٣٧	كنا نسافر مع النبي ﷺ فلم	أنس بن مالك	٥٠٨
٣٨	كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء	عبد الله بن مسعود	٥١٨
٣٩	كنت ألزم الأكبر من أصحاب رسول الله،	ابن عباس	١٣٨
٤٠	لا اعتكاف إلا بصوم	عائشة رضي الله عنها	٥٠١
٤١	لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق	أبو سعيد الخدري	١٣٥
٤٢	لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ	نافع ﷺ	٤٤٩
٤٣	لا يفتسم ورثتي ديناراً ولا درهما	أبو هريرة	٤٩٨
٤٤	لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع	زيد بن أرقم	٤١٦
٤٥	لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك	عبد الله بن مسعود ﷺ	١٢٦

		على	
١٣٢	مجاهد بن جبر	لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج أن أسأل ابن عباس	٤٦
٤٤٦	علي بن أبي طالب	لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث	٤٧
٥٢٦	عائشة رضي الله عنها	من أحدث في أمرنا هذا	٤٨
١٣٢	سفيان الثوري	من قرأها ﴿مَقَامًا﴾ فإنما يعني : مقامه الذي يقيم فيه	٤٩
٤٤٦	أم سلمة رضي الله عنها	المهدي من عترتي من ولد فاطمة	٥٠
١٥٠	عبد الله بن مسعود	والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة	٥١
١٥٠	علي بن أبي طالب	والله ما نزلت آية إلا وقد علمت	٥٢
١٥٠	علي بن أبي طالب	والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم	٥٣
١٤٩	البراء بن عازب	يقول نزلت هذه الآية فينا كانت الأنصار	٥٤

٣- فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم
٢٢٢	أبان بن عثمان
٣٠	إبراهيم النظام
٢٢	إبراهيم بن عبد الله بن الحسن
١٥٣	إبراهيم بن عمر الجعبري
٦٦	إبراهيم بن هاشم القمي
١٤٤	ابن أبي مليكة
٩٦	ابن عقدة
١٨٦	أبو إسحاق الزجاج
٨٠	أبو الحسن الخاقاني
٣١	أبو الحسن العسكري
١٠٤	أبو الحسن القفطي (القفطي)
١٦٠	أبو الحسن الواحدي
٢١	أبو العباس السفاح
٨٩	أبو القاسم (ابن قولوية)
٢٠٩	أبو القاسم الخوئي
٣٠	أبو الهذيل العلاف
٢٠٧	أبو بصير، ليث بن البختری المرادي
٩٦	أبو بكر الدوري (الوراق)
١٥٠	أبو بكر بن الأنباري
١٦٠	أبو حيان الأندلس
١٦٧	أبو ذر الغفاري
١٤٠	أبو زرعة
١٩٧	أبو عبد الرحمن السلمي

١٣٣	أبو عبيدة عامر الجراح
١٨٦	أبو علي الجبائي
١٠٣	أبو علي الطبرسي
٢٠	أبو مسلم الخراساني
٢٠٨	أحمد بن الحسين الغضائري
٤١٦	أحمد بن شعيب النسائي
٩٦	أحمد بن عبدون (ابن الحاشي)
١٦٧	أحمد بن علي الطبرسي
٤٣	أحمد بن علي بن إبراهيم القمي
٢٥	إدريس بن عبد الله
٤٢	اسحاق بن إبراهيم القمي
١٨٦	إسماعيل السدي
١٣١	إسماعيل بن كثير
٥٢	إسماعيل بن محمد المازندراني
٥٨	آغا بزرك الطهراني
٣٤	الإمام محمد بن جرير الطبري
١٣٣	الأمير الصنعائي
١٨٣	أنس بن مالك بن النضر <small>رضي الله عنه</small>
٨٨	بحر العلوم
١٥٦	بدر الدين الزركشي
١٣٤	البراء بن عازب
٣٠	بشر المريسي
١٨٨	جابر بن يزيد الجعفي
٥٧	جعفر الصادق
١١٣	الحر العاملي
١٠٧	الحسن البصري

٣٢	الحسن العسكري
٢٢٤	الحسن بن محبوب
٨٢	الحسن بن يوسف بن مطهر الحلبي
٢٤	الحسين بن علي بن الحسين (الحسين الطالبي)
٢٢١	حماد بن عيسى
٣٩	حمزة بن محمد العلوي
٢١٢	حنان بن سدير
١٤٦	الربيع بن أنس
١٤٥	رفيع بن مهران (أبو العالية)
١٨	الزبير بن العوام
٩٤	زياد بن المنذر (أبو الجارود)
١٦٨	زيد بن ثابت
١٩	سعد بن مالك
١٥٠	سعيد بن أبي عروبة
١٤٥	سعيد بن المسيب
١٤٥	سعيد بن جبير
١٣٦	سفيان الثوري
١٧٩	سليم بن قيس الهلالي
١٨٥	سمرة بن جندب <small>رضي الله عنه</small>
٦١	الشريف المرتضى
٢٣٤	شريك بن عبد الله النخعي
١٤٨	شعبة بن الحجاج
٨٨	الشهيد الأول
١٣٧	شيخ الإسلام ابن تيمية
٣٩	الصدوق
٢٢٥	صفوان بن يحيى البجلي

١٤٦	الضحاك بن مزاحم
١٨	طلحة بن عبيد الله:
٦٦	ظريف بن ناصح
١٣٤	عاصم بن أبي النجود
٣٢٤	عبد الحسين الموسوي
١٨٧	عبد الرحمن بن زيد
١٨٣	عبد الرحمن بن صخر (أبو هريرة) <small>رضي الله عنه</small>
١٩	عبد الرحمن بن عوف
٦٦	عبد الصمد بن بشير
١٨٠	عبد اللطيف الكازراني
١٣٦	عبد الله (ابن كثير المكي)
٨٧	عبد الله المامقاني
١٨٢	عبد الله بن سبأ
١٠٦	عبد الله بن عباس <small>رضي الله عنه</small>
١٨٤	عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي <small>رضي الله عنه</small>
١٨٠	عبد الله بن محمد شبر
١٣٠	عبد الله بن مسعود
١٤٥	عطاء بن أبي رباح
١٣١	عكرمة
٣١٠	علي الهادي
٢٩	علي الرضا
٣٦	علي بن إبراهيم
١٣٤	علي بن حمزة الكسائي
١١٠	عمار بن ياسر
١٨٥	عمران بن حطان الخارجي
٣٠	عمرو الجاحظ

١٨٥	عمرو بن العاص <small>رضي الله عنه</small>
٢٣	عيسى بن موسى
١٠٦	غزوان أبي مالك
١٠٢	فرات الكوفي
٢٨	الفضل بن سهل
١١١	الفيض الكاشاني
٢١٤	القاسم بن محمد الجوهري .
١٠٧	قتادة السدوسي
٢٨	المأمون بن هارون الرشيد
٣٢	المتوكل على الله
١٣١	مجاهد بن جبر
١٣٣	محمد الأمين الشنقيطي
٥٧	محمد الباقر
٢٩	محمد الجواد
١٣٥	محمد الطاهر بن عاشور
٨٣	محمد باقر الاستربادي (الداماد)
٥١	محمد باقر المجلسي
٦٠	محمد بن ابراهيم (ابن ابي زينب)
٢١٠	محمد بن أبي عمير
٤١٦	محمد بن أحمد بن عثمان (شمس الدين الذهبي)
٨٦	محمد بن إسحاق النديم
٣٣	محمد بن اسماعيل البخاري (الإمام البخاري)
٤٣	محمد بن الحسن الطوسي (أبو جعفر)
٨٨	محمد بن الحسين البهائي
٢١٧	محمد بن الفضيل .
٢٢٣	محمد بن سلام

٢٠	محمد بن عبد الله بن حسن (النفس الزكية)
٤٤	محمد بن علي القمي
٢١٦	محمد بن علي الأردبيلي
٨٥	محمد بن علي بن شهر آشوب
٦٧	محمد بن عمر الكشي
٨٣	محمد بن محمد النعمان (المفيد)
١٨٠	محمد بن مسعود العياشي
٤٣	محمد بن يعقوب الكليني
١١٨	محمد حسين الطباطبائي
١٧٦	محمد حسين كاشف الغطاء
٨٧	محمد مهدي الطباطبائي
١٥٩	محمود الزمخشري
٢٠	مروان بن محمد بن مروان بن الحكم
١٤١	مسروق بن الأجدع
٣٤	مسلم بن حجاج القشيري (الإمام مسلم)
٨٧	مصطفى بن الحسين التفرشي
٣٢	المعتز بالله
٣١	المعتصم بن الرشيد
٣٣	المعتمد على الله
٢٢٢	معمر بن المثنى
١٥١	معمر بن راشد
١٥٢	مناع القطان
٢٣	المهدي الخليفة
٩٤	موسى بن جعفر (ابن طاووس)
١٦٨	ميرزا نوري الطبرسي
١٥٧	نافع الأزرق

٢١٥	نصر بن الصباح
٢٢٨	النضر بن سويد
١٦٥	نعمة الله الجزائري
٢٤	المهدي الخليفة
٢٥	هارون الرشيد الخليفة
٢٣٥	هاشم معروف الحسني
٢٥	يحيى الطالبي
٨١	يونس بن عبد الرحمن

٤- فهرس الكلمات الغربية

الصفحة	الكلمة
٤٤٨	أجلى الجبهة
١٤١	الإخاذ
٥٢٨	البرقادون
٤٧٧	التور
٥٣٠	الخرثى
٣٦٤	الخريزة
٢١٨	السابري
٢١٧	السراد
٢٧	السنون
١٠٨	الغرائر
٢٩١	الكراديس
١٠٩	الميرة
٢٣٠	النخعي

الغائمة

٥- معجم البلدان :

الصفحة	البلد
١٠٤	أصبهان
٢٦	تلمسان
٢٨١	ثبير
٤١٢	خمّ
٢٨٦	خيبر
١٠٤	سبزوار
١٠٥	شيراز
١٠٤	طبرس
٢٦	طبرستان
١٠٣	طوس
٢٤	فخ
٤٩٧	فدك
٣٦	قمّ
١٠٤	كاشان
٢٨٣	الوادي اليابس

٦- فهرس أسماء الفرق والمذاهب والقبائل:

الصفحة	الاسم
٢١٢	الواقفة
٢٢٣	الناوسية
٢٠	العلويون
٢٦	الديلم
٢٦	البربر

٧- ثبت الكتب والمراجع

أولاً : كتب السنة

١. الإتيان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي تعليق مصطفى ديب البغا درا ابن كثير دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .
٢. آثار البلاد وأخبار العباد المؤلف : القزويني
٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، تحقيق علي معوض ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .
٤. الإصابة في تمييز الصحابة ، المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، أصول التفسير ، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ت: ١٤٢١ هـ .
٦. أصول مذهب الشيعة ، الإمامية الإثني عشرية ، عرض ونقد ، أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري دار الرضا للنشر والتوزيع ، الجزيرة ، مصر الطبعة الرابعة ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م .
٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، دار عالم الفوائد مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ .
٨. الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م .
٩. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ، للبخاري ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ .
١٠. إنباه الرواة على أنباء النحاة ، للوزير جمال الدين القفطي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م .
١١. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، المؤلف : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الاندلسي .
١٢. البداية والنهاية : لابن كثير - أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - ت: ٧٧٤ هـ مكتبة المعارف بيروت .

- ١٣ . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف : محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة بيروت .
- ١٤ . البرهان في علوم القرآن ، المؤلف : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .
- ١٥ . البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، المؤلف / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي دار النشر / جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - ١٤٠٧ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد المصري .
- ١٦ . البيان والتبيين ، المؤلف : أبي عثمان عمرو بن بحر ، الناشر : دار صعب - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨ ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي .
- ١٧ . تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية .
- ١٨ . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : الدكتور حسن إبراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤ م .
- ١٩ . تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين محمد بن أحمد بن قيمان الذهبي ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .
- ٢٠ . التاريخ الإسلامي العام : الدكتور علي إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة المصرية .
- ٢١ . تاريخ الأمم الإسلامية : (الدولة العباسية) الشيخ محمد الخضري بك المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٩٧٠ م .
- ٢٢ . تاريخ الأمم والملوك : (تاريخ الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٢٣ . تاريخ التفسير قاسم القيسي مطبعة المجمع العراقي ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .
- ٢٤ . تاريخ بن خلدون تحقيق وتعليق: محمد حسين نصيف .
- ٢٥ . تبصير المنتبه بتحرير المشتبه : ابن حجر العسقلاني .
- ٢٦ . تذكرة الحفاظ ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى .

٢٧. تفسير البحر المحيط ، المؤلف : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي . تحقيق عادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .
٢٨. تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة ، د. محمد بن عبد الله بن علي الخضير ، دار الوطن الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
٢٩. تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م .
٣٠. تفسير القرآن العظيم : لابن كثير _ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي _ ت : ٧٧٤ هـ ، دار المعرفة ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٩٨ م .
٣١. التفسير والمفسرون ، الدكتور محمد حسين الذهبي ، شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر بيروت لبنان .
٣٢. تقريب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوّامة طبعة دار الرشيد بحلب الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ
٣٣. تنزيه الشريعة المرفوعة أبو الحسن علي بن محمد بن العراق الكناني ، المحقق : عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الناشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة : الثانية ١٩٨١ .
٣٤. تهذيب التهذيب أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر : دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤
٣٥. تهذيب الكمال : يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ ، تحقيق : د. بشار عواد معروف
٣٦. تهذيب اللغة ، المؤلف : الأزهري
٣٧. الثقات ، المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، الناشر : دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد
٣٨. ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام ، للذهبي ، تحقيق : محمد بن ناصر العجمي ، دار ابن الأثير الكويت ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
٣٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت : ٣١٠ هـ دار الفكر بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

- ٤٠ . الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، المؤلف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم
القشيري النيسابوري ، الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفق الجديدة . بيروت
- ٤١ . الجامع الصحيح سنن الترمذي ، المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي
، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون
- ٤٢ . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ،
المؤلف : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري المحقق :
محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر : دار طوق النجاة الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ
- ٤٣ . الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،
ت : ٦٧١ هـ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٤٤ . الجرح والتعديل : عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي الناشر :
دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى ، ١٢٧١ - ١٩٥٢
- ٤٥ . الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، عبد القادر بن أبي أوفى القرشي ، دار مير محمد كتب
خانة كراتشي .
- ٤٦ . حجة القراءات ، المؤلف : عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة الناشر : مؤسسة الرسالة
- بيروت
- ٤٧ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ت : ٤٣٠ هـ دار
الerman للتراث ، القاهرة الطبعة الخامسة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٤٨ . الدراري المضية شرح الدرر البهية : محمد بن علي الشوكاني ، الناشر : دار الجيل - بيروت ،
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٤٩ . دَرَّةٌ تَعَارِضُ الْعُقْلَ وَالتَّنْقِلَ (أو) مُوَافَقَةٌ صَحِيحِ الْمُتَقَوْلِ لِصَرِيحِ الْمُعْتَمَدِ : أحمد بن عبد الحليم
بن تيمية الحراني أبو العباس ، المحقق : محمد رشاد سالم ، الناشر : دار الكنوز الأدبية -
الرياض ، ١٣٩١ هـ .
- ٥٠ . ذيل طبقات الحفاظ ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ .
- ٥١ . الرد الوافر عمر بن علي البزار أبو حفص ، تحقيق زهير الشاويش المكتب الإسلامي بيروت
الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ .

٥٢. رسالة التوحيد : للشيخ محمد عبده بن حسن خير الله ت: ١٣٢٣هـ دار إحياء الكتب العربية مصر الطبعة الحادية عشرة ١٣٦٠هـ .
٥٣. الروض المربع على مختصر المقنع ، المؤلف : منصور بن يونس بن صلاح البهوتي .
٥٤. الروض المعطار في خبر الأقطار المؤلف : محمد بن عبد المنعم الحميري المحقق : إحسان عباس الناشر : مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج الطبعة : ٢ - ١٩٨٠م
٥٥. السبعة في القراءات : لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي ت: ٣٢٤هـ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف مصر الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .
٥٦. سبل السلام ، شرح بلوغ المرام ، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعائي ، صححه وعلق عليه محمد عبد العزيز الخولي ، دار الجيل بيروت .
٥٧. سنن أبي داود : لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، ت: ٢٧٥هـ ضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة الإسلامية اسطنبول تركيا
٥٨. سنن البيهقي الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، الناشر : مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا
٥٩. سير أعلام النبلاء : لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت: ٧٤٨هـ أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثامنة ١٤١٢هـ .
٦٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن العماد العسكري الحنبلي ، أبو الفلاح ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ، دار بن كثير ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
٦١. شرح ابن عقيل المؤلف : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني ، الناشر : دار الفكر - دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ م ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
٦٢. شرح العقيدة الطحاوية الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩١
٦٣. الشيعة الإثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم ، أ.د. محمد محمد إبراهيم العسال ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ .
٦٤. صفحات في علوم القراءات ، د. عبد القويم بن عبد العزيز السندي ، المكتبة الأمدادية ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥ م .

٦٥. الضعفاء الكبير ، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ، الناشر : دار المكتبة العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي
٦٦. الضعفاء والمتروكين ، المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي ، الناشر : دار الوعي - حلب ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩ ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد
٦٧. الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، تحقيق : سعيد الأفغاني
٦٨. طبقات الحفاظ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
٦٩. طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ، تحقيق ، د، محمود محمد الطناحي ، د. عبد الفتاح محمد ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ .
٧٠. الطبقات الكبرى لابن سعد : القسم المتمم لتابعي أهل المدينة : تحقيق الدكتور زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ
٧١. الطبقات الكبرى لابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ت: ٢٣هـ تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ
٧٢. طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن عبد الله الداودي ت : ٩٤٥هـ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
٧٣. العجائب في بيان الأسباب ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ، الناشر : دار ابن الجوزي الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م تحقيق : عبدالحكيم محمد الأنيس
٧٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، المؤلف : بدر الدين العيني الحنفي
٧٥. غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .
٧٦. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: المؤلف : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور الناشر : دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ .
٧٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل المؤلف : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد الناشر : مكتبة الخانجي - القاهرة .
٧٨. فصول في أصول التفسير ، د. مساعد بن سليمان الطيار ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الدمام الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٧٩. الفهرست لابن النديم ، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩٨ - ١٩٧٨
٨٠. فوات الوفيات ، محمد بن شاکر الکتبی ، إحسان عباس ، دار صادر - بيروت الطبعة : ١ .
٨١. فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت : لعبد العلي محمد بن نظام الدين ، مطبوع بهامش كتاب المستصفى للغزالي ، مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة .
٨٢. القاموس المحيط ، المؤلف : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي .
٨٣. القرآن والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ، دار المعارف مصر ، طبعة عام ١٩٥٩ هـ .
٨٤. قطر المحيط ، بطرس لبستاني ، مكتبة لبنان ، بساحة رياض ، بيروت .
٨٥. قواعد التفسير جمعاً ودراسة : خالد بن عثمان السبت ، دار ابن عفان الخبر السعودية ، الطبعة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
٨٦. الكامل في ضعفاء الرجال ، المؤلف : عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني ، الناشر : دار الفكر بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ - ١٩٨٨ ، تحقيق : يحيى مختار غزاوي .
٨٧. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، المؤلف : العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي
٨٨. كشف الظنون حاجي خليفة ، تحقيق محمد شرف الدين
٨٩. الكفاية في علم الرواية لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ت: ٤٦٣ هـ دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند ١٣٥٧ هـ
٩٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المؤلف : علي بن حسام الدين المتقي الهندي الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م .
٩١. اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية ، المؤلف : الشُّيوطي، جلال الدين ، الناشر : دار الكتب العلمية
٩٢. اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية المؤلف : الشُّيوطي، جلال الدين ، الناشر : دار الكتب العلمية
٩٣. لسان العرب ، المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، الناشر : دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى .

٩٤. لسان الميزان : المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر :
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ تحقيق : دائرة
المعرف النظامية - الهند
٩٥. مباحث في علوم القرآن : للشيخ مناع القطان ت: ١٤٢٠ هـ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
الرياض ، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م
٩٦. المجروحين : أبو حاتم محمد بن حبان البستي الناشر : دار الوعي - حلب تحقيق : محمود
إبراهيم زايد
٩٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : أحمد بن عبد الحلیم أبو العباس بن تيمية ت:
٧٢٨ هـ ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب ،
مكتبة المعارف المغرب
٩٨. المحلى بالآثار شرح المحلى بالإختصار ، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد .
٩٩. مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت: ٦٦٦ هـ مكتبة لبنان بيروت
١٩٨٦ م
١٠٠. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، د. ناصر الغفاري دار طيبة للطباعة والنشر ،
الطبعة الثالثة ، ١٤٢٨ هـ .
١٠١. المستدرک علی الصحیحین : لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري
ت: ٤٠٥ هـ دار المعرفة بيروت
١٠٢. مسند أحمد بن حنبل المحقق : شعيب الأرناؤوط وآخرون الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة :
الثانية ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م
١٠٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقرئ
الفيومي ، الناشر : المكتبة العلمية - بيروت
١٠٤. مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني الناشر : المكتب الإسلامي -
بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي
١٠٥. مع الإثنى عشرية في الأصول والفروع ، أ. د. علي أحمد السالوس ، مكتبة دار القرآن ، مصر
، الطبعة العاشرة ، ١٤٢٩ هـ .
١٠٦. المعجزة الكبرى (القرآن الكريم) للشيخ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ١٣٩٠ هـ

١٠٧. معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، دار الفكر - بيروت
١٠٨. المعجم الوسيط : المعجم الوسيط ، المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ، تحقيق / مجمع اللغة العربية
١٠٩. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، المؤلف : عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ، الناشر : عالم الكتب - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ ، تحقيق : مصطفى السقا .
١١٠. معجم مقاييس اللغة ، المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المحقق : عبد السلام محمد هارون الناشر : دار الفكر ، الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
١١١. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، المؤلف : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ ، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرنؤوط ، صالح مهدي عباس
١١٢. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، الناشر : دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
١١٣. المفسر ، شروطه وآدابه ، مصادره دراسة تأصيلية ، أحمد قشيري سهيل مكتبة الرشد ١٤٢٩ - ٢٠٠٨م الطبعة الأولى الرياض .
١١٤. مقاتل الطالبين ، أبو الفرج الاصفهاني الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م ، الناشر منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعها النجف .
١١٥. مقدمة ابن الصلاح لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ت : ٦٤٢هـ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
١١٦. مقدمة في أصول التفسير : لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ت : ٧٢٨هـ ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور ، دار القرآن الكريم الكويت الطبعة الأولى ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م
١١٧. الملل والنحل ، المؤلف : محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤ ، تحقيق : محمد سيد كيلاي .
١١٨. مناهل العرفان في علوم القرآن ، المؤلف : محمد عبد العظيم الزرقاني ، الناشر : دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات

١١٩. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، المؤلف : أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة
الحرانی أبو العباس ، المحقق : د. محمد رشاد سالم ، الناشر : مؤسسة قرطبة ، الطبعة : الطبعة
الأولى ، ١٤٠٦ م.
١٢٠. منهج تفسير القمي ، دراسة تقويمية ، إعداد د. زيد عمر عبد الله ، كلية التربية ، جامعة
الملك سعود ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ .
١٢١. موسوعة أقوال الدارقطني ، جمع وترتيب : السيد أبو المعاطي النوري ، المتوفى سنة ١٤٠١ .
١٩٨١ هـ الدكتور محمد مهدي المسلمي أشرف منصور عبد الرحمن ، أحمد عبد الرزاق عيد
أيمن إبراهيم الزامل ، ومحمود خليل
١٢٢. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المؤلف : الادريسي
١٢٣. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، محمد بن علي بن محمد
الشوكاني ، الناشر : إدارة الطباعة المنيرية .
١٢٤. الوافي بالوفيات الصفدي أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م بيروت -
دار إحياء التراث .
١٢٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن
خلكان ، المحقق : إحسان عباس ، الناشر : دار صادر - بيروت .

ثانياً : كتب الشيعة :

- ١ . الاحتجاج : للطبرسي منشورات الأعلمي - بيروت .
- ٢ . الاختصاص ، المفيد ، تعليق : علي أكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم .
- ٣ . اختيار معرفة الرجال الشيخ الطوسي تصحيح وتعليق : مير داماد الأسترابادي ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ١٤٠٤ هـ بعثت - قم مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .
- ٤ . الاستبصار للطوسي ، تعليق : حسن الموسوي ، الناشر ، دار الكتب الإسلامية ، طهران بازار سلطاني .
- ٥ . أصل الشيعة وأصولها ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، تحقيق : علاء آل جعفر ، مؤسسة الإمام علي ، قم الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .
- ٦ . أصول الفقة ، محمد رضا المظفر ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، ١٣٧٠ هـ .
- ٧ . الاعتقادات في دين الإمامية الشيخ الصدوق ، عصام عبد السيد الثانية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .
- ٨ . اعلام الوري بأعلام الهدى ، تاليف الطبرسي ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري .
- ٩ . إعلام الوري بأعلام الهدى الشيخ الطبرسي مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، ستارة - قم مؤسسة آل البيت ، الإحياء التراث - قم المشرفة .
- ١٠ . أعيان الشيعة السيد محسن الأمين ، تحقيق وتخريج : حسن الأمين دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان ١٤٠٦ .
- ١١ . إكمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق ٣٨١ هـ تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ١٤٠٥ - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
- ١٢ . الإمام المهدي بين التواتر وحساب الإحتمال الشيخ محمد باقر الإيرواني الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ، مركز الأبحاث العقائدية - قم - إيران .
- ١٣ . الأمل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
- ١٤ . أمل الآمل ، الحر العاملي ، تحقيق السيد أحمد الحسيني ، قم ، دار الكتاب الإسلامي .

- ١٥ . الانتصار للعالمي ، الأولى ، ١٤٢٢ هـ دار السيرة - بيروت - لبنان .
- ١٦ . الأنوار النعمانية ، لنعمة الله الجزائري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤ هـ ،
- ١٧ . أوائل المقالات : المفيد ، دار الكتاب الإسلامي . بيروت .
- ١٨ . إيضاح الاشتباه الحلبي محمد الحسون ، الأولى شوال المكرم ١٤١١ هـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
- ١٩ . إيضاح الاشتباه الحلبي محمد الحسون ، الأولى شوال المكرم ١٤١١ هـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
- ٢٠ . بحار الأنوار المجلسي ، عبد الزهراء العلوي ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، دار الرضا - بيروت - لبنان .
- ٢١ . بحار الأنوار المجلسي ، عبد الزهراء العلوي ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، دار الرضا - بيروت - لبنان .
- ٢٢ . بحار الأنوار المجلسي الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان ، دار إحياء التراث العربي .
- ٢٣ . البيان في تفسير القرآن السيد الخوئي ، السنة الرابعة ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .
- ٢٤ . تحرير الأحكام العلامة الحلبي إشراف : جعفر السبحاني الأولى ١٤٢٠ هـ اعتماد - قم مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، توزيع : مكتبة التوحيد - قم - إيران .
- ٢٥ . ترجمة تاريخ قم ، الحسن القمي ، نقلاً عن كريمة السادة النجباء ومدينتها الزهراء .
- ٢٦ . تفسير التبيان للطوسي ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي مكتب الإعلام الإسلامي ، دار إحياء التراث العربي .
- ٢٧ . تفسير الصافي : - منشورات الأعلمي بيروت .
- ٢٨ . التفسير الصافي الفيض الكاشاني الطبعة الثانية - مؤسسة الهادي - قم المقدسة مكتبة الصدر - طهران

٢٩. تفسير القمي علي بن إبراهيم القمي تصحيح وتعليق وتقديم : السيد طيب الموسوي الجزائري الطبعة الثالثة ، صفر ١٤٠٤ هـ مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران ، منشورات مكتبة الهدى.
٣٠. تفسير سورة الحمد محمد باقر الحكيم الطبعة الأولى رجب ١٤٢٠ ، قم مجمع الفكر الإسلامي.
٣١. تفسير شبر المؤلف : السيد عبد الله شبر تحقيق : راجعه الدكتور حامد حفني داود الطبعة : الثالثة سنة الطبع : ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م المطبعة : السيد مرتضى الرضوي الناشر : السيد مرتضى الرضوي .
٣٢. تفسير مجمع البيان الطبرسي تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان ، تقديم : السيد محسن الأمين العاملي .
٣٣. تلامذة المجلسي : أحمد الحسيني ، الطبعة الأولى ، قم : مطبعة الخيام ، ونشر مكتبة المرعشي النجفي ، ١٤١٠ هـ).
٣٤. تنقيح المقال: عبد الله الممقاني ، مطبعة المرتضوية ، النجف ١٣٤٨ هـ .
٣٥. تهذيب الأحكام ، الطوسي ، تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان الثالثة ، خورشيد | دار الكتب الإسلامية - طهران .
٣٦. تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي السيد محمد علي الأبطحي ، ١٩٧١ م | مطبعة الآداب - النجف الأشرف .
٣٧. جامع الرواة لمحمد علي لأردبيلي ، نشر مكتبة المحمدي ، قم .
٣٨. خاتمة المستدرک المؤلف : الميرزا النوري الوفاة : ١٣٢٠ تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
٣٩. الخصال الشيخ الصدوق ٣٨١ هـ تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة .
٤٠. خلاصة الأقوال ، الحلبي ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي الطبعة الأولى.

- ٤١ . الخلاف الشيخ الطوسي المحققون : السيد علي الخراساني ، السيد جواد الشهرستاني ، الشيخ محمد مهدي نجف المشرف : الشيخ مجتبي العراقي الأولى ١٤١٧ هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
- ٤٢ . دراسات في الحديث والمحدثين ، لهاشم معروف الحسيني، بيروت ، دار التعارف للمطبوعات ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ .
- ٤٣ . دروس في التفسير ، قاعدة تفسير القرآن بالسنة ، محمد العبيدان القطيفي .
- ٤٤ . الذريعة ، آقا بزرك الطهراني ، الوفاة : ١٣٨٩ ، الناشر : دار الأضواء - بيروت - لبنان
- ٤٥ . رجال ابن داود ، لابن داوود الحلبي ، تحقيق وتقديم : السيد محمد صادق آل بحر العلوم ، ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م منشورات مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف منشورات الرضي - قم - إيران .
- ٤٦ . رجال الخاقاني الشيخ علي الخاقاني ، محمد صادق بحر العلوم ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ، مكتب الإعلام الإسلامي مركز نشر مكتب الإعلام الإسلام
- ٤٧ . رجال الطوسي الشيخ الطوسي ، جواد القيومي الإصفهاني ، الطبعة الأولى رمضان المبارك ١٤١٥ هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
- ٤٨ . رجال النجاشي النجاشي ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٦ هـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، بقم المشرفة .
- ٤٩ . الرواشح السماوية ، ميرداماد محمد باقر الحسيني تلاستراآبادي تحقيق : غلام حسين قيصرية، نعمة الله الجليلي ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ مطبعة دار الحديث الناشر دار الحديث للطباعة والنشر .
- ٥٠ . روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، محمد باقر الخوانساري تحقيق أسد الله اسماعيليان المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٠ م .
- ٥١ . سماء المقال في علم الرجال ، أبو الهدى الكلباسي ، السيد محمد الحسيني القزويني ، الطبعة الأولى ، أمير - قم مؤسسة ولي العصر (ع) للدراسات الإسلامية - قم المشرفة .
- ٥٢ . شرح أصول الكافي ، محمد صالح المازندراني ، نشر مركز المعجم الفقهي ، قم .

٥٣. طرائف المقال ، في معرفة طبقات الرجال ، لعلي أصغر الجابلقى المعروف بالبروجودي ، تحقيق مهدي الرجائي نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفي ، قم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .
٥٤. عبد الله بن سبأ و الأسطورة السبئية ، لمرتضى العسكري ، دار التوحيد النجف الطبعة السادسة ، ١٤٣٠ هـ .
٥٥. عدم تحريف القرآن ، السيد علي الميلاني الطبعة : الأولى سنة الطبع : ١٤٢١ هـ الناشر : مركز الأبحاث العقائدية - قم - إيران
٥٦. عقائد الإمامية الشيخ محمد رضا المظفر ، تقديم : الدكتور حامد حفي داود انتشارات أنصار يان - قم - إيران
٥٧. علل الشرائع | الشيخ الصدوق تقديم : السيد محمد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف .
٥٨. عيد الغدير في الإسلام - محمد الأمين - الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م ، الناشر دار الكتاب العربي .
٥٩. غنائم الأيام ، الميرزا القمي ، تحقيق : عباس تبرزيان ، مكتب الإعلام الإسلامي ، فرع خراسان الناشر مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي .
٦٠. الغيبة الشيخ الطوسي ٤٦٠ هـ الشيخ عباد الله الطهراني ، الشيخ علي أحمد ناصح ، الطبعة الأولى بجمن مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة .
٦١. الغيبة الشيخ محمد رضا الجعفري ، مركز الأبحاث العقائدية - قم - إيران
٦٢. الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة الشيخ فاضل المالكي الطبعة الأولى ١٤٢٠ مركز الأبحاث العقائدية - قم - إيران .
٦٣. فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ، رضي الدين ابن طاووس ، دار الذخائر للمطبوعات ، نشر محمد كاظم الكبشي ، قم ، الطبعة الأولى / ١٣٦٣ هـ .
٦٤. فرق الشيعة ، حسن بن موسى النوبختي ، تحقيق : عبد المنعم الحفني ، دار الرشاد القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .
٦٥. فصل الخطاب ، نسخة الكترونية تقع في ٣٤٢ ورقة

٦٦. الفصول المهمة في أصول الأئمة ، للحر العاملي ، تحقيق محمد بن محمد حسين القائيني ، مطبعة نكين ، ونشر مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا ، قم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ .
٦٧. الفهرست ، الشيخ الطوسي ، جواد القيومي الطبعة الأولى شعبان المعظم ١٤١٧ مؤسسة النشر الإسلامي ، مؤسسة نشر الفقاهة .
٦٨. الفوائد الرجالية ، محمد مهدي بحر العيون ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، مكتبة الصادق ، طهران ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ .
٦٩. في رحاب الشيعة الشيخ باقر شريف القرشي .
٧٠. قاموس الرجال ، محمد تقي التستري مؤسسة النشر الإسلامي الأولى ١٤٢٢ هـ مؤسسة النشر الإسلامي مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
٧١. القضاء في الفقه الإسلامي ، لكاظم الحسين الحائري ، مطبعة باقري ، نشر مجمع الفكر الإسلامي ، قم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ .
٧٢. الكافي ، الكليني تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، الطبعة الخامسة دار الكتب الإسلامية - طهران
٧٣. كامل الزيارات ، جعفر بن محمد بن قولويه الشيخ جواد القيومي ، لجنة التحقيق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ مؤسسة النشر الإسلامي مؤسسة نشر الفقاهة
٧٤. كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي من خواص أصحاب الإمام أمير المؤمنين والإمامين الحسين والإمام زين العابدين والإمام الباقر عليهم السلام
٧٥. كريمة السادة النجباء ومدينتها الزهراء ، المؤلف ، عبد الكريم العقيلي منشورات مؤسسة بنت الرسول لإحياء تراث أهل البيت إصدار رقم ٢٣ . الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ
٧٦. كشف الحجب والأستار السيد إعجاز حسين ، الثانية ١٤٠٩ هـ ، بهمن - قم ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم المقدسة مع مقدمة آية الله العظمى المرعشي النجفي .
٧٧. كليات في علم الرجال الشيخ السبحاني الطبعة الثالثة ذي القعدة الحرام ١٤١٤ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .

٧٨. كمال الدين وتمام النعمة | الشيخ الصدوق ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
٧٩. الكنى والألقاب ، عباس القمي ، تقدم محمد هادي الأميني مكتبة الصدر - طهران
٨٠. المبسوط للطوسي ، تصحيح وتعليق : السيد محمد تقي الكشفي ، المطبعة الحيدرية - طهران ، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية .
٨١. المبسوط: الشيخ الطوسي تصحيح وتعليق : محمد الباقر البهبودي المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية
٨٢. مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ، عبد اللطيف الكازراني ، نسخة الكترونية
٨٣. مرآة العقول : ١٤١٧ المطبعة : مؤسسة النشر الإسلامي الناشر : مؤسسة نشر الفقهة
٨٤. المراجعات ، عبد الحسين الموسوي تحقيق : حسين الراضي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م .
٨٥. مستدركات أعيان الشيعة لحسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .
٨٦. مستدركات علم رجال الحديث المؤلف : الشيخ علي النمازي الشاهرودي الوفاة : ١٤٠٥ هـ الطبعة : الأولى سنة الطبع : ربيع الآخر ١٤١٢ المطبعة : شفق - طهران
٨٧. مصباح الفقهة المؤلف : السيد الخوئي ، الطبعة : الأولى العلمية - قم الناشر : مكتبة الداوري - قم
٨٨. مصباح المجتهد الشيخ الطوسي الطبعة : الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م الناشر : مؤسسة فقه الشيعة - بيروت - لبنان
٨٩. مع علماء النجف الأشرف المؤلف : محمد الغروي ، سنة النشر : ١٩٩٩ ، الطبعة الأولى الناشر : دار الروضة .
٩٠. معالم العلماء ، لابن شهر آشوب ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، نشر مركز المعجم الفقهي ، قم .
٩١. معجم رجال الحديث أبو القاسم الخوئي مركز المعجم الفقهي بالحوزة العلمية ، الطبعة الخامسة | ١٤١٣ - ١٩٩٢ م ، قم .
٩٢. المقنع: الشيخ الصدوق لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي (ع) ١٤١٥ هـ اعتماد مؤسسة الإمام الهادي (ع).

٩٣. من لا يحضره الفقيه المؤلف : الشيخ الصدوق ، الوفاة : ٣٨١ هـ تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري - الطبعة : الثانية سنة الطبع : ١٤٠٤ ، قم .
٩٤. منهاج الكرامة العلامة الحلبي تحقيق : عبد الرحيم مبارك الطبعة الأولى دار الهادي - قم .
٩٥. الموضوعات في الآثار والأخبار ، هاشم معروف الحسيني ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت لبنان ، ١٩٨٧
٩٦. الميزان في تفسير القرآن فسير الميزان المؤلف : السيد الطباطبائي الناشر : منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة .
٩٧. نهج البلاغة خطب الإمام علي ، شرح : الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ، دار النهضة - قم دار الذخائر - قم - إيران
٩٨. نهج البلاغة وهو ما جمعه السيد الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب طبعة جديدة مصححة ومنقحة
٩٩. وسائل الشيعة ، للحر العاملي ، مطبعة مهر ، ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ .
١٠٠. وفيات الأئمة ، المؤلف : من علماء البحرين والقطيف، الطبعة الأولى ١٤١٢ - ١٩٩١ م دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
١٥	الباب الأول : المؤلف وكتابه
١٦	الفصل الأول : التعريف بالمؤلف
١٧	تمهيد : عصر المؤلف
٣٥	المبحث الأول : اسمه ونسبه ونشأته ووفاته
٤٠	المبحث الثاني : حياته العلمية
٤٥	المبحث الثالث : مذهبه وعقيدته
٥٥	الفصل الثاني : التعريف بالكتاب
٥٦	المبحث الأول : أهمية الكتاب عند الشيعة ونسبته إلى مؤلفه
٧٩	المبحث الثاني : مصادره في تفسيره
١٠١	المبحث الثالث : أثر تفسير القمي على من بعده
١٢٥	الباب الثاني : عرض ونقد لتفسير القمي
١٢٦	الفصل الأول : المآخذ المنهجية في تفسير القمي
١٢٧	المبحث الأول : أصول التفسير عند أهل السنة والشيعة
١٢٨	المطلب الأول : أصول التفسير عند أهل السنة
١٦٣	المطلب الثاني : أصول التفسير عند أهل الشيعة
١٩٦	المبحث الثاني : نشأ الخلاف بين أهل السنة والشيعة
٢٠٤	المبحث الثالث : نقد رواياته
٢٣٨	المبحث الرابع : التفسير بالمأثور عند القمي
٢٣٩	المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن
٢٤٢	المطلب الثاني : تفسير القرآن بالسنة

٢٤٩	المطلب الثالث : التفسير بأقوال الصحابة
٢٦١	المطلب الرابع : أسباب النزول
٢٧٧	المطلب الخامس : القراءات عند القمي
٢٨٠	المطلب السادس : الإسرائيليات والموضوعات
٢٩٥	المبحث الخامس : التفسير بالرأي عند القمي
٢٩٦	المطلب الأول : تفسير القرآن بالباطن
٣٠١	المطلب الثاني : اللغة والبلاغة
٣٠٦	المطلب الثالث تفسير المبهمات
٣٠٩	المطلب الرابع : أسلوب الجري
٣١١	الفصل الثاني: المآخذ العقديّة في تفسير القمي
٣١٢	المبحث الأول : فرية تحريف القرآن
٣٤١	المبحث الثاني : عقيدة الإمامة والولاية
٣٦١	المبحث الثالث : عصمة الأئمة
٣٧٨	المبحث الرابع : عقيدة التقية
٣٩٤	المبحث الخامس : عقيدته في تجريح الصحابة
٤٢٧	المبحث السادس : عقيدة البداء
٤٤٣	المبحث السابع : المهدي والغيبة الرجعة
٤٧٣	الفصل الثالث: المآخذ الفقهيّة في تفسير القمي
٤٧٤	المبحث الأول : كتاب الطهارة
٤٨٢	المبحث الثاني : كتاب الصلاة
٤٩٣	المبحث الثالث : كتاب الزكاة
٥٠٠	المبحث الرابع : كتاب الصيام
٥١١	المبحث الخامس : كتاب المناسك

٥١٦	المبحث السادس : كتاب النكاح
٥٣٤	المبحث السابع : كتاب الطلاق
٥٣٠	المبحث الثامن : كتاب الفرائض
٥٣٦	الفصل الرابع : تفسير القمي في الميزان
٥٤٧	الخاتمة
٥٥٣	الفهارس
٥٥٤	فهرس الآيات
٥٧١	فهرس الأحاديث والآثار
٥٧٤	فهرس الأعلام المترجم لهم
٥٨١	فهرس الكلمات الغريبة
٥٨٢	فهرس البلدان والأماكن:
٥٨٣	فهرس أسماء الفرق والمذاهب والقبائل
٥٨٤	ثبت الكتب والمراجع
٦٠٢	فهرس الموضوعات